

International Islamic University,
Islamabad
Faculty of Usuluddin (Islamic
Studies),
Department of Tafsir & Quranic
Sciences



الجامعة الإسلامية العالمية - إسلام آباد
كلية أصول الدين (الدراسات الإسلامية)
قسم التفسير وعلوم القرآن

استدراكات الإمام شهاب الدين الألوسي والشيخ غلام رسول
السعيدي على الإمام فخر الدين الرازي في تفسيريهما
[من أول سورة الأعراف الى آخر سورة الكهف]
دراسة تحليلية نقدية

بحث مقدم لنيل درجة الدكتوراه في قسم التفسير وعلوم القرآن بكلية أصول الدين

الإشراف: الدكتور محمد بن عبد الوهاب الراسخ حفظه الله تعالى

إعداد الطالب: محمد سعيد بن حُكم خان

رقم التسجيل: 219- FU/ PHD TQS /S15

العام الجامعي: 2019م الموافق 1441هـ



الجامعة الإسلامية العالمية - إسلام آباد



Acc # TH-22258

6995
K



PHD

٢٩٧٤ ١٢٢٠٧

خ ا ا

- قرآن کریم - بکون
- قرآن کریم - تفاسیر
- قرآن کریم - امتدراجات
- قرآن کریم - شہادۃ الدین الاولیٰ
- قرآن کریم - غلام رسول السیدی
- قرآن کریم - فخر الدین الرازی



Foreign Evaluators

(المحكّمين خارج باكستان)

Dr. Hussain Muhammad Hussain

Prof. Department Tafsir & Quranic Sciences,
Faculty of Usuluddin (Islamic Studies),
Jamiatul Azhar, Cairo, Egypt.
Ex. Prof. Department Tafsir & Quranic
Sciences, Faculty of Usuluddin (Islamic
Studies), International Islamic University
Islamabad.

Dr. Suhaib Hasan

Expert of Islamic Studies & Shariah,
Secretary Shariah Council,
Masjid Al- Tawhid, Lepton, London, United
Kingdom (UK).

بسم الله الرحمن الرحيم

أجريت

بتاريخ: 7 أكتوبر 2019م يوم الإثنين الموافق 7 صفر المظفر 1441هـ الساعة 3:30 مساءً

مناقشة البحث الذي قدمه: الطالب: محمد سعيد، رقم التسجيل # 219/FU-PHD TQS/S15 بقسم

التفسير وعلوم القرآن، كلية أصول الدين (الدراسات الإسلامية)، الجامعة الإسلامية العالمية إسلام آباد.

بعنوان: استدراكات الإمام شهاب الدين الألوسي والشيخ غلام رسول السعيد على الإمام فخر

الدين الرازي في تفسيريهما [من أول سورة الأعراف إلى آخر سورة الكهف] دراسة تحليلية نقدية

أسماء أعضاء لجنة المناقشة وتوقيعاتهم:

الرقم	المناقشون	الأسماء	التوقيع
1	المشرف على البحث	الدكتور محمد بن عبد الوهاب الراجح (حفظه الله تعالى)، الأستاذ المساعد بقسم التفسير وعلوم القرآن، كلية أصول الدين، الجامعة الإسلامية العالمية إسلام آباد.	
2	المناقش الخارجي	الدكتور علي أصغر جمشي (حفظه الله تعالى)، الأستاذ بقسم القرآن والتفسير، كلية اللغة العربية والدراسات الإسلامية، الجامعة العلامة إقبال مفتوحة إسلام آباد.	
3	المناقش الخارجي	الدكتور سيد عبد الفقار بخاري (حفظه الله تعالى)، الأستاذ المشارك بقسم الدراسات الإسلامية، الجامعة القومية لللغات الحديثة إسلام آباد.	
4	المناقش الداخلي	الدكتور شاه جنيد احمد هاشمي (حفظه الله تعالى)، الأستاذ المشارك بقسم التفسير وعلوم القرآن، كلية أصول الدين، الجامعة الإسلامية العالمية إسلام آباد.	
الملحوظات			

ومنح الطالب درجة بتقدير:

Viva Voce Examination

Viva Voce Examination of the thesis titled:

Rectifications of Imam Shahab uddin Aaloosi and Shaykh Ghulam Rasool Saeedi on Imam Fakhr uddin Razi in their Tafsirs (From the beginning of Surah Al- Aaraf to the end of Al- Kahf) Critical Analysis

(استدراكات الإمام شهاب الدين الألوسي والشيخ غلام رسول السعيدى على الإمام فخر الدين الرازى في تفسيريهما، دراسة تحليلية نقدية)

Presented by: MUHAMMAD SAEED, Reg NO#219-FU/PHDTQS/S15


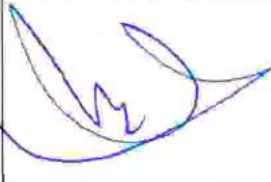
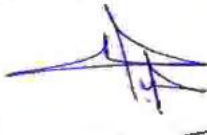
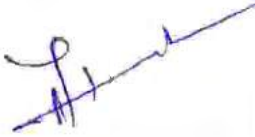
Subject/ Discipline: Usuluddin (Islamic Studies)

Specialization: Tafsir & Quranic Sciences

Date: 07th October 2019 AD according 07th Safar ul Muzzafar 1441 AH,

Timing: 03:30 PM, Venue: Library of Faculty of Usuluddin (Islamic Studies)

Viva Voce Examination Committee:

Member	Name & Post	Signature
Supervisor	Dr. Muhammad bin Abdul Wahab Al-Rasekh, Assistant Prof. Department Tafsir & Quranic Sciences, Faculty of Usuluddin (Islamic Studies), International Islamic University Islamabad.	
External Examiner	Prof. Dr. Ali Asghar Chishtī Professor/ Ex. Dean, Department Quran & Tafsir, Faculty of Arabic & Islamic Studies, Allama Iqbal Open University Islamabad.	
External Examiner	Dr. Syed Abdul Ghaffar Bukhari HoD/Associate Prof. Department Islamic Studies, National University of Modern Languages Islamabad.	
Internal Examiner	Dr. Shah Junaid Ahmad Hashimi Associate Prof. Department Tafsir & Quranic Sciences, Faculty Usuluddin, (Islamic Studies), International Islamic University Islamabad.	

Grade	
Marks	

Abstract

Rectification is a terminology which mean correction of mistake, completion of deficiency and clarification of ambiguity, Rectification of Scholars on each others is a trend which is continued from the time of Sahabah رضي الله عنهم اجمعين and Tabieen رحمهم الله تعالى. So we find in the books of Scholars from the initial era of Islam in the different field of Islamic Studies that they had rectified and criticized one another for the correction of mistakes, completion of deficiencies while the book of Imam Al-Hakim "Al-Mustadrak ala Sahehain" is an example of rectification at the time of Tabieen; in which He collect the narrations missed by Imam Bukhari and Muslim in their books "Saheeh Bukhari" and "Saheeh Muslim", Other Muslim Scholar also followed the said methodology and they do rectifications for example we find rectifications in the Tafseer of Imam Fakhr uddin Razi , Imam Syooti and Abu Hayyan (745 AH). Among these Honourable Scholars is the Imam Shahab uddin Aalausi (1270 AH) author of the Tafseer "Rooh ul Maani" and Shaykh Ghulam Rasool Al Saeedi (1437 AH) the writer of the Tafseer "Tibyan ul Quran", they both had rectifications on the Tafseer "Mafateeh ul Ghaib" of Imam Fakhr Uddin Razi in their Tafseer. So in this thesis titled "Rectifications of Imam Shahab Uddin Aaloosi and Shaykh Ghulam Rasool Saeedi on Imam Fakhr Uddin Razi in their Tafsirs (From the beginning of Surah Al- Aaraf to the end of Al- Kahf) Critical Analysis", I studied and do research on these Rectifications thoroughly and completely, while the total quantity of Rectifications is 74, 37 of these are rectified by Imam Aalusi and 37 by Shaykh Saeedi. These rectifications are related to different kinds such as Exagetical, Juritical, Grammatical, Linguistical etc. In addition to it that this is a very special quality of Islam which result the innocency of Ummah. Furthermore the Honourable Scholars had maintain justice while dealing with these rectifications and they mention their point of view openly with arguments, respecting each other personalities and opinions, further more they were mostly impartial in their research as well as tolerant while dealing with these issues even having different school of thoughts etc.

Key words: Rectification, Imam Fakhr Uddin Razi, Imam Shahab Uddin Aalusi, Shaykh Ghulam Rasul Saeedi.

إقرار

أنا الموقع أدناه مقلّم الرسالة التي تحمل العنوان:

استدراكات الإمام شهاب الدين الألوسي والشيخ غلام رسول السعيدى على الإمام فخر الدين

الرازى في تفسيريهما

[من أول سورة الاعراف الى آخر سورة الكهف]

دراسة تحليلية نقدية

أقرّ بأن ما اشتملت عليه هذه الرسالة إنما هي نتاج مجهدي الخاص، باستثناء ما تمّت الإشارة إليه حيثما ورد، وإن هذه الرسالة ككل، أو أي جزء منها لم يُقدّم من قبل، لتيل درجة أو لقب علمي أو بحث لدى أية مؤسسة وطنية أو دولية أو عالمية.

DECLARATION

I hereby declare that this thesis is the result of my own Research, except where is stated. I also declare that it has not been previously or concurrently submitted as a whole or its any part for receiving any degree etc at any National or International institute.



Muhammad Saeed

Reg No: 443/FUPHDTQS/S15

Date: 10th October 2019AD according 10th Safar ul Muzzafar 1441AH

الإهداء

- إلى والديّ الكريمين (حفظهما الله تعالى) اللّذين ربّيتني صغيراً وتحمّلا المشقّة في تربيتي وتعليمي، وإلى جدّي الكريم (رحمه الله تعالى) وإخواني وأخواتي.
- إلى جميع أساتنتي الذين أخذتُ العلم على أيديهم واستفدتُ كثيراً من توجيهاتهم وتعاليمهم ونصائحهم خاصّة في الجامعة الإسلامية العالمية إسلام آباد.
- إلى العلماء القائمين بالقسط وخاصة الإمام فخر الدين الرازى والإمام شهاب الدين الألوسي والشيخ غلام رسول السعيدى.
- إلى قسم التفسير وعلوم القرآن وكلية أصول الدين والجامعة الإسلامية العالمية إسلام آباد. أهدى هذا البحث المتواضع إلى جميع هؤلاء لعلّي أنتعم بصالح دعائهم وقد قمتُ بجزء من واجبي تجاههم راجياً من الله تعالى أن يغفرلي زلّاتي وينقبّل مني ما أخطأت يداي، وأسأل الله سبحانه وتعالى أن يجعل عملي هذا خالصاً لوجهه الكريم، وما توفيقني إلا بالله عليه توكلتُ وإليه أنيب، والحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله وصلى الله تعالى على سيّدنا محمد وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

كلمة الشكر والتقدير

أحمد الله سبحانه وتعالى على توفيقه وأشكره على إتمامه على إتمام هذا العمل فله الحمد حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه كما يُحِبُّ ويرضَى وكما ينبغي لجلال وجهه وعظيم سلطانه. أما بعداً
 عملاً بقول الله عزوجل: {لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ} (1) وامثالاً يهدي النبي صلى الله عليه وسلم: "مَنْ لَا يَشْكُرُ النَّاسَ لَا يَشْكُرُ اللَّهَ" (2) فأولاً أشكر الله سبحانه وتعالى الذي أنعم عليّ بالآلته التي لا تُحصَى ولا تُعد وأكرمني بنعمة العلم ومنّ عليّ بإتمام هذا البحث المتواضع. أتقدم بالشكر الجزيل إلى المشرف على هذه الرسالة فضيلة الأستاذ الدكتور محمد بن عبد الوهاب الراسخ (حفظه الله تعالى) الذي تفضل بقبول إشراف هذا البحث فقدّم لي ملاحظاته القيّمة وأستدراكاته الدقيقة وأتاح لي فرصة مع مشغولاته الكثيرة وتوجيهاته المفيدة مع صبره معي خلال كتابة البحث ولم أجد وجهه إلا طليقاً متيسماً، ولقد وجدته أستاذاً ناصحاً وأباً شفوفاً فأسأل الله تعالى أن يجعل ذلك كله في ميزان حسناته يوم القيامة.
 كما أشكر رئيس قسم التفسير وعلوم القرآن فضيلة الأستاذ الدكتور المقرئ تاج أقر (حفظه الله تعالى) وهكذا عميد كلية أصول الدين فضيلة الأستاذ الدكتور هارون الرشيد (حفظه الله تعالى) وجميع أساتذتي في كلية أصول الدين في جميع مراحل دراستي. الذين تلقيت عنهم العلم خلال الدراسة كما لا يفوتني أن أتقدم بخالص شكري وفائق تقديري للقائمين بالجامعة الإسلامية العالمية بإسلام آباد ثمويلاً وإدارة وتدريساً التي أتاحت لي فرصة الدراسة الدينية فيها وتميّت أسباب كثيرة لتحصيل العلم.
 هكذا أشكر كل من ساعدني في إنجاز هذه المهمة العظيمة وكل من مدّ إليّ يد العون والمساعدة خالص الشكر والتقدير فجزاهم الله عني وعن الإسلام خير الجزاء إنه سميع مجيب.

(الطالب)

محمد سعيد

(1) سورة إبراهيم الآية 7

(2) أخرجه الإمام الترمذي في سننه (المتوفى: 279هـ) ابواب البر والصلة، باب ما جاء في الشكر لِمَنْ أَحْسَنَ إِلَيْكَ. رقم الحديث:

1954 ج 4 ص 338 تحقيق وتعليق: أحمد محمد شاكر (ج 1، 2) ومحمد فؤاد عبد الباقي (ج 3) وإبراهيم عطوة عوض المدرس

في الأزهر الشريف (ج 4، 5) الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر. الطبعة: الثانية 1395هـ الموافق 1975م.

عدد الأجزاء: 5

المقدمة

- التعريف بالموضوع
- أهمية الموضوع
- أسباب اختيار الموضوع
- الدراسات السابقة
- مشكلة البحث
- أهداف الدراسة
- منهج البحث
- خطوات البحث
- خطة البحث

المقدمة

إن الحمد لله لحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلله فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم القيامة، وسلم تسليماً كثيراً، أما بعد؛

{ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيَّ كِتَابَهُ وَمَنْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا }⁽¹⁾، ورفاه في مراتب الفصاحة والبيان بحيث قال الله تعالى: {لَئِنْ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِقِيلَةٍ وَلَا نَجْوَىٰ لَهُ وَلَا كُنَّا لِنُبْعِثَهُمْ لِنُبْعِثَ ظَهِيرًا} ⁽²⁾ فإن من أكبر نعم الله على هذه الأمة أن أرسل إليها أشرف أنبيائه ورسوله محمداً صلى الله عليه وسلم وأنزل عليها أفضل كتبه، وأخلد معجزاته القرآن الكريم، الذي هو أعظم رسالة سماوية، وأعلىها منزلة وأجلها معجزة، وأتمها نظاماً ومنهاجاً، وهو كتاب لا ريب فيه، فيه رشد وهداية ومنهاج كامل لكل إنسان في كل زمان وفي جميع نواحي الحياة الإنسانية من العقائد والعبادات والأخلاق والمعاملات والحكومة والسياسة والتجارة والحياة الإجتماعي كما ورد في القرآن الكريم قول الله تعالى: {يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ} ⁽³⁾ وقول الله تعالى: {إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ} ⁽⁴⁾ وقول الله تعالى: {وَوَهَبْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ بَيِّنَاتٍ لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ} ⁽⁵⁾ وهو كتاب كامل يحل المشكلات والقضايا الإنسانية وبه يخرج الله جل جلاله من ظلمات الكفر والمعاصي إلى نور الإيمان والأعمال الصالحة، وقد وعد الله تعالى بفترة حفاظته وصيائه بقوله: {إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ} ⁽⁶⁾ من تحريف الضالين وانتحال المبطلين سواء كان لفظاً أو معنى؛ لذا هو محفوظ إلى يوم القيامة بوسائل مختلفة وآلات متنوعة، فكما أن علم التفسير من أجل العلوم وأنفعها وأشرفها لعلاقتها بكلام الله تعالى؛ لذا كل ما كان له

(1) سورة الكهف، الآية 1

(2) سورة الإسراء، الآية 88

(3) سورة الجن، الآية 2

(4) سورة الإسراء، الآية 9

(5) سورة النحل، الآية 89

(6) سورة الحجر، الآية 9

علاقة بالتفسير فيكون له من فضله نصيباً. فمن هذا المنطلق بذل كثير من العلماء المسلمين المتقدمين والمتأخرين جهودهم في حفظ كتاب الله وفهمه وتفسيره ونشره، وتعليقه وتعليقه واستدراكه وغيرها، فهي مكملات ومُتَوَسِّمات بعضها لبعض لصدورها من البشر، فما غاب عن أحد ذكره الآخر، وما أخطأ فيه أحد صحَّحه الآخر، وما بقي من النقص من أحد أكمله الآخر، ولكن مع ذلك ليس بينهم خلاف في الأمور التي وردت في الأخبار والآثار الصحيحة. وعجائب آيات القرآن الحكيم تُبهر وتُظهِر من زمن إلى زمن وقرن إلى قرن، فأفنى العلماء حياتهم لخدمة هذا الكتاب الكريم لما في ذلك من منافع الدارين والدين، وحاولوا أن يأتوا بأجوبة للمسائل الجديدة والمشاكل العديدة في زمانهم وأجابوا عن الإشكالات الواردة على كتاب الله تعالى، ومنهم الإمام فخر الدين الرازي رحمه الله تعالى (المتوفى 606هـ الموافق 1250م) حيث جاء في تفسيره مفاتيح الغيب المعروف به التفسير الكبير بعلوم كثيرة وزيكات دقيقة، وتكلم عن قضايا جديدة وذكر إشكالات غريبة وأجاب بطريقة رائعة، وكان الغالب على تفسيره العلوم العقلية مع تمهّره في العلوم النقلية. ومن المعلوم أن العلوم العقلية تتغيّر بتغيّر الزمان وأيضاً تتطوّر بتطوّر الزمان، فالعلماء الذين جاءوا بعده استدركوا عليه في بعض القضايا وتعقّبوه ونقدوه، ومن هؤلاء الأئمة الذين استدركوا على الإمام الرازي الإمام شهاب الدين الألوسي رحمه الله تعالى (المتوفى 1270هـ الموافق 1854م) حيث استدرك عليه في تفسيره "روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني"، وقد كان له يد طويل في العلوم العقلية والنقلية، وهكذا الشيخ غلام رسول السعيدني رحمه الله تعالى (المتوفى 1437هـ الموافق 2016م)، وكان له تمهّر في العلوم العقلية والنقلية فاستدرك على الإمام الرازي في تفسيره المسمّى بـ "تبيان القرآن" في قضايا عديدة. ومن هنا وقع اختياري على هذا الموضوع الذي أبين فيه استدراكات الإمام شهاب الدين الألوسي والشيخ غلام رسول السعيدني على الإمام فخر الدين الرازي وأناقش هذه الاستدراكات في ضوء دراسة تحليلية نقدية، والله الموفق والمستعان.

التعريف بالموضوع

من أهمّ التفاسير التي انتشرت في العالم، واستفاد منه كثير من العلماء قديماً وحديثاً هو التفسير الكبير للمسمّى بـ مفاتيح الغيب وهو تفسير بالرأي المحمود ومؤلفه الإمام العلامة فخر

الدين الرازى رحمه الله تعالى (المتوفى 606هـ الموافق 1250م) للمفسر، الأصولي، الفقيه، المتكلم، وكان رأساً في العلوم العقلية والنقلية في وقته، له مصنفات كثيرة، ومن ميزاته مهارته في العلوم النقلية والكلام، وقد ظهر هنا التمهّر في تفسيره مع أنه لم يقبل في العلوم النقلية، ولأجل هذا تناول العلماء والباحثون هذا التفسير بالبحث في العهد القديم والجديد، فقام المفسرون المتأخرون في تفاسيرهم بتحليله ونقده في آرائه الكلامية، والقضايا الفقهية، والوقائع التاريخية وغيرها، وكان من أبرز هؤلاء المفسرين الإمام شهاب الدين الألوسي (المتوفى 1270هـ الموافق 1854م) والشيخ غلام رسول السعيدى (المتوفى 1437هـ الموافق 2016م)، حيث جاء في تفسيريهما انتقادات كثيرة للإمام فخر الدين الرازى، فاخترت هذا الموضوع لإلقاء الضوء على هذه المواقف المتقدمة لدراستها وتحليلها والحكم عليها.

أهمية الموضوع

أهمية الموضوع تُبرز من عدة جوانب، وهي كالتالي:

- الأول: شخصية الإمام فخر الدين الرازى ومكانته العلمية، وما امتاز به من غزارة العلم وسعة الاطلاع، الأمر الذي مكّنه من التصنيف في شتى العلوم، فصنّف في الفقه وأصوله، والتاريخ، والتفسير، واللغة، والفلسفة، والطب، والفلك، والسحر وما إلى ذلك، فشخصيته تستحق الدراسة وتزيد الموضوع أهمية.
- الثاني: دراسة والحكم على المواضع التي استدرك فيها الإمام شهاب الدين الألوسي والشيخ غلام رسول السعيدى على الإمام فخر الدين الرازى، على أن تكون هذه الدراسة من أول سورة الأعراف إلى آخر سورة الكهف.
- ثالثاً: أهمية الاستدراك في عصمة الأمة الإسلامية من الأخطاء والنقص، وكيف الأئمة والعلماء يستدركون بعضهم على بعض من الزمن القديم إلى عصرنا هذا، وقصدتهم بالاستدراك الوصول إلى الأصوب والأحق وليس سببه العصبية وما إلى ذلك.

اسباب اختيار الموضوع

قد سبقت الإشارة إلى شيء منه، ولكن هناك بعض نكبات أخرى نذكرها فيما يلي

ومن أبرزها:

● السبب الأول: أن المفسرين المتأخرين وخاصة الإمام شهاب الدين الألوسي والشيخ غلام رسول السعيدى نقلوا من تفسير الإمام فخر الدين الرازى نقولات مهمة وأيدوه في بعض منها واستدركوا عليه في البعض فحتاج إلى تحريرها والوقوف فيها على الصواب قدر المستطاع.

● السبب الثاني: أن الإمام الألوسي والشيخ السعيدى من كبار العلماء ولهما مؤلفات ورسائل كثيرة وإسهامات شتى في فنون مختلفة، مما يدل على علو مرتبتهم ومبلغ علمهم ومدى (سعة) تفننهم؛ وهذا بدوره أضفى على تفاسيرهم عمقاً في المعلومات وتحقيقاً في الأقوال، وتحصيماً وثوثيقاً للنصوص ومباحث وفوائد كثيرة.

● السبب الثالث: التوضيح بأن هذه الاستدراكات وجمعها مع ذكر دلائلها بالتفصيل يظهر منه أن كتب التفسير ليست جامدة بل فيها المناقشات والتعقبات والردود.

● السبب الرابع: يُبرز من خلال هذه الدراسة منتهى الصلة القوية والارتباط الوثيق بين السابقين في التفسير مثل الإمام فخر الدين الرازى والمتأخرين مثل الإمام شهاب الدين الألوسي أو المعاصرين مثل الشيخ غلام رسول السعيدى، وهذا يرد على من يقللون من تفاسير المتأخرين بحجة انقطاع الصلة بينها وبين تفاسير السابقين.

● السبب الخامس: رغبة الطالب في الاتصال بكتب كبار المفسرين وفهم طرائقهم ومناهجهم في تفاسيرهم.

الدراسات السابقة

تناول كثير من الباحثين التفسير الكبير للإمام الرازى بالدراسة، وقد تنوعت هذه الدراسات ما بين الحديث عن منهجه أو تقدراته أو ترجيحاته أو ردود على آرائه الكلامية ولكن لم يتطرق احد من الباحثين إلى موضوع دراسي أي الاستدراكات، وهكذا تناول كثير من العلماء الإمام الألوسي والشيخ السعيدى ولكن لم يتناوله بهذا الموضوع، فنذكر فيما يلي أسماء بعض الكتب والرسائل التي كتب فيها حول هذه التفاسير الثلاثة:

● 1- استدراكات ابن عاشور على الرازى والبيضاوي وأبي حيان في تفسير التحرير والتنوير دراسة نظرية تطبيقية. الإعداد: أحمد بن محمد بن قاسم مذكور، الإشراف:

- عبد العزيز عزت بن عبد الحكيم بن محمود الوائلي. كلية الدعوة وأصول الدين جامعة أم القرى للمملكة السعودية العربية، سنة 1432هـ الموافق 2011م.
- 2- استدراكات الألوسي على الرازي في تفسير السور المدينة، الإعداد الطالبة: بن نعيمة عبد الغفار، الإشراف أ.د. الجيلالي سلطاني. رسالة الماجستير قسم الحضارة الإسلامية، كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية بجامعة وهران، الجمهورية الديمقراطية الجزائرية الشعبية، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، السنة الجامعية 1432هـ الموافق 2011م الموافق 2012م.
 - 3- استدراكات العلامة الألوسي على القاضي ابن عطية في التفسير من أول القرآن إلى خاتمته دراسة نقدية مقارنة، الإعداد: فهد محمد صالح السعيد، رسالة ماجستير، قسم الكتاب والسنة، كلية الدعوة وأصول الدين، بجامعة أم القرى المملكة السعودية العربية، سنة 2007م.
 - 4- استدراكات العلامة الألوسي على أبي حنّان في تفسير القرآن الكريم دراسة نقدية موازنة، الإعداد: سعيد محمد الغامدي، رسالة ماجستير، قسم الكتاب والسنة، كلية الدعوة وأصول الدين جامعة أم القرى المملكة السعودية العربية، سنة 2007م.
 - 5- الإمام فخر الدين الرازي حياته وآثاره، للدكتور علي محمد حسن العماري، الطبع: مطابع شركة الإعلانات الشرقية 1388هـ الموافق 1969م.
 - 6- الإمام فخر الدين الرازي من خلال تفسيره، لعبد العزيز ادوب، دار سنحون للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى 1429هـ الموافق 2008م.
 - 7- الإمام فخر الدين الرازي منهجه وآراؤه في المسائل الكلامية، رسالة الدكتوراه، الإعداد: إبراهيم محمد إبراهيم. قسم العقيدة والفلسفة، كلية أصول الدين، بجامعة الأزهر، عام 1396هـ الموافق 1976م.
 - 8- التفسير الكبير للفخر الرازي لغويا ونحوياً، الإعداد: محمود احمد السويد، رسالة الدكتوراه، بجامعة دمشق، سنة 1996م.
 - 9- فكر الرازي في النبوات من خلال تفسيره مفاتيح الغيب ومدى توظيفه في العصر الحديث، الإعداد: أحمد محمد علي ليلة، رسالة الدكتوراه بقسم العقيدة

- والفلسفة، كلية أصول الدين، بجامعة الأزهر القاهرة. سنة 1413هـ الموافق 1992م.
- 10- فكر الرازي في الإلهيات من خلال تفسيره ومدى توظيفه في العصر الحديث، الإعداد: رجب محمود الديب مصري، الإشراف: الدكتور محمد شمس الدين إبراهيم، سنة 1991م.
 - 11- القراءات في تفسير الفخر الرازي عرضاً ودراسة، دراسة نظرية تطبيقية، الإعداد: عبد الله عنكاني، رسالة الدكتوراه بقسم الكتاب والسنة، كلية الدعوة وأصول الدين، بجامعة أم القرى بمكة المكرمة، سنة 2007م.
 - 12- مفاتيح الغيب ومنهج الرازي فيه، الإعداد: عيد الرحيم أحمد طحان، رسالة الماجستير، كلية أصول الدين، قسم التفسير، جامعة الأزهر، سنة 1997م.
 - 13- منهج أبي عبد الله الرازي وعقيدته، نقلاً عن كتاب "موقف ابن تيمية من الأشاعرة" للشيخ عبد الرحمن المحمود.
 - 14- موقف الرازي من آيات الصفات في التفسير الكبير، دراسة نقدية في ضوء عقيدة أهل السنة والجماعة، الإعداد: سامية بنت ياسين البديري، رسالة الماجستير بقسم العقيدة، كلية الدعوة وأصول الدين بجامعة أم القرى، سنة 1428هـ.
 - 15- موقف الرازي من مسائل الأسماء والأحكام في التفسير الكبير، دراسة نقدية في ضوء عقيدة أهل السنة والجماعة، الإعداد: إيلاف بنت يحيى إمام، الإشراف: الدكتور يحيى بن محمد ربيع، رسالة ماجستير في العقيدة بكلية الدعوة وأصول الدين، بجامعة أم القرى سنة 1432هـ.
 - 16- الجانب الفقهي في التفسير الكبير المسمى بـ مفاتيح الغيب، الإعداد: عثمان الله حنيف الله مجروح، الإشراف: الأستاذ الدكتور محمد أحمد الشنواني، رسالة الماجستير، قسم التفسير وعلوم القرآن بكلية أصول الدين، الجامعة الإسلامية العالمية إسلام آباد، سنة 2011م.
 - 17- التفسير العلمي عند الإمام الرازي دراسة تحليلية مقارنة في مفاتيح الغيب في نصف الأول من القرآن الكريم، الإعداد: مصطفى إبراهيم حسنين رسلان.

- الإشراف: الدكتور محمد أبو ليلة، و الدكتور كمال بريقع عبد السلام، رسالة للماجستير، قسم الدراسات الإسلامية باللغة الأجنبية (الإنجليزية) الدراسات العليا بكلية اللغات والترجمة بجامعة الأزهر، القاهرة، سنة 1436هـ الموافق 2015م.
- 18- الرازي مفسراً لمحسن عبد الحميد، رسالة دكتوراة طبعت في دار الحرية ببغداد. ما وجدت التفاصيل عن هذه الرسالة.
 - 19- تعقبات الشهاب الدين الألوسي على ناصر الدين البيضاوي من خلال كتابه روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، جمعاً ودراسةً، رسالة الدكتوراه. الإعداد: حسن بن محمد علي آل أيوب عسيري، الإشراف: الدكتور محمد أمين محمد عطية باشا، قسم الكتاب والسنة، كلية الدعوة وأصول الدين بجامعة أم القرى المملكة السعودية العربية، سنة 1436هـ الموافق 2014م.
 - 20- منهج الألوسي في القراءات وأثرها في تفسيره روح المعاني، الإعداد: بلال أحمد العسلي، الإشراف: الدكتور عصام العبد زهد، سنة 1430هـ الموافق 2009م.
 - 21- منهج الألوسي في تفسيره روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، الإعداد: عبدالله ربيع جيهذ، الإشراف: الدكتور عصام العبد زهد. قسم التفسير وعلوم القرآن، كلية أصول الدين بالجامعة الإسلامية، غزة. سنة 1432هـ الموافق 2011م.
 - 22- منهج الألوسي "النحوي" في تفسيره روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، دراسة وصفية تحليلية، الإعداد: علي جمعة مسلم الحشاش. الإشراف: الدكتور عبد الهادي عبد الكريم محمد يهوم، بالجامعة الإسلامية غزة، سنة 1435هـ الموافق 2014م.
 - 23- الجانِب الفقهي في تفسير روح المعاني والسبع المثاني للعلامة الألوسي (المتوفى 1270هـ) دراسة وتقييم، الإعداد: الطالبة: زكية، الإشراف: الدكتور هارون الرشيد، رسالة الماجستير، قسم التفسير وعلوم القرآن بكلية أصول الدين، الجامعة الإسلامية العالمية إسلام آباد، سنة 2008م.

- 24- المناسبات في تفسير روح المعاني، الإعداد: ساجد إقبال، الإشراف: الدكتور محمد بشير، قسم التفسير وعلوم القرآن بكلية أصول الدين، الجامعة الإسلامية العالمية إسلام آباد، سنة 1437هـ الموافق 2016م.
- 25- منهج الشيخ غلام رسول السعيدى في تفسيره تبيان القرآن، الإعداد: محبوب علي، الإشراف: الدكتور محمد بن عبد الوهاب الراشخ، رسالة ماجستير، قسم التفسير وعلوم القرآن بكلية أصول الدين، الجامعة الإسلامية العالمية إسلام آباد، سنة 1437هـ الموافق 2016م.
- 26- المباحث الفقهية في تفسير تبيان القرآن دراسة تحقيقية نقدية، الإعداد: عون محمد سعيد، قسم الدراسات الإسلامية بالجامعة الإسلامية بماولبور، سنة 2013م.
- 27- المباحث العائلية في تفسير تبيان القرآن دراسة تحقيقية نقدية، الإعداد: محمد اشفاق، رسالة الدكتوراه، قسم الدراسات الإسلامية بالجامعة قومية للغات الحديثة ب إسلام آباد (National University of Modern Languages, (NUML) Islamabad).
- 28- الخدمات التفسيرية للشيخ غلام رسول السعيدى، الإعداد: مهوش خالد، رسالة الدكتوراه، قسم الدراسات الإسلامية بالجامعة كراتشي، سنة 2014م.
- 29- مباحث السيرة في تفسير تبيان القرآن، إعداد: اختر حسين، رسالة الماجستير، قسم الدراسات الإسلامية، بالجامعة جي سي فيصل آباد (Government College University Faisalabad).
- 30- مقارنة بين أسلوب الفقهي لفتي شفيع والشيخ غلام رسول السعيدى في تفسيريهما، إعداد: شهاب ختك، رسالة الدكتوراه، قسم الدراسات الإسلامية بالجامعة كومل، دي آي خان (Gomal University, Dera Ismail Khan) سنة 2014م.
- 31- الرد على أفكار الملحدين والمتجددين في تبيان القرآن الكريم دراسة وتحقيق، الإعداد الطالبة: سميرا إقبال، رسالة الماجستير قسم الدراسات الإسلامية بالجامعة سندھ (University of Sindh).

مشكلة البحث

تتمحور إشكالية البحث في التساؤلات الآتية:

- أولاً- ما هي استدراكات الإمام الألوسي والشيخ السعدي على الإمام الرازي في تفسيريهما من أول سورة الأعراف إلى آخر سورة الكهف ؟
- ثانياً- ما هو المنهج الذي اتبعه الإمام الألوسي والشيخ السعدي في استدراكاتهما على الإمام الرازي ؟
- ثالثاً- هل الاستدراكات التي أوردها الشيخان (الألوسي والسعدي) في محلها أم لا ؟

أهداف الدراسة

يمكن تلخيص أهداف الدراسة فيما يلي:

- الأول- الوقوف على منهج المفسرين المتأخرين في الاستدراك والاستدلال.
- الثاني- منهج الإمام الألوسي والشيخ غلام رسول السعدي في الاستدراك والاستدلال.
- الثالث- جمع محاکمات المفسرين المتأخرين عن الإمام فخر الدين الرازي ودراستها ومناقشتها.
- الرابع- الوصول إلى الأصوب والأرجح من الأقوال في المسألة بعد عرضها ومناقشتها.
- الخامس- الاستفادة من أفكار المفسرين الكرام في التفاسير وخاصة التفسير الكبير للإمام الرازي وتفسير روح المعاني للإمام الألوسي وهكذا تفسير تبيان القرآن للشيخ السعدي لأنهم لم يقتصرُوا في تفاسيرهم بالتفسير فقط بل جمعوا فيه الحديث والفقه والاستنباطات والتعقيبات والترجيحات والاستدراكات وفوائد كثيرة.

منهج البحث

يعتمد هذا البحث على ثلاثة مناهج حسب طبيعته، وهي كالتالي:

- أولاً- المنهج الاستقرائي: وذلك بقراءة التفسير الكبير أكثر من مرة في السور محل الدراسة، وذلك لأتبع كلام الإمام فخر الدين الرازي في القضايا المختلفة وأعرف موقفه منها، وقراءة تفسير التفسير للمعاني للإمام شهاب الدين الألوسي وتبيان

القرآن للشيخ غلام رسول السعيدى أيضاً لمعرفة المواضع التي استتدركنا فيها على الإمام الرازى.

- ثانياً- المنهج التحليلي: وذلك عن طريق عرض أقوال الإمام الرازى مع أدلته، وتحليلها، وهل استدراكات الإمام الألوسي والشيخ السعيدى عليه سالمة من المعارضة أم لا، ثم بيان منطلق هذين الشيخين في استدراكها على الإمام الرازى.
- ثالثاً- المنهج النقدي: وذلك بدراسة القضايا التي استدرك فيها الإمام الألوسي والشيخ السعيدى على الإمام الرازى ومناقشتها والحكم عليها، وهل هو وافق الجمهور أم خالفه؟ وما هو القول الراجح فيه؟ (ومن المعلوم أنى لا يستطيع أن أنقد أو أتجراً على كلام الأئمة مثل الإمام الرازى والألوسي أو الشيخ السعيدى ولكن نستعين فيه بكلام الأئمة للمفسرين والعلماء الكبار)

خطوات البحث

الخطوات لهذا البحث التي تمت بما، كالتالي:

- 1- التزمنا بالضوابط المعروفة والمنصوص عليها في مناهج البحث ومنها:
 - عزو آيات القرآن الكريم إلى سورها وأرقامها في الهوامش.
 - الآيات القرآنية تُكتب بالرسم العثماني، ويُحطها بين هذين القوسين { }
 - تخرىج الأحاديث النبوية الشريفة وتفسير الألفاظ الغامضة.
 - نسبة الأقوال إلى قائلها.
 - ترجمة الأعلام الواردة في متن البحث، ممن غلب على ظني عدم شهرتهم.
 - كتابة نتائج البحث التي أستخلصها خلال الدراسة في نهاية البحث.
 - ترتيب قائمة المصادر والمراجع على حسب الحروف الهجائية وإنجاز الفهارس العلمية الدقيقة التي يقتضيها البحث.
- 2- اعتمدت على النسخة المطبوعة بدار إحياء التراث العربي، بيروت لجمع المادة العلمية من مفاتيح الغيب للإمام الرازى.

- 3- واعتمدتُ في جمع المادة العلمية من التفسير روح المعاني على النسخة المطبوعة بدار الكتب العلمية، بيروت.
- 4- واعتمدتُ في جمع المادة العلمية من التفسير تبيان القرآن، للشيخ غلام رسول السعيدى على النسخة المطبوعة بمكتبة فريد بك ستال رجستر 38-اردو بازار لاهور، باكستان، الطبعة الثالثة، سنة 1420هـ الموافق 1999م.
- 5- اختصرتُ في ذكر أسماء المراجع في الحاشية؛ اكتفاء بالتفصيل الموجود في ثبت المراجع، إلا في الأسماء المشتركة في أكثر من كتاب، فأبيّن من اسم الكتاب ما يميّزه.
- 6- أشرتُ إلى صفحات المرجع بهذا الرمز ج 3 ص 2" وان كان للمرجع جزء واحد فاشرتُ بدون ج.
- 7- عند نقل الأقول اكتفيتُ بموضع الشاهد فقط ولكن في حالة التي إذا كانت القضية لا تُفهم بدون ذكر متعلقاته فذكرته، وذكرته قول الإمام الرازى والإمام الألوسي والشيخ السعيدى معظماً في الرسالة بمفهومه وهكذا كلام الأئمة والعلماء الآخرين أيضاً إلا إذا كان الحاجة إلى ذكر الكلام لفظياً.
- 8- ترجمتُ كلام الشيخ غلام رسول السعيدى من اللغة الأردية إلى اللغة العربية ترجمة معنوية، حاولتُ أن يكون الكلام سهل بدون أي إطناب حسب استطاعتي.
- 9- كلما وجدتُ حديثاً واحداً في كتب كثيرة من كتب الحديث فأخذته من كتب الصحاح الستة، وإذا وجدته في عدة كتب من كتب الصحاح فأخرجته من الصحيح البخاري أو الصحيح مسلم، هكذا إذا وجدتُ حديث في عدة كتب التفسير بالمأثور فنقلته من التفسير الطبري أو التفسير ابن أبي حاتم.
- 10- إذا وجدتُ عدة أقوال في موضوع واحد اقتصرتُ على ذكر الأقوى والأوضح فقط وحاولتُ أن أنقل الأقوال من المصادر الأساسية إلا إذا لم أجد فكنتُ أرجع إلى كتب العلماء المتأخرين.

11- في حالة كون العبارات دقيقة وغامضة حاولت بتوضيحها حسب استطاعتي و ضبطت الكلمات أو العبارات ما يحتاج إلى الضبط بالشكل بسبب الإشكال في فهمه وإلا فلا.

12- التزمت في إخراج الرسالة العلمية وطباعتها بضوابط إخراج الرسائل العلمية الواردة في لائحة الدراسات العليا، ويكون حجم الخط في نخط- طباعة المثنى: من ستة عشر إلى ثمانية عشر، وفي نخط طباعة الحاشية: من اثني عشر إلى أربعة عشر.

خطة البحث

تشتمل على مقدمة وتمهيد وثلاثة فصول وخاتمة

المقدمة وهي تشتمل على:

- التعريف بالموضوع
- أهمية الموضوع
- أسباب اختيار الموضوع
- الدراسات السابقة
- مشكلة البحث
- أهداف الدراسة
- المنهج البحث
- خطوات البحث

التمهيد

يشتمل على أربعة مطالب:

المطلب الأول: نبذة تاريخية عن الإمام فخر الدين الرازي وقيمة تفسيره مفاتيح الغيب

المعروف بـ التفسير الكبير

المطلب الثاني: نبذة تاريخية عن الإمام شهاب الدين الألوسي وقيمة تفسيره "روح

المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني"

المطلب الثالث: نبذة تاريخية عن الشيخ غلام رسول السعيدى وقيمة تفسيره "تبيان القرآن"

المطلب الرابع: تحرير المقصود بمصطلح الاستدراك

الفصل الأول: استدراكات الإمام شهاب الدين الألوسي والشيخ غلام رسول السعيدى على الإمام فخر الدين الرازى في سور الأعراف والأنفال والتوبة ويونس

المبحث الأول: استدراكات الإمام شهاب الدين الألوسي والشيخ غلام رسول السعيدى على الإمام فخر الدين الرازى في سورة الأعراف

المبحث الثاني: استدراكات الإمام شهاب الدين الألوسي والشيخ غلام رسول السعيدى على الإمام فخر الدين الرازى في سورة الأنفال

المبحث الثالث: استدراكات الإمام شهاب الدين الألوسي والشيخ غلام رسول السعيدى على الإمام فخر الدين الرازى في سورة التوبة

المبحث الرابع: استدراكات الإمام شهاب الدين الألوسي والشيخ غلام رسول السعيدى على الإمام فخر الدين الرازى في سورة يونس

الفصل الثاني: استدراكات الإمام شهاب الدين الألوسي والشيخ غلام رسول السعيدى على الإمام فخر الدين الرازى في سور هود ويوسف والرعد وإبراهيم

المبحث الأول: استدراكات الإمام شهاب الدين الألوسي والشيخ غلام رسول السعيدى على الإمام فخر الدين الرازى في سورة هود

المبحث الثاني: استدراكات الإمام شهاب الدين الألوسي والشيخ غلام رسول السعيدى على الإمام فخر الدين الرازى في سورة يوسف

المبحث الثالث: استدراكات الإمام شهاب الدين الألوسي والشيخ غلام رسول السعيدى على الإمام فخر الدين الرازى في سورة الرعد

المبحث الرابع: استدراكات الإمام شهاب الدين الألوسي والشيخ غلام رسول السعدي على الإمام فخر الدين الرازي في سورة إبراهيم

الفصل الثالث: استدراكات الإمام شهاب الدين الألوسي والشيخ غلام رسول السعدي على الإمام فخر الدين الرازي في سُورِ الْحَجْرِ وَالنَّحْلِ وَالْإِسْرَاءِ وَالْكَهْفِ

المبحث الأول: استدراكات الإمام شهاب الدين الألوسي والشيخ غلام رسول السعدي على الإمام فخر الدين الرازي في سورة الحجر

المبحث الثاني: استدراكات الإمام شهاب الدين الألوسي والشيخ غلام رسول السعدي على الإمام فخر الدين الرازي في سورة النحل

المبحث الثالث: استدراكات الإمام شهاب الدين الألوسي والشيخ غلام رسول السعدي على الإمام فخر الدين الرازي في سورة الإسراء

المبحث الرابع: استدراكات الإمام شهاب الدين الألوسي والشيخ غلام رسول السعدي على الإمام فخر الدين الرازي في سورة الكهف

الخاتمة: وهي تشتمل على:

- نتائج البحث
- التوصيات والإقتراحات

الفهارس: تشتمل على:

- فهرس الآيات القرآنية
- فهرس الأحاديث والآثار
- فهرس الأعلام
- فهرس المصادر والمراجع
- فهرس للموضوعات

التمهيد

ويشتمل على أربعة مطالب:

المطلب الأول: نبذة تاريخية عن الإمام فخر الدين الرازي وقيمة تفسيره مفاتيح الغيب المعروف به التفسير الكبير

المطلب الثاني: نبذة تاريخية عن الإمام شهاب الدين الألوسي وقيمة تفسيره "روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني"

المطلب الثالث: نبذة تاريخية عن الشيخ غلام رسول السعيدى وقيمة تفسيره "تبيان القرآن"

المطلب الرابع: تحرير المقصود بمصطلح الاستدراك

المطلب الأول:

نبذة تاريخية عن الإمام فخر الدين الرازى وقيمة تفسيره مفاتيح الغيب المعروف بـ التفسير الكبير

نبذة تاريخية عن الإمام فخر الدين الرازى

اسمه ونسبه ونشأته

الإمام فخر الدين الرازى هو إمام المتكلمين، وقامع المبتدعين، فخر الإسلام والمسلمين، العالم الجليل المتبحر، قدوة الأنام، وتاج المحققين أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسين بن الحسن بن علي التيمي البكري⁽¹⁾ كان قُرشي النسب وأصله من الطبرستان، ولد في الخامس والعشرين من شهر رمضان المبارك 544هـ الموافق 1149م في الري ونُسب إليه، وكان من ذرية أبي بكر الصديق رضي الله عنه.⁽²⁾ يقول الشيخ صلاح الدين الصفدي⁽³⁾: "إن الإمام الرازى كان شديد الحرص في العلوم الشرعية والحكمة واجتمع له خمسة أشياء التي لم يجمع الله تعالى به لغيره حسب علمي وهي: الأول: سعة العبارة في القدرة على الكلام، الثاني: وصحة الذهن والاطلاع الذي ما عليه مزيد، الثالث: والحافظة المستوعبة والذاكرة التي

(1) وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان لابن خلكان (المتوفى: 681هـ) ج 2 ص 248 المحقق: إحسان عباس. الناشر: دار صادر، بيروت. الطبعة: الأولى: 1900م. عدد الأجزاء: 7

(2) نفس المصدر، ج 2 ص 249 الأعلام لخير الدين الزركلي (المتوفى: 1396هـ) ج 6 ص 313 الناشر: دار العلم للملايين. الطبعة: الخامسة عشر، مايو 2002م.

(3) هو خليل بن أيك بن عبد الله الصفدي، صلاح الدين (696 - 764هـ الموافق 1296 - 1363م): كان أديباً، ومؤرخاً، ولد في صفد (فلسطين). وتعلّم في دمشق. تولى ديوان الإنشاء، ووكالة بيت المال بدمشق. من تصنيفاته: الوافي بالوفيات، أعيان العصر، تحفة ذوي الألباب فيمن حكم دمشق من الخلفاء والملوك والنواب ... يُنظر شذرات الذهب في أخبار من ذهب لابن العماد الحنبلي (المتوفى: 1089هـ) ج 8 ص 343 حققه: محمود الأرناؤوط. خرج أحاديثه: عبد القادر الأرناؤوط. الناشر: دار لابن كثير، دمشق، بيروت. الطبعة: الأولى، 1406هـ الموافق 1986م. عدد الأجزاء: 11 والأعلام للزركلي، ج 2 ص 315 - 316

تُعِينه على ما يريد في تقرير الأدلة والبراهين، والرابع: وكان فيه قوة جدلية ونظرة دقيقة،
والخامس: وكان عارفاً بالأدب له شعر بالعربي والفارسي". (1)

دراسته

واشتغل الإمام الرازي على والده ضياء الدين عمر خطيب الري رحمه الله تعالى، وكان من تلامذة الإمام محيي السنة البغدادي (2) حتى توفّي والده، ثم رجع إلى الكمال السمعاني ومكث معه لمدة، ثم جاء إلى بلدة الري واشتغل على الشيخ المجد الجيلي وكان هو من أصحاب محمد ابن يحيى، ولما طلب محمد بن يحيى المجد الجيلي إلى المراغة للتدريس فذهب مع الإمام الرازي وكان في ذلك الوقت صغير السن، فقرأ عليه علم الكلام والحكمة لمدة طويلة، اشتغل في البداية بالفقه ثم توجه إلى العلوم الحكمية حتى تميّز فيه ولم يوجد له في عصره أحد يماثله فيه. (3)

قصد الإمام الرازي الخوارزم بعد تمهّره في العلوم فجرى كلام بينه وبين أهلها عن المذهب والاعتقاد، فأخرجوه أهل خوارزم من بلده، ثم قصد ما وراء النهر، فحدث هناك أيضاً ما حدث في خوارزم فعاد إلى الري، وكان هناك طبيب حاذق ذا أموال كثيرة، وكان له ائتمان، وللإمام الرازي ائتمان، فزوّج ابنته لولدي الإمام الرازي في مرض موته، وجاء أموال الطبيب في تصرف أبناء الإمام الرازي وأصبحوا ذا الأموال. (4)

- (1) السواني بالوفيات لصالح الدين الصفدي (المعروف: 764هـ)، ج 4 ص 175 - 176 المحقق: أحمد الأرنؤوط وتركي مصطفى. الناشر: دار إحياء التراث، بيروت. عام النشر: 1420هـ الموافق 2000م. عدد الأجزاء: 29
- (2) هو الحسين بن مسعود بن محمد الفراء (436 - 510هـ الموافق 1044 - 1117م) كنيته أبا محمد، لقب بمحيي السنة. كان فقيهاً، محدثاً، مقسماً. نسبته إلى (بغدا) من قرى خراسان. روى عن أبي عمر الملقب بأبي الحسن البغدادي. توفّي بمرو. من كتبه التهذيب (في فقه الشافعية) وشرح السنة (في الحديث) ومصابيح السنة... يُنظر شلرات الذهب لابن العماد الحنبلي، ج 6 ص 79 - 80 والأعلام للزركلي، ج 2 ص 259
- (3) مقدمة التفسير الكبير للإمام الفخر الدين الرازي، الطبع: طبعة جديدة مصححة وملونة، إعتاد: مكتب التحقيق دار إحياء التراث الإسلامي. مكتبه علوم إسلامية إقرأ سنتر غزني ستريت أودو بازار لاهور. الطبعة الرابعة. عدد المجلد: إحدى عشر، عدد الأجزاء: اثنين وثلاثين، الهاتف: 7221395 091-042-7224228 ج 1 ص 10 وفيات الأعيان لابن خلكان، ج 2 ص 250
- (4) وفيات الأعيان لابن خلكان، ج 2 ص 250

صفة درسه

كان الإمام لما يجلس للتدريس فيطوف به جماعة من تلامذته الكبار مثل زين الدين الكشي، والشهاب الدين النيسابوري، والقطب المصري ويليهم تلامذة أخرى هكذا بعده حسب مراتبهم في العلم والفهم، فلما أحد يسأل سؤالاً يجيبه تلامذته، وفي حالة الإشكال كبار التلامذة يجيبون وفي الأخير الإمام الرازي يجيب ويتكلم عن فوqية الوصف.⁽¹⁾

مكانته العلمية

كان الإمام الرازي أفضل العلماء في عصره في الفقه والتفسير واللغة والمنطق والمذاهب الكلامية والطب. أتقن العلوم كثيرة وبرز فيها. كان من أصحاب المصنفات المشهورة وألف كتباً في فنون كثيرة، وقد بُعث في القرن السادس لتجديد الدين. قصده الطلبة من سائر البلاد، وكان يمشي معه في حال ركوبه الطلاب على اختلاف مطالبهم في التفسير، والفقه، والكلام، والأصول، والطب وغير ذلك.⁽²⁾ يقول الإمام ابن العماد: "كان فريد عصره، ومثلكم زمانه، رزق الحظوة في تصانيفه، وانتشرت في الأقاليم. وكان له باع طويل في الوعظ، فيبكي كثيراً في وعظه ويلحقه الوجد وكان يعظ بلسان العربي والعجمي".⁽³⁾ ويقول ابن خلكان⁽⁴⁾: أن الإمام الرازي كان يحفظ في علم الكلام "الكتاب الشامل" للإمام الحرمين

(1) مقدمة التفسير الكبير للإمام الفخر الدين الرازي، ج 1 ص 13

(2) شذرات الذهب لابن العماد الحنبلي، ج 7 ص 40 طبقات المفسرين للشمس الدين الداوددي (المتوفى: 945هـ) ج 2 ص 215 - 216 الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت. راجع النسخة وضبط أعلامها: لجنة من العلماء بإشراف الناشر. عدد الأجزاء: 2

(3) طبقات المفسرين العشرين للإمام السيوطي (المتوفى: 911هـ) ص 115 بتحقيق: علي محمد عصر. الناشر: مكتبة وهبة، القاهرة. الطبعة: الأولى 1396هـ. عدد الأجزاء: 1 ووفيات الأعيان لابن خلكان ج 2 ص 249 وشذرات الذهب لابن العماد الحنبلي، ج 7 ص 40

(4) هو أحمد بن محمد بن إبراهيم ابن خلكان البرمكي الإربلي (608 - 681هـ الموافق 1211 - 1282م) كنيته أبو العباس. كان مورخاً وأديباً ومدرساً وقاضياً ولد في قرب الموصل. له كتاب: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان. يُنظر شذرات الذهب لابن العماد الحنبلي، ج 1 ص 57 - 58 والأعلام للزركلي، ج 1 ص 220

الجويني⁽¹⁾ رحمه الله تعالى. ⁽²⁾ كان الإمام الرازي صحيح النظر، بليغ القول، جيد التعبير عن كل ما يقى بيانه كما يتضح من عباراته في "التفسير الكبير" وغيره من كتبه، كان شديد الرأي في مسائل الحكمة والطب، وكان مع ذلك ثلماً بالأدب والشعر، وكان يقول الشعر الجيد بالفارسية والعربية. ⁽³⁾ ثم يقول ابن خلكان: كان يسكن بمدينة هراة ويحضر إلى مجلسه أرباب المذاهب وأصحاب المقالات مع أسئلتهم وكان الإمام الرازي يجيبهم بجواب أحسن. ورجع خلق كثير بسببه من الطائفة الكرامية وغيرهم من الناس إلى مذهب أهل السنة، وكان الإمام ثلقب بـ هراة بـ شيخ الإسلام. ⁽⁴⁾ وكان العلماء لما ينقلون منه فيقولون: وقال الإمام أو عند الإمام، وهم لما يذكرون كلمة الإمام بدون أي نسبة في عباراتهم فمقصودهم منه الإمام فخر الدين الرازي، ⁽⁵⁾ وكان يلقب الإمام الشافعي. ⁽⁶⁾ يقول الإمام شمس الدين الذهبي⁽⁷⁾: إنه كان

(1) هو عبد الملك بن عبد الله بن يوسف بن محمد الجويني، كنيته ابو المعالي، الملقب بإمام الحرمين، ركن الدين (419 - 478هـ للوافق 1028 - 1085م): من أصحاب الإمام الشافعي، كان مترسماً وفتياً. ولد في جوين (من نواحي نيسابور) ورحل إلى بغداد ومكة والمدينة. بنى له الوزير نظام الملك "المدرسة النظامية" في نيسابور. من كتبه: غياث الأمم والنبات الظلم، العقيدة النظامية في الأركان الإسلامية، نجاة المطلب في دراية الملعب... يُنظر شذرات الذهب لابن العماد الحنبلي، ج 5 ص 338 والأعلام للزركلي، ج 4 ص 160

(2) وفيات الأعيان لابن خلكان، ج 2 ص 250

(3) مقدمة التفسير الكبير للإمام فخر الدين الرازي، ج 1 ص 11

(4) وفيات الأعيان لابن خلكان، ج 2 ص 249 - 250 طبقات المفسرين لأحمد بن محمد الأذنه وي من علماء القرن الحادي عشر، ص 213 - 214 المحقق: سليمان بن صالح الخنزري، الناشر: مكتبة العلوم والحكم، السعودية. الطبعة: الأولى 1417هـ للوافق 1997م، عدد الأجزاء: 1

(5) مقدمة التفسير الكبير للإمام الفخر الدين الرازي، ج 1 ص 10

(6) وفيات الأعيان لابن خلكان، ج 2 ص 252

(7) هو محمد بن أحمد بن عثمان بن قاسم الزهبي، كني بأبي عبد الله، فخر الدين (673 - 748هـ للوافق 1274 - 1348م): كان حافظاً، محققاً، مؤرخاً. تركماني الأصل، ولد وتربى في دمشق. من كتبه: تاريخ الإسلام الكبير، ستر الأعلام النبلاء، ميزان الاعتدال في نقد الرجال، المستدرک علي مستدرک الحاكم... يُنظر طبقات الحفاظ للإمام السيوطي (المشوق: 911هـ) الناشر: دار الكتيب العلمية، بيروت. الطبعة: الأولى 1403م، عدد الأجزاء: 1 ج 1 ص 521 الأعلام للزركلي، ج 5 ص 326

صاحب التصانيف، وكان رأساً في الذكاء والعقليات. (1) وأيضاً يقول في كتابه *سير الأعلام النبلاء*: العلامة الكبير، ذو الفنون، كبير الأذكياء، الأصولي، المفسر. (2) لقبه "فخر الدين" و"الإمام" و"شيخ الإسلام"، وكان معروفاً بـ ابن الخطيب، وكان فقيهاً ومكلماً وأصولياً، كان الإمام فريداً في عصره وله تفوق في علم الكلام والمعقولات وعلوم الأوائل وعلوم اللغة. (3) وقال ابن خلكان: "كل كتيب ممتعة وانتشرت تصانيفه في البلاد ورزق فيها سعادة عظيمة فإن الناس اشتغلوا بها، ورفضوا كتب المقلمين، وهو أول من اخترع هذا الترتيب في كتبه، وأتى فيها بما لم يسبق إليه". (4) يقول الإمام ابن العماد الحنبلي (5): "كان الإمام ربع القامة، عبل الجسم، كبير اللحية، جهوري الصوت، صاحب وقار وحشمة، له ثورة وماليك وبتة حسنة وهيئة جميلة". (6)

شيوخه

● والده ضياء الدين عمر خطيب الرزي: اشتغل به الإمام الرازي في علم الأصول كما قاله الإمام الرازي في كتابه "تحصيل الحق"، وكان هو اشتغل بابي القاسم سليمان بن

(1) ميزان الاعتدال في نقد الرجال للإمام شمس الدين الذهبي (المتوفى: 748هـ) ج 3 ص 340 تحقيق: علي محمد الجبوري، الناشر: دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، الطبعة: الأولى، 1382هـ الموافق 1963م. عدد الأجزاء: 4

(2) *سير الأعلام النبلاء* للإمام الذهبي (المتوفى: 748هـ)، ج 21 ص 500 - 501 تحقيق: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرنؤوط. الطبع: مؤسسة الرسالة. الطبعة: الثالثة 1405هـ الموافق 1985م. عدد الأجزاء: 25

(3) *وفيات الأعيان لابن خلكان*، ج 2 ص 249 والأعلام للزركلي، ج 6 ص 313

(4) *وفيات الأعيان لابن خلكان*، ج 4 ص 249 - 250

(5) هو عبد الحي بن أحمد بن محمد ابن العماد المعري الحنبلي، (1032 - 1089هـ الموافق 1623 - 1679م) كنيته أبو الفلاح، كان فقيهاً، ومؤرخاً، عالم بالأدب. وُلِدَ في دمشق، وأقام في القاهرة مدة طويلة، ومات بمكة حاجياً. من كتبه: *شذرات الذهب في أخبار من ذهب*، وشرح متن المنتهى في فقه الحنابلة، و*معطية الأمان من خبث الأمان*... يُنظر خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر لـ محمد أمين الحموي، ج 2 ص 340 (المتوفى: 1111هـ) الناشر: دار صادر، بيروت. عدد الأجزاء: 4 والأعلام للزركلي، ج 3 ص 290

(6) *شذرات الذهب لابن العماد الحنبلي*، ج 7 ص 40

ناصر الأنصاري، وهكذا درس الإمام الرازي عن والده في المذهب وكان من تلامذة الإمام محيي السنة البغدادي. (1)

● الكمال السمعاني: اشتغل عليه الإمام الرازي في الفقه وهو عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي السمعاني المروزي، كنيته أبو سعد، ولد بـ مرو سنة 506هـ الموافق 1113م، كان حافظاً للحديث ومؤرخاً. وتوفي سنة 562هـ الموافق 1167م. لقي العلماء والمحدثين في بلاد مختلفة واستفاد منهم. نُسب إلى سمعان وهو بطن من تميم. من كتبه الأنساب، تاريخ الوفاة للمتأخرين من الرواة، والأملاني. (2)

● مجد الدين الجلي: تتلمذ عليه الإمام الرازي في فنون الحكمة، كان من فضلاء زمانه ثم ذهب إلى "المراغة" للتدريس وذهب معه الإمام الرازي أيضاً وبقي معه مدة طويلة. (3)

وفاته

توفي الإمام الرازي سنة 606هـ الموافق 1210م يوم الاثنين بعيد الفطر، بمدينة هراة، ودفن في الجبل المصائب آخر النهار لقرية "مزداخان"، وخلف معه من الذهب ثمانين ألف دينار وهكذا الدواب والعقار. (4) وخلف ولدين أخذ كل واحد منهما أربعين ألف دينار، وكان ابنه الأكبر قد تجدد وخدم السلطان محمد بن تكش. (5)

(1) طبقات الشافعية الكبرى لساج الدين السيدي (المتوفى: 771هـ)، ج 8 ص 86 المحقق: د. محمود محمد الطنجاوي، د. عبد الفتاح محمد الخلو، الناشر: هجر للطباعة والنشر والتوزيع. الطبعة: الثانية، 1413هـ. عدد الأجزاء: 10 وفيات الأعيان لابن خلكان، ج 2 ص 252

(2) ينظر شلوات الذهب لابن العماد الحلبي، ج 1 ص 41 والأعلام للزركلي، ج 4 ص 55

(3) وفيات الأعيان لابن خلكان، ج 2 ص 249 - 252

(4) نفس المصدر، ج 2 ص 252 الكامل في التاريخ للإمام ابن الأثير الجزري (المتوفى: 630هـ)، ج 10 ص 275 تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، الناشر: دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان. الطبعة: الأولى، 1417هـ الموافق 1997م. عدد الأجزاء: 10 طبقات للمفسرين للإمام الداودودي، ج 2 ص 217 - 218. البداية والنهاية للإمام ابن كثير (المتوفى: 774هـ)، ج 13 ص 66 - 67 المحقق: علي شوقي، الناشر: دار إحياء التراث العربي. الطبعة: الأولى 1408هـ الموافق 1988م.

(5) البداية والنهاية للإمام ابن كثير، ج 13 ص 66 - 67

تلامذته

كان للإمام الرازي تلامذة كثيرة وكان يمشي معه حوالي ثلاثمائة من تلامذته وأيضاً العلماء كانوا يأتون إليه من الدول والبلاد مختلفة، وتشهدون إليه الرجال من الأطراف والأقطار،⁽¹⁾ وكان يجلس في مجلس وعظه الملوك والوزراء والعلماء والأمراء والفقراء والعلامة، وأيضاً كانت له عبادات وأوراد.⁽²⁾ تذكر تلامذة الإمام الرازي في هذا المقام نموذجاً، وهي كالتالي:

- **القطب المصري:** هو إبراهيم بن علي بن محمد السلمي، المعروف به القطب المصري: كان طبيباً، مغربي الأصل، أقام مدة بمصر ورحل إلى خراسان فتلمذ على الإمام الرازي، ألف كتاباً في الفلسفة والطب، وشرح "الكليات" من كتاب "القانون" لابن سينا، وقُتل بنيسابور سنة المتوفى 618هـ الموافق 1221م لما استباحها التتار.⁽³⁾
- **خسروشاهي:** هو عبد الحميد بن عيسى بن عقوبة، كنيته أبو محمد، شمس الدين: ولد سنة 580هـ الموافق 1184م كان عالماً بعلم الكلام. ولد في قرية "خسروشاه" من قرى تبريز فنسب إليه. كان له تبحر في علم الأصول والفقه والعقليات، وأقام لسنتين كثيرة عند الملك الناصر داؤد في دمشق والكرك. من مؤلفاته: "اختصار المذهب" في فقه الشافعية، و"اختصار الشفا" لابن سينا، و"تلخيص الآيات البينات" للإمام الرازي توفي بدمشق سنة 652هـ الموافق 1254م.⁽⁴⁾
- **أثير الدين الأهمري:** هو المفضل بن عمر بن المفضل الأهمري السمرقندي من علماء المنطق، والحكمة والفلك والطبيعات. له مؤلفات منها: هداية الحكمة، في المنطق "الإيساغوجي"، وجامع الدقائق في كشف الحقائق، و"مختصر" في علم الهيئة، ورسالة

(1) وفيات الأعيان لابن خلكان، ج 2 ص 251

(2) البداية والنهاية للإمام ابن كثير، ج 13 ص 66 - 67

(3) يُنظر عمون الأتباء في طبقات الأطباء لابن أبي أصيبعة (المتوفى: 668هـ)، ج 1 ص 471 المحقق: الدكتور نزار وضار. الناشر: دار مكتبة الحياة، بيروت. عدد الأجزاء: 1 هدية المعارف أممنا لتوليفين لإسماعيل البغدادي (المتوفى:

1399هـ) ج 1 ص 51 - 52 الناشر: دار إحياء التراث العربي بيروت لبنان. عدد الأجزاء: 2 ج 1 ص 11 والأعلام للزركلي، ج 1 ص 51 - 52

(4) يُنظر شذرات الذهب لابن العماد الحنبلي، ج 7 ص 447 والأعلام للزركلي، ج 3 ص 288

الأسطرلاب، والزيج المشامل والزيج الاختباري يُعرف بالزيج الأثري. توفي سنة 663هـ للموافق 1264م. (1)

صلته بالملوك

سار الإمام الرازي إلى شهاب الدين الغوري⁽²⁾، فبالغ هو في إكرامه، وأعطاه أموال كثيرة، وكان له اتصال بالسلطان خوارزم شاه،⁽³⁾ واستفاد منه وحصل عنده أعلى المراتب.⁽⁴⁾

زهده

كان الإمام الرازي يذكر الموت كثيراً وكان يقول: "إنني حصلتُ من العلوم ما يمكن تحصيله بحسب الطاقة البشرية، وما بقيتُ أو تُر إلا لقاء الله سبحانه وتعالى والنظر إلى وجهه."⁽⁵⁾ وكان يندم على اشتغاله في علم الكلام وكان يقول: "يا ليتني لم اشتغل بعلم الكلام، وبكى."⁽⁶⁾ يقول الإمام ابن خلكان: ورأيت له وصية أملاها في مرض موته على أحد

(1) يُنظر اكتشاف القنوج ما هو مطبوع لادوارد كزيتيوس فانديك (المنقوش: 1313هـ)، ص 199 صححه وزاد عليه: السيد محمد علي البيلاوي. الناشر: مطبعة التأليف (المجلد)، مصر. عام النشر: 1313هـ الموافق 1896م. عدد الأجزاء: 1 والأعلام للزركلي، ج 7 ص 279

(2) هو السلطان شهاب الدين محمد بن يسام الغوري، حسن السيرة، كان أميراً وقائداً شجاعاً (المنقوش: 602هـ الموافق 1205م) وكان شامعاً للذهب وأثري العقيدة، وكان يخدم العلماء... يُنظر الطبقات الشافعية الكبرى للإمام السبكي، ج 4 ص 271 وتاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام للإمام شمس الدين الذهبي (المنقوش: 748هـ) ج 11 ص 766 المحقق: الدكتور بشار عواد معروف، الناشر: دار الغرب الإسلامي. الطبعة: الأولى، 2003م. عدد الأجزاء: 15

(3) هو علاء الدين خوارزم شاه تكش بن خوارزم شاه أرسلان، (المنقوش: 596هـ) سلطان الوقت، ملك من السند، والهند، وما وراء النهر. كان جيشه مائة ألف فارس، أزال دولة بني سلجوقه وكان حادقاً بلعب العود، ذهبت عينه في بعض حروبه، كان عنده أدب ومعرفة بمذهب الإمام أبي حنيفة. يُنظر النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة لجمال الدين الطاهري (المنقوش: 874هـ) الناشر: وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دار الكتب، مصر، عدد الأجزاء: 16 ج 6 ص 224 وشارات الذهب لابن العماد الجنبلي، ج 6 ص 529 - 530

(4) وفيات الأعيان لابن خلكان، ج 2 ص 250 وشارات الذهب لابن العماد الجنبلي، ج 7 ص 40

(5) مقدمة التفسير الكبير للإمام الرازي، ج 1 ص 13

(6) طبقات المفسرين للإمام الداودي، ج 2 ص 217 - 218

تلامذته تدلّ على حسن العقيدة. (1) وقال الإمام ابن الأثير (2) في الكامل من شعر الإمام الرازي وهو:

"إليك إله الخلق وجهي ووجهتي - وأنت الذي أدعوه في الحر والجهر
وأنت غيائي عند كل ملّة - وأنت ملاذي في حياتي وفي قري". (3)

من كتبه ومؤلفاته

كما نعرف أن الإمام الرازي من كبار المفسرين والفهاء والأصوليين، وكان له تمهّر في العلوم العقلية وعلم الكلام والفلسفة والطب وقد كتب كتباً كثيراً في هذه العلوم وغيرها، وقد قال ابن خلكان: "أنه انتشرت مؤلفاته في البلاد ورزق فيها سعادة عظيمة فإن الناس اشتغلوا بها ورفضوا كتب المتقدمين، وهو أول من اخترع هذا الترتيب في كتبه، وأتى فيها بما لم يسبق إليه". (4) فنذكر فيما يلي حول مؤلفاته على النحو الآتي:

- في التفسير وعلوم القرآن: التفسير الكبير المسمى بـ مفاتيح الغيب إحدى عشر جزءاً في تفسير القرآن الكريم. وقدر الفاتحة في مجلد مستقل وضخم بإسم مفاتيح العلوم. ولوامع البينات في شرح أسماء الله تعالى والصفات. البرهان في قراءة القرآن. ونهاية الإيجاز في دراية الإعجاز في البلاغة.
- في العقيدة: عصمة الأنبياء. وأسرار التنزيل. وأساس التقديس. رسالة في التوحيد. والقضاء والقدر. والسموات. وشرح أسماء الله الحسنى. وشرح قسم الإلهيات من الإشارات لابن سينا. والخلق والبعث.

(1) وفيات الأعيان لابن خلكان، ج 2 ص 252

(2) هو ابن الأثير علي بن محمد بن محمد الشيبلي الجزري (544 - 606 هـ الموافق 1150 - 1210م) كنيته أبو الحسن. كان مؤرخاً وشافعيّاً. ولد ونشأ في جزيرة ابن عمر. وانتقل إلى الموصل. وأصيب بالقيح فبطلت حركته يديه ورجليه. من كتبه: التاريخ المشهور بـ الكامل، وأسد الغاية في معرفة الصحابة، وجامع الأصول في أحاديث الرسول... يُنظر شذرات الذهب لابن العماد الحنبلي، ج 7 ص 241 - 243 والأعلام للزركلي، ج 5 ص 272 - 273

(3) طبقات المفسرين للإمام الداوودي، ج 2 ص 217 - 218

(4) وفيات الأعيان لابن خلكان، ج 2 ص 249

- في الفقه وأصوله: ومعالم أصول الدين. والمحصل في علم الأصول. والأربعون في أصول الدين. والمعالم في أصول الفقه. وشرح الوجيز في الفقه للإمام الغزالي.⁽¹⁾
- في الكلام: محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين من العلماء والحكماء والمتكلمين. المسائل الخمسون في أصول الكلام. والمطالب العالية. ونهاية العقول في دراية الأصول. البيان والبرهان في الرد على أهل الزيغ والطفیان. وكتاب الأربعين والمحصل. وكتاب تهذيب الدلائل وعيون للسائل. وكتاب أجوبة المسائل التجارية. وكتاب تحصيل الحق. وكتاب الزبدة والمعالم، وكتاب المباحث المعادية في المطالب المعادية. وكتاب إرشاد النظار إلى لطائف الأسرار.
- في الطب والحكمة: شرح كلييات القانون. والمخلص والنفوس. وشرح الإشارات لابن سينا. وشرح عيون الحكمة وغير ذلك.
- في الفلسفة: تعجيز الفلاسفة باللغة الفارسية. وكتاب للمخلص في الفلسفة. وكتاب عيون الحكمة.
- الكتب المتفرقة: ومناقب الإمام الشافعي. وكتاب الهندسة. وكتاب في الرمل والإعراب. والسر المكتوم في مخاطبة النجوم في الطلسمات. وكتاب الملل والنحل...⁽²⁾

(1) هو الإمام الغزالي زين الدين أبو حامد محمد بن محمد بن محمد بن أحمد الطوسي (450 - 505 هـ الموافق 1058 - 1111م) حجة الإسلام فيلسوف، متصوف، شافعي... ولد بطوس، تعلم على الإمام الحرميين ثم ولأه نظام الملك تدريس مدرسته ببغداد. ومن تصانيفه إحياء علوم الدين، والاقتصاد في الاعتقاد، مقاصد الفلاسفة، والسيط في الفقه... يُنظر شذرات الذهب لابن العماد الحنبلي، ج 6 ص 18 - 22 والأعلام للزركلي، ج 7 ص 22 - 23

(2) طبقات المفسرين للإمام الداودي، ج 2 ص 217 - 218 وطبقات المفسرين للإمام السيوطي، ص 115 شذرات الذهب لابن العماد الحنبلي، ج 7 ص 40 - 41 وفيها الأعيان لابن خلكان، ج 2 ص 249

القيمة العلمية للتفسير الكبير المسمى به الماتح الغريب

هذا التفسير يحتوي في إحدى عشر مجلداً ضخماً متداولة بين العلماء ولها شهرة واسعة لأنه يشمل علي أنواع من العلوم والفنون وفيه أبحاث مفيدة وقياضة، ويؤشبه موسوعة لاشتماله علي القضايا الحديثة والفقهية والأصولية والكلامية والعقلية والكونية والطبية.

ومن المعلوم أنه اختلف أقوال العلماء في القضية: "هل الإمام فخر الدين الرازي أكتمل تفسيره أم لا؟" فمنهم من يقول أنه أكمل ومنهم من يقول ببقية، فيقول الإمام ابن حجر العسقلاني⁽¹⁾: "أن الشيخ نجم الدين القموني⁽²⁾ أكمل هذا التفسير⁽³⁾ ولكن يفهم من قول الشيخ حاجي خليفة⁽⁴⁾: أن الإمام شهاب الدين الخويي⁽⁵⁾ أيضاً كتب تكملة لهذا

(1) هو أحمد بن علي بن محمد الكتاني العسقلاني، كتبه أبو الفضل، شهاب الدين، ابن حجر (773 - 852 الموافق 1372 - 1449م): من أئمة العلم والتاريخ. أصله من عسقلان (فلسطين) مولده ووفاته بالقاهرة. ولع بالأدب والشعر لم أقبل علي الحديث، وولي قضاء مصر نيات، من مصنفاته: فتح الباري شرح صحيح البخاري، والإصابة في تمييز الصحابة، ونجدة الفكر في مصطلح أهل الأثر.... يُنظر شذرات الذهب لابن العماد الحنبلي، ج 9 ص 395 - 399 والأعلام للزركلي، ج 1 ص 178

(2) هو أحمد بن محمد بن أبي الحرم القرشي المخرومي (645 - 727 هـ الموافق 1247 - 1327م): فقيه شافعي مصري، من أهل قنطرة مصر. تعلم بالقاهرة والقوص، وولي تربية التلمذ والأحكام. من مؤلفاته: شرح مقدمة ابن الحاجب، وشرح أسماء الله الحسنى، جواهر البحر... يُنظر شذرات الذهب لابن العماد الحنبلي، ج 8 ص 135 والأعلام للزركلي، ج 1 ص 222

(3) الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة للإمام ابن حجر العسقلاني (المتوفى: 852هـ)، ج 1 ص 359 الخفوق: مراقبة: محمد عبد العبد ضان. الناشر: مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، الهند. الطبعة: الثانية، 1392م الموافق 1972م. عدد الأجزاء: 6

(4) هو مصطفى بن عبد الله كاتب جليلي المعروف بالحاج خليفة (1017 - 1067 هـ الموافق 1609 - 1657م): كان مؤرخاً، مستعرباً، تركي الأصل. ولد وتوفي في القسطنطينية. خدم في الجيش العثماني، وانقطع في السنوات الأخيرة من حياته إلى التلمذ. من كتبه: كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، وتحفة الكبار في أسفار البحار تحفة الأخيار في الحكيم والأمثال والأشعار... يُنظر الأعلام للزركلي، ج 1 ص 222

(5) هو أحمد بن خليل بن سعادة بن جعفر ابن عيسى، كتبه أبو العباس شمس الدين المهدي الخويي (583 - 637 هـ الموافق 1187 - 1240م): كان قاضياً شافعيًا، وله تلمذ في علم الكلام والطب. كان من حوذي (أذربيجان)، وهو والد القاضي محمد بن أحمد (المتوفى سنة 693 هـ) من كتبه: علم الأصول، والسفينة التوحية في النفس والروح، ولد كتاب في العروض... يُنظر شذرات الذهب لابن العماد الحنبلي، ج 7 ص 320 - 321 والأعلام للزركلي، ج 1 ص

التفسير وأكمله، فيقول: أن الشيخ نجم الدين القموني صنف تكملة للتفسير الكبير وأكمل ما نقص منه الإمام الخنوي،⁽¹⁾ كما أيده الدكتور محمد حسين الذهبي⁽²⁾ فيقول: يمكن أن الإمام الخنوي أكمله إلى النهاية، والشيخ القموني كتب تكملة أخرى غير التي كتبها الإمام الخنوي.⁽³⁾ ومن العجيب أنه لا يوجد في هذا التفسير أي تفاوت في المنهج والأسلوب بل يجري الكتاب من البداية إلى النهاية على منهج واحد حيث لا يستطيع الناظر أن يفرق بين التكملة والأصل، وقد قال ابن خلكان في صفة التفسير الكبير: "أنه جمع فيه كل غريب وغريبة"⁽⁴⁾.

منهج الإمام فخر الدين الرازي في تفسيره التفسير الكبير

نذكر فيما يلي منهج الإمام الرازي في تفسيره باختصار كالتالي:

اهتم الإمام الرازي في تفسيره ببعض الأمور منها: ذكر المناسبات في تفسيره بين السور الآيات، ويذكر كثيراً عن العلوم الطبيعية والرياضية والفلسفية، ويتكلم عن آراء المتكلمين والفلاسفة وينقده أيضاً، واهتم الإمام الرازي بنقد الفرق الضالة والمنحرفة مثل المعتزلة والجهمية والمجسمة واستدل لتأييد أهل السنة، ويتحدث عن أسرار وحكم للآيات القرآنية والأحكام الفقهية والشرعية. تكلم الإمام الرازي عن المذاهب الأربعة ولكن كان يرجح مذهب الإمام الشافعي بالأدلة وكان يقلده، له عناية في ذكر مسائل الأصول والنحو والبلاغة وإن كان قليلاً

(1) كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون لحاجي خليفة (السنوي: 1067هـ) ج 2 ص 1756 الناشر: مكتبة المشي، بغداد (وصورتها عدة دور لتأنيده، بنفس ترقيم صفحاتها، مثل: دار إحياء التراث العربي، ودار العلوم الحديثة، ودار الكتب العلمية) تاريخ النشر: 1941م عدد الأجزاء: 6

(2) هو الدكتور محمد حسين الذهبي (1915م - 1977م) ولد في قرية مطوس في محافظة كفر الشيخ. حصل على درجة دكتوراه من جامعة الأزهر. كان أستاذاً وعميداً بكلية الشريعة بجامعة الأزهر ثم أصبح وزيراً للأوقاف وشؤون الأزهر. من مؤلفاته التفسير والمفسرون، والإنجازات المنحرفة في تفسير القرآن الكريم، والإسرائيليات في كتب التفسير والحديث ... يُنظر نشر الجواهر والنور في علماء القرن الرابع عشر وبذلك عقد الجواهر في العلماء الربيع الأول من القرن الخامس عشر للدكتور يوسف المرعشلي، ج 2 ص 1139 - 1140 طبع سنن: دارالمعرفة بيروت لبنان. الطبعة الأولى سنة 1427هـ الموافق 2006م.

(3) التفسير والمفسرون للدكتور محمد حسين الذهبي (السنوي: 1398هـ)، ج 1 ص 207 - 208 الناشر: مكتبة وهبة، القاهرة. عدد الأجزاء: 3

(4) وفيات الأعيان لابن خلكان، ج 2 ص 249

بالنسبة عن ذكره للمعاني الفلسفية والكونية والرياضية، ويستتبط في جميع مجالات العلم ويذكر اللطائف التفسيرية، من أسلوب الإمام الرازي أنه في أكثر الأحيان يُرجح العقل على النقل. استفاد من العلماء والمفتين قبله وخاصة من علماء المعتزلة ونقدتهم أيضاً، ومنهم: الإمام قطرب⁽¹⁾ وأبو بكر الأصم⁽²⁾، والجبائي⁽³⁾، والكعي⁽⁴⁾، والزمخشري⁽⁵⁾. الأمر المهم أن ما يوجد في تفسير الإمام الرازي فهو كثرة الاستنباطات والاستطرادات ويذكر صلة أو علاقة بين الألفاظ القرآن الكريم والمستتبط أو المستطرّد إليه، هكذا الإمام الرازي يستطرّد في ذكر القضايا الأصولية والبلاغية والنحوية وغير ذلك. ومن أجل ذلك قال الشيخ حاجي خليفة: "إن الإمام الرازي ملأ تفسيره بأقوال الحكماء والفلاسفة، وخرج من شيء إلى شيء، حتى يقضي

11-2228

(1) هو محمد بن السعدي بن أحمد، الشهير بقطرب، أبو علي، من الموالي (المتوفى 206 هـ الموافق 821م): كان عالماً بالأدب واللغة والنحو. من أهل البصرة. كان يرى رأي المعتزلة النظامية. درس من الإمام سيبويه ورواه. من كتبه معاني القرآن، غريب الحديث، وخلق الإنسان ... يُنظر شذرات الذهب لابن العماد الحنبلي، ج 3 ص 33 والأعلام للزركلي، ج 7 ص 95

(2) هو عبد الرحمن بن كيسان، (المتوفى 225 هـ الموافق 840م) أبو بكر الأصم. كان مفسراً وقيهاً ومعتزلاً، قال ابن المرتضى: كان من أنفع الناس وأفهم وأروعهم. وله تفسير الأصول، ومناظرات مع ابن الهذيل العلاف. يُنظر لسان الميزان لابن حجر العسقلاني (المتوفى: 852 هـ) المحقق: دائرة المعارف النظامية، الهند: الطاهر: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات بيروت، لبنان. الطبعة: الثانية، 1390 هـ الموافق 1971م. عدد الأجزاء: 7 ج 3 ص 427 والأعلام للزركلي، ج 3 ص 323

(3) هو محمد بن عبد الوهاب بن سلام الجبلي (235 - 303 هـ الموافق 849 - 916م) كنيته أبو علي: كان من أئمة المعتزلة والكلام في عصره. أُسبب إليه الطائفة الجبالية. له مقالات وآراء انفرد بها في المذهب. له تفسير أيضاً. يُنظر شذرات الذهب لابن العماد الحنبلي، ج 4 ص 18 والأعلام للزركلي، ج 6 ص 256

(4) هو عبد الله بن أحمد بن محمود الكعي، البلخي الخراساني، (273 - 319 هـ الموافق 886 - 931م) كنيته أبو القاسم: أحد أئمة المعتزلة. من بني كعب، كان رأس طائفة منهم تسمى "الكعبية" وله آراء ومقالات في الكلام انفرد بها. من كتبه: التفسر، تأييد مقالة أبي الهذيل، مقالات الإسلاميين، وأدب الجدل... يُنظر شذرات الذهب لابن العماد الحنبلي، ج 4 ص 93 والأعلام للزركلي، ج 4 ص 65 - 66

(5) هو أبو القاسم الزمخشري محمود بن عمر بن محمد الخوارزمي (467 - 538 هـ الموافق 1075 - 1144م) المفسر النحوي اللغوي الحنبلي جبار الله. ولد بزمخشري (من قري عجاوزيم) وسافر إلى مكة فجاور بها زمناً فلقب بجبار الله. من كتبه: تفسير الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، والفايق في غريب الحديث... يُنظر شذرات الذهب لابن العماد الحنبلي، ج 6 ص 194 - 198 والأعلام للزركلي، ج 7 ص 178

الناظر العجب"،⁽¹⁾ وكما نقل عن الإمام أبي حيان⁽²⁾ أنه قال في تفسيره عن الإمام الرازي وتفسيره: "إنه جمع في التفسير الكبير أشياء كثيرة طويلة، لا حاجة بها في علم التفسير. ولذلك حكى عن بعض المنتظرين من العلماء أنه قال: فيه كل شيء إلا التفسير"⁽³⁾.

(1) كشف الظنون للشيخ حاجي خليفة، ج 2 ص 1756

(2) هو محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان الأندلسي الغرناطي (654 - 745 هـ الموافق 1256 - 1344 م) من كبار العلماء بالعربية والتفسير والحديث والمراجم والقراءات والنحو. من مصنفاته: تفسير البحر المحيط ومختصره النهر، وبيان العصر في تراجم رجال عصره... يُنظر شذرات الذهب لابن العماد الحنبلي، ج 8 ص 251 والأعلام للزركلي، ج 7 ص 152

(3) البحر المحيط في التفسير للإمام أبي حيان الأندلسي (المتوفى: 745 هـ)، ج 1 ص 547 المحقق: صفيي محمد جميل. الناشر: دار الفكر، بيروت. الطبعة: 1420 هـ.

المطلب الثاني

نبذة تاريخية عن الإمام شهاب الدين الألوسي وقيمة تفسيره "روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني"

نبذة تاريخية عن الإمام شهاب الدين الألوسي

اسمه ونسبه ومولده

هو شهاب الدين، محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي رحمه الله تعالى، كنيته أبو القاسم، ولد الإمام الألوسي يوم الجمعة في رابع عشر من شهر شعبان سنة 1217هـ الموافق 1802م بـ الكرخ ببغداد، ينتهي نسبه من جهة الأب إلى الإمام الحسين رضي الله عنه ومن جهة الأم إلى الإمام الحسن رضي الله عنه بواسطة الشيخ السيد عبد القادر الجيلاني رحمه الله تعالى⁽¹⁾ أمه صالحة بنت الشيخ حسين أفندي العشاري.⁽²⁾ نُسب الإمام الألوسي إلى "الألوس" جزيرة في وسط نهر الفرات في قرب بغداد، وقد فرّ إليه أجداده لما دهم "هولاكو القتري" بغداد.⁽³⁾

(1) هو عبد القادر بن موسى بن عبد الله الحسيني محيي الدين الجيلاني (471 - 561هـ الموافق 1078 - 1166م): كنيته أبو محمد، من كبار المتصوفين أسس الطريقة القادرية، وُلِدَ في جيلان (وواء طبرستان) وانتقل إلى بغداد، اتصل بشيوخ العلم والتصوف، كان واعظاً، فقهياً وكان يأكل من عمل يده. وتصدر للتدريس والإفتاء في بغداد. من كتبه: الغنية لطالب، طريق الحق، والفتح الرباني، وفتح القصيد. يُنظر نشرات المعهد لابن العماد الحنبلي، ج 6 ص 330 - 331 والأعلام للزركلي، ج 4 ص 47.

(2) الصاج للكامل من جواهر مآثر الطراز الآخر والأول لصديق حسن خان القنوجي (المتوفى 1308هـ) ص 507 - 509 وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، إدارة الشؤون الإسلامية دولة قطر، الطبعة الأولى: 1428هـ الموافق 2007م.

(3) نراجع مشاهير الشرق في القرن التاسع عشر لجرجي زيدان، ج 2 ص 225 - 228 طبع من كلمات عربية للترجمة والنشر، جمهورية مصر العربية، جزئين.

دراسته

نشأ الإمام الألوسي في بيت علم وأدب وكان أبوه رئيس المدرسين ببغداد، وكان آية في الفطانة والذكاء من صفر سنه، درس من والده فدرس منه ألقية ابن مالك⁽¹⁾ وحفظ علم الفرائض في السابعة من عمره، ودرس علم العربية وفقه الأحناف والشافعية. لما وصل الثالثة عشرة من عمره بدأ بالتدريس والتصنيف لتبوعه في عدة علوم، واشتغل عليه طلاب كثيرون من بلاد قرية وبعيدة حتى أصبح علامة العراق والعلم المفرد في زمن قليل وتولى المدرسة المرجانية وأوقافها.⁽²⁾ تعلم الإمام الألوسي فقه المذهب الأحناف بحيث تمكن من تقلد من منصب الإفتاء ببلده سنة 1248هـ الموافق 1832م واستمر عليه خمسة عشرة سنة.⁽³⁾ فلما عزل عنه انقطع للتصنيف والتأليف.⁽⁴⁾

تدريسه

لما كان الإمام الألوسي في العراق قام بالتدريس في سائر العلوم بداره الملاصقة لجامع الشيخ عبد الله العاقولي في الرصافة. انفصل الألوسي من منصبه سنة 1263هـ، اشتغل بتأليف تفسير القرآن الكريم حتى أكمله، ثم سافر القسطنطينية سنة 1267هـ وعرض تفسيره على السلطان عبد المجيد خان، فقال إعجاباً، ورجع منها سنة 1269هـ.

(1) هو محمد بن عبد الله، ابن مالك الطالبي الجبلي (600 - 672هـ الموافق 1203 - 1274م)، كنيته أبو عبد الله، جمال الدين: أحد الأئمة في علوم العربية. ولد في جيان (الأندلس) وانتقل إلى دمشق وتوفي فيها. من كتبه: الألفية في النحو، والضرب في معرفة لسان العرب، والكافية الشافية المروءة... ينظر شفرات الذهب لابن العماد الجبلي، ج 7 ص 590 - 591 والأعلام للزركلي، ج 6 ص 223

(2) أعلام العراق محمد حمزة الأكري، ص 21 - 22 الطبعة المسالفة ومكتبتها، طبع سنة 1345هـ. لصاحبيهما: محب الدين الخطيب وعبد الفتاح خزان. تراجم مشاهير الشرق لجرجي زيدان، ج 2 ص 225 - 228 والنساج المكنل للميد محمد صديق حسن خان القنوجي، ص 507 - 509

(3) جلاء العبدون في محاكمة الأهلين لعنان خير الدين الألوسي (المتوفى: 1317هـ) ج 1 ص 58 قدم له: علي السيد صبيح المنقذ، الناصرة: مطبعة المدني. عام النشر: 1401هـ الموافق 1981م.

(4) المسك الأذفر في نشر مزايا القرنين الثاني والثالث عشر 1272هـ - 1342هـ للعلامة السيد محمود شكري الألوسي، ص 8 التحفيظ: د. عبد الله الجبوري، الطبعة: دار العربية للموسوعات، بيروت لبنان. الطبعة الأولى: 1427هـ الموافق 2007م.

مكانته العلمية

كان الإمام الألوسي رُبِعَ القامة واسع العينين ضخيم الكراديس، خير سمين ريان الجسم، أبيض اللون كث اللحية، كرمها مهيباً وديعاً وقوراً.⁽¹⁾ يقول الشيخ السيد محمود شكري: "أنه كان حاوياً للفضائل يعجز عن ذكرها الناقل، وأمين الثريا من اليد للتناول، لا مطمع في البلوغ إلى ما بلغ، ولا مائل في الوصول إلى ما وصل، إذا رأيتَه جبل علم وفصاحة، وبحر فضل ورجاحة".⁽²⁾

يقول الشيخ الزركلي⁽³⁾: أنه محدث، أديب، من المجددين، مجتهد.⁽⁴⁾ الإمام الذهبي يقول: كان شيخ العلماء في العراق، وآية من آيات الله العظام، ونادرة من نواذر الأيام. جمع كثيراً من العلوم حتى أصبح علامة في المنقول والمعقول، فقامة في الفروع والأصول، مُحدِّثاً لا يُجَارَى ومُفسِّراً لا يُبَارَى.⁽⁵⁾ يقول الشيخ محمد بحجة الأثري: "هو طود العلم وغضد الدين وفحل البلاغة وأمير البيان وعين الأعيان وإنسان عين الزمان".⁽⁶⁾ يقول نعمان خير الدين الألوسي: "كثاف رموز الحقائق وغواص بحر الدقائق شيخ علماء العترة بل بدر الأفاق علامة الفضلاء وسند النبلاء، وحيد الدهر بالاتفاق كرم الذات بديع الأخلاق خاتمة المفسرين وسعد المحققين وفخر علماء المسلمين والواصل إلى رتبة الاجتهاد الذي شرف وغرب

(1) تراجم مشاهير الشرق في قرن التاسع عشر لرحمى زبدان، ج 2 ص 225 - 228

(2) المسك الأثمن للشيخ السيد محمود شكري، ص 134

(3) هو خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي (1309هـ - 1396هـ): كان مؤرخاً وأديباً وشاعراً، ولد في دمشق، أصبح أستاذاً في المدرسة بعد التخرج، وعمل في الجريدة نوبلي في القاهرة. من كتبه: الأعلام، الديوان، شعراء العرب في قرن رابع عشر... يُنظر خير الدين الزركلي، المؤرخ الأديب المشاهر لأحمد علاونة،

طبع من دار القلم بدمشق، الطبعة الأولى: 1423هـ الموافق 2002م، ص 1 - 8

(4) يُنظر الأعلام للزركلي، ج 4 ص 36

(5) التفسير والمفسرون للدكتور محمد حسين الذهبي، ج 1 ص 250

(6) أعلام العراق لمحمد بحجة الأثري، ص 21 - 22

ذكره في البلاد".⁽¹⁾ يقول الشيخ جرجي زيدان⁽²⁾: كان الإمام الألوسي خاتمة المفسرين ونخبة المحدثين، وشيخ العلماء في العراق، جمع كثيراً من العلوم حتى أصبح علامة في المنقول والمعقول، فهامة في الفروع والأصول، خطه جيد فكأنه اللؤلؤ والمرجان. كان له تمهّر باختلاف المذاهب والملل واليحل، كان سلفي الاعتقاد شافعي المذهب ولكنه في كثير من المسائل يُقلد الإمام أبا حنيفة رحمه الله تعالى، وكان في آخر عمره يميل إلى الاجتهاد. قد أعطى الله تعالى للإمام الألوسي حافظة قوية جداً وبهذا السبب كان يقول: "ما استودعتُ ذهني شيئاً فخاني، ولا دعوتُ فكري لمعضلة إلا وأجابني".⁽³⁾ وكثيراً ما كان ينشده:

"سَهْرِي لِتَنْقِيحِ الْعُلُومِ الَّذِي - مِنْ وَصَلِ غَانِيَةٍ وَطَيْبِ عِنَاقِي"،

"أَنَا مَخْطِي أَنَا مَذْنَبٌ أَنَا عَاصِي - هُوَ غَافِرٌ هُوَ رَاحِمٌ هُوَ عَافِي

قَابَلْتَهُنَّ ثَلَاثَةَ ثَلَاثَةَ - وَسْتَغْلِبُنَّ أَوْصَافَهُ أَوْصَافِي"⁽⁴⁾

وفاته

توفي الإمام الألوسي في الخامس والعشرين من ذي القعدة سنة 1270 هـ الموافق 1854 م ودُفن في مقبرة الكرخي.⁽⁵⁾ وقال الشاعر بعد وفاته:

"يقولون قد مات الشهاب أبو الثناء ... وباتت عليه أعين العلم ياكية

فقلت لهم ما مات من زال شخصه ... وروح معانيه إلى الحشر باقية"⁽⁶⁾

(1) جلاء العينين لنعمان خير الدين الألوسي، ج 1 ص 57

(2) هو جرجي بن حبيب زيدان (1278 - 1332 هـ الموافق 1861 - 1914 م): منشئ مجلة بمصر. ولد وتعلم في بيروت، ورحل إلى مصر، وتوفي بالقاهرة. من مصنفاته: تاريخ مصر الحديث، تاريخ التمدن الإسلامي، تاريخ العرب قبل الإسلام، تراجم مشاهير الشرق ... يُنظر الإعلام للزركلي، ج 2 ص 117

(3) تراجم مشاهير الشرق لجرجي زيدان، ج 2 ص 225 - 228

(4) نفس المصدر، ج 2 ص 228

(5) إعلام العراق لمحمد بحجة الأثري، ص 26

(6) جلاء العينين لنعمان خير الدين الألوسي، ج 1 ص 58

وقال عبد الغفار الأخرس⁽¹⁾:

"إن كنتُ أثنى بالجميل على إمرء ... فعل جميل إني الثناء ثنائي
أعي المناضل والمتاظر فارتقت ... غلياءه قدراً على الغلياء"⁽²⁾

وقال في مدح داره:

"هذا محل العلم والإفتاء ... تأوي إليه أكابر العلماء
فيها العوارف والمعارف والتقى ... وفكاهة الطرفاء والأدباء
ولقد يحل أبو الثناء بصدرها ... يحكي حلول الشمس في الجوزاء"⁽³⁾

شيوخه

تلمذ الإمام الألوسي على يد كبار العلماء والفضلاء ومنهم:

● السيد عبد الله بهاء الدين الألوسي: هو والد الإمام شهاب الدين الألوسي وأول من عُرف بسببه الأسره الألوسية في العراق، دُرّس أربعين سنة في الحضرة الأعظمية وغيرها من المدارس، درس منه الإمام الألوسي في فنون مختلفة مثل النحو وفقه الشافعية، "وكان تقي الذات وهي الصفات ذكّي الأخلاق زكّي الأعراق، وافي الوفاء بحيث لا يحلّ بحقوق الإخاء" ... كما قال به صاحب المسك الأذفر، توفي سنة 1246هـ ودُفن بجوار مسجد الشيخ معروف الكرخي⁽⁴⁾.

● الشيخ خالد النقشبندي: هو خالد بن أحمد بن حسين، كنيته أبو البهاء، ضياء الدين النقشبندي الجهددي: كان صوفياً فاضلاً. ولد سنة 1190هـ الموافق 1776م في بلد شهرزور، والمشهور أنه من ذرية عثمان بن عفان رضي الله عنه. وهاجر إلى بغداد في صباه، ورحل إلى الشام في أيام داؤد باشا (والي العراق). توفي سنة 1242هـ الموافق 1827م بدمشق بالطاعون. من مؤلفاته شرح مقامات الحريري لم يسمه،

(1) هو عبد الغفار بن عبد الواحد بن وهب الأخرس (1225 - 1290هـ الموافق 1810 - 1873م): شاعر من نحول العلماء. ولد في الموصل، ونشأ ببغداد، وتوفي في البصرة. ولقب بالأخرس لحبسة كانت في لسانه. له ديوان مسمي

الطراز الأنص في شعر الأخرس. يُنظر الأعلام للزركلي، ج 4 ص 31 - 32

(2) ديوان الأخرس لعبد الغفار الأخرس، ص 25 مطبعة استامبول سنة 1887م.

(3) نفس المصدر، ص 27

(4) المسك الأذفر للشيخ السيد محمود شكرجي، ص 4

ورسالة في إثبات مسألة الإرادة الجزئية، والعقد الجوهري في الفرق بين كسبي الماتريدي والأشعري، وجلاء الأكدار، فيه ذكر أسماء أهل بدر وفق حروف المعجم، وديوان فارسي، ورسائله في كتاب سمي "بغية الواجد في مكتوبات مولانا خالد"، كما أن للإمام الألوسي كتاباً باسم: الفيض الوارد على روض مرثية مولانا خالد، ولابن عابدين كتاباً فيه اسمه سئل الحسام المندي في نصرة مولانا خالد النقشبندي، وكتب عثمان بن سند حوله كتاب سماه "أصفى الموارد من سلسل أحوال الإمام خالد".⁽¹⁾

● الفاضل عبد العزيز الشواف: درس منه الإمام الألوسي شرح الراية في القرائض للسيد الشريف، وكان من أهل بغداد ومن العلماء الكبار، من كتبه: حديقة الورود في مدائح أبي الثناء شهاب الدين السيد محمود، توفي في ثلاثين من عمره سنة 1262 هـ الموافق 1846 م.⁽²⁾

● علاء الدين علي الموصللي: نال منه الإجازة في فقه الشافعية، كان من الموصل وكان ذا وقار كبير، لم يكن له علاقة وطيدة مع داؤد باشا.⁽³⁾

● الشيخ علي السويدي: هو علي بن محمد سعيد بن عبد الله السويدي البغدادي العباسي، كان من كبار علماء الحديث. ولد ببغداد، درس منه الإمام الألوسي شرح النخبة للإمام ابن حجر العسقلاني. من كتبه: العقد الثمين في بيان مسائل الدين، وعقائد، شرح مقاصد الإمام النووي، وتاريخ بغداد، وشرح التعرف في الأصول والنصوف، رد على الإمامية، توفي سنة 1237 هـ الموافق 1822 م في دمشق.⁽⁴⁾

تلامذته

كان للإمام الألوسي تلامذة كثيرة من الدول والبلاد المختلفة وتخرج علي يده فضلاء كثيرين وكان يواسي طلبته من ملبسه ومأكله، ويسكنهم البيوت الرفيعة من منزله، ومنهم أخواه عبد الحميد وعبد الرحمن، وابنيه عبد الله وعبد الباقي وغيرهم.⁽⁵⁾

(1) يُنظر الأعلام للزركلي، ج 2 ص 294

(2) نفس المصدر، ج 4 ص 36، والمسك الأذفر للشيخ السيد محمود شكري، ص 134

(3) ليسك الأذفر للشيخ السيد محمود شكري، ص 122

(4) يُنظر الأعلام للزركلي، ج 5 ص 17

(5) يُنظر نفس المصدر، ج 4 ص 36 والمسك الأذفر للشيخ السيد محمود شكري، ص 134

أولاده

الأسرة الألوسية أسرة معروفة في العراق حيث جاء فيه الكبار من العلماء كما وأبناء، فنذكر فيما يلي بعض من كبار العلماء لهذه الأسرة من أولاد الإمام شهاب الدين الألوسي كما يلي:

- السيد نعمان خير الدين الألوسي: هو ابن الإمام شهاب الدين الألوسي، نعمان بن محمود بن عبد الله، أبو البركات خير الدين الألوسي، كان واعظاً فقيهاً، محققاً، باحثاً، ولد سنة 1252 هـ الموافق 1836 م ونشأ في بغداد. وولي القضاء في بلاد متعددة، لقبه "رئيس المدرسين" واستمر على التدريس والتأليف حتى توفي سنة 1317 هـ الموافق 1899 م ببغداد. من كتبه جلاء العينين في محاكمة الأحمدين، ابن تيمية وابن حجر، والجواب الفسيح لما لفته عبد المسيح،⁽¹⁾
- السيد عبد الله بهاء الدين الألوسي: هو ابن الإمام شهاب الدين الألوسي، عبد الله (بهاء الدين) بن محمود (شهاب الدين) بن عبد الله الألوسي، ولد بصنعاء 1248 هـ الموافق 1832 م كان فقيهاً قاضياً في القضاء الشافعية. درس من أبيه، عكف على التدريس ولم يلتفت إلى مناصب الدولة. قصد استنبول ولكن اعترضه قطاع الطرق وأخذوا أمواله حتى اضطره إلى العمل الحكومي بحيث ولي قضاء البصرة لمدة سنتين، توفي سنة 1291 هـ الموافق 1874 م. من كتبه: المنتان في علمي للنطق والبيان، الواضح في النحو، والتعطف على التعرف في الأصلين والتصوف.⁽²⁾
- السيد سعد الدين الألوسي: هو ابن الإمام شهاب الدين الألوسي، عبد الباقي بن شهاب الدين محمود الألوسي، كنيته أبو اليمين. ولد ببغداد سنة 1250 هـ الموافق 1834 م كان أديباً وكان يُقلد مذهب الأحناف. درس من أبيه تخرج بأبيه. ورُحل إلى استنبول وتقلد قضاء في مدن مختلفة. توفي سنة 1298 هـ الموافق 1881 م. من كتبه

(1) يُنظر الأعلام للزركلي، ج 8 ص 42

(2) يُنظر نفس المصدر، ج 4 ص 136

أوضح منهج إلى معرفة مناسك الحج، القول للماضي فيما يجب للمفتي والقاضي،
الفوائد الألويسية على الرسالة الأندلسية. (1)

● السيد محمود شكري الألويسي: هو حفيد الإمام شهاب الدين الألويسي، محمود شكري بن عبد الله بن شهاب الدين محمود الألويسي الحسيني، كنيته أبو المعالي، كان مؤرخاً، عالماً بالأدب والدين، من الدعاة وأهل الإصلاح. ولد سنة 1273 هـ الموافق 1857 م في رصافة بغداد، درس من أبيه وعمه السيد نعمان خير الدين الألويسي وغيرهما. وتصدّر لتدريس في داره وفي بعض المساجد. كان يردّ على أهل البدع في الإسلام برسائله. عرض عليه القضاء ولكن لم يقبله وتوفي ببغداد سنة 1342 هـ الموافق 1924 م. ألّف كتباً كثيرة منها: بلوغ الأرب في أحوال العرب، وأخبار بغداد وما جاورها من القرى والبلاد، وللمسك الأذفر في تراجم علماء القرن الثالث عشر، رياض الناظرين في مراسلات المعاصرين، شرح مختصر نخبة الفكر في مصطلح الحديث، وتجرید السنن في الذب عن أبي حنيفة النعمان ... (2)

● السيد علاء الدين الألويسي: هو حفيد الإمام شهاب الدين الألويسي، علي بن نعمان بن محمود الألويسي ولد سنة 1277 هـ الموافق 1861 م ببغداد، تخرج من مدرسة القضاة بالاستانة، وولي القضاء في عدة مدن. انتخبه الحكومة العثمانية "مبعوثاً" عن بغداد في عهده. وأيضاً عين قاضياً لبغداد سنة 1335 هـ. وكانت وفاته ببغداد سنة 1340 هـ الموافق 1921 م. له كتاب في تراجم المتأخرين المسقى بـالسر المنتشر في رجال القرن الثاني عشر والثالث عشر. وله شعر أيضاً. (3)

● الشيخ عبد الحميد بن عبد الله بن محمود ابن الحسين الألويسي: هو حفيد الإمام شهاب الدين الألويسي، ولد سنة 1232 هـ الموافق 1817 م كان واعظاً وله نظم حسن. كف بصره في صغر سنّه. وأملئ نشر اللآلي في شرح نظم الأمالي، كان عليه غلبة التصوف، وله أتباع ومريدين، توفي سنة 1324 هـ الموافق 1906 م. (4)

(1) يُنظر الأعلام للزركلي، ج 3 ص 272

(2) يُنظر نفس المصدر، ج 7 ص 172 - 173

(3) يُنظر نفس المصدر، ج 5 ص 95

(4) يُنظر نفس المصدر، ج 3 ص 288

من كتبه

ألف الإمام الألوسي كتباً كثيرة في العلوم والفنون عديدة نذكر بعضاً منها فيما يلي:

● التفسير:

- دقائق التفسير.
- التفسير روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني.

● الحواشي:

- حاشية الشمسية.
- حواشي عبد الحكيم.
- بلوغ المرام حاشية عصام.
- حاشية على شرح القطر في النحو.
- حاشية على مير أبي الفتح في آداب البحث.
- حاشية على حاشية عبد الحكيم السيالكوتي، في علم المنطق.

● الرحلات:

- نشوة المدام في العود إلى دار السلام.
- نشوة الشمول في السفر إلى اسلامبول، رحلته إلى الأستانة.
- غرائب الاغتراب ونزهة الألباب في الذهاب والإقامة والإياب.

● الشروح:

- شرح سلم المنطق.
- شرح سلم العروج في المنطق.
- شرح البرهان في إطاعة السلطان.
- شرح درة الغواص في أوهام الخواص.
- الفيض الوارد على روض مرثية مولانا خالد.
- الطراز المذهب في شرح القصيدة الممدوح بها الباز الأشهب.

● الردود والجوابات:

- نهج السلامة إلى مباحث الإمامة.
- الأجوبة العراقية عن الأسئلة الإيرانية.
- الأجوبة العراقية عن الأسئلة اللاهورية.
- النفحات القدسية في المباحث الإمامية.

● المنظومات:

- نثر الآلي عن نظم الأمالي.
- القصيدة الغيبية في القصيدة العينية.
- نظم ذرة الغواص في قلائد عرائس المناص.
- غاية الإخلاص بتهديب نظم ذرة الغواص.
- شهى النعم في ترجمة شيخ الإسلام وولي النعم.

● اللغة:

- شجرة الفاطمية
- كشف الطرة عن الغرة.
- شجرة الأهار ونوار الأزهار.

- الفوائد السننية في علم آداب البحث علي مير الخنقية.

● الكتب المتفرقة:

- كتاب المقامات الخيالية.
- سفرة الزاد لمنفر الجهاد.
- الفوائد السننية من الحواشي الكنبوية.
- مقامات في التصوف والأخلاق، عارضها بما مقامات الإمام الزمخشري. (1)

(1) يُنظر الأعلام للزركلي، ج 7 ص 176 وتراجم مشاهير الشرق للبرهي زيدان، ج 2 ص 225 - 228 وجملة العينين لتعمان خير الدين الأکوسي، ج 1 ص 58

القيمة العلمية لتفسير "روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني"

يحتوي هذا التفسير في خمسة عشر مجلد ضخماً، هذا التفسير كأنه موسوعة حيث جمع فيه العلوم العقلية والنقلية والكونية واللغوية وغير ذلك وقال الإمام شهاب الدين الألوسي عن سبب تأليفه: أتت رأيت في بعض ليالي الجمعة من رجب المرجب سنة 1252هـ رؤية لا أعدها أضفأت أحلام ولا أحسبها خيالات أوهام أن الله جل جلاله أمرني بطي السماوات والأرض، ورتق فتقهما على الطول والعرض فرفعت يداً إلى السماء وخفضت الأخرى إلى مستقر الماء ثم انتبهت من نومي، وأنا مستعظم رؤيتي، ثم يقول أن بعد هذا اليوم: كنت أفتش لها عن تعبير فوجدت في بعض الكتب أنها إشارة إلى تصنيف تفسير. فرددت حينئذ على النفس تعللها القديم وشرعت مستعينا بالله عزوجل، وكأني إن شاء الله جل جلاله عن قريب عند إتمامه بعون عالم سري ونجواي أنادي وأقول غير مبال بتشتيع جهول: هذا تأويل رؤياي، ثم يقول الإمام الألوسي: أن في نهاية هذا التفسير كنت أفكر بما ذا أُنسئيه؟ فقلت هذا الحال إلى وزير الوزراء علي رضا باشا فسأته بـ "روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني".⁽¹⁾

منهج الإمام شهاب الدين الألوسي في تفسيره

تذكر فيما يلي منهج الإمام الألوسي في تفسيره باختصار على النحو الآتي:

هذا التفسير موسوعة قيمة حيث جمع فيه من العلوم عقلية ونقلية ومعظم ما قاله المفسرين الذين قبله، فيشمل أقوال الأئمة المتقدمين والمتأخرين مثل الإمام ابن عطية والطبري والزمخشري والبيضاوي وفخر الدين الرازي وأبي السعود وأبي حيان. من أسلوب الإمام الألوسي أنه لما يريد أن ينقل من أبي السعود فيقول "شيخ الإسلام"، ويسمى البيضاوي بـ "القاضي" والإمام فخر الدين الرازي بـ "الإمام"، وكثيراً ما ينقل ويعترض فعلى الإمام الرازي وأبو السعود والبيضاوي رحمهم الله تعالى. الإمام الألوسي له تلمح في علم النحو ويذكر القضايا النحوية في تفسيره بالتفصيل واهتم به اهتماماً بالغاً. اهتم الإمام الألوسي في تفسيره بتذكر المناهج

(1) تفسير روح المعاني للإمام شهاب الدين الألوسي، ج 1 ص 5

الفقهية بلو عصبية ومع ذلك كان يُرجح مذهب الإمام أبي حنيفة ولكن أحياناً يُرجح مذهب الإمام الشافعي أيضاً. ومن المعلوم أن التفسير روح المعاني يمتاز بأسلوب حرّ في نقده وترجيحه وذكر القضايا، فنقد الإمام الألوسي الشيعة والمعتزلة وغيرهم الذين يُخالفون أهل السنة. اهتم في تفسيره بذكر الإسرائيليات ونقدها وكان يردّها ردّاً شديداً على الروايات المكذوبة والموضوعة. اهتم الإمام الألوسي بذكر المناسبات وأسباب النزول للآيات والسور كما أنه اهتم بذكر القراءات في تفسيره. الإمام الألوسي يستشهد في تفسيره بأشعار العرب في ذكر المعاني اللغوية. من ميزات التفسير روح المعاني الاهتمام بالتفسير الإشاري اهتماماً تاماً حيث ذكر بعد تفسير جملة من الآيات أو السورة التفسير الإشاري له.

المطلب الثالث:

نبذة تاريخية عن الشيخ غلام رسول السعيدى وقيمة تفسيره "تبيان القرآن"

نبذة تاريخية عن الشيخ غلام رسول السعيدى

اسمه ونسبه ونشأته

اسم الشيخ غلام رسول السعيدى "شمس الزمان نجمي" ولكنه فيما بعد سمى نفسه "غلام رسول" نسبة إلى النبي صلى الله عليه وسلم. (1) كان اسم أخيه الأكبر السيد محمد وزير الدهلوى، ولد يوم الجمعة المباركة في عاشر من رمضان المبارك 1356هـ الموافق 14 نوفمبر 1937م في الدهلي الهند. (2) توفى أب الشيخ السعيدى في طفولته ثم رباها أمه كانت اسمها "شفيق فاطمة" وهي كانت معروفة بالزهد والورع وكانت تُدرّس إلى الأطفال. توفيت على السابع من شهر أغسطس 2003م ليلة الجمعة وكانت عمرها ست وثمانون سنة. (3)

دراسته

أكمل الشيخ السعيدى قراءة قرآن الكريم في السادسة من عمره وانتهى من الدراسة في المدرسة الابتدائية بنجاب إسلامية هائى سكول (مدرسة ثانوية) الدهلي لما كان عمر الشيخ عشر سنوات، ثم هاجر إلى كراتشى بعد استقلال باكستان سنة 1947م، وكان لأبيه مطبع

(1) تفسير تبيان الفرقان للشيخ غلام رسول السعيدى، ج 1 ص 43 الطبع: ضياء القرآن بليكشتره لاهور. الطبعة الأولى: سنة مايو 2005م. الشارع داتا كنج بختى، لاهور رقم الهاتف: 042-37221953 9-الكرام ماركت اردو بازار، لاهور 042-37225058 14- اتصال سنتر اردو بازار، كراتشى 021-32210212 في بداية هذا الكتاب معلومات عن حياة الشيخ السعيدى بعنوان: "أحوال وأقارب الشيخ العلامة السعيدى، مرتبون: الدكتور محمد همايون عباس شمس، وشكفته جيون، وأحجز حسين، والدكتور محمد عاطف أسلم راؤ، مراجعة وإعادة النظر: الأستاذ مفتي منيب الرحمن.

(2) محدث اعظم باك وهند علامه غلام رسول السعيدى للدكتور محمد عاطف أسلم راؤ، للطبع: ارتقاء فاؤندينشن انترنیشنال (كراتشى)، الطبعة الأولى 25 فبراير 2016 لتوافق 14 جمادى الأولى 1437هـ. رقم الهاتف: 03222611112، 03012972514، ص 45 - 46 تبيان الفرقان للشيخ غلام رسول السعيدى، ج

في الدهلي ولكن بسبب وفاة أبيه وهجرته انقلبت أحواله المالية واضطرَّ إلى العمل وكسب المال فبدأ العمل في دار الطباعة بعد أن استمرَّ بالدراسة إلى درجة التاسعة. (1) تزوجت أمه بعد وفاة والده مع رجل اسمه محمد عثمان وترك الشيخ السعيدى الدراسة لحصول المعاش؛ فبدأ في البداية ببيع لبن مثلوج (Ice Cream) في الطُّرُق والشوارع لكسب المال، ثم فيما بعد بدأ بتعلُّم الكتابة في المطبع بأمر أبيه الرَّاب (زوج الأم) إلى ذلك الوقت الشيخ السعيدى كان لا يعرف عن الدين إلا قليلاً. (2) ولكن تأثر الشيخ السعيدى بتقرير الشيخ محمد عمر إجهروي سنة 1956م فرجع إلى دراسة العلوم الدينية والتحق بالجامعة محمدية رضوية، بمديرية رحيم يارخان (بنجاب) وكان يومَ الناس في المسجد بقره أيضاً، (3) ثم بايع على يد الشيخ السيد سعيد أحمد الكاظمي سنة 1958م. (4) وذهب إلى جامعة نعيمية لاهور سنة 1960م (5) ودرس هناك بعض الكتب منها: كافية، شرح التهذيب، وأصول الشافعي. وكان الشيخ السعيدى يُدرِّس الطلاب في زمن دراسته بـ جامعة نعيمية لاهور، وفي ذلك الوقت لما كان الشيخ السعيدى يُدرِّس حدث بينه وبين عالم كان اسمه "إمام الدين" محدثاً، واقترحه هو بعد المحدث بتعلُّم المنطق من الشيخ العلامة عطاءالله بنديالوي. فسافر الشيخ السعيدى إلى مديرية خوشاب، بنجاب لدراسة المنطق فدرس أصول فقه، مسلم الثبوت، توضيح تلويح، علم المعاني وذلك سنة 1963م، (6) ثم جاء الشيخ السعيدى جامعة قادريه بمديرية فيصل آباد سنة 1965م وتخرَّج منه في نفس السنة. (7)

(1) محدث اعظم باك وهند للدكتور محمد عاطف أسلم راؤ، ص 48 وتفسير تبيان الفرقان للشيخ غلام رسول السعيدى، ج 1 ص 43

(2) تفسير تبيان الفرقان للشيخ غلام رسول السعيدى، ج 1 ص 44

(3) محدث اعظم باك وهند للدكتور محمد عاطف أسلم راؤ، ص 49 - 50 وتفسير تبيان الفرقان للشيخ غلام رسول السعيدى، ج 1 ص 45 - 46

(4) محدث اعظم باك وهند للدكتور محمد عاطف أسلم راؤ، ص 55

(5) تبيان الفرقان للشيخ غلام رسول السعيدى، ج 1 ص 46

(6) نفس المصدر، ج 1 ص 48 - 49

(7) محدث اعظم باك وهند للدكتور محمد عاطف أسلم راؤ، ص 51 - 52

تدريسه

بدأ الشيخ السعيد بالتدريس بعد التخرج بجامعة نعيمية لاهور حسب أمر الشيخ مفتي محمد حسين النعمي سنة 1966م وفي سنة 1970م بدأ بتدريس كتب الحديث واستمر عليها إلى سنة 1978م⁽¹⁾ ثم درس من سنة 1978م إلى سنة 1980م بالجامعة نعيمية كراتشي أيضاً، ورجع إلى الجامعة نعيمية لاهور واستمر بالتدريس إلى 1985م ولكن الشيخ السعيد كان يُحسّن بالألم الشديد في ظهره في نفس سنة حيث كان لا يستطيع أن يُدرّس جالساً على الأرض ولكن يمكن له أن يُدرّس على الكرسي؛ فلم بأذنة مفتي محمد حسين نعمي، فدعاه الشيخ مفتي منيب الرحمن والشيخ مفتي السيد شجاعت للتدريس إلى الجامعة نعيمية كراتشي فجاء وبدأ بتدريس كتب الحديث في الكراتشي جالساً على الكرسي وعُيّن "شيخ الحديث" في هذه الجامعة واستمر على هذا المنصب إلى وفاته.⁽²⁾

حياته الأسرية

من المهم هنا أن الشيخ السعيد لم يتزوج طول عمره بسبب بعض الأمراض وبقي بدون الزواج حتى توفّي.⁽³⁾

عضو المؤسسات

عُرض منصب القضاة على الشيخ السعيد سنة 1990م ولكن الشيخ لم يقبله لأجل أشغاله في التدريس والتأليف، وكان عضواً للجنة مركزية لرؤية الهلال من سنة 1991م

(1) تفسير تبيان الفرقان للشيخ غلام رسول السعيد، ج 1 ص 50

(2) محدث اعظم باك وهدد للدكتور محمد عاطف أسلم راو، ص 51 - 52 وتفسير تبيان الفرقان للشيخ غلام رسول السعيد، ج 1 ص 50 - 51

(3) كذلك قال الدكتور محمد عاطف أسلم راو في المحادثة معه في منزل الضيف بالجامعة الإسلامية العالمية بإسلام آباد

الحرم القديم الموعد 3 مايو وقت العصر 2018م (IRD Guest House, Old Campus International Islamic University Islamabad)

وأيضاً قال أنه لم يتذكر عن حيات الشيخ الأسرية بهذا السبب في كتابه، أقول: هذا لا ينبغي... أحسن أن يكون تصريح في كتابه عن الشيخ السعيد أنه لم يتزوج لأني كنت متحيزاً بخصوص حاله ولم أجد حول حياته الأسرية في أي كتاب، حتى قابلت الدكتور المذكور وسألته فرفع هذا الإشكال. والله أعلم

إلى سنة 1992م، ثم انتخب عضواً للمجلس الفكري الإسلامى (Council of Islamic Ideology) من سنة 1997م إلى سنة 1999م وخدم خدمات جيدة فيه. (1)

زيارات عالمية (International Visits)

زار الشيخ غلام رسول السعيدى بريطانيا للدعوة والتبليغ مرتين، وكان له أحياب أتباع في أمريكا وبريطانيا ففي المرة الأولى ذهب إلى بريطانيا سنة 1990م ومكث هناك لثلاثة شهور، وكان يخطب في الاجتماعات الدينية في المدن لندن ومانجستر وبرمنجهام وبرستل، وزار الحرمين الشريفين لما كان الشيخ السعيدى يرجع من بريطانيا، وفي مرة ثانية زار بريطانيا بدعوة وإصرار الشيخ محمد حبيب الرحمن محبوبي سنة 1993م وبقي هناك لشهرين، والشيخ السعيدى حج سنة 1994م. (2)

وسام التميز (تمغة إمتياز) (Medal of Distinction)

أعطى رئيس الدولة باكستان وسام التميز للشيخ السعيدى إعترافاً بخدماته الجليلة سنة 2014م. (3)

وفاته

كان الشيخ السعيدى مريضاً بعدة أمراض مثل السكر وضغط الدم وألم الظهر وقد أصيب بمرض شديد في الدماغ (Dimensia) سنة 2011م. (4) وأصيب بحرارة شديدة في رمضان المبارك سنة 2015م كما أصيب به كثير من الناس في كراتشي فضغف بها طبيعة الشيخ السعيدى ضِعفاً شديداً، وأدخل في المستشفى في يناير سنة 2016م (5) وتوفي خمس وعشرين من الربيع الثاني 1437هـ الموافق 4 من فبراير سنة 2016م ليلة الجمعة المباركة بكراتشي ودُفن في قُرب دار العلوم التعميمية في المسجد الجامع الأقصى كراتشي. (6)

(1) محدث اعظم ياك وعتد للدكتور محمد عاطف أسلم رازو، ص 58 - 59

(2) نفس المصدر، ص 68 - 70

(3) نفس المصدر، ص 82

(4) نفس المصدر، ص 85

(5) نفس المصدر، ص 87

(6) نفس المصدر، ص 23

أساتذته

كما عرفنا من البداية أن الشيخ السعدي درس في عدة مدارس في لهذا السبب كان له أساتذة كثيرة نتكلم عن بعض من الأساتذة بالاختصار فيما يلي:

• **الشيخ السيد أحمد سعيد الكاظمي:** ولد بمدينة أمروها، مراد آباد الهند، وكان إسم أبيه السيد محمد مختار الكاظمي، تخرج سنة 1930م الموافق 1349م وبدأ بالتدريس بالجامعة نعيمية لاهور بنجاب، كان يُدرّس القرآن الكريم أيضاً، أسس الشيخ مدرسة أنوار العلوم بمدينة ملتان ثم جاء الشيخ جامعة إسلامية بماولبور، وقد كان له خدمات في الحركة لاستقلال باكستان، توفي سنة 1406هـ الموافق 1986م بمدينة ملتان، من مؤلفاته: تسييح الرحمن عن الكذب والنقصان، ميلاد النبي صلى الله عليه وسلم، وتسكين الخواطر وغير ذلك.⁽¹⁾

• **الشيخ العلامة عطاء محمد بنديالوي:** ولد سنة 1334هـ الموافق 1916م بمدينة موشاب، بنجاب. درس في قريته وفي الجامعة مظهرية إمدادية بنديال شريف، والجامعة فتحية إجهرة لاهور ودارالعلوم محمدية غوثية بحيرة (Bhera) ثم بدأ بالتدريس فدرّس لأكثر من خمسين سنة، وكان عضواً للمجلس الفكري الإسلامي، توفي سنة 1419هـ الموافق 1999م. من كتبه: التحقيق علي رؤية الهلال، سفرنامه بغداد، قضية الربا وغير ذلك.⁽²⁾

• **المفتي عزيز أحمد البديوني:** ولد الشيخ بقرية أنولة بانس بريلي سنة 1901م، حفظ القرآن الكريم ودرس في مدارس مختلفة تخرج سنة 1922م وبدأ بالتدريس واستمرّ بالتدريس لتسعة عشر سنة ثم عيّن خطيباً ومدرّساً بمدرسة عيد كاه كرهى

(1) محدث اعظم باك وهند للدكتور محمد عاطف أسلم راؤ، ص 106 - 111

(2) نفس المصدر، ص 117 - 119

شاهو، لاهور، من مؤلفاته: حقوق الزوجين، أحكام الجنائز، حقوق الوالدين وغير ذلك،⁽¹⁾

● **الشيخ مفتي محمد حسين النعمي:** ولد بقرية ديبا سرايي في شهر مارس سنة 1923م كان من أولاد القائد الترك مسعود للغازي توفي أمه لما كان عمره سنتين، درس في قريته ثم جاء إلى جامعة نعيمية مراد آباد، حصل العلوم من كبار العلماء وتخرج سنة 1941م وبدأ بالتدريس، شارك الشيخ في حركات مختلفة مثل "نختم النبوة"، أسس جامعة نعيمية ب لاهور سنة 1958م.⁽²⁾

تلامذته

كما رأينا من البداية أن الشيخ السعيد دُرِسَ طول الحياة وتخرج على يده طلاب كثيرون فنذكر فيما يلي أسماء لبعض تلامذته:

● **الدكتور السيد محمد أشرف:** ولد في قرية من مديرية "شيخوپورة" بنجاب، درس على يد الشيخ السعيد ب جامعة نعيمية لاهور سنة 1978م وحصل على شهادة ميدالية ذهبية (Gold Middle) من جامعة بنجاب في العلوم الإسلامية، كان مدرّساً وخطيباً في الدنمارك (Denmark)، ثم في النرويج (Norway) وأيضاً دُرِسَ بجامعة نعيمية لاهور.⁽³⁾

● **الدكتور صاحبزاده جميل الرحمن:** ولد في كامونكي (Kamoke) سنة 1951م تخرج من الجامعة الإسلامية بماولبور وجامعة نعيمية لاهور، أخذ شهادة الدكتوراه من جامعة بنجاب، كان يُدرّس في الكلية وبالجامعة نعيمية لاهور وجامعة جشتية كامونكي، من كتبه: غاية الحواشي حاشية شرح وقاية، تذكرة أولياء جشت وغير ذلك.⁽⁴⁾

● **الشيخ العلامة غلام نصير الدين جشتي جولروي (Golravi):** ولد سنة 1377هـ الموافق 1958م في هارون آباد كراتشي درس بالجامعة نعيمية لاهور وكراتشي، تخرج

(1) منهج الشيخ غلام رسول السعيد في تفسيره تبيان القرآن، إعداد الطالب: محبوب علي، ص 18 الإشراف: الدكتور محمد بن عبد الوهاب الراسخ، رسالة ماجستير، قسم التفسير وعلوم القرآن بكلية أصول الدين، الجامعة الإسلامية العالمية إسلام آباد سنة 1437هـ الموافق 2016م.

(2) نفس المصدر، ص 19

(3) تفسير تبيان الفرقان للشيخ غلام رسول السعيد، ج 1 ص 68

(4) نفس المصدر، ج 1 ص 68 - 69

سنة 1886م ثم بدأ بالتدريس، من كتبه: تراجم المحدثين ومزايا مؤلفاتهم، متطلبات التوحيد والعقبات في طريقها (ترجمة لكتاب الشيخ السعيدى) السباعيات وغير ذلك. (1)

أخلاقه

الشيخ كان متصفاً بالأخلاق الكريمة فكان مثلاً في التقوى والزهد والرياضة والعبادة وكان معروفاً بالعمو والصبر والشفقة والجرأة والقناعة والعزم. (2)

مكانته العلمية

استفاد الشيخ السعيدى من كبار العلماء في باكستان، كان قوي الحفظ وصاحب بصيرة إجتهدية وكان جامعاً في العلوم والفنون سواءً القديم الجديد، منها: علوم القرآن، علوم الحديث، علم التفسير، أصول الحديث، أصول التفسير، علم الكلام، علم الفرائض، علم الفقه، أصول الفقه، علم المنطق، علم الفلسفة، علم التصريف، علم النحو، علم البلاغة، علم العروض والقوافي، علم التاريخ، علم السير، علم الأخلاق، علم التصوف، علم الإفتاء، علم الرجال، علم المناظرة، علم الأدب، علم الإنشاء، علم السياسة، علم الطب وغير ذلك. (3)

الشيخ كان يُقلد مسلك البريلوية وله خدمات جليلة.

أقوال العلماء حوله

● يقول الدكتور مفتي السيد شجاعت علي القادري⁽⁴⁾: كان الشيخ السعيدى محدثاً وفقهياً ومدرّساً وخطيباً ومصنفاً، وتلامذته مشغولين في الخدمة داخل الدولة وخارجها... (5)

(1) تفسير نبيان الفرقان للشيخ غلام رسول السعيدى، ج 1 ص 69

(2) منهج الشيخ غلام رسول السعيدى في تفسيره لمحبوب علي، ص 15

(3) نفس المصدر، ص 15

(4) مؤسس وشيخ الحديث ومهتم دارالعلوم نعیمیہ کراتشي سابقاً، قاضي للعدالة الشرعية الوفاقية سابقاً.

(5) محدث اعظم پاك وهند للدكتور محمد عاطف أسلم راؤ، ص 130 - 131

- يقول العلامة السيد محمود أحمد رضوي⁽¹⁾: شرح الصحيح مسلم تأليف جليل للشيخ السعيد، حسب رأي لم أرى في اللغة الأردية كمثلها، اختلف مع العلماء في بعض القضايا ولكن هو لا يستحي في قبول الحق لما يقنعه أحد بالأدلة.⁽²⁾
- يقول الشيخ المفتي منيب الرحمن⁽³⁾: أن الشيخ السعيد كان يناقش القضايا الجديدة مع العلماء قبل أن يذكر رأيه، وكان يُغير رأيه لما يأتي الدليل...⁽⁴⁾ يقول عن تفسيره تبيان القرآن: هو تفسير جامع وكامل في هذا العهد ولا يوجد في التفاسير أخرى مثل هذه المعلومات جامعاً.⁽⁵⁾
- الشيخ المفتي تقي عثمان⁽⁶⁾: يقول عن شرح الصحيح مسلم: أنه كتب مؤلفه شرحاً مفصلاً بجهد كبير ولم يتعصب في نقل الأقوال من كتب العلماء ومع ذلك كان ينقد نقداً علمياً إذا كان له اختلاف مع العلماء...⁽⁷⁾

مؤلفات الشيخ السعيد

كان الشيخ السعيد من كبار المؤلفين في عصره وقد ألف مؤلفات وتصانيف كثيرة منها:

1. تفسير تبيان القرآن ثلاثة عشر جزءاً،
2. شرح الصحيح مسلم ثمانية أجزاء،
3. نعمة الباري ونعم الباري شرح الصحيح بخاري ستة عشر جزءاً،

(1) شارح صحيح البخاري والتدبر وشرح الحديث بدارالعلوم حزب الأحناف لاهور.

(2) محدث اعظم باك وهند علامه للدكتور محمد عاطف أسلم راو، ص 132

(3) مهتم دارالعلوم نعیمی وریس اللجنة رؤية هلال باكستان.

(4) محدث اعظم باك وهند للدكتور محمد عاطف أسلم راو، ص 146

(5) نفس المصدر، ص 132

(6) هو الشيخ مفتي محمد تقي بن الشيخ مفتي محمد شفيع ولد في قرية ديوبند الهند سنة 1362 هـ ثم هاجر إلى

كراشي باكستان. درس على أبيه والشيخ المفتي رشيد احمد اللدهياني والشيخ سليم الله خان وغيرهم فخرج في سنة

1359 هـ. له عتق في الفقه والحديث والتفسير والاقتصاد وكان قاضياً ونائب رئيس جامعة دارالعلوم كراشي حالياً.

مؤلفاته باللغة الأردية والعربية والإنجليزية ومنها: علوم القرآن، درس ترجمته، أسان ترجمة القرآن، تكملة فتح اللهم ...

يظهر أكابر علماء ديوبند للحافظ محمد أكبر شاه البخاري. ص 551 - 553 الطبع: ادارة إسلاميات لاهور

وكراشي، الطبعة الجديدة: سنة 1419 هـ الموافق 1999 م.

(7) محدث اعظم باك وهند للدكتور محمد عاطف أسلم راو، ص 150

4. تبيان الفرقان خمسة أجزاء وهو تفسير القرآن الكريم بالاختصار،
5. مقالات سعدي: وهو مجموعة من رسائل الشيخ السعدي على موضوعات مختلفة مثل النبوة والرسالة والخلفاء الراشدين وغير ذلك،
6. تذكرة المحدثين: يحتوي على حياة الأئمة الأربعة والمحدثين ومؤلفي الصحاح الستة وكتبهم،
7. التحقيق لكلمة "خدا": فيه تحقيق على جواز هذا الإسم لله سبحانه وتعالى،
8. حيات أستاذ العلماء: يشتمل على حياة أستاذه العلامة عطاء محمد بنديالري،
9. ذكر بالجمهور: فيه لجواز الذكر بصوت مرتفع والردّ على مخالفيهم وغير ذلك،
10. تاريخ نجد وحجاز: فيه التاريخ عن سيطرة محمد بن عبد الوهاب النجدي ...

(١)

(1) محدث اعظم باك وهند للكتور محمد عاطف أسلم راؤ، ص 163 وتفسير تبيان الفرقان للشيخ غلام رسول السعدي، ج 1 ص 74 - 75 ومنهج الشيخ غلام رسول السعدي في تفسيره محبوب علي، ص 21

القيمة العلمية لتفسير تبيان القرآن

طُبِعَ هذا التفسير في ثلاث عشر أجزاء من فريد بك ستال ب لاهور، وقد بذل الشيخ غلام رسول السعدي فيه جهوده حوالي اثنا عشر سنة وبدأ به في رمضان المبارك 1414 هـ الموافق الحادي وعشرون من شهر فبراير 1994م وانتهى منه في الحادي عشر من شهر ذي الحجة 1426 هـ الموافق يناير 2006م يوم الجمعة المباركة. (1)

- الجزء الأول: يحتوي على مقدمة التفسير وعلوم القرآن وسورة الفاتحة والبقرة، عدد الصفحات: 1042 أما مقدمة التفسير وعلوم القرآن: ففيه موضوعات الوحي وضرورته، تعريف القرآن وأسمائه، إعجاز القرآن، النسخ، أسباب النزول، الملكي والمدني، جمع القرآن، سبعة أحرف، التفسير والتأويل وطبقات المفسرين وغير ذلك.
- الجزء الثاني: يحتوي على سورة آل عمران وسورة النساء، عدد الصفحات: 908
- الجزء الثالث: يحتوي على سورة المائدة وسورة الأنعام، عدد الصفحات: 720
- الجزء الرابع: يحتوي على سورة الأعراف وسورة الأنفال، عدد الصفحات: 733
- الجزء الخامس: يحتوي من سورة التوبة إلى سورة يوسف، عدد الصفحات: 899
- الجزء السادس: يحتوي من سورة الرعد إلى سورة بني إسرائيل، عدد الصفحات: 832
- الجزء السابع: يحتوي من سورة الكهف إلى سورة المؤمنون، عدد الصفحات: 940
- الجزء الثامن: يحتوي من سورة النور إلى سورة القصص، عدد الصفحات: 882
- الجزء التاسع: يحتوي من سورة العنكبوت إلى سورة الصافات، عدد الصفحات: 991
- الجزء العاشر: يحتوي من سورة ص إلى سورة الجاثية، عدد الصفحات: 843
- الجزء الحادي عشر: يحتوي من سورة الأحقاف إلى سورة التغابن، عدد الصفحات: 940
- الجزء الثاني عشر: من سورة الطلاق إلى سورة الناس، عدد الصفحات: 1087
- الجزء الثالث عشر: يحتوي على الفهارس والإشارة، عدد الصفحات: 345 + 291

(1) محدث اعظم باك وهند للدكتور محمد عاطف أسلم رلؤ، ص 130 - 131

عدد جميع الصفحات حوالي اثنا عشر ألفاً.

هذا التفسير معروف بين أهل اللغة الأردنية لكونه جامعاً وشاملاً للتفسير بالمأثور والتفسير بالرأى ولموافقته لقضايا المعاصرة الجديدة والمذاهب الفقهية الأربعة وترجيح مذهب الأحناف. الشيخ السعيدى يقول في سبب تأليف تفسيره: أن علماءنا القدامى قد بذلوا جهودهم في التفسير وكتبوا كتباً كثيرة حيث لا يُمكن عليه الإضافة الجدير بالذكر، ولكن خدمات وجهود العلماء والمفسرين القدامى كانت في اللغة العربية التي لا يصل إليه العامة من أصحاب أهل اللغة الأردنية، فكان هنا حاجة أن ينقل هذه العلوم من اللغة العربية إلى اللغة الأردنية بأسلوب رائع وسهل؛ ولهذا السبب كتبتُ تفسير القرآن الكريم. ثم يقول حول ترجمة القرآن الكريم: أن علماءنا الأجلاء ترجموا مفاهيم القرآن الكريم إلى اللغة الأردنية في غصورهم، ومن المعلوم أن جهودهم في هذه القضية لها قيمة ولكن أسلوب اللسان تتغير بتغير الزمن؛ ولأجله شعرتُ أن يُترجم القرآن الكريم إلى اللغة الأردنية حسب مفاهيم أصحابها وأسلوبهم كي لا تكون ترجمة القرآن الكريم غريبة أو غير مألوفة.⁽¹⁾ نفهم من كلام الشيخ السعيدى أنه بدأ بكتابة التفسير باللغة الأردنية لأجل هذه الأسباب.

منهج الشيخ غلام رسول السعيدى في تفسيره تبيان القرآن

ترجم الشيخ السعيدى القرآن الكريم بلغة سهلة وبليغة وفق اللغة الأردنية المعاصرة وترجمه ترجمة معنوية مراعية لألفاظ القرآن الكريم وعبارته. اهتم بذكر عدد الآيات والركوعات، والمكي والمدني، ويذكر الربط بين الآيات والسور. اهتم بالتفسير المأثور وذكر الأحاديث وأقوال الصحابة رضي الله عنهم مع التخريج والإحالة. وهكذا الشيخ السعيدى كان يُخرِج الأحاديث من عدة كتب الحديث، إلا الأحاديث التي ذكرها الإمام الحافظ المنذرى⁽²⁾

(1) تفسير تبيان القرآن للشيخ غلام رسول السعيدى، ج 1 ص 37

(2) هو عبد العظيم بن عبد القوي بن عبد الله، زكى الدين المنذرى، كنيته ابو محمد (581 - 656هـ الموافق 1185 - 1258م): من علماء الحديث والعربية والحفاظ والمؤرخين. أصلاً من الشام، تولى مشيخة دارالحديث الكاملة بالقاهرة. توفي بمصر. من كتبه: الترغيب والترهيب، التكملة لوفيات النقلة، مختصر صحيح مسلم، مختصر سنن أبي داود ... يُنظر شذرات الذهب لابن العماد الحنبلي، ج 7 ص 479 - 480 والأعلام للزركلي، ج 4 ص 30

والهيثمي⁽¹⁾ والسيوطي⁽²⁾ لثقتهم في علم الحديث. ومن منهجه أنه كان يذكر في القضايا الفقهية أولاً الأحاديث ثم أقوال الفقهاء الكرام من المذاهب الأربعة ثم يرجح مذهب الأحناف بالأدلة، ومع ذلك إذا كان موقف الأحناف يخالف الحديث فالشيخ السعيد يرجح الحديث عليه كما فعله في بعض القضايا. اهتم بذكر أسباب النزول والروايات الإسرائيلية ونقده، ورد على شبهات متكفري الحديث بالأدلة النقلية والعقلية، وذكر أسماء الأئمة والعلماء والأعلام مع ذكر سنة الوفاة، ورُتب المصادر والمراجع على ترتيب وفيات مُصنفيهم تسهيلاً للقارئ، هكذا اهتم بنسبة الأقوال إلى قائلها.

اهتم الشيخ بترجيح مسلكه البريلوية وعقائده وأعماله ضمن تفسيره، واستفاد من ترجمة الشيخ السيد سعيد أحمد الكاظمي المسمى بـ "البيان"، واستفاد في تفسيره من كبار المفسرين القدماء مثلاً من أحكام القرآن للإمام الجصاص⁽³⁾، والجامع لأحكام القرآن للإمام القرطبي⁽⁴⁾، والبحر المحييط للإمام أبي حيان، والتفسير الدر المنثور للإمام السيوطي، وتفسير روح البيان لإسماعيل حقي⁽⁵⁾، وتفسير روح المعاني للإمام الألوسي، وتفسير المنير للشيخ

(1) هو علي بن أبي بكر بن سليمان الهيمى، كتبه أبو الحسن، نور الدين، للصرى القاهري (735 - 807هـ الموافق 1335 - 1405م)، من حفاظ الحديث. من كتبه: مجمع الزوائد ومبوع والفوائد (تخريج الحديث)، وترتيب الثقات لابن حبان، مجمع البحرين في زوائد للمعجمين، وموارد الظمان إلى زوائد ابن حبان ... يُنظر شذرات الذهب لابن العماد الحنبلي، ج 9 ص 105 والأعلام للزركلي، ج 4 ص 266

(2) هو المحافظ جلال الدين أبو الفضل عبد الرحمن بن أبي بكر بن الحضري السيوطي (849 - 911هـ الموافق 1445 - 1505م) كان محققاً ومفسراً ومحدثاً مورخاً لديماً. نشأ في القاهرة بتماماً. ألف كتب كثيرة منها: الإتيان في علوم القرآن الدر المنثور في التفسير بالمأثور، تلخيص الراوي في شرح تقريب التنوير، تفسير الجلائين ... يُنظر شذرات الذهب لابن العماد الحنبلي، ج 10 ص 74 - 75 والأعلام للزركلي، ج 3 ص 301

(3) هو أحمد بن علي الرازي، أبو بكر الجصاص (305 - 370هـ الموافق 917 - 980م): من كبار العلماء، ولد في الري، سكن بغداد ومات فيها. انتقلت إليه رئاسة الحنابلة. وعوطب في أن يلحق القضاء فاستمع. من كتبه: أحكام القرآن، وكتاب في أصول الفقه. يُنظر الأعلام للزركلي، ج 1 ص 171

(4) هو أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرج الأنصاري الخزرجي القرطبي (المتوفى 671هـ الموافق 1273م) وكان إماماً عالماً مفسراً محدثاً متعبداً. من أهل قرطبة. من كتبه: تفسير القرطبي، والألسن في شرح أسماء الله الحسنى، التذكرة بأحوال المشوق وأحوال الأئمة ... يُنظر شذرات الذهب لابن العماد الحنبلي، ج 7 ص 584 - 585 والأعلام للزركلي، ج 5 ص 322

(5) هو إسماعيل حقي بن مصطفى الإسلامبولي الحنفي الحلبي، (المتوفى 1127هـ الموافق 1715م) للمولى كنيته أبو الفداء: كان متصوفاً ومفسراً. كان تركياً مستعرباً. ولد في آيدوس وسكن القسطنطينية، وانتقل إلى بروسة، وكان من أتباع

الزحيلي،⁽¹⁾ وتفسير المراغي لأحمد مصطفى مراغي،⁽²⁾ وفي ظلال القرآن للسيد قطب،⁽³⁾ محاسن التأويل لمحمد جمال الدين القاسمي،⁽⁴⁾ وفي ذكر أسباب النزول استفاد من تفسير جامع

الطريقة (الخلوتية)، توفي في بروسة. له كتب في عربة وتركية منها: روح البيان في تفسير القرآن يعرف بتفسير حفي، والرسالة الخليلية في تصوف، ... يُنظر الأعلام للزركلي، ج 1 ص 313

(1) هو وهبة بن مصطفى الزحيلي الدمشقي (1932م - 2015م)، أحد أبرز علماء أهل السنة والجماعة من سوريا في العصر الحديث، عضو المجامع الفقهية، ورئيس قسم الفقه الإسلامي ومذاهبه بجامعة دمشق، كلية الشريعة. تابع تحصيله العلمي في كلية الشريعة بالأزهر الشريف، ثم حصل على إجازة تخصص التدريس من كلية اللغة العربية بالأزهر، حصل على شهادة الدكتوراة في الحقوق (الشريعة الإسلامية) عام 1963م بمرتبة الشرف الأولى مع توصية بتبادل الرسالة مع الجامعات الأجنبية، وموضوع الأطروحة آثار الحرب في الفقه الإسلامي. دراسة مقارنة بين المذاهب الثمانية والقانون الدولي. من كتبه: السلم و الحرب في الإسلام، الفقه الإسلامي وأدلته، ترجم إلى التركية والماليزية والفارسية والكردية، الوجيز في الفقه الإسلامي، الوجيز في أصول الفقه، أصول الفقه الإسلامي ... وهبة الزحيلي ويكيديا الموعد 10-03-2019م.

(2) أحمد بن مصطفى المراغي (المتوفى 1371هـ الموافق 1952م): مفسر مصري، من العلماء. تخرج بدار العلوم سنة 1909 ثم كان مدرس الشريعة الإسلامية بها. وولي نظارة بعض المدارس. وعين أستاذا للعربية والشريعة الإسلامية بكلية غوردون بالخرطوم. وتوفي بالقاهرة. من كتبه: الحسبة في الإسلام، والوجيز في أصول الفقه، وتفسير المراغي. يُنظر الأعلام للزركلي، ج 1 ص 258

(3) هو سيد قطب بن إبراهيم (1324 - 1387هـ الموافق 1906 - 1967م): مفكر إسلامي مصري، من مواليد قرية (موشا) في أسيوط. تخرج بكلية دار العلوم (بالقاهرة) سنة 1353هـ (1934م) وعمل في الجرائد. وعين مدرسا للعربية، ثم (مراقبا فنيا) للوزراء. وأوفد في بعثة لدراسة (برامج التعليم) في أميركا. وانضم إلى الإخوان المسلمين. في الأخير سجن ثم اعدم. من كتبه النقد الأدبي، أصوله ومناهجه، والعدالة الاجتماعية في الإسلام، والتصوير الفني في القرآن، وفي ظلال القرآن. يُنظر الأعلام للزركلي، ج 3 ص 147 - 148

(4) هو جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق، من سلالة الحسين السبط (1283 - 1332هـ الموافق 1866 - 1914م): إمام الشام في عصره، علما بالدين، وتضلعا من فنون الأدب. مولده ووفاته في دمشق. كان سلفي العقيدة لا يقول بالتقليد. واجه المشاكل من الحكومة. كان يلقي الدروس الخاصة والعامة، في التفسير وعلوم الشريعة الإسلامية والأدب. من كتبه: الفتوى في الإسلام، تنبيه الطالب إلى معرفة الفرض والواجب، إصلاح المساجد من البدع والعوائد، و تفسير محاسن التأويل. يُنظر الأعلام للزركلي، ج 2 ص 135

البيان للإمام الطبري،⁽¹⁾ وفي الأخير من تفسير الماتريدي لابي منصور الماتريدي⁽²⁾ وغيرهم.⁽³⁾ ولكن استفاد كثيراً من التفسير الكبير للإمام فخر الدين الرازي وتعبه في كثير من القضايا، كما نقد على الأئمة والعلماء الآخرين أيضاً بالدلائل في تفسيره. ومن ميزته أنه سلك منهج الاعتدال في القضايا الجديدة الاختلافية حيث يذكر موقفه مع الأدلة ويرجحها ويذكر موقف المخالفين مع الاحترام ولا يطعنهم ولا يذكر عليهم بل يمضي مسلك الاعتدال. ومنهجه في تحقيق القضايا هو: أنه كان يستدل أولاً من القرآن الكريم، ثانياً من الأحاديث النبوية على صاحبها الصلوة والسلام، ثالثاً من آثار وأقوال الصحابة رضي الله عنهم أجمعين، رابعاً من أقوال التابعين، خامساً من الأئمة الأربعة، سادساً من كلام العلماء المتقدمين والمتأخرين، وفي الأخير يذكر موقفه ورأيه. ومن المعلوم أن هذا التفسير كأنه موسوعة حيث جمع فيه معلومات كثيرة.

(1) هو محمد بن جرير بن يزيد الطبري، كنيته ابو جعفر (224 - 310 هـ الموافق 839 - 923 م): كان مورعاً ومفسراً وإماماً ومجتهداً. ولد في أمل طبرستان، واستوطن بغداد. من كتبه أخبار الرسل والملوك يعرف بتاريخ الطبري، وجامع البيان في تفسير القرآن يعرف به تفسير الطبري، واختلاف الفقهاء، ... يُنظر شلرات الذهب لابن العماد الحنبلي، ج 1 ص 29 - 31 والأعلام للزركلي، ج 6 ص 69

(2) هو محمد بن محمد بن محمود ابو منصور الماتريدي (المتوفى 333 هـ الموافق 944 م) من أئمة علماء الكلام. نسجه إلى ما تريد (مغلة بسمرقند) ومات هنا. من كتبه التوحيد، والرد على القرامطة، وشرح الفقه الأكبر المنسوب للإمام أبي حنيفة. يُنظر الجواهر المضية في طبقات الحنفية لعبد القادر بن محمد بن نصر الله القرشي أبو محمد محيي الدين الحنفي

(المتوفى: 775 هـ)، طبع من: مير محمد كتب خانة كراتشي، ج 3 ص 360 والأعلام للزركلي، ج 7 ص 19

(3) تفسير تبيان القرآن للشيخ غلام رسول السعدي، ج 1 ص 37 - 39 وج 12 ص 1056

المطلب الرابع:

تحرير المقصود بمصطلح الاستدراك

أولاً نفهم معنى كلمة "الاستدراك" لتوقف الموضوع عليه، لأن موضوعنا هو الاستدراك؛ فأصل الكلمة بعد تجريدتها من الزوائد "درك"، أما الاستدراك فهو من باب استفعال وفيه معنى الطلب. نذكر فيما يلي بعض الأقوال للأئمة في فهم معنى هذه الكلمة:

يقول الإمام الفراهيدي⁽¹⁾: "الدَّرَكُ اللحق من التبعة والدِّرَاكُ: إتباع الشيء بعضه على بعض في كل شيء، يطعنه طعناً دراكاً متدراكاً، أي: تبعاً واحداً إثر واحد".⁽²⁾ قال الإمام الراغب الأصفهاني⁽³⁾: "أدرك معناه: "بلغ أقصى الشيء"، وأدرك الصبي يقصد به: "أي بلغ غاية الصبا"، وذلك حين البلوغ، كقول الله تعالى: {حَتَّىٰ إِذَا أَذْرَقْتُمُ الْعُرْقُ} ⁽⁴⁾، وقول الله تعالى: {لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ} ⁽⁵⁾ ثم يقول: التَّدَارُكُ في الإغاثة والتعنة أكثر، مثل قول الله تعالى: {لَوْلَا أَن تَدَارَكُنَّ نِعْمَةٌ مِّن رَّبِّي} ⁽⁶⁾، وقول الله تعالى: {حَتَّىٰ إِذَا آذَرَكُوا فِيهَا جَمِيعًا} ⁽⁷⁾ أي: لحق كل بالآخر.⁽⁸⁾ يقول الإمام الزمخشري: "تَدَارَكَ خطأ الرأي بالصواب واستدركه.

(1) هو الخليل بن أحمد بن عمرو بن محمد الفراهيدي الأزدي الحمصي (100 - 170 هـ الموافق 718 - 786 م) أبو عبد الرحمن: من أمة اللغة والأدب، وواضع علم العروض، وهو أستاذ سيويه النحوي. اخرج الفراهيدي العروض وأحدث أنواعاً من الشعر ليست من أوزان العرب. ولد وتوفى في البصرة، من كتبه: كتاب العين، ومعاني الحروف، وتفسير حروف اللغة. يُنظر وفيات الأعيان لابن خلكان، ج 2 ص 244 - 245 والأعلام للزركلي، ج 2 ص 314

(2) كتاب العين للإمام الفراهيدي (المسوق: 170 هـ)، ج 5 ص 328 المحقق: د. مهدي المخرومي، د. إبراهيم السامرائي. الناشر: دار ومكتبة الهلال. عدد الأجزاء: 8

(3) هو الحسين بن محمد بن الفضل أبو القاسم الأصفهاني أو الأصفهاني (502 هـ الموافق 1108 م) المعروف بالراغب؛ أديب من الحكماء العلماء من أهل (أصفهان) سكن بغداد واشتهر حتى كان يُقرب بالإمام الغزالي، ومن كتبه: الدرر إلى مكارم الشريعة والمفردات في غريب القرآن... يُنظر سيرة الأعلام النبلاء للإمام الذهبي، ج 13 ص 341 والأعلام للزركلي، ج 2 ص 255

(4) سورة يونس، الآية 90

(5) سورة الأنعام، الآية 103

(6) سورة القلم، الآية 49

(7) سورة الأعراف، الآية 38

(8) المفردات في غريب القرآن للإمام الراغب الأصفهاني (المسوق: 502 هـ) ص 312 المحقق: صفوان عدنان الداودي.

الناشر: دار القلم، الدار الشامية، دمشق بيروت. الطبعة: الأولى 1412 هـ.

واستدرك عليه قوله⁽¹⁾. ويقول الإمام الأزهري الهروي⁽²⁾: والدرك: اللحق من التبع. وقال الإمام الجرجاني⁽⁴⁾ في كتابه: "الاستدراك في اللغة طلب تدارك السامع، وفي الاصطلاح رفع توهم تولد من كلام سابق".⁽⁵⁾ وفي معجم الوسيط: "تدارك القوم ادركوا والأخبار تداركت والشئ أدركه ومقات حاول إيدركه والشئ بالشئ أتبعه به يقال تدارك الخطأ بالصواب والذنب بالتوبة"، ثم يقول: "استدرك ما فات تداركه والشئ بالشئ تداركه به وعليه القول أصلح خطاه أو أكمل نقصه لو أزال عنه لئسا".⁽⁶⁾

أما ما يتعلق بموضوعنا في هذا المقام فهو هذا المعنى الأخير، ومن المعلوم في موضوع يكون في الاستدراك، السابق مستدركاً عليه، واللاحق مستدركاً وأن اللاحق في الاستدراك يصلح خطأ الأول ويكمل نقصه أو يكشف اللبس عن قوله إذا فيكون للمعنى الجامع للاستدراك هو: "اتباع القول الأول بقول ثانٍ يصلح خطاه أو يكمل نقصه أو يُزيل عنه

- (1) أساس البلاغة للإمام الزمخشري (المتوفى: 538هـ) ج 1 ص 285 تحقيق: محمد باسل عيون السود. الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان. الطبعة: الأولى، 1419هـ الموافق 1998م. عدد الأجزاء: 2
- (2) هو محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي أبو منصور (282 - 370هـ الموافق 895 - 981م): أحد الأئمة في اللغة والأدب، ولد بمراة وتوفي خراسان. نسبه إلى جده "الأزهر". له تبحر في الفقه والعربية، من كتبه تمهيد اللغة، غريب الألفاظ التي استعملها الفقهاء، تفسير القرآن. ينظر شذرات الذهب لابن العماد الحنبلي، ج 4 ص 379 والأعلام للزركلي، ج 5 ص 311
- (3) تمهيد اللغة لمحمد بن أحمد الهروي، (المتوفى: 370هـ) ج 10 ص 65 المحقق: محمد عوض مرعب. الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت. الطبعة: الأولى 2001م. عدد الأجزاء: 8
- (4) هو علي بن محمد بن علي، المعروف بـ الشريف الجرجاني (740 - 816هـ الموافق 1340 - 1413م): من الفلاسفة وكبار العلماء والعربية. ولد في تاجو (غرب استراباد) ودرس في شيراز وتوفي فيه. من كتبه: التعريفات، شرح السراجية في الفرائض، الحواشي على الموطأ للشافعي، حاشية على الكشاف ... ينظر الأعلام للزركلي، ج 5 ص 7
- (5) كتاب التعريفات للإمام الجرجاني (المتوفى: 816هـ) ج 1 ص 121 تحقيق: ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر. الناشر: دار الكتب العلمية بيروت، لبنان. الطبعة: الأولى 1403هـ الموافق 1983م. عدد الأجزاء: 1
- (6) المعجم الوسيط لمجمع اللغة العربية بالقاهرة (إبراهيم مصطفى وأحمد الزيات وحامد عبد القادر ومحمد النجار) ج 1 ص 281 الناشر: دار الدعوة.

ليساً". وقد استخدم العلماء هذه الكلمة في تعقيباتهم ومؤلفاتهم في العلوم المختلفة مثل المستدرك على الصحيحين للإمام الحاكم (1) (2).

(1) هو أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد الطهيماني النيسابوري يُعرف به الحافظ الكبير (321 - 405 هـ الموافق 933 - 1014 م) المشهور بالحكماء كنيته أبو عبد الله: من أكابر حفاظ الحديث والمصنفين. مولده ووفاته في نيسابور. ولي قضاء نيسابور، من أعلم الناس بصحيح الحديث وتميزه عن سقيمه، من كتبه: تاريخ نيسابور، والمستدرك على الصحيحين، للدخل في أصول الحديث... يُنظر شذرات الذهب لابن العماد الحنبلي، ج 5 ص 33 - 35 والأعلام للزركلي، ج 6 ص 227

(2) استدراكات السلف في التفسير في القرون الثلاثة الأولى دراسة نقدية مقارنة لأبى بن سعيد بن جهمان الزهراني، ص 15 - 16 رسالة الماجستير بقسم التفسير وعلوم القرآن، كلية أصول الدين بجامعة أم القرى 1426 هـ الموافق 1427 هـ. الطبع: دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية بدعم طريق الملك الفهد (شاركت الجمعية العلمية السعودية للقرآن الكريم وعلومه في طباعة هذا الكتاب) طبع سنة 1430 هـ.

الفصل الأول

استدراكات الإمام شهاب الدين الألوسي والشيخ غلام رسول
السعيدى على الإمام فخر الدين الرازى في سُور الأعراف
والأنفال والتوبة ويونس

وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول: استدراكات الإمام شهاب الدين الألوسي والشيخ غلام رسول
السعيدى على الإمام فخر الدين الرازى في سورة الأعراف

المبحث الثاني: استدراكات الإمام شهاب الدين الألوسي والشيخ غلام رسول
السعيدى على الإمام فخر الدين الرازى في سورة الأنفال

المبحث الثالث: استدراكات الإمام شهاب الدين الألوسي والشيخ غلام رسول
السعيدى على الإمام فخر الدين الرازى في سورة التوبة

المبحث الرابع: استدراكات الإمام شهاب الدين الألوسي والشيخ غلام رسول
السعيدى على الإمام فخر الدين الرازى في سورة يونس

المبحث الأول سورة الأعراف

الاستدراك الأول: قول الله تعالى: {المص}. (1) (الحروف المقطعة)

يذهب الإمام فخر الدين الرازي مذهب من يقول الحروف المقطعة ويفسرها وقد أورد أدلتهم على ذلك فقال في استدلال المتكلمين من القرآن الكريم: احتج المتكلمون من القرآن الكريم أن لا بد لنا بفهم الحروف المقطعات لأن القرآن الكريم لو لم يكن مفهوماً للخلق فما فائدة نزولها، واستدلوا بأربعة عشر آية، وهي كالتالي:

- أحدها: قول الله تعالى: {أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا} (2) أمرهم بالتدبر في القرآن، ولو كان غير مفهوم فكيف يأمرهم بالتدبر فيه.
- وثانيها: قول الله تعالى: {أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا} (3) فكيف يأمرهم بالتدبر فيه لمعرفة نفي التناقض والاختلاف مع أنه غير مفهوم للخلق.
- وثالثها: قول الله تعالى: {وَإِنَّهُ لَفَنَزَّلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ. عَلَى قَلَمِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ. بِلسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ} (4) فلو لم يكن مفهوماً بطل كون الرسول صلى الله عليه وسلم منذراً به، وأيضاً قول الله تعالى: {بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ} يدل على أنه نازل بلغة العرب، وإذا كان الأمر كذلك وجب أن يكون مفهوماً.
- ورابعها: قول الله تعالى: {لَقَلِيلٌ مِنَ السَّاعِينَ يَشْتَبِطُونَ مِنْهُمْ} (5) والاستنباط منه لا يمكن إلا مع الإحاطة بمعناه.

(1) سورة الأعراف الآية 1

(2) سورة محمد، الآية 24

(3) سورة النساء، الآية 82

(4) سورة الشعراء، الآيات 192 - 195

(5) سورة النساء، الآية 83

- وخامسها: قول الله تعالى: {تَبَيَّنَا لِكُلِّ شَيْءٍ} (1) وقول الله تعالى: {مَا قَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ} (2).
- وسادسها: قول الله تعالى: {هُدًى لِلنَّاسِ} (3)، وقول الله تعالى: {هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ} (4) وغير المعلوم لا يكون هدى.
- وسابعها: قول الله تعالى: {حِكْمَةٌ بَالِغَةٌ} (5) وقول الله تعالى: {وَوَيْفَاءَ لِمَا فِي الصُّنُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ} (6) وكل هذه الصفات لا تحصل في غير المعلوم.
- وثامنها: قول الله تعالى: {قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ} (7).
- وتاسعها: قول الله تعالى: {أَوَلَمْ يَكْفِيهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَى عَلَيْهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَى لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ} (8) وكيف يكون الكتاب كافياً وكيف يكون ذكرى مع أنه غير مفهوم؟
- وعاشرها: قول الله تعالى: {هَذَا بَلَاغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا بِهِ} (9) فكيف يكون بلاغاً، وكيف يقع الإنذار به مع أنه غير معلوم؟ وقال في آخر الآية {وَلِيَذُكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ} وإنما يكون كذلك لو كان معلوماً.
- الحادي عشر: قول الله تعالى: {قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُبِينًا} (10) فكيف يكون برهاناً ونوراً مبيناً مع أنه غير معلوم؟

-
- (1) سورة النحل، الآية 89
 - (2) سورة الأنعام، الآية 38
 - (3) سورة البقرة، الآية 185
 - (4) سورة البقرة، الآية 2
 - (5) سورة القمر، الآية 5
 - (6) سورة يونس، الآية 57
 - (7) سورة المائدة، الآية 15
 - (8) سورة العنكبوت، الآية 51
 - (9) سورة إبراهيم، الآية 52
 - (10) سورة النساء، الآية 174

● الثاني عشر: قول الله تعالى: {رَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ فَإِنَّ لَكَ لَأَمْرًا عَلِيمًا} (1) فكيف يمكن اتباعه والإعراض عنه غير معلوم؟

● الثالث عشر: قول الله تعالى: {إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلْبُيُوتِ الَّتِي هِيَ أُمَّمٌ} (2) فكيف يكون هادياً مع أنه غير معلوم؟

● الرابع عشر: قول الله تعالى: {آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَأَتْ لَهُ قُلُوبَهُمْ حُبًّا وَنُزُلًا مِنْ رَبِّهِمْ لَمْ يَكُن لَكُمْ الْفُرْقَانُ أَتَمَّ بِمَا نَزَّلْنَا وَتَأْتُوا مَحْيَاتِكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ فَتَبْشِرُوا بِاللَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ الْقُرْآنَ الْحَكِيمَ} (3) والطاعة لا يمكن إلا بعد الفهم فوجب كون القرآن الكريم مفهوماً. (4)

استدلال المتكلمين بالأخبار: كما ذكرنا في السابق أن المتكلمين استدلوا من القرآن الكريم لتأويل الحروف المقطعات هكذا استدلوا من السنة النبوية على صاحبها الصلوة والسلام وهي كالتالي:

● 1- قول النبي صلى الله عليه وسلم: "إني تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا كتاب الله وسنتي". (5) فكيف يمكن التمسك به وهو غير معلوم؟

● 2- وعن علي رضي الله عنه: "سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: كِتَابُ اللَّهِ فِيهِ نَبَأُ مَا قَبْلَكُمْ وَخَيْرُ مَا بَعْدَكُمْ، وَحُكْمُ مَا بَيْنَكُمْ، وَهُوَ الْفَضْلُ لَيْسَ بِالْمُزَلِّ، مَنْ تَرَكَهُ مِنْ جَبَّارٍ قَصَعَهُ اللَّهُ، وَمَنْ الْتَمَى الْهُدَى فِي غَيْرِهِ أَضَلَّهُ اللَّهُ، وَهُوَ حَبْلُ اللَّهِ الْمُتَمِينُ، وَهُوَ النُّجُومُ الْحَكِيمُ، وَهُوَ الصِّرَاطُ الْمُسْتَقِيمُ، هُوَ الَّذِي لَا تَزِيغُ بِهِ الْأَهْوَاءُ، وَلَا تَلْتَمِسُ بِهِ الْأَلْسِنَةُ، وَلَا يَشْتَبِعُ مِنْهُ الْفُلَعَاءُ، وَلَا يَخْلُقُ عَلَى

(1) سورة طه الآيات، 123 - 124

(2) سورة الإسراء، الآية 9

(3) سورة البقرة، الآية 285

(4) يُنظر التفسیر الكبير للإمام الرازي، ج 2 ص 250 - 251

(5) أخرجه الإمام مالك في الموطأ (التورق: 179هـ) المحقق: محمد مصطفى الأعظمي، رقم الحديث: 3338 ج 5 ص

1323 روي باللفظ مختلف. الناشر: مؤسسة زايد بن سلطان آل نهيان للأعمال الخيرية والإنسانية، أبوظبي، الإمارات.

الطبعة: الأولى، 1425هـ الموافق 2004م. عدد الأجزاء: 8

كثيرة الرؤى، وَلَا تَنْقَطِرِي عَجَائِثُهُ، مَنْ قَالَ بِوَ صَدَقَ، وَمَنْ عَمِلَ بِوَ أُجِرَ، وَمَنْ
حَكَمَ بِهِ عَدَلَ، وَمَنْ دَعَا إِلَيْهِ هَدَى إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ." (1)

استدلال المتكلمين بالمعقول: أما استدلالهم بالمعقول فهو كالتالي:

- الأول: "أنه لو ورد شيء ولا سبيل إلى العلم والفهم به لكانت المخاطبة به تجري مجرى مخاطبة العربي باللغة الزنجية، ولما لم يجز ذلك فكذلك هذا لا يجوز".
- الثاني: "أن المقصود من الكلام الإفهام، فلو لم يكن مفهوماً لكانت المخاطبة به عبثاً وسفهاً، وأنه لا ينبغي ولا يليق بالحكيم".
- الثالث: "أن للتحدي وقع بالقرآن الكريم وما لا يكون معلوماً لا يجوز وقوع التحدي به." (2)

ثم ذكر الإمام الرازى بعد ذلك الأوجه التفسيرية لمن يزول الحروف المقطعة على النحو
الآتي:

- 1- أنها أسماء السور⁽³⁾: وهو قول أكثر المتكلمين واختيار الإمام الخليل وسيبويه⁽⁴⁾
وقال به الإمام القفال.⁽⁵⁾

(1) أخرجه الإمام الترمذي في سننه، أبواب فضائل القرآن عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، باب ما جاء في فضل القرآن، رقم الحديث: 2906 ج 5 ص 172 هذا حديث غريب. يُنظر التفسير الكبير للإمام الرازى، ج 2 ص 251

(2) يُنظر التفسير الكبير للإمام الرازى، ج 2 ص 250 - 251

(3) لطائف الإشارات المصروف به تفسير القشيري للإمام القشيري (المتوفى: 465هـ) ج 1 ص 29 المحقق: إبراهيم السيويني. الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر. الطبعة: الثالثة.

(4) هو عمرو بن عثمان بن قنبر الحارثي بالولاء، الملقب سيبويه، كنيته أبو بشر (148 - 180هـ الموافق 765 - 796م): إمام النحاة، بسط علم النحو. ولد شوار، ثم كزح الخليل بن أحمد. من كتبه: "كتاب سيبويه" في النحو. يُنظر

سير الأعلام النبلاء للإمام الذهبي، ج 7 ص 346 والأعلام للزركلي، ج 5 ص 81

(5) هو محمد بن علي بن إسماعيل الشافعي، أبو بكر، المشهور القفال (291 - 365هـ الموافق 904 - 976م):

من كبار العلماء في عصره في الفقه والحديث والأدب واللغة. ولد في ما وراء النهر. من كتبه أصول الفقه، ومحاسن

الشرعية ... يُنظر سير الأعلام النبلاء للإمام الذهبي، ج 12 ص 309 والأعلام للزركلي، ج 6 ص 273

- 2- أسماء الله تعالى: وعن علي رضي الله عنه أنه كان يقول: "يا كهيعص، يا حم عسق"، (ل) كما جاء في رواية أخرى عنه يقول: "يا كهيعص: اغفربي". (2)
- 3- أبعاض أسماء الله تعالى: قال سعيد بن جبير (3): قوله (الر، حم، ن) مجموعها هو اسم الرحمن، ولكننا لا نقدر على كيفية تركيبها في البواقي.
- 4- هي أسماء القرآن (4): وهو قول الإمام الكلبي (5) والسدي (6) وفتادة (7).
- 5- أن كل واحد منها دال على اسم من أسماء الله تعالى وصفة من صفاته: قال ابن عباس رضي الله عنه في قول الله تعالى: {الم} (8): الألف إشارة إلى أنه تعالى أحده أول، آخر، أزلي، أبدي، واللام إشارة إلى أنه لطيف، والميم إشارة إلى أنه ملك مجيد.

- (1) نواهد الأبيكار وشواهد الأفكار المعروف بد حاشية السبوطي على تفسير اليعاقبة للإمام السبوطي (المتوفى: 911هـ) ج 1 ص 267 الناشر: جامعة أم القرى، كلية الدعوة وأصول الدين. المملكة العربية السعودية (3 رسائل دكتوراه). عام النشر: 1424هـ الموافق 2005م. عدد الأجزاء: 3
- (2) جامع البيان في تأويل القرآن للإمام ابن جرير الطبري (المتوفى: 310هـ) ج 18 ص 141 اغفري: أحمد محمد شاكر. الناشر: مؤسسة الرسالة. الطبعة: الأولى، 1420هـ الموافق 2000م. عدد الأجزاء: 24
- (3) هو سعيد بن جبير الأسدي، والولاء، أبو عبد الله (45 - 95هـ الموافق 665 - 714م): تابعي، ولد في الكوفة، من كبار العلماء. حاشي الأصل، من موالي بني أسد. أخذ العلم عن عبد الله بن عيسى وابن عمر رضي الله عنهم. يُنظر شذرات الذهب لابن العماد الحنبلي، ج 1 ص 382 والأعلام للزركلي، ج 3 ص 93
- (4) الكشف والبيان عن تفسير القرآن للإمام أبي إسحاق الثعلبي (المتوفى: 427هـ) ج 1 ص 136 تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور. مراجعة وتقديم: الأستاذ نظير السعدي. الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان. الطبعة: الأولى 1422هـ الموافق 2002م. عدد الأجزاء: 10
- (5) هو إبراهيم بن خالد بن أبي البستان الكلبي، كنيته أبو ثور (المتوفى 240هـ الموافق 854م): كان فقيهاً وصاحب الإمام الشافعي، ولد ومات بمشدد وكان يسكن فيه. من مصنفاته: اختلاف مالك والشافعي... يُنظر شذرات الذهب لابن العماد الحنبلي، ج 3 ص 180 والأعلام للزركلي، ج 1 ص 37
- (6) هو إسماعيل بن عبد الرحمن السدي أبو الخطاب (المتوفى 128هـ الموافق 745م): من التابعين، حجازي الأصل، كان يسكن في الكوفة. صاحب التفسير والمغازي والبيوع، وكان إماماً وله معرفة في الوقائع وأيام الناس. يُنظر الأعلام للزركلي، ج 1 ص 317
- (7) هو المحافظ أبو الخطاب فتادة بن دعامة البغدادي (61 - 118هـ الموافق 680 - 737م) من علماء أهل البصرة. الأقدم، مفسر، علماً بالحديث والعربية ومفردات اللغة والنسب وأيام العرب. توفي بواسط في الطاعون. يُنظر شذرات الذهب لابن العماد الحنبلي، ج 2 ص 80 - 81 والأعلام للزركلي، ج 5 ص 189
- (8) سورة البقرة، الآية 1

منان، وقال: كهيحص إته ثناء من الله تعالى علي نفسه،⁽¹⁾ والكاف يدل علي كونه كافياً، والماء يدل علي كونه هادياً، والعين يدل علي العالم، والصاد يدل علي الصادق. وروى الإمام الطبري عن ابن عباس رضي الله عنه: "أنه حمل الكاف علي الكبير والكرم، والياء علي أنه يجر، والعين علي العزيز والعدل".⁽²⁾ يقول الإمام الرازي بعد هذا القول: "الفرق بين هذين الوجهين أنه في الأول خصص كل واحد من هذه الحروف ب اسم معين، وفي الثاني ليس كذلك".

● 6- بعضها يدل علي أسماء الذات، وبعضها علي أسماء الصفات: قال ابن عباس رضي الله عنه: "لم أنا الله أعلم، وفي المص أنا الله أفضل، وفي الر أنا الله أرى"، كما روي عن سعيد بن جبير في قوله الله تعالى: {الم}، قال: أنا الله أعلم.⁽³⁾ وعن ابن الضحاك⁽⁴⁾، في قول الله تعالى: {الر}، أنا الله أرى.⁽⁵⁾

● 7- كل واحد منها يدل علي صفات الأفعال: قال الإمام محمد بن كعب القرظي: الألف الآؤه، واللام لطفه، والميم مجده وقال الربيع بن أنس⁽⁶⁾: ما منها حرف إلا في ذكر آياته ونعمائه.

(1) تفسير الكشف والبيان للإمام النطوي، ج 1 ص 136

(2) تفسير جامع البيان للإمام الطبري، ج 18 ص 137 - 138

(3) نفس المصدر، ج 1 ص 207

(4) هو الضحاك بن مزاحم البلخي (الخراساني)، كتبه أبو القاسم (المتوفى 105 هـ الموافق 723 م): مستدر وكان يودب الأطفال. له كتاب في التفسير مات بخراسان. يُنظر تهذيب التهذيب لابن حجر العسقلاني (المتوفى: 852 هـ) ج 4 ص 543 الناشر: مطبعة دائرة المعارف النظامية، الهند. الطبعة: الطبعة الأولى، 1326 هـ. عدد الأجزاء: 12 الأعلام للزركلي، ج 3 ص 215

(5) تفسير جامع البيان للإمام الطبري، ج 15 ص 589

(6) هو الربيع بن أنس ابن زياد البكري، الخراساني، (المتوفى 139 هـ) من أهل بصره، سمع أنس بن مالك رضي الله عنه والحسن البصري وأبا العالية الرياحي. وروى عنه: سليمان التيمي والأعمش الليث ... قال أبو حاتم: صدوق. حديثه: في السنن الأربعة. يُنظر سير الأعلام النبلاء للإمام الذهبي، ج 6 ص 306

- 8- بعضها يدل على أسماء الله تعالى وبعضها يدل على أسماء غير الله: قال الإمام الضحاك: الألف من الله، واللام من جبريل، والميم من محمد صلى الله عليه وسلم أي أنزل الله الكتاب على لسان جبريل عليه السلام إلى محمد صلى الله عليه وسلم.⁽¹⁾
- 9- كل واحد من هذه الحروف يدل على فعل من الأفعال: فالألف معناه ألف الله محمدا صلى الله عليه وسلم فبعثه نبيا، واللام أي لأمه الجاحدون، والميم أي ميم الكافرون غيظوا وكذبوا بظهور الحق. وقال: الألف معناه أنا، واللام معناه لي، والميم معناه مني.
- 10- إن الله تعالى إنما ذكرها احتجاجا على الكفار: وذلك أن الرسول صلى الله عليه وسلم لما تحمّاهم أن يأتوا بمثل القرآن الكريم كما قال الله تعالى: {قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا} ⁽²⁾ أو بعشر سُور كما قال الله تعالى: {أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُورٍ مِثْلِهِ مُفْتَرِيَاتٍ وَاذْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ} ⁽³⁾، أو بسورة واحدة كما قال الله تعالى: {وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ} ⁽⁴⁾ فعجزوا عنه؛ وأنزلت هذه الحروف المقطعة تنبيها على أن القرآن الكريم ليس إلا من هذه الحروف، وأنتم قادرون عليها، وعارفون بقوانين الفصاحة والبلاغة، فكان يجب أن تأتوا بمثل هذا القرآن الكريم، فلما عجزتم عنه دل ذلك على أنه من عند الله تعالى وليس من عند البشر وهو قول الإمام الميرزا ⁽⁵⁾ واختاره من المحققين والعلماء جمع عظيم.

(1) تفسير القرآن لأبي المظفر السمعاني (المطبوع: 489هـ) ج 3 ص 75 المصحف: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم، الناشر: دار الوطن، الرياض، السعودية. الطبعة: الأولى 1418هـ الموافق 1997م. وتفسير القشيري للإمام القشيري، ج 1 ص 29 بتغير يسير

(2) سورة الإسراء، الآية 88

(3) سورة هود، الآية 13

(4) سورة البقرة، الآية 23

(5) هو محمد بن يزيد بن عبد الأكر النسائي الأزدي، المعروف به الميرزا (210 - 286هـ الموافق 826 - 899م): إمام اللغة العربية الأدب والأخبار بغداد في زمنه. من كتبه الكامل، المقتضب، إعراب القرآن ... يظهر ميز الأعلام النبلاء للإمام الذهبي، ج 10 ص 546 والأعلام للزركلي، ج 7 ص 144

- 11- إن الله تعالى إنما ذكرها لأن في التقدير كأن الله تعالى قال: اسمعوا مقطعة حتى إذا وردت عليكم مؤلفة كنتم قد عرفتموها قبل ذلك، كما أن الصبيان يتعلمون هذه الحروف أولاً مفردة ثم يتعلمون المركبات وهو قول عبد العزيز بن يحيى⁽¹⁾.
- 12- إن الكفار لما قالوا قول الله تعالى: {وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا هَذَا الْقُرْآنَ وَالْقُرْآنُ فِيهِ لَعَلُّكُمْ تَغْلِبُونَ} ⁽²⁾ وتواصلوا بالإعراض عنه أراد الله تعالى لما أحب من صلاحهم ونفعهم أن يورد عليهم ما لا يعرفونه ليكون ذلك سبباً لإسكاتهم واستماعهم لما يرد عليهم من القرآن الكريم؛ فأنزل الله تعالى عليهم هذه الحروف فكانوا إذا سمعوا قالوا كالمتعجبين: "اسمعوا إلى ما يحيى به محمد صلى الله عليه وسلم؛ فإذا أصغوا هجم عليهم القرآن الكريم فكان ذلك سبباً لاستماعهم وطريقاً إلى انتفاعهم وهو قول الإمام قطرب".

- 13- إن كل حرف منها في مدة أقوام، وآجال آخرين: روي عن ابن عباس رضي الله عنه: مرّ أبو ياسر بن أخطب برسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو قول الله تعالى: {الم. ذَلِكَ الْكِتَابُ} ⁽³⁾ ثم أتى أخوه يحيى بن أخطب وكعب بن الأشرف فسألوه عن الم وقالوا: نشدك الله الذي لا إله إلا هو أحق أمّا أتتك من السماء؟ فقال النبي صلى الله عليه وسلم: نعم كذلك نزلت، فقال يحيى بن أخطب: إن كنت صادقاً إني لأعلم أجل هذه الأمة من السنين، ثم قال: كيف ندخل في دين رجل دلت هذه الحروف بحساب الجمل على أن تنتهي أجل أمته إحدى وسبعون سنة، فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يحيى بن أخطب فهل غير هذا؟ فقال: نعم المص، فقال يحيى بن أخطب: هذا أكثر من الأول هذا مائة وإحدى وستون سنة، فهل غير هذا، قال: نعم الر، فقال يحيى هذا أكثر من الأولى والثانية، فنحن نشهد إن كنت صادقاً ما ملكت أمّتك إلا مائتين وإحدى وثلاثين سنة، فهل غير هذا؟ فقال:

(1) هو عبد العزيز بن يحيى بن عبد العزيز الكسابي (توفي 240 هـ الموافق 854م): من أهل مكة، كان فقيهاً مناظراً. وكان من تلامذة الإمام الشافعي. وقدم بغداد في أيام المأمون، له تصانيف منها: الحيد، رسالة في مناظرة لسكر البرنسي ... يُنظر شذرات الذهب لابن العماد الحنبلي، ج 3 ص 183 والأعلام للزكوي، ج 4 ص 29

(2) سورة فصلت، الآية 26

(3) سورة البقرة، الآيتان 1، 2

نعم المرء، قال يحيى: فنحن نشهد أنا من الذين لا يؤمنون ولا ندري بأي أقوالك نأخذ. فقال أبو ياسر: أما أنا فأشهد على أن أنبياءنا قد أخبرونا عن ملك هذه الأمة ولم يبينوا أنها كـم تكون، فإن كان محمد صلى الله عليه وسلم صادقاً فيما يقول إني لأراه يستجمع له هذا كله، فقام اليهود وقالوا اشبه علينا أمرك كله، فلا ندري أبالقليل نأخذ أم بالكثير؟⁽¹⁾ فذلك قول الله تعالى: {هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ}.⁽²⁾

- 14- هذه الحروف تدلّ على انقطاع كلام واستئناف كلام آخر: لأن العرب إذا استأنفت كلاماً فمن شأنهم أن يأتوا بشيء غير الكلام الذي يريدون استئنافه، فيجعلونه تنبيهاً للمخاطبين على قطع الكلام الأول واستئناف الكلام الجديد.
- 15- أن هذه الحروف لثناء أثنى الله جل جلاله به على نفسه قاله ابن عباس رضي الله عنه.⁽³⁾

- 16- إن الله تعالى أقسم بالحروف المعجمة: قال الإمام الأخفش⁽⁴⁾: إن الله سبحانه وتعالى أقسم بالحروف المعجمة لشرفها وفضلها لأنها مباني كنه المنزلة بالألسنة المختلفة ومباني أسماء الله الحسنى وصفاته العليا، وأصول كلام الأمم، بما يتعارفون ويذكرون الله ويوحدونه ثم إن الله تعالى اقتصر على ذكر البعض وإن كان المراد هو الكل، كما يقال

(1) تفسير مقاتل بن سليمان لأبي الحسن مقاتل بن سليمان البلخي (المتوفى: 150هـ)، ج 1 ص 85 - 86 المخطوط: عبد الله محمود شحاته. الناشر: دار إحياء التراث، بيروت. الطبعة: الأولى 1423هـ. تفسير جامع البيان في تأويل القرآن للإمام الطبري، ج 1 ص 217

(2) سورة آل عمران، الآية 7 تفسير الماوردي المعروف بـ التكت والتبيين للإمام الماوردي (المتوفى: 450هـ)، ج 1 ص 64 المخطوط: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم الفاضل: دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان. عدد الأجزاء: 6 (بغير يسر) وغرائب التفسير وهجائب التأويل لأبي القاسم الكرماني (المتوفى: نحو 505هـ) ج 1 ص 110 دار النشر: دار القبلة للثقافة الإسلامية، جدة، مؤسسة علوم القرآن، بيروت. عدد الأجزاء: 2

(3) تفسير الكشف والبيان للإمام الثعلبي، ج 1 ص 136

(4) هو سعيد بن مسعدة الجاشعي بالولاء، البلخي، كنيته أبو الحسن، المعروف بالأخفش الأوسط (المتوفى 215هـ الموافق 830م) عالم باللغة والأدب، نحوي، سكن البصرة، وأخذ العربية عن سيويه. من كنه: تفسير مجازي القرآن، كتاب الملوك، الاشتقاق... يُنظر شذرات الذهب لابن العماد الحنبلي، ج 3 ص 73 الأعلام للزكيلي، ج 3 ص

قرأت الحمد ويقصد به السورة كاملة، فكان الله تعالى يقول: أَلْقِمْ بِهَذِهِ الْحُرُوفِ إِنْ هَذَا الْكِتَابُ هُوَ ذَلِكَ الْكِتَابُ الْمَثْبُوتُ فِي اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ.

● 17- التكلّم بهذه الحروف: أن التكلّم بهذه الحروف المقطعة وإن كان معناداً لكلّ أحد إلا أن كونها مستناة بهذه الأسماء لا يعرفه إلا الذين هم يشتغلون بالتعلّم والاستفادة، فلما أخير الرسول صلى الله عليه وسلم عن هذه الحروف بدون أي تعلّم واستفادة في السابق؛ كان ذلك إخباراً عن الغيب، فلهذا السبب قدم الله جلّ جلاله ذكرهما ليكون أول ما يسمع من هذه السورة معجزة دالة على صدقه.

● 18- إن الله تعالى علم أن طائفة من هذه الأمة تقول بقدوم القرآن الكريم فذكر هذه الحروف المقطعة تنبيهاً على أن كلامه مؤلف من هذه الحروف، فيجب أن لا يكون قديماً.

● 19- المراد من "الم" أنه لم يكتم ذلك الكتاب: أي نزل عليكم والإمام الزيارة وإما قال الله تعالى ذلك لأن جبريل عليه السلام نزل به نزول الزائر كما قال به الإمام الماوردي. (1)

● 20- الألف إشارة إلى ما لا بد منه من الاستقامة في أول الأمر: وهو رعاية الشريعة كما قال الله تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَفْتَوْا} (2) واللام إشارة إلى الانحناء الحاصل عند المجاهدات، وهو رعاية الطريقة كما قال الله تعالى: {وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا} (3) وللميم إشارة إلى أن يصير العبد في مقام المحبة، كالدائرة التي يكون نهايتها عين بدايتها وبدايتها عين نهايتها، وذلك إنما يكون بالفناء

(1) هو علي بن محمد حبيب، أبو الحسن الماوردي (364 - 450 هـ الموافق 974 - 1058 م): من العلماء الباحثين وأقضى القضاة، ولد في البصرة، وولي القضاء في بلدان كثيرة، من مؤلفاته: أدب الدنيا والدين، الأحكام السلطانية، وتفسير التلخيص والكيون... يُنظر مشتمرات الذهب لابن العماد الحنبلي، ج 5 ص 218 والأعلام للزركلي، ج 4 ص 327

(2) سورة فصلت، الآية 30

(3) سورة العنكبوت، الآية 69

في الله تعالى بالكلية وهو مقام الحقيقة، قال الله تعالى: ﴿قُلِ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ﴾ (1).

• 21- الألف من أقصى الخلق: وهو أول مخارج الحروف، واللام من طرف اللسان وهو وسط المخارج، والميم من الشفة وهو آخر المخارج فهذه إشارة إلى أنه لا بد وأن يكون أول ذكر العبد ووسطه وآخره ليس إلا الله تعالى كما قال الله تعالى: ﴿قَفِّرُوا إِلَى اللَّهِ﴾ (2). (3)

ثم يقول الإمام الرازي بعد ذكر هذا الأقوال: القول المختار والراجح عند كثير من المحققين من الأقوال المذكورة هي: أولها: أنها أسماء السور، ويدل عليه أن هذه الألفاظ إما أن لا تكون مفهومة أو تكون مفهومة، والأول باطل، أما أولاً فلأنه لو جاز ذلك لجاز التكلم مع العربي بلغة الزنج، وأما ثانياً فلأن الله تعالى وصف القرآن الكريم أجمع بأنه هدى وذلك ينافي كونه غير معلوم. (4) كما ذكرناه في الوجه الأول. ثانيها: إن الله تعالى إنما ذكرها احتجاجاً على الكفار كما ذكرناه في الوجه العاشر. ثالثها: إن الكفار لما قالوا قول الله تعالى: ﴿وَقَالِ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا هَذَا الْقُرْآنَ وَالنَّوْءَ فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (5) كما ذكرناه وهي الوجه الثاني عشر. (6)

ثم ينقل الإمام الرازي: قول الإمام قطرب: من أن المشركين قال بعضهم لبعض: ﴿لَا تَسْمَعُوا هَذَا الْقُرْآنَ وَالنَّوْءَ فِيهِ﴾ فكان إذا تكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم في أول هذه السورة بهذه الألفاظ ما فهموا منها شيئاً، والإنسان حريص على ما منع، فكانوا يصغون إلى القرآن الكريم ويتفكرون في مقاطعه ومطالعه، وجاء أنه ربما يأتي كلام يفتر ذلك الميهم،

(1) سورة الأنعام، الآية 91

(2) سورة النازعات الآية 50

(3) يُنظر التفسير الكبير للإمام فخر الدين الرازي، ج 2 ص 252 - 254

(4) يُنظر نفس المصدر، ج 2 ص 255

(5) سورة فصلت، الآية 26 يُنظر نفس المصدر، ج 2 ص 253

(6) يُنظر نفس المصدر، ج 2 ص 257

ويوضح ذلك للمشكلة. فصار ذلك سبب إلى أن بصروا مستمعين للقرآن الكريم ومتفكرين في مطالعته ومقاطعته. (1)

استدرك الإمام شهاب الدين الألوسي علي الإمام فخر الدين الرازي في هذه القضية حيث قال في ترجيح التفويض علي التأويل: هذا ووراء هذين القولين أقوال أخشي من نقلها اللال والذي يغلب علي الظن أن تحقيق ذلك علم مستور وسر محجوب، (2) عجزت العلماء كما قال ابن عباس رضي الله عنه: وقصرت الخيول عن إدراكه، (3) ولهذا قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه: لكل كتاب سرّ وسرّ القرآن أوائل السور، (4) وقال الإمام الشعبي (5): سر الله تعالى فلا تطلبوه. (6) وقال الشاعر:

"بين المحبين سر ليس يفشيه ... قول ولا قلم للمخلق يحكيه"

فلا يعرفه بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا الأولياء رحمهم الله تعالى الورثة فهم يعرفونه من تلك الحضرة وقد تنطق لهم الحروف عما فيها (من المعاني) كما كانت تنطق لمن سبّح بكلمة الحصى وكلمة الضب والظبي صلى الله عليه وسلم كما صح ذلك من رواية

(1) يُنظر التفسير الكبير للإمام فخر الدين الرازي، ج 2 ص 257

(2) تَرْجُحُ التَّأْوِيلِ فِي تَفْسِيرِ الْأَيِّ وَالْمَثُورِ لِعَبْدِ الْقَسَّامِ الْجُرْجَانِيِّ (المثوق: 471هـ). محقق القسم الأول: طلعت صلاح الفرغان. محقق القسم الثاني: محمد أديب شكور أمير. الناشر: دار الفكر، عمان، الأردن. الطبعة: الأولى، 1430هـ الموافق 2009م. عدد الأجزاء: 2 ج 2 ص 47

(3) تفسير الكشاف والبيان للإمام الثعلبي، ج 7 ص 156

(4) نفس المصدر، ج 1 ص 136

(5) هو أبو عمرو عمار بن شواجل بن عبد الشعبي (19 - 103هـ الموافق 640 - 721م) من التابعين، وكان فقيهاً، شاعراً. من حمير، ويضرب مثل بحفظه. وكان من رجال الحديث الثقات استفضاه عمر بن عبد العزيز... يُنظر شذرات الذهب لابن العماد الحنبلي، ج 2 ص 24 - 27 والأعلام للزركلي، ج 3 ص 251

(6) تفسير الكشاف والبيان للإمام الثعلبي، ج 1 ص 136 ومعلم التنزيل في تفسير القرآن المعروف بتفسير البيهقي للإمام البيهقي (المثوق: 510هـ) ج 1 ص 80 المحقق: عبد الرزاق المهدي. الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت. الطبعة: الأولى 1420هـ. عدد الأجزاء: 5

أجدادنا أهل البيت رضي الله عنهم بل متى جنى العبد ثمرة شجرة قرب النوافل علمها وغيرها يعلم الله تعالى الذي لا يعزب عن علمه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء. (1)

ثم يتكلم الإمام الألوسي عن قول الإمام فخر الدين الرازي وهو: "وما استدلل به أنه لو لم تكن مفهومة كان الخطاب بما كالمخاطب بالمهمل ... فمهمل من القول وإن جل قائله لأنه إن أراد إفهام جميع الناس فلا يُسلم أنه موجود في العلمية وإن أراد إفهام المخاطب بما وهو هنا الرسول صلى الله عليه وسلم فهو مما لا يشك فيه مؤمن وإن أراد به الناس جميعاً فيا حيثهلاً إذ أرباب الذوق يعرفونها وهم كثيرون في الحمدتين والحمد لله". (2)

التحليل والمناقشة:

ذكر الإمام الزمخشري في تفسير حروف المقطعات ثلاثة وجوه على النحو الآتي:

- أحدها: هي أسماء للسور (3) كما قال زيد بن أسلم (4) وعليه إطباق الأكتفين. (5) ثم قال عن هذا القول: "بأنها حقيقة: يخرج إلى ما ليس في لغة العرب، ويؤدي أيضاً إلى صيرورة الاسم والمسمى واحداً". ثم يذكر الاعتراض على هذا الوجه: "ولو قيل بأنه قول مقول على وجه الدهر وأنه لا سبيل إلى رده، وأجابه: أن له عملاً سوى ما يذهب إليه، وأنه نظير قول الناس: فلان يروي: قفا نيك، وعفت الديار". (6)

(1) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني للشيخ شهاب الدين الألوسي (النتون: 1270هـ) ج 1 ص 103 المحقق: علي عبد الباري عطية الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت. الطبعة: الأولى، 1415 هـ. عدد الأجزاء: 16

(2) تفسير روح المعاني للإمام الألوسي، ج 1 ص 103 - 104

(3) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز للإمام ابن عطية الأندلسي الحاربي (النتون: 542هـ)، ج 1 ص 82 المحقق: عبد السلام عبد الشافي محمد. الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت. الطبعة: الأولى 1422هـ.

(4) هو زيد بن أسلم العدوي العمري، كنيته أبو أسامة أو أبو عبد الله (النتون 136هـ. للوافق 753م): فقيه ومفسر، من الموالي، من أهل المدينة. وكان مع عمر بن عبد العزيز أيام خلافته. وكان من الثقات، كثير الحديث، وله حلقة في المسجد النبوي. وله كتاب في التفسير، يُنظر كتاب التهذيب لابن حجر العسقلاني، ج 3 ص 395 والأعلام للزركلي، ج 3 ص 56 - 57

(5) للكشاف عن حقائق غوامض التنزيل للإمام الزمخشري (النتون: 538هـ)، ج 1 ص 21 الناشر: دار الكتاب العربي، بيروت. الطبعة: الثالثة 1407هـ. عدد الأجزاء: 4

(6) نفس المصدر، ج 1 ص 25

• ثانيها: أن هذه الحروف لبيان أو إظهار إعجاز القرآن الكريم، وقال: أن يكون ورود هذه الأسماء هكذا مسرودة (متتابعاً) على نمط التعديد كالإيقاظ وقرع العصا لمن تحدى بالقرآن الكريم وبغرابة نظمه الجليل وكالتحريك للنظر في أن هذا المثلو عليهم وقد عجزوا عنه عن آخرهم كلام منظوم من عين ما ينظّمون منه كلامهم ليؤدّبهم النظر إلى أن يستيقنوا أن لم تتساقط مقدرتهم دونه، ولم تظهر معجزتهم عن أن يأتوا بمثله بعد المراجعات المتطاوله، ثم يذكر مهارة العرب في التكلم والحوار والخطاب وما عندهم من الفصاحة والبلاغة ولكن لما جاء في مقابلة كلام الله عزوجل فلا بد لهم من التسليم بهذا الأمر أنه كلام الله عزوجل فيقول: وهم أمراء الكلام وزعماء الحوار وهم الحراص على الساجل (النفاجر) في اقتصاب الخطب، والمتهاكون على الافتنان في القصيد والرجز، ولم يبلغ من الجزالة وحسن النظم المبالغ التي برزت بلاغة لكل ناطق، وشقت به غير كل سابق، ولم يتجاوز الحد الخارج من قوى الفصحاء، ولم يقع وراء مطامح أعين البصراء إلا لأنه ليس من كلام الإنسان بل كلام الله عزوجل. (1) ثم أيد هذا الوجه فقال: "أنه من القوة والخلاقة بالقبول بمنزل، ولناصرة على الأول أن يقول: إن القرآن إنما نزل بلسان العرب مصبوباً في أساليبهم واستعمالاتهم، والعرب لم تتجاوز ما سموا به مجموع اسمين، ولم يستم أحد منهم بمجموع ثلاثة أسماء وأربعة وخمسة". (2)

• ثالثها: أن هذه الحروف تدل على إثبات النبوة وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم أن ترد السور مصدرة بذلك ليكون أول ما يقرع الأسماع مستقلاً بوجه من الإعراب، وتكليمه من دلائل الإعجاز، ثم يقول الإمام الزمخشري: أن العرب سواء في النطق بالحروف أمياً كان أو من أهل الكتاب، بخلاف النطق بأسماء الحروف، وكان مستبعداً و مستغرباً من الأُمى التكلم به كما قال الله جل جلاله: ﴿وَمَا كُنْتُمْ تَتْلُوا مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَحْتَفُونَ بِتِيمِينِكُمْ إِذَا لَارْتَابَ الْمُنْطَلِقُونَ﴾ (3) فكان حكم النطق بذلك (مع شهرته أنه لم يقبض شيئا من أهله) حكم الأفاضل التي ذكرت في القرآن

(1) تفسير الكشاف للإمام الزمخشري، ج 1 ص 27

(2) نفس المصدر، ج 1 ص 25

(3) سورة العنكبوت، الآية 48

الكريم، التي لم تكن قريش والذين كانوا على دينهم في شيء من الإحاطة بها، أن هذه الحروف حصل إليه باللوحى من الله تعالى ويشهد بصحة نبوته صلى الله عليه وسلم، ومنزلة أن يتكلم بالبطانة (الكلام الأعجمي أو الذي لا يفهمه الجمهور) من غير أن يسمعا من أحد. (1)

رأينا هنا أن الإمام الزمخشري ذكر ثلاث وجوه في تأويل هذه الحروف المقطعات مع ذكر الأدلة فكانه يميل إلى التأويل في تفسير الحروف المقطعة.

يقول الإمام القرطبي: اختلف أهل التأويل في الحروف التي في أوائل السور، فقال عامر الشعبي وسفيان الثوري (2) وجماعة من المحدثين: "هي سر الله في القرآن، والله في كل كتاب من كتبه سر". (3) يقول بعده: "فهي من المتشابه الذي انفرد الله تعالى بعلمه، ولا يجب أن يتكلم فيها، ولكن نؤمن بها ونقرأ كما جاءت". (4) وروي هذا القول عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه. وذكر أبو الليث السمرقندي (5) عن عمر رضي الله عنه وعثمان رضي الله عنه وابن مسعود رضي الله عنهم أنهم قالوا: "الحروف المقطعة من المكتوم الذي لا يُقتر" (6) وقال أبو حاتم (7): "لم نجد الحروف المقطعة في القرآن

(1) تفسير الكشاف للإمام الزمخشري، ج 1 ص 28

(2) هو أبو عبد الله سفيان بن سعيد الثوري (97 - 161 هـ الموافق 716 - 778 م) أحد المحدثين في الحديث. وكان سيد أهل زمانه في علوم الدين والفقه. وقال أحمد بن حنبل: لا يتقدم على سفيان في قلبي أحد. من كتبه: الجامع الكبير والجامع الصغير. يُنظر شذرات الذهب لابن العماد الحنبل. ج 2 ص 274 - 275 والأعلام للزركلي، ج 3 ص 104 - 105

(3) الكشف والبيان للإمام العيني، ج 1 ص 136

(4) تفسير المحرر الوجيز للإمام ابن عطية، ج 1 ص 82

(5) هو أبو الليث نصر بن محمد بن إبراهيم السمرقندي (المتوفى سنة 373 هـ الموافق 983 م) الإمام والفقيه والحديث الزاهد الصوفي لللقب بإمام الهدى: من الخفية. من كتبه تنبيه الغافلين، وتفسير القرآن، شرح الجامع الصغير... يُنظر سير الأعلام النبلاء للإمام الذهبي. رقم الترجمة: 230 ج 16 ص 322 - 323 الأعلام للزركلي، ج 8 ص 27

(6) تفسير السمرقندي للسنن بحر العلوم لابي الليث السمرقندي (المتوفى: 375 هـ) ج 1 ص 87 تحقيق وتعليق: الشيخ علي محمد مغرّض، والشيخ عادل أحمد عبد الموجود، والدكتور زكريا عبد الحميد النوري، كلية اللغة العربية جامعة الأزهر. طبع من: دار الكتب العلمية بيروت لبنان. الطبعة: الأولى 1413 هـ الموافق 1993 م.

(7) هو محمد بن إدريس بن المنذر بن داود بن مهران الحنظلي (195 - 277 هـ الموافق 810 - 890 م) الحافظ، الثقة، صنّف في الفقه والاحتلاف الصحابة والتابعين وعلماء الأمصار هو صاحب المسح والتعديل، والعلل، من كتبه:

إلا في أوائل السور، ولا ندرى ما أراد الله تعالى بها". ثم يقول الإمام القرطبي: ومن هذا المعنى ما ذكره أبو بكر الأنباري⁽¹⁾: "إن الله تعالى أنزل هذا القرآن فاستأثر به ما شاء، وأطلعكم على ما شاء، فأما ما استأثر به لنفسه فلستم بتأليه فلا تسألوا عنه، وأما الذي أطلعكم عليه فهو الذي تسألون عنه وتخبرون به، وما بكل القرآن تعلمون، ولا بكل ما تعلمون تعلمون". يقول الإمام بعد ذكر هذه الروايات: "هذا يوضح أن حروفا من القرآن الكريم شئت معانيها عن جميع العالم، اختباراً من الله جل جلاله وامتحاناً، فمن آمن بما أتى به وسُعد، ومن كفر وشكَّ أثم وبعث: عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: "مَا آمَنَ مُؤْمِنٌ أَفْضَلَ مِنْ إِيْمَانٍ بِتَيْبٍ"⁽²⁾ ثم قرأ قول الله تعالى: {الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ} "⁽³⁾ وهذا القول في المشابهة وحكمه الصحيح.⁽⁴⁾

ثم يقول الإمام قرطبي: وقال جمع من العلماء كبير بل يجب أن نتكلم فيها، ونلتبس الفوائد التي تحتها، والمعاني التي تخرج عليها، واختلفوا في ذلك على أقوال عديدة، وذكر بعض الأقوال التي ذكرناه عن الإمام الرازى على سبيل المثال: أن الحروف المقطعة اسم الله الأعظم، أو هي أسماء للسور. أو هي أقسام أقسم الله تعالى بها، أو اسم من أسماء القرآن، أو هي حروف دالة على أسماء أخذت منها وحُذفت بقيتها، مثل الألف من الله، واللام من جبريل، والميم من محمد صلى الله عليه وسلم وما إلى ذلك. ونقل في الأخير ما روي عن محمد

طبقات التابعين، وتفسير القرآن العظيم ... يُنظر شذرات الذهب لابن العماد الحنبلي، ج 4 ص 139 - 140

والأعلام للزركلي، ج 6 ص 27

(1) هو ابن الأنباري أبو بكر محمد بن القاسم بن بشار (271 - 328 هـ الموافق 884 - 940 م) النحوي اللغوي من أعلم أهل النسر في الأدب واللغة. سمع في صفوه من الكندي وإسماعيل القاضي وأخذ عن أبيه وتعلب وغيرهم. من كتبه الزاهر في اللغة، وغريب الحديث ... يُنظر شذرات الذهب لابن العماد الحنبلي، ج 4 ص 152 والأعلام

للزركلي، ج 6 ص 334

(2) تفسير تفسير القرآن العظيم للإمام ابن حاتم، ج 1 ص 36

(3) سورة البقرة، الآية 3

(4) الجامع لأحكام القرآن المعروف بتفسير القرطبي للإمام القرطبي (المتوفى: 671 هـ) ج 1 ص 154 - 155

تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، الناشر: دار الكتب المصرية، القاهرة. الطبعة: الثانية، 1384 هـ الموافق 1964 م.

عدد الأجزاء: 20 جزءاً و10 مجلدات

بن علي الترمذي⁽¹⁾ أنه قال: إن الله تعالى أودع جميع ما في تلك السورة من الأحكام والقصص في الحروف التي ذكرها في أول السورة، ولا يعرف ذلك إلا نبي صلى الله عليه وسلم أو ولي ثم بين ذلك في جميع السورة لثبوت الناس⁽²⁾.

فهم من كلام الإمام القرطبي أنه رجح في تفسير الحروف المقطعة التفويض إلى علم الله تعالى غير التأويل، والله أعلم.

ذكر الإمام البيضاوي⁽³⁾ في تفسير الحروف المقطعة عدة أقوال، كما يلي:

- القول الأول: "هي أسماء للسور، وعليه إطباق الأكثر"، كما قاله الإمام الزمخشري⁽⁴⁾، ثم يقول: "سُمِّيَتْ بِهَا إِشْعَارًا بِأَنَّهَا كَلِمَاتٌ مَعْرُوفَةٌ التَّرْكِيبُ فَلَوْ لَمْ تَكُنْ وَحِيًّا مِنْ اللَّهِ تَعَالَى لَمْ تَتَسَاقَطْ مَقْدَرُهُمْ دُونَ مَعَارِضَتِهَا"، وقال مثل ما قاله الإمام الرازي⁽⁵⁾: "وَاسْتَدَلَّ عَلَيْهِ بِأَنَّهَا لَوْ لَمْ تَكُنْ مَفْهُمَةً كَانِ الْخَطَابُ بِهَا كَالْخَطَابِ بِالْمُهْمَلِ وَالتَّكْلِمُ بِالزُّنْجِيِّ مَعَ الْعَرَبِيِّ، وَلَمْ يَكُنِ الْقُرْآنُ الْكَرِيمَ بِأَسْرِهِ بَيَانًا وَهَدًى. وَلِمَا أَمْكَنَ التَّحْدِيدَ بِهِ وَإِنْ كَانَتْ مَفْهُمَةً، فَمَا أَنْ يَرَادَ بِهَا السُّورُ الَّتِي هِيَ مَسْتَهْلَةٌ عَلَى أَنَّهَا الْكَلِمَاتُ، أَوْ غَيْرَ ذَلِكَ". ثم يقول: "وَالثَّانِي بَاطِلٌ لِأَنَّهُ إِمَّا أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ مَا وَضَعَتْ لَهُ فِي لُغَةِ الْعَرَبِ فِظَاهِرٌ أَنَّهُ لَيْسَ كَذَلِكَ، أَوْ غَيْرُهُ وَهُوَ بَاطِلٌ لِأَنَّ الْقُرْآنَ الْكَرِيمَ نَزَلَ عَلَى لُغَتِهِمْ لِقَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: {بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ}⁽⁶⁾ فَلَا يَحْمَلُ عَلَى مَا لَيْسَ فِي لُغَتِهِمْ. لَا

(1) هو محمد بن علي بن الحسن بن بشر، الحكيم الترمذي أبو عبد الله (المتوفى 320هـ الموافق 932م): صوفي، باحث، عالم بالحديث وأصول الدين. من أهل (ترمذ) نفي منها بسبب تصنيفه كتابا يخالف فيه ما عليه أهلها. من كتبه، فعمتها نواتج الأصول في أحاديث الرسول، الرياضة وأدب النفس، الصلاة ومقاصدها... يُنظر سير الأعلام النبلاء للإمام الذهبي، ج 10 ص 466 والأعلام للزركلي، ج 6 ص 272

(2) يُنظر تفسير الجامع لأحكام القرآن للإمام القرطبي، ج 1 ص 156

(3) هو عبد الله بن عمر بن محمد بن علي الشيرازي، ناصر الدين البيضاوي أبو سعيد (المتوفى 685هـ الموافق 1286م): مفسر، فاضل، علامة. ولد في مدينة البيضاء. من تصانيفه تفسير البيضاوي، ونداهج الوصول إلى علم

الأصول... يُنظر شذرات الذهب لابن العماد الحنبلي، ج 7 ص 685 - 686 والأعلام للزركلي، ج 4 ص 110

(4) تفسير الكشاف للإمام الزمخشري، ج 1 ص 25

(5) يُنظر التفسير الكبير للإمام فخر الدين الرازي، ج 2 ص 255

(6) سورة الشعراء، الآية 195

يقال: لم لا يجوز أن تكون مزيدة للتببيه؟ والدلالة على انقطاع كلام واستئناف آخر؟ كما قال الإمام قطرب".

● القول الثاني: إشارة إلى كلمات هي منها اقتضرت عليها اقتصار، كقول الشاعر:
"قلتُ لها قفي فقالتُ قافٌ - أي وقفتُ"،

قال ابن عباس رضي الله عنهما قال: الألف آلاء الله... كما قال به الإمام الرازي في وجه الثامن.

● القول الثالث: إشارة إلى مُدد أقوام وآجال يحساب الجُمْل ... كما قال به الإمام الرازي في وجه الثالث عشر.⁽¹⁾ ثم يقول الإمام البيضاوي: "فإن تلاوت النبي صلى الله عليه وسلم هذه الحروف عليهم بهذا الترتيب وتقريرهم على استنباطهم دليل عليه، وهذه الدلالة وإن لم تكن عربية لكنها لاشتهارها فيما بين الناس حتى العرب تلحقها بالمعربات مثل السلجول والمشكاة والقسطاس".

● القول الرابع: "أنه دلالة على الحروف للمبسوطة مقسماً بما لفضائها وشرفها من حيث إنها بسائط أسماء الله تعالى ومادة خطابه".⁽²⁾

ثم نقد الإمام البيضاوي على هذه الأقوال فقال في نقد القول الأول: "إن القول بأغما أسماء الشور يخرجها ما ليس في لغة العرب، لأن التسمية بثلاثة أسماء فصاعداً مستكره عند أهل العرب ويؤدي إلى اتحاد الاسم والمسمى، ويتطلب أو يستدعي تأخر الجزء عن الكل من حيث إن الاسم متأخر عن المسمى بالرتبة، لأننا نقول: إن هذه الألفاظ لم تعهد مزيدة للتببيه والدلالة على الانقطاع والاستئناف يلزمها وغيرها من حيث إنها فواتح الشور، ولا يقتضي ذلك أن لا يكون لها معنى في جيزها ولم تستعمل للاختصار من كلمات معينة في لغتهم". وقال في نقد القول الثاني: "أن هذا الشعر شاذ، وأما قول ابن عباس رضي الله عنه فتببيه على أن هذه الحروف مبادئ الخطاب ومنبع الأسماء وتمثيل بأمثلة حسنة، ألا تنظر أن ابن عباس رضي الله عنه عدّ كل حرف من الألفاظ والكلمات متباينة وليس تفسيراً". ونقده

(1) أنوار التنزيل وأسرار التأويل للإمام البيضاوي (المنقح: 685هـ)، ج 1 ص 35 المحقق: محمد عبد الرحمن المرعشلي.

الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت. الطبعة: الأولى، 1418هـ.

(2) نفس المختصر، ج 1 ص 34

على القول الثالث: "وتخصيص بهذه المعاني دون غيرها إذ لا يخصص لفظاً ومعنى ولا بحساب الجمل فتلحق بالمعربات"، ثم يقول: الحديث المذكور ليس دليل في هذه القضية، لجواز أن الرسول صلى الله عليه وسلم تبسم تعجباً من جهلهم، أما جعلها مقسماً بما يجوز إلى إضمار أشياء لا دليل عليها، وإن كان غير ممتنع. ولقده على القول الرابع: "أن التسمية بثلاثة أسماء إذا ركبت ويجعلت اسماً واحداً على طريقة بعلبك تمتنع، ولكن أما إذا نشرت نشر أسماء العدد فلا، وماهيك بتسوية سيبويه بين التسمية بالجملة والبيت من الشعر وطائفة من أسماء حروف المعجم، والمسمى هو مجموع السورة والاسم جزؤها فلا اتحاد، وهو مقدم من حيث ذاته مؤخر باعتبار كونه اسماً، فلا دور لاختلاف الجهتين". يقول الإمام البيضاوي في الأخير: "القول الأول (هي أسماء للسور) أقرب إلى التحقيق وموافق للطائف التنزيل وأسلم من لزوم النقل ووقوع الاشتراك في الأعلام من واضح واحد فإنه يعود بالنقض على ما هو مقصود بالعلمية".

ثم ذكر الإمام البيضاوي عدة أقوال: "إن هذه الحروف المقطعة أسماء القرآن الكريم ولذلك أُخبر عنها بالكتاب والقرآن. وإنما أسماء الله جل جلاله ويدل عليه أن علياً رضي الله عنه كان يقول: يا كهيعص، ويا جمسق، ولعله أراد يا مُنزلهما. والألف: من أقصى الخلق وهو مبدأ للخارج، واللام: من طرف اللسان وهو أوسطها، والميم: من الشفة وهو آخرها جمع بينها لئلا إلى أن العبد ينبغي أن يكون أول كلامه وأوسطه وآخره ذكر الله تعالى"، كما قاله الإمام الرازي وقد ذكرناه في السابق. ويقول في آخره: "إنه سرٌّ استأثر الله بعلمه كما قال به الخلفاء الأربعة رضي الله عنهم وغيرهم من الصحابة رضي الله عنهم ما يقرب منه، ولعلهم أرادوا أنها أسرار بين الله سبحانه وتعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم ورموز لم يقصد بها إلهام غيره إذ يعبد الخطاب بما لا يفيد".⁽¹⁾ رأينا قول الإمام البيضاوي فكأنه يميل إلى تفويض الحروف المقطعة إلى علم الله تعالى. والله أعلم

(1) تفسير أنوار التنزيل للإمام البيضاوي، ج 1 ص 35

الشيخ الطاهر ابن عاشور⁽¹⁾ نوع الحروف المقطعة في ثلاثة أنواع ثم ذكر في كل النوع وجوه مختلفة مع ذكر من قال بذلك الوجه وأدلتها وجموع هذه الأقوال إحدى وعشرين قولاً، ولكن معظم الوجوه التي ذكرها ابن عاشور هي التي قال بها الإمام الزمخشري وخاصة الإمام الرازي فالوجوه التي ذكرناها في السابق نُشير إليه فقط، أما الوجوه التي ذكرها جديداً فنذكرها بالتفصيل، على النحو الآتي:

❖ النوع الأول: ذكر الشيخ ابن عاشور في النوع الأول ثمانية أقوال وقال:

"أن هذه الحروف رموز اقتضت من كَلِم أو جُمْل، فكانت أسراراً يفتح غلقها مفاتيح أهل المعرفة"، كما يلي:

● الأول: "أنها علم أسماء الله تعالى به، كما روي عن الخلفاء الأربعة ولعلمهم يبتون إطلاع الله على المقصود منها رسوله صلى الله عليه وسلم"، وقاله الإمام الشعبي وسفيان الثوري كما ذكرناه.

● الثاني: "أنها حروف مقتضبة من أسماء وصفات لله عز وجل المفتحة بحروف مماثلة لهذه الحروف المقطعة كما روي عن ابن عباس رضي الله عنه فألم مثلاً الألف إشارة إلى أحد أو أول أو أزلي، واللام إلى لطيف، والميم إلى ملك أو مجيد، ونحو ذلك، وعلى هذا يحتاج في بيانها إلى توقيف وأنى لهم به".

● الثالث: "أنها رموز لأسماء الله تعالى وأسماء الرسول صلى الله عليه وسلم والملائكة فألم مثلاً، الألف من الله، واللام من جبريل، والميم من محمد"، كما قاله الإمام الرازي في وجه الثامن.

● الرابع: جزم الشيخ محي الدين: "أن هاته الحروف المقطعة في أوائل الصور أسماء للملائكة وأنها إذا تليت كانت كالدعاء للملائكة فتصغي أصحاب تلك الأسماء إلى ما يقوله التالي بعد النطق بها، فيقولون صدقت إن كان ما بعدها خير،

(1) هو محمد الطاهر بن عاشور (1296 - 1393 هـ الموافق 1879 - 1973 م) رئيس المفتين المالكيين وخبير الجامعة الزيتونة وفروعه بتونس. مولده ووفاته ودراسته بها. عتق شيخاً للإسلام مالكيًا. كان من أعضاء الجمعيتين العربيتين في دمشق والقاهرة. من كتبه: مقاصد الشريعة الإسلامية، وأصول النظام الاجتماعي، والتفسير التحرير والتنوير... يُنظر الأعلام للزركلي، ج 6 ص 174

ويقولون هذا مؤمن حقا نطق حقا وأخبر بحق فيستغفرون له"، يقول ابن عاشور في هذا الوجه: "وهذا لم يقله غيره وهو دعوى".

● الخامس: قال الشيخ محمد بن صالح⁽¹⁾: "أما رموز كَلِّها لأسماء النبي صلى الله عليه وسلم وأوصافه خاصة، وأيضاً قال: إن كل حرف من حروف الهجاء في فواتح السور مكنيّ به عن طائفة من أسمائه الكريمة وأوصافه الخاصة، فالألف مكنيّ به عن جملة أسمائه المفتحة بالألف كأحمد وأبي القاسم واللام مكنيّ به عن صفاته مثل لب الوجود، واليم مكنيّ به عن محمد ونحوه مثل مبشر وسندر، فكُلها منادى بحرف نداء مقدر بدليل ظهور ذلك الحرف في يس". يقول ابن عاشور في هذا الوجه: "ولم يعز هذا القول إلى أحد".

● السادس: أنها رموز لمدة دوام هذه الأمة بحساب الجمل ثم أشار إلى القصة ما ذكرناه في قول الإمام الرازي في الوجه الثالث عشر، قال الشيخ ابن عاشور بعده: "وليس في جواب رسول الله صلى الله عليه وسلم إياهم بعنة حروف أخرى من هذه الحروف في أوائل السور تقرير لاعتبارها رموزاً أو إشارة لأعداد مدة هذه الأمة المباركة، وإنما أراد النبي صلى الله عليه وسلم إبطال ما فهموه بإبطال أن يكون مفيداً لما زعمهم على نحو الطريقة، التي تسمى بالنقض في الجدل، ومرجعها إلى المنع والمنازع لا مذهب له. وأما ضحك الرسول صلى الله عليه وسلم فهو تعجب من جهلهم"⁽²⁾.

● السابع: "أما رموز كل حرف رمز إلى كلمة فنحو: {الم} أنا الله أعلم، و{الم} أنا الله أرى، و{المصر} أنا الله أعلم وأفضل". ثم يقول: "ويوهنه أنه لا ضابط له لأنه أخذ مرة بمقابلة الحرف بحرف أول الكلمة، ومرة بمقابلته بحرف وسط

(1) هو محمد بن صالح بن مجدي بن ملوكة التونسي (المتوفى 1276 هـ الموافق 1860 م): المعروف بابن ملوكة التونسي، من الفقهاء المالكية، عالم بالفرائض والحساب. كان مدرسا في جامع الزيتونة. من كتبه الشرح الصغير على الدرّة البيضاء، وتفسير سورة الفاتحة، ورسائل في فواتح السور... الأعلام للزركلي، ج 6 ص 164

(2) يُنظر تفسير الصحير والتنوير "مخبر المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد" للشيخ ابن عاشور (المتوفى: 1393 هـ) ج 1 ص 208 - 209 الناشر: الدار التونسية للنشر، تونس. سنة النشر: 1984 هـ. عدد

الكلمة أو آخرها. ونظروه بأن العرب قد تعكلم بالحروف المقطعة بدلا من كلمات تتألف من تلك الحروف نظماً ونثراً، وذكر الشيخ ابن عاشور أمثلة من كلام شعراء العرب ومن الحديث: ومن ذلك قول زهير:

"بالخير خيرات وإن شر فإ... ولا أريد الشر إلا أن تا

أراد وإن شر فشر وأراد إلا أن تشأ، فأتى بحرف من كل جملة".

وقال الوليد بن المغيرة رضي الله عنه عامل عثمان رضي الله عنه مخاطباً عدي بن حاتم رضي الله عنه: "قلتُ لها قفي لنا قالت قاف... لا تحسبني قد نسيتُ الإيلاف"،

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: "قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: مَنْ أَعَانَ عَلَى قَتْلِ مُؤْمِنٍ وَوَلُو بِشَطْرِ كَلِمَةٍ" (1) وقال شقيق رحمه الله تعالى (2): "هو أن يقول أي مكان أقتل". وفي الحديث أيضاً: "كفى بالشئف شأهنا" (3) وقال الشاعر:

"فلم يقم إلا بمقدار ما... قلت له أهلاً وسهلاً ومر... أراد بعض كلمة مرحباً"،

يقول الشيخ ابن عاشور بعد ذكر هذه الأمثلة: أتى ذكر أمثلة كثيرة في شواهد هذا الاستعمال الغريب ولكن لا أريد به تصحيح حمل حروف فواتح السور عليه لأنه لا يُحسن تخريج القرآن الكريم عليه وليس معها ما يُشير إليه مع التورية بجعل مرّ من المرور.

(1) أخرجه الإمام ابن ماجه في سننه (المشوق: 273هـ) كتاب الديانة باب التغليظ في قتل مسلم ظلماً، رقم الحديث: 2620 ج 2 ص 873 تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي. الناشر: دار إحياء الكتب العربية، فيصل عيسى البابي الحلبي. عدد الأجزاء: 2

(2) هو شقيق بن إبراهيم بن علي الأزدي البلخي، كنيته أبو علي (المشوق: 194هـ الموافق 810م): زاهد وصوفى، من مشاهير وكبار المشايخ في خراسان. تكلم في علوم الأحوال (الصوفية)، وكان من كبار المجاهدين. استشهد في غزوة كولان. يُنظر شذرات الذهب لابن العماد الحلبي، ج 2 ص 442 والأعلام للزركلي، ج 3 ص 171

(3) أخرجه الإمام ابن ماجه في سننه، كتاب الحدود باب الرجل يحد مع امرأته رجلاً، رقم الحديث: 2606 ج 2 ص 868

● الثامن: أنها إشارات إلى أحوال من تركيبة القلب، المراد منه أن جميع الحروف التي وقعت في أوائل سُور القرآن الكريم مع تكرار الحروف ثمانية وسبعون حرفاً والثمانية هنا هي حقيقة البضع حصل له ذلك بالكشف فيكون عدد الحروف ثمانية وسبعين وقد قال الرسول صلى الله عليه وسلم: "الإيمانُ بضعٌ وسبعمونَ شُعْبَةً" (1) فهذه الحروف هي شُعب الإيمان، ولا يتم لأحد أسرار الإيمان حتى يعرف حقائق هذه الحروف في سُورها. ثم يقول: "وكيف يزعم زاعم أنها واردة في معان غير معروفة مع ثبوت تلقي السامعين لها بالتسليم من مؤمن ومعاقد، ولولا أنهم فهموا منها معنى معروفا دلّت عليه القرائن لمسأل السائلون وتوزك المعاندون". نقد القاضي أبو بكر بن العربي (2) على هذا القول فقال: "لولا أن العرب كانوا يعرفون لها مدلولاً متداولاً بينهم لكانوا أول من أنكر ذلك على رسول الله صلى الله عليه وسلم بل تلا عليهم حم فصلت، وص غير ذلك من السُور فلم يتكروا ذلك مع تشوّفهم إلى عشرة وحرصهم على زلّة"، يقول الشيخ ابن عاشور: "وقد سألوا النبي صلى الله عليه وسلم عن أوضح من هذا كما ذُكر في قول الله تعالى: {قَالُوا وَمَا الرَّعْنُ؟} (3)، وأما ما استشهدوا به من بيت زهير وغيره فهو من نوادر كلام العرب، ومما أخرج مخرج الألفاظ والتعليح وذلك لا يناسب مقام الكتاب الجيد" (4).

❖ النوع الثاني: ذكر الشيخ ابن عاشور في هذا النوع أربعة قولاً وقال: "إن هذه الحروف بتلك الهيئات وضعت أسماء أو أفعالاً".

(1) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (المعروف: 261هـ) كتاب الإيمان، باب شعب الإيمان، رقم الحديث: 35 ج 1 ص 63 المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي. الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت. عدد الأجزاء: 5

(2) هو حمد بن عبد الله بن محمد النعماني الأنشلي المالكي (468 - 453هـ الموافق 1076 - 1148م)، أبو بكر ابن العربي: ملثراً، قاض، من حفاظ الحديث. ولد في إشبيلية، ورحل إلى المشرق له تآثر في الأدهب، ولي قضاء إشبيلية. من كتبه العواصم من القواصم، وعارضة الأحمدي في شرح الترمذي، وأحكام القرآن ... يُنظر شذوات الذهب لابن العماد الحنبلي، ج 6 ص 232 والأعلام للزركلي، ج 6 ص 230

(3) سورة الفرقان، الآية 60

(4) يُنظر تفسير التحرير والتنوير للشيخ ابن عاشور، ج 1 ص 207 - 211

● التاسع: أنها أسماء للشور، واختاره جماعة من الأئمة والعلماء والمتكلمين منهم الإمام الزمخشري والإمام فخر الدين الرازي كما ذكرنا عنهما أيضاً، ثم يقول الشيخ ابن عاشور: "أن هذا القول بعيد لأن الشأن أن الاسم لا يدخل في المسمى، ونجد أن هذه الحروف يُقرأ مع الشور وعليه إجماع المسلمين، على أنه يرده اتحاد هذه الحروف في عدة سور مثل الم، والر، وح. ولكن أنه لم توضع أسماء للشور الأخرى في أوائلها".

● العاشر: إن هذه الحروف أسماء للقرآن الكريم كما قال به الإمام الرازي وأيضاً جماعة من العلماء، يقول الشيخ ابن عاشور بعد ذكر هذا الوجه: "ولكن القول يبطل بأنه قد وقع بعد بعض هذه الحروف في كلام الله تعالى ما لا يناسبها لو كانت أسماء للقرآن الكريم⁽¹⁾ نحو قول الله تعالى: {الم. عَلِيَّتِ الرَّوْحُ} ⁽²⁾، وقول الله تعالى: {الم أَحْسِبَ النَّاسُ} ⁽³⁾".

● الحادي عشر: أن كل حروف مُرْتَبِة منها هي اسم من أسماء الله كما قال به الإمام الرازي في الوجه الثاني، ورؤي عن علي رضي الله عنه: أنه كان يقول يا كعبص ... الشيخ ابن عاشور نقد هذا القول وقال: "ويبطل هذا القول بسبب عدم الارتباط بين بعضها وبين ما بعده لأن يكون خيراً أو مثله عن اسم الله تعالى كقول الله تعالى: {الم. ذَلِكَ الْكِتَابُ} ⁽⁴⁾. قول الله تعالى: {المص. كِتَابٌ أَنْزَلُ} ⁽⁵⁾".

● الثاني عشر: هي أفعال فإن حروف قول الله تعالى: {المص. كِتَابٌ} فعل {الم} بمعنى نزل فالمراد قول الله تعالى: {الم. ذَلِكَ الْكِتَابُ} أي نزل عليكم كما قال به الإمام الرازي في الوجه التاسع عشر، ثم يقول الشيخ ابن عاشور: "أن هذا القول يبطل حيث أنها لا تقرأ بصيغ الأفعال لأن هذا لا

(1) يُنظر تفسير التحرير والتوير للشيخ ابن عاشور، ج 1 ص 211

(2) سورة الروم، الأيتان 1، 2

(3) سورة العنكبوت، الأيتان 1، 2

(4) سورة البقرة، الأيتان، 1، 2

(5) سورة الأحرف، الأيتان 1، 2

ينائي في جميعها مثل: {كهيعص} و{الر} و{المص}، ولولا غرابة هذا القول لكان حرجاً بالإعراض عنه". (1)

❖ النوع الثالث: ذكر الشيخ ابن عاشور في هذا النوع تسعة قولاً وقال: "إن

هذه الحروف حروف هجاء مقصودة بأسمائها لأغراض داعية لذلك"، وهي كالتالي:

- القول الثالث عشر: أن هذه الحروف أقسم الله تعالى بها كما أقسم بالقلم تنوياً بها لأن مسمياتها تألفت منها أسماء الله تعالى وأصول التخاطب والعلوم كما قاله الإمام الرازي في وجه السادس عشر، يقول الشيخ ابن عاشور: "وقد وهن هذا القول بأنها لو كانت مُقسّماً بها لذكر حرف القسّم إذ لا يحذف إلا مع اسم الجلالة عند البصريين وبأنها قد ورد بعدها في بعض المواضع قسم نحو قول الله تعالى: {ن وَالْقَلَمِ} (2) وقول الله تعالى: {حم. وَالْكِتَابِ الْهُنَيْنِ} (3)، الشيخ ابن عاشور ذكر قول الإمام الزمخشري: "وقد استكروها الجمع بين قسمين على مُقسّم واحد حتى قال الإمام الخليل بن أحمد الفراهيدي في قول الله تعالى: {وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى. وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى} (4) أن الواو الثانية هي التي تضم الأسماء للأسماء أي واو العطف" (5) ثم أجاب ابن عاشور عن قول الزمخشري: "أن اختصاص الحذف باسم الجلالة يختلف فيه وأن كراهية جمع قسّمين تنفع بجعل الواو التالية لهاته الفواتح واو العطف على أنهم قد جمعوا بين قسّمين، (6) قال النابغة:

وَاللّٰهُ وَاللّٰهُ لَيَعْتَمُ الْقَتَىٰ أَل ... حَارِثُ لَا التَّكْسُ وَلَا الْحَامِلُ".

- الرابع عشر: أنها سيقت مساق التهجمي مسرودة على نمط التعديد في التهجمة نيكيتاً للمشركين وإيقاظاً لنظرهم كما قاله الإمام الزمخشري وقد

(1) يُنظر تفسير التحرير والتنوير للشيخ ابن عاشور، ج 1 ص 211 - 212

(2) سورة القلم، الآية 1

(3) سورة الزخرف، الآية 1 - 2

(4) سورة الليل، الآية 1 - 2

(5) تفسير الكشاف للإمام الزمخشري، ج 1 ص 25

(6) يُنظر تفسير التحرير والتنوير للشيخ ابن عاشور، ج 1 ص 212

ذكرناه في البداية. ثم يقول: "وهو الذي نَحْنُ نَحْتَارُهُ وتظهر المناسبة لوقوعها في فواتح السور أن كل سورة مقصودة بالإعجاز لأن الله تعالى يقول: {فَأَتُونَا بِسُورَةٍ مِّنْ مِّثْلِهِ} (1) فناسب افتتاح ما به الإعجاز بالتمهيد لمحاولته ويؤيد هذا القول أن التهجي ظاهر في هذا المقصد فلذلك لم يسألوا عنه لظهور أمره وأن التهجي معروف عندهم للتعليم فإذا ذكرت حروف الهجاء على تلك الكيفية المعهودة في التعليم في مقام غير صالح للتعليم عرف السامعون أنهم عوملوا معاملة المتعلم لأن حالهم كحالهم في العجز عن الإتيان بكلام بليغ، وقال: ويعضد هذا الوجه تعقيب هاته الحروف في غالب المواقع بذكر القرآن الكريم وتنزيله أو كتابته إلا في قول الله تعالى: {كَيْبَعُص} (2) وقول الله تعالى: {الْم} {أَحْسِبَ النَّاسُ} (3) وقول الله تعالى: {الْم عَلِمْتَ الرَّؤْمُ} (4) ووجه تخصيص بعض تلك الحروف بالتهجي دون بعض، وتكرير بعضها لأمر لا تعلمه ولعله لمراعاة فصاحة الكلام، ويؤيده أن معظم مواقع هذه الحروف في أوائل السور المكية سوى سورة البقرة على قول من جعلوها كلها مدنية وممدودة آل عمران، ثم يقول: "ولعل ذلك لأتقننا بزنا بقرب عهد الهجرة من مكة وأن قصد التحدي في القرآن الكريم للنازل بمكة قصد أوثق كما يؤيده أيضا الحروف التي أسماؤها مختلفة بألف ممدودة مثل الباء والهاء والراء والطاء والحاء قرئت فواتح السور مقصودة على الطريقة التي يتهجى بها للصبيان في الكتاب طلباً للخفة" (5).

● الخامس عشر: أنها تعليم للحروف المقطعة حتى إذا وردت عليهم بعد ذلك مؤلفة كانوا قد علموها كما يتعلم الأطفال والصبيان الحروف المقطعة، ثم يتعلمونها مركبة كما قال به الإمام الرازي في وجه الحادي عشر، يعني إذ لم يكن فيهم من يجسن الكتابة إلا بعض المدن كأهل الحيرة وبعض طيء وبعض

(1) سورة البقرة، الآية 23

(2) سورة مريم، الآية 1

(3) سورة العنكبوت، الآيات 1، 2

(4) سورة الروم الآيات، 1، 2

(5) يُنظر تفسير التحرير والتنوير للشيخ ابن عثيمين، ج 1 ص 213

قريش وكنانة من أهل مكة، ولقد تقلبت أحوال العرب في القراءة والكتابة تقلبات متنوعة في العصور المختلفة، فكانوا يبدؤن الأمر أهل كتابة لأنهم تزحوا إلى البلاد العربية من العراق بعد تبليبل الألسن، والعراق مهد القراءة والكتابة، فقد ورد في السير أنه لم يكن أحد من الأنصار يُحسن الكتابة بالمدينة المنورة وكان في أسرى المشركين يوم بدر من يُحسن ذلك فكان من لا مال له من الأسرى يُفتدى بأن يُعلم عشرة من غلمان أهل المدينة الكتابة فتعلم زيد بن ثابت رضي الله عنه في جماعة، وكانت الشفاء بنت عبد الله القرشية رضي الله عنها⁽¹⁾ تحسن الكتابة وهي علمتها لحفصة أم المؤمنين رضي الله عنها.

● السادس عشر: أنها حروف قصد منها تنبيه السامع مثل النداء المقصود به التنبيه في قولك يافتي لإيقاظ ذهن السامع وهو قول الإمام ثعلب⁽²⁾ والأخفش وهكذا أبو عبيدة⁽³⁾، وقال ابن عطية⁽⁴⁾ كما يقول في إنشاد أشهر القصائد لا ويل لا، ثم استدلل ابن عاشور بما قاله الإمام الرازي فقال: "إن الحكيم إذا خاطب من يكون مشغول البال أو محل الغفلة يُقَدِّم على الكلام المقصود شيئاً يُتَلَفَّت أو يتوجه إليه المخاطب بسبب ذلك المقدم ثم يبدأ في المقصود فيمكن

(1) هي الشفاء بنت عبد الله بن عبد شمس العلوية القرشية رضي الله عنها، أم سليمان (توفيت نحو 20 هـ الموافق 640 م): صحابية، من فضليات النساء. كانت تكتب في الجاهلية، وأسلمت قبل الهجرة، فعلمت حفصة (أم المؤمنين) الكتابة. وكان النبي صلى الله عليه وسلم يزورها، ويقبل عندها وأقطعها داراً بالمدينة. وكان عمر يقدمها في الرأي ويرعاهها ويفضلها. روت 12 حديثاً. يُنظر الأعلام للزركلي، ج 3 ص 168

(2) هو أحمد بن يحيى بن زيد بن سبلو الشيباني بالولاء، المعروف بـثعلب، كنيته أبو العباس (200 - 291 هـ الموافق 816 - 914 م) إمام الكوفيين في اللغة والنحو. وكان محدثاً ومشهوراً بالحفظ وصدق الهمزة، وكان ثقة حجة. ولد ومات في بغداد. من كتبه القضيح ومعاني القرآن، شرح ديوان زهير ... يُنظر شذرات الذهب لابن العماد الحنبلي، ج 3 ص 383 والأعلام للزركلي، ج 1 ص 267

(3) هو معمر بن الحنفية التيمي بالولاء، أبو عبيد النحوي (110 - 209 هـ الموافق 728 - 824 م) من أئمة الطيم بالأدب واللغة، من أهل بصره. ألف حوالي مائتين كتاباً منها: مجاز القرآن، فتوح أريحية، إعراب القرآن ... يُنظر شذرات الذهب لابن العماد الحنبلي، ج 3 ص 50 والأعلام للزركلي، ج 7 ص 277

(4) هو ابن عطية عبد الحسي بن غالب بن عبد الرحمن بن عطية الحاربي (481 - 542 هـ الموافق 1088 - 1148 م) كان إماماً في التفسير والفقه والعربية. من كتبه المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ... يُنظر سير الأعلام النبلاء للإمام الذهبي، ج 19 ص 587 - 588 والأعلام للزركلي، ج 3 ص 282

أن يكون ذلك المقدم كلاماً نحو النداء وحروف الاستفتاح، وقد يكون المقدم صوتاً مثل من يُصَفِّقُ لِتَقْبِيلِ عَلَيْهِ السَّامِعُ؛ فاختار سبحانه وتعالى الحكيم والعليم للتبنيه حرفاً من حروف التهجي لتكون دلالتها على قصد التبنيه متعينة إذ ليس لها مفهوم فتمحضت للتبنيه على غرض شهيم⁽¹⁾.

● السابع عشر: "أما إعجاز بالفعل وهو أن الرسول الأتي صلى الله عليه وسلم الذي لم يقرأ قد نطق بأصول القراءة كما ينطق بما تهو الكتابة فيكون النطق بما معجزة"، يقول الشيخ ابن عاشور في هذا الوجه: "أنه بين البطلان لأنه لا يَحْشُرُ عَلَى الْأَمِيِّ النَّطْقُ بِالْحُرُوفِ".

● الثامن عشر: أن الكفار كانوا يعرضون عن سماع القرآن الكريم فقالوا قول الله تعالى: {لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَعْلَمُونَ} (2) فأوردت لهم هذه الحروف ليقبلوا على طلب فهم المراد منها فيقع إليهم ما يتلوها بلا قصد كما قاله الإمام الرازي في الوجه الثاني عشر وهو قريب من القول السادس عشر: "أما حروف قصد منها تبنيه السامع مثل النداء المقصود به التبنيه في قولك يا فتى لا يقاط ذهن السامع".

● التاسع عشر: "أن هذه الحروف علامة لأهل الكتاب وُعدوا بها من قبل أنبيائهم عليهم السلام أن القرآن الكريم يُفْتَتَحُ بِحُرُوفِ مَقْطَعَةٍ".

● العشرون: علم الله تعالى أن قوماً من الأقوام سيقولون يقدم القرآن الكريم فأراهم أن القرآن مؤلف من حروف كحروف الكلام، يقول الشيخ ابن عاشور في هذا القول: "أنه وهم لأن تأليف الكلام من أصوات الكلمات أشد دلالة على حدوثه من دلالة الحروف المقطعة لقلة أصواتها، وهو قول الإمام التبريزي"، كما قاله الإمام الرازي في الوجه الثامن عشر.

(1) يُنظَرُ التَّضَمُّرَ الْكَبِيرَ لِلْإِمَامِ الرَّازِيِّ، ج 25 ص 23 - 24

(2) سورة فصلت، الآية 26

• الحادى والعشرون: "أن هذه الحروف ثناء أثنى الله به على نفسه"، (1) وهو يرجع إلى القول الأول أو الثاني كما قاله الإمام الرازى في الوجه الخامس عشر. (2)

بعد ذكر هذه الوجوه الشيخ ابن عاشور يذكر الراجعة وغير الراجعة فيقول: "هذا جماع الأقوال، ولا ريب أن قراءة جميع المسلمين إياها بأسماء حروف الهجاء ك ألف لام ميم دون أن يقرأوها مثل "الم" وأن رسمها في الخط بصورة الحروف يطل ويؤلف جميع أقوال النوع الأول ويعين لنا الاقتصار على النوع الثاني والنوع الثالث في الجملة، وما يشمله تحت هذين النوعين فيختلف مراتبهم في درجات القبول"،

ويقول الشيخ ابن عاشور عن الأقوال التالية: "أنه يطلها أن هذه الحروف لو كانت مقتضبة من أسماء أو كلمات لكان الحق أن ينطق بمسمياتها لا بأسمائها. فإذا تعين هذان النوعان وأسقطنا ما كان من الأقوال المدرجة تحتها وإياها". وهى: الثاني: أنها حروف مقتضبة من أسماء وصفات لله تعالى المفتحة بحروف ماثلة لهذه الحروف المقطعة، السابع: أنها رموز كل حرف رمز إلى كلمة، الثامن: أنها إشارات إلى أحوال من تركبة القلب، الثاني عشر: هي أفعال فإن حروف قول الله تعالى: {القص. كِتَابٌ} (3) فعل "الم" بمعنى نزل، الخامس عشر: أنها تعليم للحروف المقطعة حتى إذا وردت عليهم بعد ذلك مؤلفة كانوا قد علموها كما يتعلم والصبيان الحروف المقطعة، السادس عشر: أنها حروف قصد منها تنبيه السامع مثل النداء للمقصود به التنبيه، ثم ذكر الشيخ ابن عاشور القول الرابع، فقال: القول الرابع عشر: "كونها تلك الحروف لتبكت المعاندين وتسجيلاً لعجزهم عن المعارضة"، أو القول التاسع: "كونها أسماء للسور الواقعة هي فيها"، أو القول الثالث عشر: "كونها أقساماً أقسم بها لتشريف قدر الكتابة"، والقول الخامس عشر: تنبيه العرب الأميين إلى فوائد الكتابة لإخراجهم من حالة الأمية، ثم يقول: وأرجح هذه الأقوال الثلاثة هو أولها (القول الرابع

(1) تفسير الكشف والبيان للإمام الخطيب، ج 1 ص 136

(2) يُنظر تفسير التحرير والتنوير للشيخ ابن عاشور، ج 1 ص 212 - 215

(3) سورة الأعراف الآيتان 1، 2

عشر).⁽¹⁾ رأينا أن الشيخ ابن عاشور رجح التأويل في تفسير الحروف المقطعة على تفويضه إلى علم الله تعالى. والله أعلم

جاء الشيخ الشاه ولي الله الدهلوي⁽²⁾ من المتأخرين في تأويل الحروف المقطعة بموقف آخر عن التأويل والتفويض وكأنه جاء بالوسطية بينهما فيقول: "لكل حرف من حروف التهجي معنى بسيطاً ونستطيع أن نعبر عنه على العموم بإشارة غامضة الكلمات المتقاربة إما أن يكون متفقه معنى أو قريبه. كما يوجد في كلام الأدباء أن كل كلمة أولها نون وثانيتها فاء تدل على معنى الخروج بوجه من الوجوه مثل نفر، وكذا كل كلمة أولها فاء وثانيتها لام تدل على معنى الشق والفتح مثل فلق".⁽³⁾ ثم يقول: "أن المقطعات من أوائل السور أعلامها تدل بمعانيها الجملة على ما اشتملت السورة عليه مفصلة، كتسمية أرباب التصانيف مصنفاً بمبحث يدل علم الكتاب على حقيقة ما فيه من المعاني عند ذهن السامع. فمعنى ألم الغيب الغير المتعين بالنسبة إلى عالم الشهادة المتدنية فإن الهمزة والهاء كليهما تدل على الغيب، إلا أن الهاء غيب هذا العالم والهمزة غيب العالم المجرد ومن ههنا إطلاقهم كلمة، ومن ههنا إطلاقهم كلمة "أو" "لم" وقت الاستفهام، ووقت العطف "أو" فإن الأمر المستفهم عنه أمر منتشر، وهو الغيب بالنسبة إلى المتعين، وكذا المتردد فيه غيب، والهمزة تزداد في أوائل الأمر لتدل على معنى تخيل في ذهن المتكلم، وتفصيلاً موكول إلى مادته، واختاروا في الضمائر الهاء غيب هذا العلم، وحصل للمتعين إجمال في الجملة، واللام تدل على معنى التعيين، ومن ههنا زيادتهم اللام وقت التعريف، والميم من حيث اجتماع الشفتين عند المتكلم بما تدل على الهيولى المتدنية التي اجتمعت فيها حقائق شتى وتقيدت وآلت من الفضاء المجرد إلى مجلس التقييد والتحيز".

(1) يُنظر التحير والتنوير للطاهر ابن عاشور، ج 1 ص 215 - 216

(2) هو أحمد بن عبد الرحيم الفاروقي الدهلوي الهندسي، لللقب به شاه ولي الله، لهو عبد العزيز، (1110 - 1176هـ الموافق 1699 - 1762م) فقيه حنفي ومن المخالفين. من أهل دهلوي بالهند. من كتبه الفوز الكبير في أصول التفسير،

فتح الخبير بما لا بد من حفظه في علم التفسير، حجة الله البالغة ... يُنظر الأعلام للزركلي، ج 1 ص 149

(3) يُنظر للتفصيل الفوز الكبير في أصول التفسير ولبه فتح الخبير بما لا بد من حفظه في علم التفسير كلاماً للشاه ولي

الله الدهلوي (الترقي 1176هـ)، ص 84 الناشر: قديمي كتب خانة، آرام باج، كراتشي - 1.

قال الإمام الدهلوي: "فالْحاصل أن "ألم" كناية عن الفيض المجرد تقييد في عالم التمييز والتمييز، وتعين بحسب عاداتهم وعلومهم، وصادم قسوة قلوبهم بالتذكير، وصادم أقوالهم الفاسدة وأعمالهم الكاسدة بالحاجة وتحديد البر والإثم، والسورة بتمامها تفصيل هذا الإجمال وإيضاح الإهام". ثم يقول: "في والطاء والصاد تدلان على حركة الإرتفاع من العالم المتدنس إلى العالم العلوي، لكن الطاء تدل على عظم ذلك المتحرك وفخامته، مع تلوثه وتدنسه، والصاد على صفائه ولطافته، والسين تدل على السريان والتلاشي وانتشاره في الأفاق كلها، فـ"طه" منازل الأنبياء هي آثار توجههم إلى العالم العلوي، بحيث تتكون لهم صورة غيبية في هذا العالم بالبيان الإجمالي وذكرهم في الكتب، ومثله "طسم" منازل الأنبياء التي هي آثار حركاتهم الفوقية حتى سرت في عالم المتدنس، وانتشرت في الأفاق. والحاء معناه ما ذكرنا من معنى الهاء إلا أنه إذا استصحب التشعشع والظهور والتميز يعبر عن هذه المعاني بالحاء، فمعنى "حم" إجمال نوراني متشعشع اتصل بما تخصص به العالم للمتدنس من العقائد الباطلة والأعمال الفاسدة، وهو كناية عن رد أقوالهم وظهور الحق في الشبهات والمناظرات وما ألفوه من العادات، والعين تدل على التعيين والظهور المتشعشع. والقاف مثل الميم، تدل على هذا العالم لكن من جهة القوة والشدة، والميم من جهة إجماع الصور فيه وتراكمها، فـ"عسق" معناه حق متشعشع سري في العالم المتدنس".⁽¹⁾ نكفي بهذه الأمثلة وقد ذكر الشيخ ولي الله الدهلوي معاني لجميع الحروف المقطعات فكأنه جاء بالوسطية بين التفويض والتأويل. والله أعلم

خلاصة الكلام: بعد النظر في أقوال العلماء حول الحروف المقطعة وجدنا أن هناك موقفان وهما التفويض والتأويل، ولأصحاب كلا الموقفين أدلة وبراهين. أما المفوضة فهم يقولون أن الحروف المقطعة سر من أسرار الله تعالى فنقوضه إلى علم الله تعالى فعن المؤلفين الإمام الرخشري صاحب التفسير الكشاف، والإمام الرازي صاحب التفسير الكبير، والشيخ الطاهر ابن عاشور صاحب التفسير التحرير والتنوير. وفي جانب آخر من المفوضة الإمام القرطبي صاحب التفسير القرطبي والإمام البيضاوي والإمام الألوسي، وقد جعله الإمام القرطبي من المتشابهات. ولكن المؤولة يقولون أن هذه الحروف المقطعة نستطيع أن نوولها فكما ذكرنا أنهم ذكروا حوالي عشرين وجهاً. أول من قال بتأويل الحروف المقطعات هو ابن عيسى رضي الله

(1) فتح الخبير للشاه ولي الله الدهلوي، ص 86 - 87

عنه أما في المفسرين الذين ذكرنا آراءهم هنا نجد أن التأويل بدأ أولاً لأن الزمخشري من المؤولة وهو أقدم المفسرين الذين ذكرنا عنهم في هذا البحث وبعده الإمام الرازى. الإمام الرازى والشيخ الطاهر ابن عاشور ذكراً واحداً وعشرين وجهاً ثم رجح منها البعض وبطل البعض. الشيخ الشاه ولي الله الدهلوي كأنه جاء بقول وسط بين التفويض والتأويل. وكان الشيخ السعيدى يميل في هذه المسألة إلى التفويض كما ذكرنا. القول الراجح في رأي قول الإمام الألوسي. والله أعلم

الاستدراك الثاني: قول الله تعالى: {كِتَابٌ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ فَلَا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِنْهُ لِتُنذِرَ بِهِ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ} (1)

يرى الإمام فخر الدين الرازى في تفسير الكلمة "حرج" قولان كما يلي:

• القول الأول: "الحرج الضيق، ويكون المعنى: أي لا يضيق صدرك بسبب أن يكذبوك في التبليغ".

• القول الثاني: فلا يكن في صدرك منه حرج أي الشك منه، واستدل الإمام الرازى بقول الله تعالى: {لَمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ} (2) ثم يقول: "أنه يقال للشك حرج، لأن الشاك ضيق الصدر حرج الصدر كما أن للمؤمن منشرح الصدر يتفصح القلب" (3) وقد قال به الإمام الزمخشري في تفسيره: "أي لا تشك في نزول القرآن الكريم من الله عزوجل ولا تخرج من دعوته" (4).

استدراك الشيخ غلام رسول السعيدى على الإمام فخر الدين الرازى في تفسيره فقال بعد نقل قوله المذكور: نسبة الشك إلى الرسول صلى الله عليه وسلم في القرآن الكريم لا يصح عندنا، لأن الشك يناهى الإيمان؛ فهذا محال أن يشك النبي صلى الله عليه وسلم في

(1) سورة الأعراف، الآية 2

(2) سورة يونس، الآية 94

(3) يُنظر التفسير الكبير للإمام فخر الدين الرازى، ج 14 ص 195 وتفسير الكشاف للإمام الزمخشري، ج 2 ص

86

(4) تفسير الكشاف للإمام الزمخشري، ج 2 ص 86

كون القرآن الكريم كلام الله عزوجل، ومن المعلوم أنه لا يوجد في أي كتب اللغة أن معنى الكلمة "الحرج" هو "الشك"، وأيضاً ليس للمجاز فيه قرينة أيضاً، وعلى العكس هناك قرائن على خلافه. ثم تكلم الشيخ السعدي عن استدلال الإمام الرازي بقول الله تعالى: ﴿فَيَأْتِيَنَّكَ فِي كَلِمَةٍ مِّمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ﴾⁽¹⁾ فقال: أن الاستشهاد بهذه الآية باطل لوجوه: أولاً: لأن الكلام فيه بكلمة "إن" ولا يثبت من هذه الكلمة وقوع الشك، ثانياً: يمكن أن يكون الخطاب فيه إلى العامة وليس إلى الرسول صلى الله عليه وسلم وقد اختار أستاذي الشيخ السيد سعيد أحمد الكاظمي هذا الاحتمال. ثالثاً: هنا إمكان أن يكون هذا الكلام تعريضاً ويكون إسناد الشك إلى النبي صلى الله عليه وسلم ظاهراً ويكون المقصود منه الآية⁽²⁾. ثم استدلل له الشيخ السعدي بعدة أدلة على النحو الآتي:

• **الدليل الأول:** قول الإمام الرغب الأصفهاني في معنى الحرج أنه الضيق واستدل بقول الله تعالى: ﴿وَمَا يَجْعَلْ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾⁽³⁾ وقول الله تعالى: ﴿يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا﴾⁽⁴⁾.

• **الدليل الثاني:** قول الرسول صلى الله عليه وسلم: "وَأَخَذْتُمُ عَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا حَرَجَ"⁽⁵⁾ والمراد من هذه الآية: أن لا يتضايق قلب الرسول صلى الله عليه وسلم بتكذيب الكفار في دعوة القرآن الكريم، وقد كُلف نبينا صلى الله عليه وسلم في هذه الآية بدعوة القرآن الكريم فلا تكون في قلبك منه ضيق...⁽⁶⁾

• **الدليل الثالث:** ما زوي عن عياض بن جهمر المجاشعي رضي الله عنه، "أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ قَالَ ذَاتَ يَوْمٍ فِي خُطْبَتِهِ: أَلَا إِنَّ رَبِّي أَمَرَنِي أَنْ أُخْلِصَكُمْ مَا جَهِلْتُمْ، مِمَّا غَلَسْتُمْ بِرَأْسِي هَذَا، كُلُّ مَالٍ مَخْتَلَةٌ هَبْدًا حَلَالٌ، وَإِنِّي خَلَقْتُ عَبَادِي لِحَقْنَاءِ كَلْبِهِمْ، وَإِلَهُمْ

(1) سورة يونس، الآية 94

(2) تفسير تبيان القرآن للشيخ غلام رسول السعدي، ج 4 ص 37

(3) سورة الحج، الآية 78

(4) سورة الأنعام، الآية 125 للفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني، ج 1 ص 227

(5) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه، كتاب أحاديث الأنبياء، باب ما ذكر عن بني إسرائيل، رقم الحديث: 3461 ج 4 ص 170

(6) تفسير تبيان القرآن للشيخ غلام رسول السعدي، ج 4 ص 38

أَتَتْهُمْ الشَّيَاطِينُ فَأَجْتَالَتْهُمْ عَلَيَّ دِينِهِمْ، وَحَزَمَتْ عَلَيْهِمْ مَا أَخَلَّتْ لَمْ، وَأَمَرْتَهُمْ أَنْ يُشْرِكُوا بِي مَا لَمْ أَنْزِلْ بِهِ سُلْطَانًا، وَإِنَّ اللَّهَ نَظَرَ إِلَى أَهْلِ الْأَرْضِ، فَتَقَتَّهُمْ عَثَرَتَهُمْ وَعَجَمَتَهُمْ، إِلَّا بَقَايَا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ"، وَقَالَ: "إِنَّمَا بَعَثْتُكَ لِأَهْلِ الْقَلْبِ وَأَهْلِ الْبَيْتِ، وَأَنْزَلْتُ عَلَيْكَ كِتَابًا لَا يَغْسِلُهُ الْمَاءُ، تَقْرُوهُ نَائِمًا وَيَقْظَانِ، وَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَمَرَنِي أَنْ أُحْرِقَ لُبَّتِي، فَقُلْتُ: رَبِّ إِذَا يَتَلَعُوا زَيْسِي فَيَدْعُوهُ حُزْرًا، قَالَ: اسْتَعْرِجْ لَهُمْ كَمَا اسْتَعْرِجَ لِحُجْرِكَ، وَأَعَزَّهُمْ نُعْرَكَ، وَأَتَمَّقْ فَيَسْتَلْبِقُ عَلَيْكَ، وَابْعَثْ عَيْشًا نَبَّعَتْ خَمْسَةً مِثْلَهُ، وَقَاتِلْ مَنْ أَطَاعَكَ مِنْ عَصَاكَ"، (1) يقول الشيخ السعيدى بعد ذكر هذا الحديث: أنه بمنزلة التفسير لهذه الآية وقد قيل فيه: أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يخاف من مخالفة الكفار وضررهم وكان يحزن فسأله سبحانه وتعالى: أن لا يخاف ولا يضيق قلبك لأجل دعوة القرآن الكريم، لأن نصرة الله جل جلاله وتأيدته معك فلا ثبال بمخالفتهم. (2)

• **الدليل الرابع:** وهو الاحتمال الثاني لهذه الآية: أن الكفار لما استمروا في الكفر والمعاد والطغيان رغم جهدهم بالغ ودعوة قوية للرسول صلى الله عليه وسلم فكان هو يفتل، فقال الله عز وجل: أن لا يحزن ولا تجعل في قلبك حرج منه، بل تُنذروهم بالقرآن الكريم من عذاب الآخرة بالتبسيط والقلب ورغبة كما قال الله تعالى: {قُلْ لَكُمْ نَارُ الْكُفْرِ عَلَى آثَارِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا} (3) وقول الله جل جلاله: {لَقَدْ كَفَرَ الْكُفْرُ أَكْثَرًا مِنْ أُمَّةٍ قَدِ افْتَرَتْ لِقَاءَ اللَّهِ مِنْ خَلْقٍ عَدِيدٍ} (4).

التحليل والمناقشة:

قول الشيخ السعيدى صائب: "لأن معنى الحرج "العك" لا يوجد في أي كتب اللغة أو المعجم"، لأن ما وجدته أيضاً في كتب اللغة والمعجم على سبيل المثال تحذيب اللغة (5)

- (1) المخرج الإمام مسلم في صحيحه، كتاب الجنة وصفة نعمها وأهلها، باب الصفات التي يعرف بها في الدنيا أهل الجنة وأهل النار. رقم الحديث: 2865 ج 4 ص 2197
- (2) تفسير تبيان القرآن للشيخ غلام رسول السعيدى، ج 4 ص 38
- (3) سورة الكهف، الآية 6
- (4) سورة الشعراء، الآية 3
- (5) تحذيب اللغة للإمام أبي منصور الأزهرى، ج 4 ص 84

للإمام أبي منصور الأزهرري، ومقاييس اللغة⁽¹⁾ للإمام أبي الحسين القزويني،⁽²⁾ ولسان العرب⁽³⁾ للإمام ابن منظور الإفريقي،⁽⁴⁾ والقاموس المحيط⁽⁵⁾ للإمام الفيروزآبادي⁽⁶⁾ وفي معجم الوسيط.⁽⁷⁾ بل كلهم قالوا أنّ المراد منه الضيق، فكأنّ الشيخ السعيد أخذ قول أصحاب اللغة والمعجم، ولكن من جهة أخرى المفسرون الكبار قالوا في معنى الكلمة "الخرج" أنّ المراد منه: الشكّ كما رواه الإمام الطبري في تفسيره بأسانيد متعددة عن سيّدنا ابن عباس رضي الله عنهما والإمام مجاهد وقتادة والسديّ: الخرج معناه الشكّ أي في قلب الرسول صلى الله عليه وسلم حول القرآن الكريم.⁽⁸⁾ وهكذا روى الإمام ابن أبي حاتم في نفس المعنى في تفسيره

- (1) معجم مقاييس اللغة لأبي الحسين القزويني (المتوفى: 395هـ)، ج 2 ص 50 المحقق: عبد السلام محمد هارون. الناشر: دار الفكر، عام النشر: 1399هـ الموافق 1979م. عدد الأجزاء: 6
- (2) هو أحمد بن فارس القزويني الرازي، (329 - 395هـ الموافق 941 - 1004م) أبو الحسين: له تميّه في اللغة والأدب. أصله من قزوين، وكان يسكن في الري وتوفّي فيها. من مؤلفاته مقاييس اللغة، جامع التأويل في تفسير القرآن ... يُنظر شذرات الذهب لابن العماد الحنبلي، ج 4 ص 480 والأعلام للزركلي، ج 1 ص 193
- (3) لسان العرب للإمام ابن منظور الإفريقي. ج 2 ص 233 الطبع: دار صادر، بيروت، سنة 1414هـ.
- (4) هو جمال الدين محمد بن مكرم الأنصاري الإفريقي (630 - 711هـ الموافق 1232 - 1311م) كان إماماً، له تميّه في اللغة، ومع ذلك كان قاضياً. ولد بمصر، من نسل زُوَيْفَع بن ثابت الأنصاري رضي الله عنه، ولي القضاء في طرابلس. من كتبه لسان العرب، مختصر تاريخ دمشق لابن عسّاك... يُنظر شذرات الذهب للإمام ابن العماد الحنبلي، ج 8 ص 49 والأعلام للزركلي، ج 7 ص 108
- (5) القاموس المحيط للإمام الفيروزآبادي (المتوفى: 817هـ) ص 183 تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بإشراف: محمد نعيم العرقسوسي. الناشر: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان. الطبعة: الثامنة 1426هـ الموافق 2005م. عدد الأجزاء: 1
- (6) هو محمد بن يعقوب بن محمد بن إبراهيم بن عمر، يُعرف بـ محمد الدين الشيرازي الفيروزآبادي، كنيته أبو طاهر (729 - 817هـ الموافق 1329 - 1415م): من أئمة اللغة والأدب والتفسير والحديث. من أشهر كتبه القاموس المحيط، والسيرة النبوية ... يُنظر شذرات الذهب للإمام ابن العماد الحنبلي، ج 9 ص 186 - 187 والأعلام للزركلي، ج 7 ص 146 - 147
- (7) المعجم الوسيط لمجمع اللغة العربية بالقاهرة، ج 1 ص 164
- (8) تفسير جامع البيان في تأويل القرآن للإمام الطبري، ج 12 ص 295 - 296

عن ابن عباس ومجاهد وقتادة والشدي. ⁽¹⁾ وقال الإمام أبو الليث السمرقندي: "فلا يقعن في قلب الرسول صلى الله عليه وسلم شك من القرآن الكريم في كونه من الله تعالى". ⁽²⁾

وقال الإمام الزمخشري: أي لا تشك في نزول القرآن من الله تعالى ولا تحرج من دعوته. ⁽³⁾ يقول الإمام البيضاوي أن المراد منه: الشك، فإن الشاك يحرج الصدر أو ضيق قلب. ⁽⁴⁾ وقد قال به الإمام ابن كثير ⁽⁵⁾ في تفسير القرآن العظيم ⁽⁶⁾ وهكذا الإمام أبو السعود ⁽⁷⁾ في تفسيره، ⁽⁸⁾ والإمام الألوسي أيضاً قال به. ⁽⁹⁾ الإمام القرطبي يقول: أنه الضيق، أي لا يضييق صدرك بالإبلاغ؛ وليس هذا شك الكفر إنما هو شك الضيق. ⁽¹⁰⁾

قال الإمام السيوطي: أنه بمعنى "ضييق". ⁽¹¹⁾ وقد قال الشيخ محمد متولي الشمرأوي (المتوفى 1418هـ): النهي ليس للرسول صلى الله عليه وسلم وإنما النهي للحرج أو الضيق أن يدخل

- (1) تفسير القرآن العظيم للإمام ابن أبي حاتم، ج 5 ص 1438
- (2) تفسير بحر العلوم للإمام السمرقندي، ج 1 ص 86
- (3) تفسير الكشاف للإمام الرضفري، ج 2 ص 86
- (4) تفسير أنوار التنزيل وأسرار التأويل للإمام البيضاوي، ج 3 ص 5
- (5) هو الحافظ الكبير عماد الدين إسماعيل بن عمر بن كثير البصري (701 - 774هـ الموافق 1302 - 1373م) الفقيه، لفقير الشافعي. ولد في بصرى الشام ثم انتقل إلى دمشق، من أصحاب ابن تيمية، ومن مصنفاته: الهداية والنهاية، وتفسير القرآن الكريم، وكتاب في جمع المسانيد العشرة... يُنظر شذرات الذهب لابن العماد الحنبلي، ج 8 ص 397 - 399 والأعلام للزركلي، ج 1 ص 320
- (6) تفسير القرآن العظيم للإمام ابن كثير (المتوفى: 774هـ)، ج 3 ص 387 المحقق: سامي بن محمد سلامة. الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع. الطبعة: الثانية 1420هـ الموافق 1999م. عدد الأجزاء: 8
- (7) هو محمد بن محمد بن مصطفى العمادي، المولى أبو السعود (898 - 982هـ الموافق 1493 - 1574م): كان مفسراً لغوياً، من أصحاب البلاغة والفصاحة وهجراً، من أهل العزك للمصريين. ولد بقرب القسطنطينية، تقلد القضاء، كان حاضر الذهن سريع البديهة، ذقن بجوار مرقد أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه. من كتبه: إرشاد العقل السليم إلى مرابا الكتاب الكريم، وتحفة الطلاب، رسالة في المسح على الخفين... يُنظر الأعلام للزركلي، ج 7 ص 59
- (8) تفسير أبو السعود المسمى به إرشاد العقل السليم إلى مرابا الكتاب الكريم للإمام أبي السعود (المتوفى: 982هـ) ج 3 ص 209 الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- (9) يُنظر تفسير روح المعاني للإمام الألوسي، ج 4 ص 317
- (10) تفسير الجامع لأحكام القرآن للإمام القرطبي، ج 7 ص 166 - 167
- (11) تفسير الدر المنثور للإمام السيوطي (المتوفى: 911هـ)، ج 3 ص 413 الناشر: دار الفكر، بيروت. عدد الأجزاء: 8 بدون سنة النشر.

عليه، لأنّ الله تعالى يعلم أن محمداً صلى الله عليه وسلم قد يضيّق صدره لأجل البشرية ويحزن؛ لأنهم يقولونه ساحر ومجنون وكذاب. (1)

خلاصة الكلام: رأينا أن معظم المفسرين فسرو هذه الآية وفق تفسير الإمام الرازي أما قول الشيخ السعيد فما وجدته إلا قليلاً في كتب التفسير مثلاً الإمام القرطبي (2) والإمام السيوطي (3) والشيخ الشعراوي كما ذكرنا أقوالهم. ومن المعلوم أنّ ما ذكره الشيخ السعيد فهي احتمالات، وهي ليس في درجة اليقين أو الظن الغالب، فإذا القول الراجح عندنا قول الإمام الرازي في هذه القضية. والله أعلم

الاستدراك الثالث: قول الله تعالى: {قَالَ أَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ}. قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ (4).

يرى الإمام فخر الدين الرازي تفسير هذه الآية هكذا: "أنة يدلّ على طلب الإنظار من الله تعالى إلى وقت البعث وهو وقت النفخة الثانية حين يقوم الناس لرب العالمين ومقصوده أنه لا يذوق الموت فلم يعطه الله تعالى ذلك بل قال الله تعالى: {قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ}"، ثم ذكر الإمام الرازي في هذه القضية قولان:

• القول الأول: "أن الله تعالى أنظر إبليس إلى وقت النفخة الأولى لأن الله سبحانه يقول: {فَأِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ}. إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ (5) والمراد منه اليوم الذي يموت فيه الأحياء كلّهم".

• القول الثاني: "لم يؤقت الله له أجلا بل قال له عزوجل: {إِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ}"، أما المراد من قول الله تعالى: {إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ} فهو الوقت المعلوم في علم الله عزوجل. والدليل على صحّة هذا القول هو: أن إبليس كان مكلفاً والمكلف لا يجوز

(1) تفسير الشعراوي لمحمد متولي الشعراوي (المنقح: 1418هـ)، ج 7 ص 4040 الناشر: مطابع أخبار اليوم. عدد الأجزاء: 20

(2) تفسير الجامع لأحكام القرآن للإمام القرطبي، ج 7 ص 160

(3) تفسير الدر المنثور للإمام السيوطي، ج 3 ص 413

(4) سورة الأعراف، الآيتان 14، 15

(5) سورة الحجر، الآيتان 37، 38

أن يعلم أن الله تعالى أخطر أجله إلى الوقت الفلاني لأن ذلك المكلف يعلم أنه متى تاب قبلته توبته فإذا علم أن وقت موته هو الوقت الفلاني أقدم على المعصية يجلب فارغ فإذا قرب وقت أجله تاب عن تلك المعاصي، فثبت أن تعريف وقت الموت بعينه يجري مجرى الإغراء بالقبيح وذلك غير جائز على الله تعالى".

ثم ذكر الإمام الرازي جواب عن الإشكال المذكور لأصحاب القول الأول فيقول:

"أن تعريف الله عز وجل كونه من المنظرين إلى يوم القيامة لا يقتضي إغراءه بالقبيح لأن الله تعالى كان يعلم منه أنه يموت على أقبح أنواع الكفر والفسق سواء أعلمه بوقت موته أو لم يعلمه بذلك فلم يكن ذلك الإعلام موجبا لإغراءه بالقبيح ومثاله أن الله تعالى عرف أنبياءه أنهم يموتون على الطهارة والعصمة ولم يكن ذلك موجبا لإغراءهم بالقبيح لأجل أنه تعالى علم منهم سواء عرفهم تلك الحالة أو لم يعرفهم هذه الحالة أنهم يموتون على الطهارة والعصمة فلما كان لا يتفاوت حالهم بسبب هذا التعريف لا جرم ما كان ذلك التعريف إغراء بالقبيح فكذا هاهنا". (1)

استدرك الشيخ غلام رسول السعدي على الإمام فخر الدين الرازي في هذه

القضية فقال بعد نقل قوله المذكور في تفسيره: أن الجواب الصحيح والواضح لهذا الإشكال هو على النحو الآتي: أولاً: أن إبليس لو عرف أنه أمهل إلى نفخ الصور فلا يستلزم منه أنه عرف منه وقت موته لأنه لا يعرف أحد وقت النفخة ووقت إقامة القيامة. ثانياً: أن المراد من "الوقت المعلوم" هو "النفخة الأولى"، لكن هذا ليس موجبا أن إبليس اللعين عرف أن المراد منه النفخة الأولى حتى يعرف وقت أجله، يمكن أن يكون هذا خاص بعلم الله تعالى فقط. ثالثاً: هذا القول للإمام السعدي أن المراد من "الوقت المعلوم" هو "النفخة الأولى"، وليس قول الرسول صلى الله عليه وسلم، ومن المعلوم أنه لم يثبت بسند صحيح، وهو لا اعتبار له ولا اعتماد، أما القول الأصح فهو: "أن الله جل جلاله يعرف أنه إلى أي وقت أنظر إبليس"، أما نحن فلا نعرف هذا، نحن نعرف أن إبليس أمهل إلى ما قبل يوم الحشر فقط". (2)

(1) ينظر التفسير الكبير للإمام فخر الدين الرازي، ج 14 ص 210 - 211

(2) تفسير تبيان القرآن للشيخ غلام رسول السعدي، ج 4 ص 76 - 77

التحليل والمناقشة:

الشيخ السعدي ذكر أجوبة ثلاثة للإعتراض المذكور كما رأينا، فجوابه الأول رافع ولا يعرف أحد وقت النفخة وإقامة الساعة ولكن هناك أمارات للساعة منها صغرى وكبرى فهي تعرف، أما جوابه الثاني فهو في درجة الاحتمال لأن الشيخ السعدي لم يذكر له الدليل. ومن المعلوم أنه كيف لا يعرف إبليس "الوقت المعلوم" وقد ورد في القرآن الكريم، والشيطان يجري من الإنسان مجرى الدم. أما جوابه الثالث فصح: أن هذا القول للإمام السعدي وليس حديث الرسول صلى الله عليه وسلم، كما أخرجه الإمام ابن جرير الطبري عن الإمام السعدي في قول الله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾⁽¹⁾ فلم ينظره إلى يوم المبعث، ولكن انظره إلى يوم الوقت المعلوم، وهو يوم ينفع في الصور النفخة الأولى، كقول الله تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ﴾⁽²⁾ فمات.⁽³⁾

فملخص الكلام بعد القراءة لمعظم التفاسير في هذا الموضوع وجدث أن الكبار من المفسرين حسب علمي لم يتكلموا في هذه القضية في تفاسيرهم مثل الإمام الرمخشري والإمام القرطبي والإمام البيضاوي والإمام أبو السعود والإمام السيوطي وغيرهم. أما الإمام الألوسي فنقل قول الإمام الرازي للمذكور بدون ذكر اسمه وسكت عن التكلم حوله، فكأنه وافق الإمام للرازي. بعد النظر في الأقول، أن جواب الإمام الرازي أقوى من أجوبة الشيخ السعدي. والله أعلم

(1) سورة الحجر، الآية 36 وسورة ص، الآيات 80، 81

(2) سورة الزمر، الآية 68

(3) تفسير جامع البيان في تأويل القرآن للإمام الطبري، رقم الحديث: 14360 ج 12 ص 331 - 332 وتفسير القرآن العظيم للإمام ابن أبي حاتم (رواه عن السعدي)، ج 7 ص 2264

الاستدراك الرابع: قول الله تعالى: {قَالَ اخْرُجْ مِنْهَا مَذْذُومًا مَذْحُورًا لَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكُمْ أَجْمَعِينَ} (1).

يرى الإمام فخر الدين الرازي تفسير هذه الآية هكذا فقال: أن هذه الآية تُحتج بها على أن أصحاب البدع والضلالات جميعاً يدخلون نار جهنم لأنهم يتبعون إبليس (2).

استدرك الشيخ غلام رسول السعدي على الإمام فخر الدين الرازي في تفسير هذه الآية وقال: أن القول الصحيح هو أن الله جل جلاله يملأ جهنم من إبليس ومن تبعه، ولكن الله جل جلاله لم يقل أنه يدخل كُلاً واحداً من أتباعه إلى جهنم، فأما من كان من أهل البدع والضلال ووصلوا إلى درجة الكفر في بدعتهم وضلاتهم فأولئك يدخلون جهنم خالدين فيها وأما من كان أقل درجة في بدعتهم وضلاتهم من الكفر؛ فيكون أمرهم على مشيئة الله تعالى إن شاء فدخله في الجنة بعد العقاب في النار أو بدون العقاب، كما أن أهل الفسق ومرتكبوا الكبائر أيضاً من أتباع إبليس لكن الله جل جلاله لا يدخل جميعهم في النار، بل يدخل بعض الفساق في الجنة بعد العقاب في النار لفترة معينة فيُعفي الله تعالى بفضلهم عن بعض أو بشفاعة نبيه صلى الله عليه وسلم ويدخلونهم إلى الجنة ابتداءً بدون رميهم في نار جهنم (3).

التحليل والمناقشة:

يقفهم من كلام الإمام الرازي أنه قال أن أهل البدعة والضلال يدخلون النار ولكن هو لم يقل أنهم يدخلون أبداً أو لفترة معينة، بل قال: يدخلون جهنم جميعاً، أما ما قول الشيخ السعدي فصح أنه لا يستطيع أحد أن يسأل من الله تعالى: "لما ذا أدخل بالفلان إلى النار أو بالفلان إلى الجنة لأن الله عز وجل حكيم وقدير، وقد قال الله تعالى: {إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ} (4) ولكن الله سبحانه وتعالى وضع القواعد للمغفرة والعقاب فلا بد من مطابقتها ولا يخل عمله من الحكمة، فإذا كانت البدعة والضلالة في حد

(1) سورة الأعراف، الآية 18

(2) يُنظر التفسير الكبير للإمام فخر الدين الرازي، ج 14 ص 216

(3) تفسير تبيان القرآن للشيخ غلام رسول السعدي، ج 4 ص 81

(4) سورة النساء، الآية 48

دائرة الإسلام فطبعاً مرتكبه يكون من أهل الإسلام والمسلمين ولا يدخل النار خالد كما روي عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: قال النبي صلى الله عليه وسلم: "إِنِّي لِأَعْلَمُ آخِرَ أَهْلِ النَّارِ مَخْرُوجًا مِنْهَا، وَآخِرَ أَهْلِ الْجَنَّةِ دُخُولًا، وَبِجَلِّ تَخْرُجُ مِنَ النَّارِ كَبُورًا، فَيَقُولُ اللَّهُ: أَذْهَبَ فَأَدْخِلِ الْجَنَّةَ، فَيَأْتِيهَا، فَيُخَيَّلُ إِلَيْهِ أَنَّهَا مَلَأَى، فَيَرْجِعُ فَيَقُولُ: يَا رَبِّ وَجَدْتُهَا مَلَأَى، فَيَقُولُ: أَذْهَبَ فَأَدْخِلِ الْجَنَّةَ، فَيَأْتِيهَا فَيُخَيَّلُ إِلَيْهِ أَنَّهَا مَلَأَى، فَيَرْجِعُ فَيَقُولُ: يَا رَبِّ وَجَدْتُهَا مَلَأَى، فَيَقُولُ: أَذْهَبَ فَأَدْخِلِ الْجَنَّةَ، فَإِنَّ لَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَعَشْرَةَ أَمْثَالِهَا أَوْ: إِنَّ لَكَ مِنْ عَشْرَةِ أَمْثَالِ الدُّنْيَا، فَيَقُولُ: فَتَحْرُ بِئِي أَوْ: تَضْحَكُ مِنِّي وَأَنْتَ الْمَلِكُ فَلَقَدْ رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ضَحِكَ حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِذُهُ، وَكَانَ يَقُولُ: ذَلِكَ أَذَى أَهْلِ الْجَنَّةِ عَذَابًا". (1) عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ وَأَهْلُ النَّارِ النَّارَ يَقُولُ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ: مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مَقْعَالٌ خَبِثَ مِنْ خَرْدَلٍ مِنْ إِيْمَانٍ فَأُخْرِجُوهُ، فَيُخْرِجُونَ، قَدْ انْتَحَسُوا، وَعَادُوا حُمَاً، فَيُلْقَوْنَ فِي نَهْرِ الْحَيَاةِ، فَيَنْبُثُونَ كَمَا تَنْبُثُ الْحَيَّةُ فِي حِمِيلِ السَّيْلِ". (2) نفهم من هذين الحديثين أن مرتكب الذنوب لا يخلد في النار. خلاصة الكلام: كلام الإمام الرازي في هذه المسألة أقوى وأرجح. والله أعلم

الاستدراك الخامس: قول الله تعالى: {يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا} (3).

يرى الإمام فخر الدين الرازي في تفسير هذه الآية: أن الله تعالى وصف هذه الحركة بالسرعة والشدة، وهو الحق والصواب؛ لأنه يحصل بحركة الفلك الأعظم تعاقب الليل والنهار وهذه الحركة في السرعة أشد وفي شدة أكملها الحركات، حتى قال الباحثون عن أحوال الموجودات: إذا كان الإنسان في العدو الشديد الكامل، فقبل أن يرفع رجله ويضعها الفلك الأعظم يتحرك ثلاثة آلاف ميل، فيظهر منه أن هذه الحركة في غاية الشدة والسرعة، ولأجله قال الله تعالى: {يَطْلُبُهُ حَثِيثًا} ونظيره قول الله تعالى: {لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا

(1) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه، كتاب الرقاق، باب صفة الجنة والنار، رقم الحديث: 6571 ج 8 ص 117

(2) معالم التنزيل في تفسير القرآن للإمام البغوي، ج 3 ص 247

(3) سورة الأعراف، الآية 54

اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ⁽¹⁾ فشبّه الله تعالى تلك الحركة وذلك السير بالسباحة في الماء والغرض منه أن يُنبّه على سرعتها وكمال إنباطها وسهولتها.⁽²⁾

استدرك الإمام شهاب الدين الألوسي على الإمام فخر الدين الرازي في تفسير هذه الآية وقال بعد نقل كلامه المذكور: "عندي إعتراض عليه بأن الفلك الأعظم كما قالوا إن كان هو العرش فحركته غير مسلم عند جمهور المحدثين لأنهم لا يُسلمون من صائر الأفلاك حركة شيء وهو الكرسي والسماوات المسبوح، بل جمهور المحدثين ادعوا أن النجوم تكون بأيدي الملائكة عليهم السلام تسير بما حيث شاء الله عز وجل وكيف شاء".⁽³⁾

التحليل والمناقشة:

الإمام القرطبي يقول: "أي يطلبه دائماً من غير فتور، أو يطلبه طلباً سريعاً. والحث: هو الإعجال والسرعة. وروى حثيثاً أي مُسرِعاً".⁽⁴⁾ هكذا قال الإمام الخازن ثم نقل قول الإمام الرازي كما ذكرناه.⁽⁵⁾ وأيضاً قال به الإمام أبي السعود في تفسيره.⁽⁶⁾ والشيخ ابن عاشور أيضاً.⁽⁷⁾ ويقول الشيخ رشيد رضا⁽⁸⁾: "أنه يعقبه سريعاً كالطالب له لا يفصل بينهما شيء".⁽⁹⁾ خلاصة الكلام: رأينا أقوال المفسرين في هذه القضية أن كلهم قالوا وفق قول

(1) سورة يس، الآية 40

(2) يُنظر التفسير الكبير للإمام فخر الدين الرازي، ج 14 ص 271

(3) يُنظر تفسير روح المعاني للإمام شهاب الدين الألوسي، ج 4 ص 376 - 377

(4) تفسير الجامع لأحكام القرآن للإمام القرطبي، ج 7 ص 221

(5) تفسير لباب التأويل في معاني التنزيل للإمام الخازن (للتون: 741هـ) ج 2 ص 209 المحقق: تصحيح محمد علي شاهين. الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت. الطبعة: الأولى: 1415هـ.

(6) تفسير إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكرم للإمام أبي السعود، ج 3 ص 232

(7) تفسير التحرير والتنوير للشيخ ابن عاشور، ج 8 ص 168

(8) هو محمد رشيد بن علي رضا القلنوي (1282 - 1354هـ الموافق 1865 - 1935م) البغدادي الأصل، الحسيني النسب. من رجال الإصلاح الإسلامي ومن العلماء بالحديث والأدب والتاريخ والتفسير. كان صحافياً، رحل إلى مصر ولازم الشيخ محمد عنبه وتلميذ له. تولى بالقاهرة. من كتبه: مجلة "النار"، تفسير القرآن الكريم، وتاريخ الأسماء

الإمام الشيخ محمد عنبه، والوحي المحمدي... يُنظر الأعلام للزركلي، ج 6 ص 126

(9) تفسير القرآن الحكيم يُعرف بـ تفسير المنار للشيخ رشيد رضا (للتون: 1354هـ) ج 8 ص 403 - 404

الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، سنة النشر: 1990م. عدد الأجزاء: 12

الإمام الرازي وكما يُشاهد في هذا الزمن ويُعرف من العلم الحديث، فإذاً القول الراجح قول الإمام الرازي. والله أعلم

الاستدراك السادس: قول الله تعالى: {فَأَنْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ} (1).

يرى الإمام فخر الدين الرازي تفسير هذه الآية التي ذُكرت فيه حول سبب هلاك فرعون وقومه حيث أنهم لا يتعظون ولا يعتبرون من الآيات التي أنزل إليهم فيقول: ويستدلّ منه وجوب النظر والتدبر والتفكير في الآيات الكريمة ولأجله ذمهم الله تعالى بسبب غفلتهم عنها، ويحتجّ به على أن التقليد طريق مذموم. (2)

استدراك الشيخ غلام رسول السعدي على الإمام فخر الدين الرازي في تفسير هذه الآية وقال: أنه لا يرد الإعراض من هذه الآية الكريمة على ما يُقلّده أهل السنة للأئمة الأربعة رحمه الله تعالى، واستدلّ لها الشيخ السعدي بالدليلين كما يلي:

• **الدليل الأول:** في هذه الآية ذمّ على التقليد في الأصول ولكن ليس على التقليد في الفروع، أما أهل السنة فلا يُقلّدون الأئمة في الأصول بل يُقلّدونهم في القضايا الفرعية، ويُسلمون الأصول مثلاً التوحيد والرسالة والآخرة بالأدلة ويتفقون في العقائد، ولأجله ليس بينهم اختلاف في الأصول. ثم تكلم عن معنى التقليد: أن المراد منه طريقة العمل بالأحكام الفرعية ما يستنبطها الأئمة من القرآن الكريم والسنة النبوية على صاحبها الصلوة والسلام، ومن المعلوم أنهم يظنون أنّ طريقة إمامنا صحيح بالظن الغالب، وأساس أو بناء طريقة إمام آخر على الخطأ، ولكن مع ذلك يمكن أن يكون في اجتهاد إمامنا خطأ واجتهاد إمام آخر صحيح ولكن ليس هناك مواخذه على الخطأ في الاجتهاد بل إذا كان الاجتهاد صائب فعليه اجران وإذا كان الخطأ فعليه اجران وليس في العقائد تقليد للأئمة وأيضاً ليس فيه اختلاف.

(1) سورة الأعراف، الآية 136

(2) يُحظر التفسير الكبير للإمام فخر الدين الرازي، ج 14 ص 348

● **الدليل الثاني:** أما نحن أي أصحاب التقليد أو المقلدين فلا نُقلد الأئمة الكرام عُمياناً لأن الأئمة الكرام استنبطوا طرق العمل بالأحكام الفرعية من القرآن الكريم والسنة النبوية على صاحبها الصلوة والسلام، ولها أدلة من القرآن الكريم والسنة كما يوجد بالتفصيل في كتب الفقه. لكن على الرغم من ذلك الأئمة الكرام يقولون: إذا وجدتم في أقوالنا ما يُخالف الحديث فخذوا الحديث واتركوا قولنا. ثم يقول: ومن للعلوم أنه لم يكن عند الرجل العامي علم أو معرفة إلى درجة التي يُستنبط بها طريقة العمل بالأحكام الفرعية من الكتاب والسنة؛ بل عامة الناس لا يعرفون معاني آيات القرآن الكريم وهكذا ليس في علمهم الأحاديث جميعاً ولا معانيه، فلا بدّ لهم من تقليد للأئمة الكرام. (1)

التحليل والمناقشة:

قول الإمام الرازي: "أن التقليد طريق مذموم" لا يصحّ على الإطلاق كما قال الله تعالى في كتابه: {وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَّلُوكَانَ آبَائِهِمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئاً وَلَا يَهْتَدُونَ} (2) وقول الله تعالى: {وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِمْ مُقْتَدُونَ. قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُمْ بِآيَاتٍ يَأْتِي بِهَا وَجَدْتُمْ عَلَيْهِ آبَاءَكُمْ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَاذِبُونَ} (3) وقد قال الإمام الرازي في تفسير قول الله تعالى: {فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ} (4): "أن العلماء اختلفوا في قضية: هل يجوز للمجتهد تقليد المجتهد أم لا؟ فمنهم من حكم بالجواز واستدلوا بهذه الآية وقالوا: لما أحد من المجتهدين لم يكن عالماً بقضية خاصة فيجب عليه الرجوع إلى المجتهد الآخر الذي يكون عنده علم بذلك القضية لقول الله تعالى المذكور فإن لم يجب فلا أقل من الجواز". (5) وقد قال الإمام البيضاوي: أن فيه الآية دليل وعلى وجوب المراجعة إلى

(1) يُنظر تفسير تبيان القرآن للشيخ غلام رسول السعدي، ج 4 ص 283

(2) سورة البقرة، الآية 170

(3) سورة الزخرف، 23، 24

(4) سورة النحل، الآية 43

(5) يُنظر التفسير الكبير للإمام فخر الدين الرازي، ج 20 ص 211

العلماء فيما لا يُعلم. (1) وهكذا قال الإمام أبو السعود في تفسيره. (2) خلاصة الكلام: الشيخ السعدي وضح قول الإمام الرازي توضيحاً رائعاً لأن التقليد ليس مذموم بالكلية بل منها ما هو مذموم ومنها ما هو محمود كما ذكرناه، فحسب رأي قول الشيخ السعدي راجح. والله أعلم

الاستدراك السابع: قول الله تعالى: {أَعْرَجْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ وَأَلْقَى الْأَلْوَاخَ}. (3)

يرى الإمام فخر الدين الرازي أن سيدنا موسى عليه السلام ألقى الألواح إلا أنه لم تنكسر وهذا نص كلامه: "لما قال الله تعالى أن موسى عليه السلام رجع غضباناً إلى قومه وكان هذا الغضب موجباً له لإلقاء الألواح التي فيها التوراة، وهذه الألواح كانت من أعظم معجزات موسى عليه السلام فهذا يدل على شدة غضبه لأن الرجل لا يقدم على العمل كمثلته إلا إذا كان في الغضب المدهش"، ثم يقول: "ويثبت من القرآن الكريم أن موسى عليه السلام ألقى الألواح ولكن لا يثبت منه انكساره؛ أما استنباط تكسير الألواح من القرآن الكريم أو استدلاله؛ فجزأة عظيمة وهذا لا ينبغي بشأن الأنبياء عليهم السلام"، (4) وقد قال في تفسير قول الله تعالى: {وَلَمَّا سَكَتَ عَنْ مُوسَى الْغَضِبَ أَخَذَ الْأَلْوَاخَ} (5) أن ظاهر هذه الآية تدل على أن الألواح لم تنكسر ولم تبطل. (6)

استدراك الإمام شهاب الدين الألوسي في تفسير هذه الآية على الإمام فخر الدين الرازي وذهب إلى أن الألواح قد تكسرت وإن كان لم تصرح بإسم الإمام الرازي وقال: أن بعضهم أنكروا انكسار الألواح لأنه مخالف لظاهر القرآن الكريم، ثم استدلل الإمام الألوسي بما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "يُرحمُ الله تعالى موسى ليس للعابن كالمخبر أخيره ربه سبحانه وتعالى أن قومه قُتوا بعده فلم يلق الألواح

(1) تفسير أنوار التنزيل للإمام البيضاوي، ج 3 ص 227

(2) تفسير إرشاد العقل السليم للإمام أبي السعود، ج 5 ص 116

(3) سورة الأعراف، الآية 150

(4) يُنظر التفسير الكبير للإمام فخر الدين الرازي، ج 15 ص 372

(5) سورة الأعراف، الآية 154

(6) يُنظر التفسير الكبير للإمام فخر الدين الرازي، ج 15 ص 374

فلما رأهم وعائتهم ألقى الألواح فتكسرت منها ما تكسرت⁽¹⁾. وعنه: "أن موسى عليه السلام لما ألقى الألواح رفع منها ستة أسباع وبقي سبع، مناف لما روي فيما تقدم من أن التوراة نزلت سبعين وقرأ يقرأ الجزء منه في سنة لم يقرأها إلا أربعة نفر: موسى ويوشع وعزير وعيسى عليهم السلام". ثم ذكر الإمام الألوسي سؤالاً: "وكننا لما يذكر بعد من قول الله تعالى: {أخذ الألواح} فإن الظاهر منه العهد". وأجاب عنه: "بأن الرفع لما فيها من الخط دون الألواح خلاف الظاهر".⁽²⁾

التحليل والمناقشة:

بعد النظر في التفاسير نعرف أن جمهور المفسرين يقولون: على أن الألواح قد انكسرت، فيقول الإمام الزمخشري: "أن موسى عليه السلام ألقى الألواح وطرحها غضباً لله تعالى وحمية لدينه لما لحقه من فرط الدهش وشدة الضجر لما عرف أن قومه أخذ العجل"، ثم ذكر الإمام الزمخشري الرواية التي فيه ذكر تكسير الألواح: أن التوراة كانت سبعة أسباع، فلما ألقى الألواح تكسرت فرفع منها ستة أسباعها وبقي منها سبع واحد، وكان فيما رفع تفصيل كل شيء وفيما بقي الهدى والرحمة".⁽³⁾ فكان الإمام الزمخشري يميل إلى أن الألواح قد انكسرت، وإذا ذهبنا إلى تفسير الإمام ابن عطية نجد أنه ذكر قول ابن عباس كما ذكرها

(1) يُنظر تفسير القرآن العظيم للإمام ابن أبي حاتم، ج 5 ص 1570 ومسند البزار المشهور باسم البحر الزخار للإمام البزار (لننوق: 292هـ) ج 11 ص 339 المحقق: محفوظ الرحمن زين الله، (حقق الأجزاء من 1 إلى 9) وعادل بن سعد (حقق الأجزاء من 10 إلى 17) وصبري عبد الخالق الشافعي (حقق الجزء 18) الناشر: مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة. الطبعة: الأولى، (بينا 1988م، وانتهت 2009م) عدد الأجزاء: 18 والإحسان في تقريب صحيح ابن حبان للإمام ابن حبان (لننوق: 354هـ) ج 14 ص 97 ترتيب: الأمير علاء الدين علي بن بلبان الفارسي (لننوق: 739هـ) حقه وخرج أحاديثه وعلق عليه: شعيب الأرنؤوط، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت. الطبعة: الأولى، 1408هـ الموافق 1988م. عدد الأجزاء: 18 ومسند الإمام أحمد بن حنبل للإمام أحمد بن حنبل (لننوق: 241هـ) ج 4 ص 260 المحقق: شعيب الأرنؤوط، عادل مرشد، وآخرون، إشراف: د. عبد الله بن عبد المحسن التركي. الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، 1421هـ الموافق 2001م والنشر المشهور في التفسير بلأثر للإمام السيوطي، ج 3 ص 564 ويُنظر تفسير روح المعاني للإمام شهاب الدين الألوسي، ج 5 ص 64 حديث صحيح، رجاله ثقات رجال الشيخين غير سريج بن النعمان.

(2) يُنظر تفسير روح المعاني للإمام شهاب الدين الألوسي، ج 5 ص 64

(3) يُنظر تفسير الكشاف للإمام الزمخشري، ج 2 ص 161

الإمام الزمخشري،⁽¹⁾ وقد ذهب هذا المذهب الإمام القرطبي والبيضاوي وأبو السعود والغازن والشيخ الطاهر ابن عاشور في تفاسيرهم.⁽²⁾

خلاصة الكلام: وفق رأي أنّ قول الإمام الرازي: "أنه لا يثبت من القرآن الكريم تكسير الألواح"، فصح ولكن لما ثبت تكسيروها بقول النبي صلى الله عليه وسلم فلا بد من تسليمها، ولا يلزم من تكسيروها سوء فعل من سيدنا موسى عليه السلام -حاشاه- لأنه ألقى الألواح حمة لله عز وجل وليلينه ولم يتو انكسارها؛ فلو نتج من القولها التكسير فلا يؤخذ به لأنه لم يقصدها، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ"،⁽³⁾ كما قال الشيخ أبو زهرة⁽⁴⁾ في تفسيره: أن موسى عليه السلام لم يرم الألواح للتكسير كما زعمه بعض المفسرين بل ألقاها على طرفه ليفرغ للنقاش مع الذين يتلوا وغرّوا من بعده ومن سكتوا عليهم.⁽⁵⁾ نفهم من كلام الأئمة أن القول الراجع هو قول الإمام الألوسي. والله أعلم

(1) تفسير المحرر الوجيز للإمام ابن عطية الأندلسي، ج 2 ص 457

(2) يُنظر تفسير الجامع لأحكام القرآن للإمام القرطبي، ج 7 ص 288 يُنظر تفسير أنوار التنزيل وأسرار التأويل للإمام البيضاوي، ج 3 ص 35 يُنظر تفسير إرشاد العقل السليم للإمام أبي السعود، ج 3 ص 274 تفسير لسانه التأويل في معاني التنزيل للإمام الغازن، ج 2 ص 252 تفسير الصحير والتبوير للشيخ ابن عاشور، ج 9 ص 115

(3) لعرجه الإمام البخاري في صحيحه، كتاب الإيمان، باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ رقم الحديث: 1 ج 1 ص 10

(4) هو محمد بن أحمد أبو زهرة (1316 - 1394هـ) من علماء الشريعة الإسلامية في عصره، وتعلّم بمدرسة القضاء الشرعي وتولّى تدريس العلوم الشرعية والعربية. ودّس في المدارس الثانوية، وعيّن محاضراً للدراسات العليا. وعضواً للمجلس الأعلى للبحوث العلمية وكان وكيلاً لكلية الحقوق بالجامعة القاهرة، توفّي بالقاهرة. ومن كتبه: خلاصة أحكام الأحوال الشخصية، الوحدة الإسلامية، تنظيم الإسلام للمجتمع ... يُنظر الأعلام للزركلي، ج 6 ص 25

(5) زهرة التفاسير للشيخ أبي زهرة (المتوفى: 1394هـ) ج 6 ص 2957 دار النشر: دار الفكر العربي. عدد الأجزاء:

الاستدراك الثامن: قول الله تعالى: {وَأَيَّ أَتْهَلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السَّفَهَاءُ مِنَّا} (1).

يرى الإمام فخر الدين الرازي في تفسير هذه الآية: أنه لا يجوز لموسى عليه السلام أن يظن أن الله عز وجل يهلك قوماً بذنوب غيرهم، وقد قال الله تعالى: {وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى} (2) ثم يقول: لأجل هذا يجب التأويل في هذه الآية، وفيه قولان: القول الأول: "أنه استفهام بمعنى الجحد، وأراد أنك لا تفعل ذلك. كما تقول: أئمن من يخدمك؟ أي لا تفعل ذلك". القول الثاني: قال الإمام الميرزا: "هو استفهام استعطاف، أي لا تُهلكنا" (3).

استدرك الشيخ غلام رسول السعدي على الإمام الرازي في تفسير هذه الآية فيقول: يمكننا أن نجيب عن الاعتراض المذكور: أن موسى عليه السلام كان لا يزعم أن الله جل جلاله يتلبه بشيء بل كان يريد أن يستشفع بكلامه لهؤلاء سبعين من أناس بني إسرائيل الذين هلكوا بالرعد بسبب جهالهم وسفاههم، ولأجل هذا جعل موسى عليه السلام نفسه كوسيلة في ما بينهم، أنه لا شك في كون هؤلاء الناس مقصرين ومذنبين ولكن في عقابهم اختبار أو ابتلاء لموسى عليه السلام؛ لأن بني إسرائيل شمسكونه ويمسكونه عنهم، فدعا موسى إلى الله عز وجل وأتاب إليه لأن يُجيبهم (4).

التحليل والمناقشة:

الإمام ابن الجوزي (5) يقول: "أن هذا الاستفهام هنا على تأويل الإنكار إذ أراد لست تفعل ذلك" (6) فكأنه وافق الإمام الرازي، وهكذا الإمام القرطبي يقول: "أن موسى عليه السلام عرف أن الله تعالى لا يهلك أحد بذنب غيره، ولكنه كقول عيسى عليه السلام

(1) سورة الأعراف، الآية 155

(2) سورة البقرة، الآية 7

(3) التفسير الكبير للإمام الرازي، ج 15 ص 377

(4) تفسير تبيان القرآن للشيخ غلام رسول السعدي، ج 4 ص 353 - 354

(5) هو عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي القرشي البغدادي، (508 - 597 هـ الموافق 1114 - 1201 م) كنيته أبو القاسم، علامة في التاريخ والحديث. مولده ووفاته ببغداد. له نحو ثلاث مئة مصنف منها: تفسير زاد المسير في علم التفسير، مناقب عمر بن عبد العزيز، الناسخ والمنسوخ... يظهر شذرات الذهب لابن العماد الحنبلي، ج 1 ص 47 والأعلام للزركلي، ج 3 ص 316 - 317

(6) تفسير زاد المسير في علم التفسير للإمام ابن الجوزي (المتوفى: 597 هـ) ج 2 ص 295 المحقق: عبد الرزاق المهدي. الناشر: دار الكتاب العربي، بيروت. الطبعة: الأولى 1422 هـ.

لما سأله عن قومه فأجاب قول الله تعالى: {إِنْ تُعَذِّبُهُمْ فَإِنَّهُمْ عَبَادُكَ} (1) الإمام الزمخشري يقول: "ولما كانت الرجفة قال موسى عليه السلام قول الله تعالى: {رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُمْ مِنْ قَبْلِ وَآيٍ} وهذا عمرٌ منه للإهلاك قبل أن يرى ما رأى من تبعة طلب الرؤية، على سبيل المثال النادم على الأمر يقول لما رأى سوء المنجبة (العاقبة السيئة): لو شاء الله لأهلكنى قبل هذا يعنى أهلكنا جميعاً، يعنى نفسه وإياهم، لأنه إنما طلب الرؤية زجراً للسفهاء". (2) الإمام ابو السعود (3) والشيخ المظهري (4) وافقا قول الإمام الرازى، وهكذا الإمام الألوسى نقل كلامه بدون ذكر اسمه، وقال: "أن هذا القول أي أهلكنا قال به بعض من هؤلاء السبعين غير ظاهر وبيّن ولا داعى إليه، والقول بأنّ الداهى ما فيه من التضجر الذي لا يليق بمقام النبوة لا يخفى ما فيه، ولعل مراد القائل بذلك أن هذا القول من موسى عليه السلام يشبه قول أحد السبعين فكأنه قاله على لسانهم لأنهم الذين أصيبوا بما أصيبوا به دونه". (5) الإمام البيضاوي (6) والشيخ ابن عاشور حسب علمي لم يتكلما في هذا الموضوع، خلاصة الكلام: أقول بعد النظر في أقوال العلماء: أن ما قال به الإمام الرازى فعليه معظم المفسرين أما قول الشيخ السعيدى فلم أجده لأحد غيره إذا الترجيح يكون لقول الإمام الرازى. والله أعلم

(1) سورة المائدة، الآية 118 يُنظر تفسير الجامع لأحكام القرآن للإمام القرطبي، ج 7 ص 295

(2) يُنظر تفسير الكشاف للإمام الزمخشري، ج 2 ص 164

(3) يُنظر تفسير إرشاد العقل السليم للإمام ابى السعود، ج 3 ص 277

(4) التفسير المظهري لمحمد ثناء الله المظهري، ج 3 ص 415 المحقق: غلام نجى التومسي، الناشر: مكتبة الرعدية، باكستان. الطبعة: 1412هـ.

(5) يُنظر تفسير روح المعاني للإمام الألوسى، ج 5 ص 71

6 يُنظر تفسير أنوار التنزيل وأسرار التأويل للإمام البيضاوي، ج 3 ص 36

الاستدراك التاسع: قول الله تعالى: {وَمِنْ قَوْمِ مُوسَى أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَتَعَدَّلُونَ} (1).

يرى الإمام فخر الدين الرازي تفسير هذه الآية هكذا: أنه ورد هنا قولان في المراد من هذه الأمة أو الجماعة الذين يُرشدون إلى الحق ويعدلون به فيما بين الناس كما قال الله تعالى في هذه الآية، وهي كالتالي:

● **القول الأول:** "أن المراد من هذه الجماعة هم اليهود الذين كانوا في زمن الرسول صلى الله عليه وسلم وأسلموا منهم مثل عبد الله بن سلام رضي الله عنه، وابن صوريا"، ذكر الإمام الرازي على هذا القول اعتراض فيقول: "أنهم كانوا قليلون في العدد ولكن لفظ (الأمة) يقتضي الكثرة، ثم يجيب عنه: أنهم كانوا مختلفين في الدين، بهذا السبب يجوز إطلاق لفظ (الأمة) عليهم كما في قول الله تعالى: {إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً} (2)".

● **القول الثاني:** "إنهم قوم مضوا على دين الحق الذي جاء به موسى عليه السلام وهم يدعون الناس إليه وصانوه عن التبديل والتحريف في عصر تفرق فيه بنو إسرائيل واجدائهم البدع، ويمكن أنهم بقوا مقيمين عليه إلى أن جاء عيسى عليه السلام فدخلوا في دينه، ويمكن أنهم هلكوا قبله".

وقال الإمام السدي وجماعة من المفسرين: "إن بني إسرائيل لما كفروا وقتلوا الأنبياء عليهم السلام، بقي سبط في جملة الاثني عشر فما صنعوا وسألوا الله تعالى أن يُقيدهم ويُخلص منهم. ففتح الله عز وجل لهم في الأرض نفقاً فساروا فيه حتى خرجوا من وراء الصين ثم اختلف موقف المفسرين، فمنهم من قال: إنهم بقوا متمسكين بدين اليهودية إلى الآن، ومنهم من قال: إنهم الآن على دين نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ويستقبلون الكعبة، وهؤلاء اليهود تركوا السبت وتمسكوا بالجمعة، وهم لا يتحاسنون ولا يتظالمون ولكن لا يصل إليهم منا أحد ولا إلينا منهم أحد".

ثم يقول الإمام الرازي أن بعض المحققين ضعف هذا القول: "لأنه إما أن يقال إما وصل إليهم خير رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم، أو لم يصل إليهم هذا الخير، فإن قلنا

(1) سورة الأعراف، الآية 159

(2) سورة النحل، الآية 120

أنهم وصل إليهم خير نبينا ولكن ثم إنهم أصروا على اليهودية؛ فهم كفار، فإذا كيف يجوز أن يوصف بكونهم كما قال الله تعالى: {أُمَّة يَهْتَدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ} (1) ثم ذكر الاحتمال: "ولو قلنا أن هؤلاء اليهود لم يصل إليهم خير الرسول محمد صلى الله عليه وسلم، فهذا بعيد، لأنه لما وصل خبرهم إلينا، مع أن الدواعي والوسائل لا تتوقف على نقل أخبارهم وما إلى ذلك، فكيف يُعقل أنه لا يصل إليهم خير نبينا محمد صلى الله عليه وسلم مع أن العالم قد امتلأت من ذكره وخيره؟" الإمام الرازي ذكر الاشكال وهو: أن خير ياجوج وماجوج قد وصل إلينا ولكن لم يصل خبرنا إليهم؟ واجاب عنه: "أن هذا ممنوع لأنه من أين عُرف أنه لم يصل خبرنا إليهم؟" (2)

استدرك الشيخ غلام رسول السعدي على الإمام فخر الدين الرازي في تفسير هذه الآية فقال بعد ذكر قوله: في رأي التفسير الطيب لهذه الآية هو: أن بنو إسرائيل وإن كانوا متمردين وعصاة وفساق وفجار ولكن يوجد فيهم جماعة من الصالحاء في كل عصر، وكما أشير إليه في تنوين الكلمة (الأمّة)؛ لهذا السبب نجد في القرآن الكريم الزجر الشديد على نقض عهودهم وأعمالهم القبيحة ولكن هكذا نجد مدح وتحسين على وجود تلك الجماعة قليلة كما أشير إليه في الكلمة "الحق" و"العدل" وفيهم العلماء والقضاة القائمين بالحق وكانوا به يفضون، وكان النبي صلى الله عليه وسلم من أولاد هؤلاء الناس وكان في زمن النبي منهم: عبد الله بن سلام وأصحابه رضي الله عنهم. (3)

التحليل والمناقشة:

ذكر الإمام الطبري القول الأول الذي ذكره الإمام الرازي، (4) وذكر الإمام القرطبي عدة أقوال ولكن لم يُرجح بينهما، (5) والإمام ابن الجوزي ذكر ثلاثة أقوال فقال: "أولاً: أنهم قوم وراء الصين ولم تبلغهم دعوة الإسلام، ثانياً: أنهم من آمن بنبينا محمد صلى الله عليه وسلم

(1) سورة الأعراف، الآية 159

(2) يُنظر التفسير الكبير للإمام فخر الدين الرازي، ج 15 ص 387

(3) يُنظر تفسير نبيان القرآن للشيخ غلام رسول السعدي، ج 4 ص 397 - 398

(4) تفسير جامع البيان في تأويل القرآن للإمام الطبري، ج 13 ص 173

(5) تفسير الجامع لأحكام القرآن للإمام القرطبي، ج 7 ص 302

مثل عبد الله بن سلام وأصحابه رضي الله عنهم، ثالثاً: أنهم الذين تمتسكوا بالحق في زمن أنبيائهم عليهم السلام". (1)

ذكر الإمام الطيبي (2) في تفسير هذه الآية عدة وجوه: الأول: "أنهم وجدوا في زمن موسى عليه السلام". الثاني: "أنهم حدثوا في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم. الثالث: أنهم حصلوا في زمن من الأزمنة". الرابع: "ما وجدوا، ولكن فرض لو كانوا في طرف من الدنيا، إلى آخره". ثم ذكر الإمام الطيبي القول الرابع فقال: أن الوجه الأقرب هو الثاني، وذلك أن الله تعالى لما أجاب عن دعاء موسى عليه السلام بقول الله تعالى: {فَسَأَلْتُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ. الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ} (3). (4)

الإمام الألوسي ذكر ثلاثة أقوال في المراد من هؤلاء الناس، وهي كالتالي:

• القول الأول: "أنهم أناس كانوا علي عهد موسى عليه السلام كذلك، أن هذا الكلام مسوق لدفع ما عسى يوهمه تخصيص كتب الرحمة والتقوى والإيمان بالآيات بمعنى الرسول صلى الله عليه وسلم من حرمان أسلاف قوم موسى عليه السلام من كل خير وفيه بيان أن كلهم ليسوا كما حكيت أحوالهم بل منهم الموصوفون بكيت وكيت"، وقال: "هذا ليس بعيد عندي أن يكون ذلك ذكراً وبياناً لقسم آخر من القوم مقابل لما ذكره موسى عليه السلام في قول الله تعالى: {أَتَهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا} (5) وفيه

(1) تفسير زاد المسير للإمام ابن الجوزي، ج 2 ص 162

(2) هو الحسين بن محمد بن عبد الله، شرف الدين الطيبي (المتوفى 743 هـ الموافق 1342 م) من علماء التفسير والحديث والبيان. كان من عراق المعجم وكان صاحب المال والتجارة. وكان يلتزم في تعليم الطلبة من كتبه: البيان في المعاني والبيان، والخلاصة في معرفة، وشرح الكشاف معاه فروع الغيب في الكشف عن قناع الريب. ينظر شذرات الذهب لابن العماد الحنبلي، ج 8 ص 239 - 240 والأعلام للزركلي، ج 2 ص 256

(3) سورة الأعراف، الآية 156 - 157

(4) فروع الغيب في الكشف عن قناع الريب يعرف بحاشية الطيبي على الكشاف للإمام شرف الدين الطيبي (المتوفى: 743 هـ)، ج 6 ص 627 - 618 مقدمة التحقيق: إيراد محمد الفروج، القسم الدراسي: د. جميل بني عطاء، الشرف العام على الإخراج العلمي للكتاب: د. محمد عبد الرحيم سلطان العلماء الناشر: جائزة دبي الدولية للقرآن الكريم.

الطبعة: الأولى 1434 هـ الموافق 2013 م. عدد الأجزاء: 17

(5) سورة الأعراف، الآية 155

دليل وتنصيص على أن من قوم موسى أناس لم يفعلوا عقاباً لها الله عنه كما أشير إليه في هذه الآية⁽¹⁾.

• **القول الثاني:** أن المراد منه أناس وجدوا على عهد رسولنا صلى الله عليه وسلم موصوفون بذلك كعبد الله بن سلام رضي الله عنه وأمثاله، ثم أشار الإمام الألوسي إلى قول الإمام الطيبي كما ذكرناه وذكره مع الإشكال الذي قال به الإمام الرازي وقال: "أن ذكر هؤلاء اليهود هنا لما أشير إليه من النكته فلا ينكر ذكرهم فيما مضى لغير تلك النكته، أما تكرار الشيء الواحد في القرآن الكريم لأغراض مختلفة سنة معروفة ومشهورة على أنهم فيما تقدم من القرآن الكريم قد وصفوا بما هو ظاهر وبين أي أنهم مهتدون وهؤلاء اليهود وصفوا بما هو ظاهر في أنهم هادون؛ فيحصل من هذين الذكرين أنهم موصوفون بالوصفين".

• **القول الثالث:** هو نفس القصة التي ذكرها الإمام الرازي في القول الأول⁽¹⁾.

خلاصة الكلام: رأينا أقوال الأئمة والعلماء في هذه القضية ولكن قول الإمام الرازي راجح لأنه ناقش الوجه الأول جيداً وأجاب عن الاعتراضات، وقد أتته المفسرون أيضاً. والله أعلم

الاستدراك العاشر: قول الله تعالى: {وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ} ⁽²⁾.

يذكر الإمام فخر الدين الرازي في تفسير هذه الآية قولين، وهي كالتالي:

• **القول الأول:** عن عُمرُ بن الخطاب رضي الله عنه: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُسْأَلُ عَنْهَا، فَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ آدَمَ، ثُمَّ مَسَحَ ظَهْرَهُ يَمِينَهُ، فَأَخْرَجَ مِنْهُ ذُرِّيَّةً، فَقَالَ: خَلَقْتُ هَؤُلَاءِ لِلْجَنَّةِ وَيَعْمَلُ أَهْلُ الْجَنَّةِ يَفْعَلُونَ، ثُمَّ مَسَحَ ظَهْرَهُ فَاسْتَخْرَجَ مِنْهُ

(1) يُنظر تفسير روح المعاني للإمام الألوسي؛ ج 5 ص 79

(2) سورة الأعراف، الآية 172

ذُرِّيَّةٌ فَقَالَ: خَلَقْتُ هَؤُلَاءِ لِلنَّارِ وَيَعْتَمِلُ أَهْلُ النَّارِ يَعْتمَلُونَ... (1) يقول الإمام الرازي في القول المذكور: هذا مذهب المفسرون وأهل الأثر وقد ذهب إليه من المفسرين اللداعي مثل سعيد بن المسيب، وسعيد بن جبير، والضحاك، وعكرمة، والكلبي رحمهم الله تعالى. (2)

● القول الثاني: وهو قول أرباب المعقولات وأصحاب النظر حيث يقولون: "إن الله جل جلاله أخرج الذرية وهم الأولاد من أصلاب آبائهم وذلك الإخراج أنهم كانوا نطفة فأخرجها الله تعالى في أرحام الأمهات، وجعلها علقة، ثم مضغة، ثم جعلهم بشراً سوياً، وخلقاً كاملاً ثم أشهدهم على أنفسهم بما ركب فيهم من دلائل وحدانيته، وعجائب خلقه، وغرائب صنعه. فبالإشهاد صاروا كأنهم قالوا بلى، وإن لم يكن هناك قول باللسان"، ثم يقول الإمام الرازي: ونجد لها امثلة كقول الله تعالى: {فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا نِجَابًا عَلَيْكُمَا} (3) ومنها قول الله: {إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ} (4) وهذا النوع من المجاز والاستعارة معروف ومشهور في الكلام فوجب حمل الكلام عليه، فهذا هو الكلام في تقرير هذين القولين، وقال في تأييد هذا القول: "أته لا طعن في هذا القول الثاني هذا القول البتة، ويتقدّر أن يصحّ هذا القول لم يكن ذلك منافياً لصحة القول الأول".

ثم ذكر الإمام الرازي إشكالاً حول القول الأول وهي: "هل القول الأول يصح أم لا؟ ولو قيل: ما هو المخار عندكم في القول الأول؟" (5) فقال الإمام الرازي: أن في هذه القضية مقامان: المقام الأول: أنه هل يصحّ القول بأخذ الميثاق عن النذر؟ المقام الثاني: بتقدير أن يصحّ القول بأخذ الميثاق من النذر، فهل يمكن لنا أن نجعله تفسيراً للألفاظ في هذه الآية؟

(1) أخرجه الإمام الترمذي في سننه، أبواب التفسير، باب ومن سورة الأحرف، رقم الحديث: 3075 ج 5 ص 266 وأخرجه الإمام أبي داود في سننه، كتاب السنة، باب القصة رقم الحديث: 4703 ج 4 ص 226 هذا حديث حسن.

(2) ينظر التفسير الكبير للإمام فخر الدين الرازي، ج 15 ص 398

(3) سورة فصلت، الآية 11

(4) سورة النحل، الآية 40

(5) ينظر التفسير الكبير للإمام فخر الدين الرازي، ج 15 ص 400

ثم يتكلم الإمام الرازي عن المقام الأول فيقول: أن منكروا المقام الأول قد احتجوا وتمسكوا بالدلائل العقلية، الإمام الرازي يُحاول أن يُجيب عن كل واحد منها بوجه مقنع، فيذكر عدة وجوه عقلية، وهي كالتالي:

● **الوجه الأول:** "لم هذا القول الصحيح بأننا أخذنا هذا الميثاق فيجب أن نتذكره الآن. أن الله تعالى هو خالق العلم بمحصل الأحوال الماضية لأن هذه العلوم عقلية ضرورية. ومن المعلوم أن العلوم الضرورية خالقها هو الله جل جلاله، وإذا كان الأمر كذلك فيصح من الله تعالى أن يخلقها". ثم ذكر إشكالاً: "إذا أنتم تجوزون هذا، فتجوزوا أن يقال: إنا نحن في أبدان أخرى قبل هذا البدن على سبيل التناسخ وإن كنا لا نتذكر أحوال تلك الأبدان الآن". ثم يُجيب عنه: "أن الفرق بين الأمرين بين وظاهر وذلك بسبب لأننا نحن كنا في أبدان أخرى، وبقينا فيها ودهوراً وسنيناً، فيمتنع وفق العادة نسيانها، أما أخذ هذا الميثاق فإنما حصل في أسرع الوقت أو زمان فليس ببعيد حصول النسيان فيه، والفرق الظاهر وحكام بصحة وصواب هذا الفرق، لأن البشر إذا بقي على العمل الواحد زمناً طويلاً أو سنين كثيرة فيمتنع أن ينساه، ولكن إذا مارس العمل الواحد لحظة واحدة فقد ينساه، ووضح الفرق فيما بينهما".

● **الوجه الثاني:** "أنه يمتنع حصول مجموع تلك الذرات بأسرها في ظهر آدم عليه السلام". ثم يقول: "أن الهيئة ليست شرطاً لحصول الحياة عندنا، والجوهر هو الفرد الذي لا يتجزأ، قابل للحياة والعقل، فلما نجعل كل واحد من تلك الذرات جوهرًا فرداً، فلم نقولون إن ظهر آدم عليه السلام لا يتسع لمجموعها؟ ولكن هذا الجواب لا يتم إلا إذا قلنا: أن البشر جوهر فرد. وجزء لا يتجزأ في الجسد أو البدن كما هو مذهب بعض القدماء، ولكن لما نقول أن الإنسان أو البشر هو النفس الناطقة، وأنه جوهر غير متحيز، ولا حال في التحيز فالإشكال يزول".

● **الوجه الثالث:** ما هي فائدة أخذ الميثاق، أن تكون حجة في الحياة الدنيا أو في ذلك الوقت؟ وإجاب عنه بقول الله تعالى: {يَقُولُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ} ⁽¹⁾ وقول الله: {إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ

(1) سورة إبراهيم، الآية 27

مَا يُرِيدُ⁽¹⁾، ثم يقول: "أن بعضاً من المعتزلة لما أرادوا تصحيح القول بوزن الأعمال، وإنطاق الجوارح فقالوا: أنه لا يبعد أن يكون في إسماع هذه الأشياء لطف لبعض المكلفين؟ فهكذا هاهنا ليس يعمد أن يكون لبعض الملائكة لطف في تمييز السعداء من الأشقياء في وقت أخذ الميثاق. وقد قيل: إن الله عزوجل يُذكرهم يوم القيامة ذلك الميثاق. بقية الوجوه ضعيفة والكلام عليها سهل وهين".

ثم ذكر الإمام الرازي الإشكال وهو: "لو صحَّ القول بأخذ الميثاق بمن الذر فهل يمكن لنا أن نجعله تفسيراً لألفاظ هذه الآية؟ وإجاب عنه: أن الوجوه الثلاثة التي ذكرناه في المقام الأول يدافعها لأن قول الله تعالى: {وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ} وقد تكلمنا أن المقصود منه: وإذا أخذ ربك من ظهور بني آدم، وأيضاً لو كانت هذه الذرية مأخوذة من ظهر آدم عليه السلام لقال من ظهر ذريته ولم يقل من ظهورهم ذريتهم". ثم يقول: "أن الناصرون لذلك القول أجابوا عنه وقالوا: أن الرسول صلى الله عليه وسلم فسّر هذه الآية بهذا الوجه كما ورد في الرواية الصحيحة، والطعن في تفسير الرسول غير ممكن. ظاهر الآية يدل على أن الله جل جلاله أخرج الذر من ظهور بني آدم فيحمل ذلك على أن الله تعالى يقلم ويعرف أن الشخص الفلاني يتولد منه فلان وذلك الفلان فلان آخر، فعلى الترتيب الذي عرف دخولهم في الوجود يُخرجهم ويُعَيِّر بعضهم من بعض"، الإمام الرازي يقول: "ولكن ليس في لفظ الآية ما يدل على ثبوت: أن الله تعالى يخرج كل تلك الذرية من صلب آدم عليه السلام، وهكذا ليس في الآية أيضاً ما يحتاج به على بطلانه، إلا أن الخير قد دلَّ عليه"، فملخص الكلام: "أنه ثبت إخراج الذرية من ظهور بني آدم بالقرآن الكريم، وثبت إخراج الذرية من ظهر آدم بالحديث، وعلى هذا التقدير: فلا منافاة بين الأمرين ولا مدافعة، فوجب للمصير إليهما معاً"⁽²⁾.

استدرك الإمام شهاب الدين الألوسي على الإمام فخر الدين الرازي في تفسير هذه الآية وقال: أن قول الإمام الرازي: "أن ظاهر الآية يدل على إخراج الذرية من ظهر بني آدم، وليس فيها ما يدل على أنهم أخرجوا من صلب آدم عليه السلام، ولا ما يدل عليه نفيه،

(1) سورة المائدة، الآية 1

(2) يُنظر التفسير الكبير للإمام فخر الدين الرازي، ج 15 ص 401 - 402

إلا أن الخبر (قول النبي صلى الله عليه وسلم كما ذكرنا) دلّ عليه فيثبت خروجهم من آدم عليه السلام بالحديث ومن بنيه بالآية، لا يطابق سياق الحديث كما لا يخفى". (1)

التحليل والمناقشة:

الإمام ابن عطية يقول: أن ألفاظ هذه الآية تقتضي أن الأخذ كان من بني آدم من ظهورهم وليس لآدم عليه السلام في الآية المذكورة ذكر بحسب اللفظة وتواترت الأحاديث الشريفة في تفسير هذه الآية عن النبي صلى الله عليه وسلم... (2) الإمام ابن الجوزي يقول: "مِنْ ظُهُورِهِمْ} بدل من قول الله تعالى: {مِنْ بَنِي آدَمَ}، إنما قال: {مِنْ ظُهُورِهِمْ} ولم يقل: "من ظهر آدم"، لأن الله عز وجل أخرج بعضهم من ظهور بعض، فاستغنى بسببه عن ذكر ظهر آدم لأن الله جل جلاله قد علم أنهم بنوه، وقد أخرجوا من ظهوره. (3) الإمام الرمخشري يقول أن المراد منه: "إخراجهم من أصلهم نسلاً وإشهادهم على أنفسهم". (4) الإمام القرطبي يقول: ألفاظ هذه الآية تقتضي أن الأخذ إنما كان من بني آدم، وليس لآدم عليه السلام كما قاله الإمام ابن عطية. ثم يذكر وجه النظم فيقول: "وإذ أخذ ربك من ظهور بني آدم ذريتهم، وإنما لم يذكر ظهر آدم لأن المعلوم أنهم كلهم بنوه. وأنهم أخرجوا يوم الميثاق من ظهوره. فاستغنى عن ذكره لقول الله تعالى: {مِنْ بَنِي آدَمَ} فهذا للواحد، وقرا الباقيون "ذرياتهم" بالجمع، لأن الدرية لما كانت تقع للواحد أتى بلفظ لا يقع للواحد فجمع لتخلص الكلمة إلى معناها المقصود إليه لا يشركها فيه شيء وهو الجمع، لأن ظهور بني آدم استخرج منها ذريات كثيرة متناسبة، أعقاب بعد أعقاب، لا يعلم عددهم إلا الله تعالى، فجمع لهذا المعنى". (5)

يقول الإمام البيضاوي: "أخرج من أصلهم تسلمهم على ما يتوالدون قرناً بعد قرن". (6) الإمام أبو السعود يقول: "أن المراد بهم الذين ولد لهم كائناً من كان نسلأ بعد نسلي

(1) يُنظر تفسير روح المعاني للإمام شهاب الدين الألويسي، ج 5 ص 97

(2) تفسير المحرر الوجيز للإمام ابن عطية، ج 2 ص 474

(3) تفسير زاد المحرر للإمام ابن الجوزي، ج 2 ص 167

(4) تفسير الكشاف للإمام الرمخشري، ج 2 ص 176

(5) تفسير الجامع لأحكام القرآن للإمام القرطبي، ج 7 ص 317 - 318

(6) تفسير أنوار التنزيل وأسرار التأويل للإمام البيضاوي، ج 3 ص 41

سوى مَنْ لم يولد له بسبب من الأسباب كالتقم وعدم التزوج والموت صغير". (1) يقول الإمام الخازن: أنه قال الإمام ابن الأنبارى عن مذهب أصحاب الحديث وكبار أهل العلم في هذه الآية الكريمة وهي: أن الله جل جلاله أخرج ذرية آدم عليه السلام من صلبه وأصلاب أولادهم وهم صنور كالذر وأخذ عليهم الميثاق على أن الله عز وجل هو خالقهم وأنهم مصنوعه فاعترفوا بذلك وقبلوه وذلك بعد أن ركب فيهم عقولا عرفوا بها ما عرض عليهم كما جعل للجبال عقولا حتى خوطبوا بقول الله تعالى: {يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ} (2). (3) الإمام النسفى فشر هذه الآية هكذا: المراد من أخذ ذريتهم من ظهورهم إخراجهم من أصلاب آبائهم. (4)

خلاصة الكلام: بعد ذكر أقوال الأئمة الكرام رأينا أن هنا قولان: الأول: وهو قول الكبار من المفسرين: أن الله أخذ اللر من أولاد آدم عليه السلام قرناً بعد قرن، كما رأينا. الثاني: وهو قول الإمام الرازى: أن فيه إمكانية كلا القولين يمكن أن الله تعالى أخذ الذرية من ظهور بني آدم وأيضاً من ظهر آدم عليه السلام أيضاً لأن الأول ثبت من القرآن الكريم والثاني من الحديث، ثم قال الإمام الرازى يجب علينا أن نأخذ بكلا القولين، ولكن الإمام الألوسى يقول أن قول الإمام الرازى لا يطابق مع سياق الحديث، والمراد أن الله تعالى أخذ اللر من ظهر آدم عليه السلام وظهر أولاده أيضاً لأنه ورد في الحديث من ظهر آدم عليه السلام فقط، ولكن قول الإمام الرازى يبدو لي أرجح وأصوب أنه لما ثبت من القرآن الكريم ظهر بني آدم، ومن الحديث من ظهر آدم، فليس هنا أي حرج فيه. والله أعلم

(1) تفسير إرشاد العقل السليم للإمام ابى السعود، ج 3 ص 289

(2) سورة سباء، الآية 10

(3) تفسير لباب التاويل في معاني التنزيل للإمام الخازن، ج 2 ص 267

(4) تفسير مدارك التنزيل وحقائق التاويل للإمام النسفى، ج 1 ص 616

الاستدراك الحادى عشر: قول الله تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيُسَبِّحُونَهُ وَلَهُ يَسْجُدُونَ} (١).

يرى الإمام فخر الدين الرازى في تفسير قول الله تعالى: {وَلَهُ يَسْجُدُونَ}: أنه يفيد الحصر ومعناه: أنهم لا يسجدون لغير الله تعالى. ثم ذكر عليه الاعتراض: فكيف الجمع بينه وبين قول الله تعالى: {قَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ} (٢) والمراد أنهم سجدوا لآدم عليه السلام؟ وأجاب عنه: الذين سجدوا لآدم ملائكة الأرض. فأما عظماء ملائكة السموات فلا، إذا فيكون محل الإثبات والنفي على حدة. ثم يقول: قول الله: {وَلَهُ يَسْجُدُونَ}: يفيد أنهم ما سجدوا لغير الله تعالى، فهذا يفيد العموم. العموم أما سجدة الملائكة لآدم عليه السلام فخاص وكما هنا قاعدة معروفة أن الخاص يكون مقدماً على العام. (٣)

استدرك الشيخ غلام رسول السعيدى على الإمام فخر الدين الرازى في تفسير هذه الآية وقال: أن عظمة الإمام الرازى مُسَلِّمٌ ولكن الجواب لهذا السؤال المذكور هو: أنه نُفِىَ في هذه الآية سجدة عبادة أي الملائكة لا يسجدون غير الله تعالى سجدة عبادة، أما سجدة الملائكة لآدم عليه السلام بإذن الله تعالى فهو سجدة تعظيم، فلا حاجة لهذا القول: "أن ملائكة الأرض الذين سجدوا لآدم عليه السلام فقط"، وقد صرح بما في القرآن الكريم في قول الله تعالى: {قَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ، إِلَّا إِبْلِيسَ} (٤) والمراد منه أن الملائكة كُلُّهُمْ سجدوا لآدم عليه السلام إلا إبليس لم يسجد. ثم استدلى الشيخ السعيدى بقول الإمام الرازى ما قاله في تفسير سورة البقرة: إن جميع الملائكة مأمورون بالسجود لآدم وهو مذهب الأكثرين واحتج عليه الجمهور بدليلين كما يلي:

• الدليل الأول: أن لفظ الملائكة صيغة الجمع وهي تفيد العموم لا سيما وقد وردت هذه اللفظة مفرونة بأكمل وجوه التأكيد كما قل الله عزوجل: {قَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ}

(1) سورة الأعراف، الآية 206

(2) سورة الحجر، الآية 30، وسورة ص، الآية 73

(3) يُنظر التفسير الكبير للإمام فخر الدين الرازى، ج 15 ص 446

(4) سورة الحجر، الآيات 30، 31

• الدليل الثاني: "هو أن الله تعالى استثنى إبليس منهم واستثناء الشخص الواحد منهم يدل على أن من عدا ذلك الشخص كان داخلًا في ذلك الحكم، وبعض الناس أنكروه فقالوا: المأمورون بهذه السجود هم ملائكة الأرض واستعظموا أن يكون أكابر الملائكة مأمورين بذلك".⁽¹⁾

ثم يقول الشيخ السعيدى بعد الاستدلال المذكور: أن الملائكة عليهم السلام جميعاً سجدوا لآدم عليه السلام سجدة تعظيمة لأن الملائكة لا يسجدون غير الله جل جلاله سجدة عبادة وكما يقتضيه سياق الكلام وقد ورد في هذه الآيات تأكيد وتحريض لعبادة الله تعالى أن الملائكة يعبدون الله تعالى ويسجدونه فقط ولا يسجدون غير الله سبحانه وتعالى وهذا هو الجواب الصحيح.⁽²⁾

التحليل والمناقشة:

الكبار من المفسرين مثل الإمام الطبري والإمام ابن أبي حاتم والإمام الزمخشري والإمام البيضاوي والإمام أبو السعود والإمام القرطبي والإمام ابن كثير والإمام المظهرى والإمام الألوسى⁽³⁾ والشيخ الشمرأوى رحمهم الله تعالى حسب علمي سكنوا عن التكلم في هذه القضية، ولكن الإمام ابن تيمية⁽⁴⁾ يقول: جميع الملائكة سجدوا لآدم عليه السلام كما قال الله تعالى: (فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ) وهذه ثلاث صيغ مفررة للاستغراق والعموم: الأول: لأن قول الله عز وجل: (الْمَلَائِكَةُ) يتطلب جميع الملائكة؛ فإن اسم الجمع المعروف بالالف واللام يقتضي العموم، الثاني: قول الله: (كُلُّهُمْ) وهذا من أبلغ الغنوم، الثالث: قول الله: (أَجْمَعُونَ) وهذا تأكيد للعموم. ثم يقول: "فمن يقول إنه لم يسجد لآدم عليه السلام جميع الملائكة؛ بل ملائكة الأرض فقد ردة القرآن الكريم بالكذب والبهتان وهذا القول ومثله

(1) يُنظر التفسير الكبير للإمام فخر الدين الرازى، ج 2 ص 448

(2) تفسير تبيان القرآن للشيخ غلام رسول السعيدى، ج 4 ص 522 - 523

(3) يُنظر تفسير روح المعاني للإمام الألوسى، ج 5 ص 144

(4) هو تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحلیم (661 - 728هـ الموافق 1263 - 1328م)، كان يُعرف بإبن

تيمية، لقب به شيخ الإسلام، وله فقه في كثير من العلوم، وصاحب مصنفات. ولد بجزان، سمع كتب الحديث من كبار الشيوخ. من كتبه: الجمع بين النقل والعقل، وشرح العقيدة الأصفيانية، السياسة الشرعية في إصلاح الرعية والرعية...

يُنظر جذرات الذهب لابن العماد الحنبلي، ج 8 ص 142 - 143 والأعلام للزركلي، ج 1 ص 144 - 145

ليس من أقوال المسلمين والنصارى واليهود؛ وإنما هو من أقوال الملاحدة المتفلسفة الذين يجعلون (الملائكة) قُوى النفس الصالحة "والشياطين" قُوى النفس الخبيثة، ويجعلون سجود الملائكة طاعة القوى للعقل وامتناع الشياطين عصيان القوى الخبيثة للعقل".⁽¹⁾

خلاصة الكلام: رأينا بعض الأقوال في هذه القضية، بعد النظر نجد أن توجيه الشيخ السعدي أحسن لأن سياق الآية يقتضيه بحيث أن المقصود بالسجدة هنا سجدة عبادة وليس سجدة تعظيم أما سجدة الملائكة لآدم عليه السلام فهو سجدة تعظيم، وظاهر الآية كما قال الإمام الرازي يقتضي التأكيد لجميع الملائكة ولا ينبغي فيه تمييز أو تخصيص لملائكة السماء أو الأرض، فإذا القول الراجح هو قول الشيخ السعدي. والله أعلم

(1) مجموع الفتاوى للإمام ابن تيمية، ج 4 ص 345 - 346 الطبع: المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، طبع سنة 1416 هـ الموافق 1995م.

المبحث الثاني سورة الأنفال

الاستلراك الثاني عشر: قول الله تعالى: {إِذْ تَسْتَفِيهُونَ رَبُّكُمْ فَأَسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِالْفِ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرَوِّفِينَ} (1).

يرى الإمام فخر الدين الرازي تفسير هذه الآية هكذا وقال: "أجمع أهل التفسير والمسير علي أن الله تعالى أنزل الملائكة يوم بدر الذين لقتال الكفار كما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: لَمْ تُقَاتِلِ الْمَلَائِكَةُ فِي يَوْمِ بَدْرٍ سِوَى بَدْرِ مِنَ الْأَيَّامِ، وَكَانُوا يُكُونُونَ فِيَمَا سِوَاهُ مِنَ الْأَيَّامِ عَدَدًا وَمَدَدًا لَا يَضْرِبُونَ" (2). ثم يقول: إن هذا القول منسوب إلى الأكثرين ولكن الإمام أبا بكر الأصبم خالفه وأنكره إنكاراً شديداً واستدل له بعدة أدلة، وهي كالتالي:

- **الدليل الأول:** "الملك الواحد مثل جبرئيل عليه السلام يكفي لإهلاك الأرض فلو حضر هو لمقاتلة الكفار، فهل هناك حاجة لغيرهم وكما فعل جبرئيل عليه السلام مع قوم لوط عليه السلام؟ وأي فائدة إذا في إرسالهم؟"
- **الدليل الثاني:** "أكابر الكفار كانوا أصحاب الشهرة ومن كان في مقابلتهم من الصحابة رضي الله عنهم كانوا أيضاً معروفين فففي هذه الحالة نسبة قتل الكفار إلى الملائكة ممتنع".
- **الدليل الثالث:** "لو قاتل الملائكة عليهم السلام فيكون له حالتان أي إما الناس رؤوهم أو لم يروهم، فففي حالة رؤيتهم الرؤية تكون في صورة الناس أو في صورة غيرهم، فففي صورة الأولى تكون عدد عسكر المسلمين ثلاث آلاف ولكن لم يقل به أحد وهو

(1) سورة الانفال، الآيات 9

(2) السورة النبوية لابن هشام (المنون: 213هـ) ج 1 ص 634 تحقيق: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ التليبي، الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر. الطبعة: الثانية 1375هـ الموافق 1955م. عدد الأجزاء: 2 والروض الأنف في شرح السيرة النبوية للإمام السهيلي (المنون: 581هـ)، ج 5 ص 112 الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت. الطبعة: الأولى، 1412هـ. عدد الأجزاء: 7 وتفسير جامع البيان في تأويل القرآن للإمام الطبري، رقم الحديث: 7750 ج 7 ص 175

مخالف لقول الله تعالى: {وَيُقَالُ لَكُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ} (1) ولو شاهد الكفتار ملائكة في صورة غير الناس فهو مستلزم لوقوع الرعب الشديد في قلوبهم ولكنه لم يُنقل من أحد.

• **الدليل الرابع:** "أن الملائكة عليهم السلام الذين نزلوا إما أن يكون أجسامهم كثيفة أو لطيفة فإن كانت أجسامهم كثيفة فيلزم منه أن يراهم الناس جميعاً مثل رؤية غيرهم من الناس ولكن الأمر لم يكن كذلك، وإن كانت أجسامهم لطيفة دقيقة مثل الهواء بدون صلابة وقوة، فممتنع في هذه الحالة كونهم راكبين علي الخيول". (2)

الإمام الرازي ردّ علي هذا القول وقال: "هذه الشبهة لا يليق إلا بمن كان يكره القرآن الكريم والنبوة لأنّ من يسلم بما فلا ينبغي له مثل هذه الكلمات، ولا ينبغي لأبي بكر الأصم أن يُنكر الأشياء التي ثبتت من نص كتاب الله تعالى وقد ورد في الأحاديث علي التواتر فعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: لما رجعت قريش من أحد جعلوا يتحدّثون في أُنديتهم بما ظفروا، ويقولون: لم نر الخيل البلق ولا الرجال البيض الذين كُنّا نراهم يوم بدر"، (3) ثم يقول: "أن الإشكال المذكور لما تقابله بكمال قدرة الله جل جلاله فيزول لأنّه كما قال: {يَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ} (4) لكونه قادراً علي الممكنات جميعاً، وقال الله تعالى: {إِنَّ اللَّهَ بِحِكْمٍ مَا يُرِيدُ} (5) لأجل كونه منزهاً عن الحاجات". (6)

استدرك الشيخ غلام رسول السعيد علي الإمام فخر الدين الرازي في تفسير هذه الآية وقال: أن ما قاله الإمام الرازي في ردّ أبي بكر الأصم فهو يُخالف القرآن الكريم لأنه ليس هنا النص الصريح علي قتال الملائكة فعلاً، ولكن ذكر الله تعالى في سورة الأنفال أن يُمدّ المسلمين بألف من الملائكة، والمراد منه: أن الله تعالى يؤيّد ويُثبّت الملائكة وقت الجدل ويُصحح نياتهم لأنهم يُؤثرون ويُلهمون الإنسان كما يؤيّد قول الله تعالى: {وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا

(1) سورة الأنفال، الآية 44

(2) يُنظر التفسير الكبير للإمام فخر الدين الرازي، ج 8 ص 351 - 352

(3) معالم التنزيل في تفسير القرآن للإمام البغوي، ج 2 ص 330

(4) سورة إبراهيم، الآية 27

(5) سورة المائدة، الآية 1

(6) يُنظر التفسير الكبير للإمام فخر الدين الرازي، ج 8 ص 351 - 352

بُشِّرَى لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُمْ بِهِ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ} (1) ثم استدل
 الشيخ السعدي بقول الشيخ محمد رشيد رضا في وجه الحكمة لنزول الملائكة يوم بدر
 وعدم نزولهم في غزوة أحد فيقول: "أن عدد المسلمين قليل يوم بدر ولم يكن اعتمادهم إلا
 على الله تعالى حيث أطاعوا فيه الرسول صلى الله عليه وسلم على وجه اتم أما في غزوة أحد
 فلم يُطيعوه كاملاً حيث انتقل الصحابة رضي الله عنهم من المكان الذي عينهم فيه
 الرسول" (2) وقد قال الإمام الزمخشري: "نصرة الله تعالى يوم بدر كان يُشْرَى منه كما أنزل
 الله المسكينة على بني إسرائيل والمراد منه أنكم إذا استعظمت إلى الله تعالى وتضرعتم إليه لقلبتكم
 وذلتكم، فكان للنصر بالملائكة عليهم السلام بشارة لكم والإمداد والنصر والتسكين والربط
 لقلوبكم؛ لأن النصر من عند الله تعالى وليس من الملائكة، لأن الناصر لكم وللملائكة هو الله
 تعالى، أما الملائكة وغيرهم فمن زمرة الأسباب، والمنصور هو الذي نصره الله عز وجل" (3).

التحليل والمناقشة:

يقول الإمام الزمخشري في قضية قتال للملائكة أي هل الملائكة قاتلت أم لا؟ فيقول:
 أنه اختلف آراء العلماء فيه ، وهكذا حول قتال الملائكة يوم بدر ثم نقل رواية وهي: "نزل
 جبرئيل عليه السلام في خمسمائة ملك مجنبة على الميمنة فيها أبو بكر رضي الله عنه ونزل
 ميكايل عليه السلام في خمسمائة على الميسرة وفيها علي كرم الله وجهه وهم في صورة الرجال
 عليهم ثياب بيض، وعمائم بيض أرخوا ما بين أكفاهم، فقاتلت الملائكة يوم بدر ولم تقاتل
 يوم الأحزاب ولا يوم حنين ولا تقاتل أبداً إنما يكونون حذواً أو مدداً" (4) وقد قال أبو جهل
 لابن مسعود رضي الله عنه: "من أين كان ذلك الصوت الذي كنا نسمع ولا نرى شخصاً؟
 قال: من الملائكة، فقال أبو جهل: هم غلبونا لا أنتم" (5) وقال ابن عباس رضي الله عنه:
 "بَيْنَمَا رَجُلٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ يَشْتَدُّ فِي أَلْرَجْلِ مِنَ الْمُشْرِكِينَ أُنَامَهُ إِذْ سَمِعَ ضَرْبَةً بِالصَّوْتِ فَوْقَهُ
 وَصَوْتِ الْقَارِيسِ يَقُولُ: أَقْدِمِ حَيْرُومَ إِذْ نَظَرَ إِلَى الْمُشْرِكِ أُنَامَهُ فَعَرَّ مُسْتَلْقِيًا فَنَظَرَ إِلَيْهِ فَإِذَا هُوَ

(1) سورة آل عمران، الآية 126 وسورة الأنفال، الآية 10

(2) يُنظر تفسير المنار للشيخ رشيد رضا، ج 9 ص 506

(3) تفسير الكشاف للإمام الزمخشري، ج 2 ص 202

(4) تفسير الكشاف والبيان للإمام الثعلبي، ج 4 ص 332

(5) ما وجدت في ترجمته.

قد خطم وشق وجهه كضربة السوط فأخضر ذلك أجمع فجاء الأنصاري فحدث الرسول صلى الله عليه وسلم ذلك فقال: صدقت ذلك من مدد السماء".⁽¹⁾ وعن أبي داود المازني رضي الله عنه وكان قد شهد بدرًا قال: "لني لأتبع رجلا من المشركين يوم بدر لأضربه، إذ وقع رأسه قبل أن يصل إليه سيفي، فعرفت أن قد قتله غيري".⁽²⁾ يقول الإمام الزمخشري في الأخير: "وقيل لم يقاتلوا وإنما كانوا يكثرون السواد ويشتون المؤمنين، وإلا فملك واحد كاف في إهلاك أهل الدنيا كلهم، فإن جبريل عليه السلام أهلك بريشة من جناحه مدائن قوم لوط عليه السلام، وأهلك بلاد عمود قوم صالح عليه السلام بصيحة واحدة".⁽³⁾ كما رأينا أن الإمام الزمخشري نقل الروايات في تأييد قتال الملائكة ثم ذكر في الأخير قول الذين يؤيدون عدم قتال الملائكة ولكن لم يرجح بينهم.

الإمام القرطبي نقل ما روي عن سهل بن حنيف رضي الله عنه قال: "لقد رأيتنا يوم بدر وأن أحدنا يُشير بسيفه إلى رأس المشرك فيقع رأسه عن جسده قبل أن يصل إليه". وعن الربيع بن أنس رضي الله عنه قال: "كان الناس يوم بدر يعرفون قتل الملائكة بمن قتلوهم بضربهم فوق الأعناق وعلى البنان، مثل بركة النار قد أُخْرِقَ بِهِ".⁽⁴⁾ ثم يقول: "وإنما كانت الفائدة في كثرة الملائكة لتسكين قلوب المؤمنين، ولأن الله تعالى جعل أولئك الملائكة مجاهدين إلى يوم القيامة، فكل عمرك صبر واحتساب تأييدهم للملائكة ويقاتلون معهم. إنما كانت الفائدة في كثرة الملائكة أنهم كانوا يدعون ويُسبحون، ويكثرون الذين يقاتلون يومئذ، فعلى هذا لم تقاتل الملائكة يوم بدر وإنما حضروا للدعاء بالتثبيت، والأول أكثر".⁽⁵⁾ خلاصة الكلام الإمام القرطبي ذكر بعض الروايات التي ذكره الإمام الزمخشري والإمام الرازي فكان الإمام القرطبي رجح قول القتال. والله أعلم

(1) الجمع بين الصحيحين البخاري ومسلم لابي عبد الله بن أبي نصر (الشرح: 488هـ)، ج 1 ص 143 المحقق: د. علي حسن البواب. الناشر: دار ابن حزم لبنان، بيروت. الطبعة: الثانية، 1423هـ الموافق 2002م. عدد الأجزاء: 4x2 وتفسير الدر المنثور للإمام السوطي، ج 4 ص 29

(2) تفسير جامع البيان في تأويل القرآن للإمام الطبري، ج 7 ص 176

(3) تفسير الكشاف للإمام الزمخشري، ج 2 ص 201

(4) تفسير القرآن العظيم للإمام ابن أبي حاتم، رقم الحديث: 8876 ج 5 ص 1668

(5) تفسير الجامع لأحكام القرآن للإمام القرطبي، ج 4 ص 194

الإمام البيضاوي يقول بالصرحة في تأييد قتال الملائكة عليهم السلام: "اختلف آراء العلماء في مقاتلة الملائكة ولكنها الروايات والأخبار تدل على ثبوتها".⁽¹⁾ الإمام الخازن يقول: "هل قاتلت الملائكة أم لا؟ والصحيح أنهم قاتلوا يوم بدر كما ورد في الروايات، قيل إنهم لم يقاتلوا وإنما نزلوا ليكفروا سواد المسلمين ويمتوهم ويدل عليه قول الله تعالى: {وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ وَنَجْمًا مِّنَ بُشْرَىٰ بِهٖ قُلُوبُكُمْ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ اللَّهِ} ⁽²⁾ والمراد منه: وما جعل الله الإرداف بالملائكة إلا بشري وتقطعت به قلوبكم وهذا يحقق أنهم إنما نزلوا لذلك لا للقتال"، يقول في الأخير: "الصحيح هو الأول وأنهم قاتلوا يوم بدر ولم يقاتلوا فيما سواه من الأيام".⁽³⁾ الإمام الألوسي يقول: "أكثر المفسرين والعلماء يقولون بقتال الملائكة عليهم السلام يوم بدر كما يدل عليه الأحاديث والروايات ولكن لم تقاتل يوم الأحزاب، وروي عن أبي أسيد رضي الله عنه وكان شهد بدرًا: أنه قال بعد إذ ذهب بصره: لو كنت معكم اليوم بدر ومعى بصري، لأريتكم البشع الذي خرجت منه للملائكة، لا أشك ولا أتمارى".⁽⁴⁾ هكذا قال الشيخ الصديق حسن خان القنوجي⁽⁵⁾ في تفسيره.⁽⁶⁾

خلاصة الكلام: كما رأينا أن بعضاً من العلماء قالوا بقتال الملائكة والبعض قالوا بعدمها ولكن الروايات بيّنت قتال الملائكة فثبتت بما لأنها مفسرة للقرآن الكريم؛ فملخص

(1) تفسير أنوار التنزيل وأسرار التأويل للإمام البيضاوي، ج 3 ص 51

(2) سورة الأنفال، الآية 10

(3) تفسير لآب التاويل في معاني التنزيل للإمام الخازن، ج 2 ص 297

(4) تفسير جامع البيان في تأويل القرآن للإمام الطبري، رقم الحديث: 7748 ج 7 ص 175 تفسير روح المعاني للإمام شهاب الدين الألوسي، ج 5 ص 163

(5) هو محمد صديق خان بن حسن الحسيني البخاري القنوجي، كنيته أبو الطيب (1248 - 1307 هـ الموافق 1832 - 1890 م) من رجال النهضة الإسلامية المجددين، ولد ونشأ في قنوج (بهند) وتعلم في فلهي. وسافر إلى بمباي طلباً للعبادة، وحصل على أموال كثيرة، ولقب بـ نواب عالي الجاه. من كنيته: أجد العلوم، والتفسير فتح البيان في مقاصد القرآن، نيل المرام من تفسير آيات الأحكام... ينظر الأعلام للزركلي، ج 6 ص 167 - 168

(6) فسخ البيان في مقاصد القرآن لصديق حسن خان القنوجي (المتوفى: 1307 هـ)، ج 2 ص 326 عدد الأجزاء: 15 عني بطبعه وقدم له وراجعته: خدام العلم عبد الله بن إبراهيم الأنصاري، العاشرة: المكتبة المصرية للطباعة والنشر، صيدا، بيروت. عام النشر: 1412 هـ الموافق 1992 م.

الكلام أن قول الإمام فخر الدين الرازي راجح في هذه المسألة لأنها ثابتة بالقرآن الكريم.
والله أعلم

الاستدراك الثالث عشر: قول الله تعالى: {وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ} (1).

يرى الإمام فخر الدين الرازي تفسير هذه الآية هكذا: "أن معلومات الله تعالى على أربعة أقسام، وهي كالتالي: "القسم لأول: جملة الموجودات. القسم الثاني: جملة المعدومات. القسم الثالث: أن كل واحد من الموجودات لو كان معدوماً فماذا يكون حاله. القسم الرابع: ولو أن كل واحد من المعدومات كان موجوداً فكيف يكون حاله". ثم يقول: "أما القسم الأوليان فهما علماً بالواقع، وأما القسمان الأخريان فعلماً بالمقدر الذي هما غير واقع، فقول الله تعالى: {وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ} (2) من القسم الثاني وهو العلم بالمقدرات، وليس من أقسام العلم بالواقعات ونظيره قول الله جل جلاله حكاية عن المنافقين قول الله تعالى: {لَئِنْ أَخْرَجْتُمْ لَنُخْرِجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِنْ قُوتِلْتُمْ لَنَنْصُرَنَّكُمْ} (3) وقال الله تعالى: {لَئِنْ أَخْرَجُوا لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِنْ قُوتِلُوا لَا يَنْصُرُونَهُمْ وَلَئِنْ نَصَرُوهُمْ لَيُؤَلِّقُوا الْأَذْيَارَ ثُمَّ لَا يَنْصُرُونَ} (4) فعلم الله تعالى في المعدوم أنه لو كان موجوداً كيف يكون حاله، وأيضاً قول الله تعالى: {وَلَوْ رَدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ} (5) فأخبر عن المعدوم أنه لو كان موجوداً كيف يكون حاله". (6)

استدراك الشيخ غلام رسول السعدي على الإمام فخر الدين الرازي في تفسير هذه الآية وقال: أنا نجد في القرآن الكريم أمثلة أخرى غير ما ذكره الإمام الرازي لهذه الأقسام الأربعة المذكورة وهي: الحال الأول: قول الله تعالى: {لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ

(1) سورة الانفال، الآية 23

(2) سورة الانفال، الآية 8

(3) سورة الحشر، الآية 11

(4) سورة الحشر، الآية 12

(5) سورة الانعام، الآية 28

(6) يُعْظَرُ التفسير الكبير للإمام فخر الدين الرازي، ج 15 ص 470 - 471

لَفَسَدَتَا} (1) ذكر في الآية المذكورة حال الشيء المعلوم وهو من العلوم المقدرات، المثال الثاني: وقول الله تعالى: {فَإِنْ كُنْتُمْ فِي شَكٍّ مِّمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ فَاسْأَلِ الَّذِينَ يُشْرِكُونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ} (2) فشك النبي صلى الله عليه وسلم في القرآن الكريم معلوم ولكن على سبيل المقدر لو وقع فهذا يكون حاله، المثال الثالث: وقول الله تعالى: {لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَتَكُونُ مِنَ الْخَاسِرِينَ} (3) وهكذا شرك النبي صلى الله عليه وسلم محال ولكن على سبيل المثال لو وقع فيكون حاله كما قيل. (4)

التحليل والمناقشة:

خلاصة الكلام: رأينا في هذه القضية أن الشيخ السعدي جاء بأمثلة مزينة سوى أمثلة الإمام الرازي فكانه جاء مكملاً لما نقص من الإمام الرازي، ولكن ليس من اللزوم استيعاب الأمثلة في كل مكان. هذا المثال للاستدراك يكون من نوع تكميل ما نقص من الاستدراك كما ذكرناه في تعريف الاستدراك. والترجيح يكون لقول الشيخ السعدي. والله أعلم

الاستدراك الرابع عشر: قول الله تعالى: {وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَاباً مِنَ السَّمَاءِ أَوْ انزِلْ عَلَيْنَا مَائِدًا مِنَ السَّمَاءِ} (5)

يذكر الإمام فخر الدين الرازي في تفسير هذه الآية الإشكال فيقول: أن في قول الله تعالى في هذه الآية المذكورة حكاية الله عن الكفار، وكان هذا كلام الكفار وهو من جنس نظم القرآن فقد حصلت المعارضة في هذا المقدر، وأيضاً حكي عنهم أنهم قالوا في سورة الإسراء قول الله تعالى: {وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَنْزِلَ عَلَيْنَا مَائِدًا مِنَ السَّمَاءِ} أو تَكُونْ لَكَ جَنَّةٌ مِنْ نَجِيلٍ وَعَنْبٌ فَتَقْطَرُ الْأَنْهَارُ خِلَافَهَا تَفْجِيرًا. أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا

(1) سورة الأنبياء، الآية 22

(2) سورة يونس، الآية 94

(3) سورة الزمر، الآية 65

(4) يُنظر تفسير تبيان القرآن للشيخ غلام رسول السعدي، ج 4 ص 601

(5) سورة الأنفال، الآية 32

رَعَمَتْ عَلَيْنَا كَيْفًا أَوْ تَأْتِي بِاللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ قَبِيلًا⁽¹⁾ وذلك أيضاً كلام الكفار فقد حصل من كلامهم ما يشبه نظم القرآن الكريم ومعارضته، وذلك يدل على حصول المعارضة. ثم أجاب عنه فقال: "أنّ الايمان يمثل هذا القطر من الكلام لحصول المعارضة لا يكفي، لأنه كلام قليل ولا يتبين فيه وجوه الفصاحة والبلاغة، وهذا الجواب لا يمتشى إلا إذا قلنا التحدي ما وقع بجميع الشور، وإنما وقع بالسورة الطويلة التي يظهر فيها قوة الكلام".⁽²⁾

استدرك الشيخ غلام رسول السعيدى على الإمام فخر الدين الرازى في تفسير هذه الآية فيقول: حسب رأي هذا الجواب لا يصحح لأن جميع الشور للقرآن الكريم معجزة ولا يستطيع أحد أن يأتي بمثله صغيراً كان أو كبيراً. ومن المعلوم أن آيات القرآن الكريم أيضاً معجزة وليس في استطاعة أحد أن يأتي بمثله، وما نقله سبحانه وتعالى من كلام الكفار في هذه الآيات، فهو ليس من كلامهم أصلاً بل عتبر عنه سبحانه وتعالى في كلامه للفصح والبلغ لأنهم لا يستطيعون أن يشكلموا به، ففي الحقيقة هذا كلام الله جل جلاله وقد صاغه الله تعالى في كلامه البليغ وعتبر عنه وليس من كلام الكفار.⁽³⁾

التحليل والمناقشة:

حسب علمي ما وجدت أحد من المفسرين تكلم في هذا الموضوع على سبيل المثال الإمام الطبري وابن أبي حاتم والزمخشري والبيضاوي والقرطبي وأبو السعود وابن عاشور والألوسي والزحيلي وغيرهم. أما جواب الإمام الرازى عن الإشكال المذكور: "أنّ الايمان يمثل هذا القطر لا يكفي للمعارضة"، فكان قوله يوافق أو يؤيد من ما تحدى به الله تعالى في القرآن الكريم ثلاث مرّات، في المرّة الأولى جاء التحدي عن الايمان يمثل جميع القرآن الكريم كما قال الله تعالى: {قُلْ لَعْنَةُ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ وَالْجِنَّةِ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ⁽⁴⁾، وفي المرّة الثانية كانت التحدي عن عشر سور كما قال الله تعالى: {قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ

(1) سورة الإسراء، الآيات 90 - 93

(2) يُنظر التفسير الكبير للإمام فخر الدين الرازى، ج 15 ص 479

(3) تفسير تبيان القرآن للشيخ غلام رسول السعيدى، ج 4 ص 625

(4) سورة الإسراء، الآية 88

مُسَوِّرٌ مِثْلِهِ} (1)، وفي الأخير قال الله تعالى: {فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ} (2). ولكن مع ذلك قول الشيخ السعدي رافع جداً وقد جاء بتوجيه جيد لأن الله جل جلاله صاغ كلام الكفار في عبارته وعبر عنه ولكن هو لم يذكر له دليلاً، ومع ذلك قوله يؤيد بقول الشيخ رشيد رضا لأنه يقول: "وما يحكيه القرآن الكريم من أقوال المشركين وغيرهم قد يكون بالمعنى دون نص اللفظ، كما هو المعتاد بين الناس، وقد يكون نظمه مع أدائه للمعنى بدون إخلال مما يعجز المحكي عنهم عن مثله، وقد يتعين هذا في الكلام الطويل الذي يتحقق بمثل الإعجاز" (3). بعد النظر في أقوال المفسرين أقول: حسب رأي القول الراجح هو قول الشيخ السعدي. والله أعلم

الاستدراك الخامس عشر: قول الله تعالى: {وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ} (4).

يرى الإمام فخر الدين الرازي تفسير هذه الآية هكذا: أن الله تعالى أمر بقتال الكفار وبين لها العلة التي تجب بها القتال، وهي: "حتى لا تكون فتنة ويخلص الدين الذي هو دين الله من سائر الأديان"، ولما ينزل الكفر بالكلية فيحصل هذا المقصد كما قاله الإمام الزمخشري في تفسيره، (5) ثم يقول: "إما أن يكون المراد من هذه الآية وقاتلوهم لأجل أن يحصل: {حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ} أو يكون المراد وقاتلوهم لغرض أن يحصل: {وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ} فإن كان المراد من الآية هو الأول وجب أن يحصل هذا المعنى من القتال، فوجب أن يكون المراد ويكون الدين كله لله في أرض مكة وما حواليها، لأن المقصود حصل هنا"، ثم يضيف: وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: "لَا يَجْتَمِعُ دِينَانِ فِي جَزِيرَةِ الْعَرَبِ" (6) "ولا يمكن

(1) سورة هود، الآية 13

(2) سورة البقرة، الآية 23 وسورة يونس، الآية 38

(3) تفسير المنار للشيخ رشيد رضا ج 9 ص 545

(4) سورة الأتفال، الآية 39

(5) تفسير الكشاف للإمام الزمخشري، ج 2 ص 220

(6) للوطأ للإمام مالك بن أنس (فتاوى: 179هـ)، رقم الحديث: 3323 ج 5 ص 1314 المحقق: محمد مصطفى الأعظمي. الناشر: مؤسسة زايد بن سلطان آل نهيان للأعمال الخيرية والإنسانية، أبو ظبي، الإمارات. الطبعة: الأولى،

لنا أن نحملة علي البلاد جميعاً فلو كان ذلك مقصوداً منه فلم يبق الكفر مع حصول الجهاد والقتال فيها المأمور من الله تعالى، وإذا كان الغرض من الآية الكريمة هو الثاني قول الله جل جلاله: {قَاتِلُوهُمْ} لقصد الدين أن يكون الدين كله لله، وعلي هذا التقدير ليس هنا مانع من حمله علي إزالة الكفر عن العالم جميعاً وليس من الضروري أن يحصل الإنسان كل ما كان من أهدافه، إذا فيكون المراد منه الأمر بالقتال والجهاد لحصول هذا المقصد سواء يحصل أو لم يحصل هذا المقصد في نفس الأمر". (1)

استدرك الشيخ غلام رسول السعيد علي الإمام فخر الدين الرازي في تفسير هذه الآية وقال: أن المراد الصحيح من هذه الآية في رأي هو: أن تستمر المسلمون بالجهاد إلى الوقت الذي يكون فيه غلبة الكفر والشرك علي الأرض وهكذا ينبغي للمسلمين أن يحسبوا أنفسهم في حالة الجهاد، وأن يحاولوا في حصول الأسباب والوسائل والإمكانيات التي تفتح علي الشرك من العالم، وينبغي للمسلمين أن يُبَلِّغُوا دعوة الإسلام إلى المناطق والبلاد التي ينتصر عليه المسلمون كي يقبلوا الإسلام ويزيد به عدد المسلمين، ولا يبدؤا للمسلمين في كل الزمن من الإهتمام بحصول الأسلحة الجديدة للمخترعة للحرب وعلي التطور في العلوم الحديثة. (2) ثم ذكر الشيخ السعيد سببين لتخلف المسلمين وزوالهم في هذا العصر، وهي كالتالي:

- السبب الأول لتخلف المسلمين وتأخرهم في هذا الزمن عدم إهتمامهم بالدعوة، كما أن المغول حكموا علي الهند ثمر القرون ولكن تغفلوا عن دعوة الإسلام واشتغلوا في استحكام حكوماتهم.
- السبب الثاني عدم إهتمام المسلمين بتحصيل العلوم الحديثة والجديدة، وقد أمر الله جل جلاله بالقضاء علي الكفر والشرك والغلبة عليهم كي يغلب التوحيد والإسلام في جميع العالم، ولكن لما ترك المسلمون العمل بهذا الحكم فصاروا مغلوبين في العالم

1425 هـ الموافق 2004 م. عدد الأجزاء: 8 والكتاب للمصنف في الأحاديث والآثار للإمام أبي بكر بن أبي شيبة، (المعنى: 235 هـ) رقم الحديث: 32992 ج 6 ص 468 المحقق: كمال يوسف الجوبير، الطائفة: مكتبة الرشد، الرياض. الطبعة: الأولى 1409 هـ. عدد الأجزاء: 7

(1) يُنظر التفسير الكبير للإمام فخر الدين الرازي، ج 15 ص 483 - 484

(2) تفسير تبيان القرآن للشيخ غلام رسول السعيد، ج 4 ص 636

ومحكومين. وقد فتح المسلمون بعض المناطق والبلاد في الجهاد ولكن لم يعملوا على قول الله تعالى: {وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ} (1) وأيضاً لم يهتموا بدعوة الكفار إلى الإسلام فلم تبق تلك المناطق في سيطرتهم. (2)

التحليل والمناقشة:

قال الإمام الزمخشري في تفسيره: "ويخلص الدين الذي هو دين الله من سائر الأديان، ولما يزول الكفر بالكلية فيحصل هذا المقصد". (3) ويقول الإمام البيضاوي: "وتضمحل عنهم الأديان الباطلة". (4) وقد قال الإمام النسفي (5): "ويضمحل عنهم كل دين باطل ويبقى فيهم دين الإسلام". (6) ويقول الإمام أبو السعود: "وتضمحل الأديان الباطلة إما بإهلاك أهلها جميعاً أو برجوعهم عنها خشية القتل". (7) الإمام الألوسي قال وفق قول الإمام أبو السعود فلا نكره. (8) وقد قال الشيخ رشيد رضا في تفسير الرمي: "الواجب على المسلمين في هذا الزمن ينص من القرآن الكريم صنع المدافع بأنواعها والبنادق والدبابات والطائرات والمطاطيد وإنشاء المصن الحربية بأنواعها، وهكذا منها الغواصات التي تغوص في البحر، كما يجب عليهم تعلم الفنون والصناعات التي يتوقف عليها صنع هذه الأشياء وغيرها من قوى الحرب بتدليل: ما لا يتم الواجب المطلق إلا به فهو واجب، وقد ورد أن الصحابة

(1) سورة الأنفال، الآية 39

(2) تفسير تبيان القرآن للشيخ غلام رسول السعدي، ج 4 ص 636

(3) تفسير الكشاف للإمام الزمخشري، ج 2 ص 220

(4) تفسير أنوار التنزيل وأسرار التأويل للإمام البيضاوي، ج 3 ص 59

(5) عبد الله بن أحمد بن محمد بن محمود النسفي، حافظ الدين أبو اليركات (المتوفى 710هـ الموافق 1310م): كان فقيهاً مفسراً، حنفيّاً، من أهل أصفهان ووفاته فيها. نسبته إلى "نسف" ببلاد الهند. من كجه الفقيه مدارك التنزيل، كنج الدقائق في الفقه، كشف الأسرار، السوالي في الفروع... يُنظر الجواهر المنسية في طبقات الحنفية لعبد القادر الحنفي (المتوفى: 775هـ) ج 1 ص 270 للناشر: مير محمد كشم نخاه، كراتشي. عدد الأجزاء: 2 والأعلام للزركلي، ج 4 ص 67

(6) تفسير النسفي المسقى بـ مدارك التنزيل وحقائق التأويل للإمام النسفي (المتوفى: 710هـ) ج 1 ص 645 حقه وخرج أحاديثه: يوسف علي بدوي، راجعه وقدم له: محيي الدين ديب مستور. الناشر: دار الكلم الطيب، بيروت.

الطبعة: الأولى، 1419هـ الموافق 1998م. عدد الأجزاء: 3

(7) تفسير إرشاد العقل السليم للإمام أبي السعود، ج 4 ص 21

(8) يُنظر تفسير روح المعاني للإمام شهاب الدين الألوسي، ج 5 ص 194

يوجب المنازعة أو التنازع حيث لا يجوز العمل به. ثانياً: ما هو المقصود بالتنازع؟ هل المراد منه الاختلاف أو المخالفة والجدال؟ فإن كان المقصود منه الاختلاف فهذا ليس عيباً ولها أمثلة كثيرة في القرآن الكريم والسنة النبوية على صاحبها الصلاة والسلام وقد جاءت في الروايات: "اختلاف أمي رحمة"،⁽¹⁾ وإن كان المراد منه مخالفة بعضهم بعضاً فهذا صحيح وهو لا يُنافي القياس، أما القياس المجتهد فعلى وجه العموم يختلف من المجتهد الآخر ولكنهم لا يستوجبون مخالفتهم، بل ينبغي لكل مجتهد ومتبعيه أن يعملوا على قياسهم بالأدلة، وأيضاً لا يذمّون بعضهم بعضاً ولا يخالفون فيما بينهم.⁽²⁾

التحليل والمناقشة:

ومن هنا نلاحظ أن الشيخ السعيدى كشف الغموض وأزال الإبهام عن كلام الإمام الرازى وعليه فرأى الشيخ السعيدى معتبر. والله أعلم

الاستدراك السابع عشر: قول الله تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْحَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ﴾.⁽³⁾

يرى الإمام فخر الدين الرازى في تفسير هذه الآية هكذا: أن كثرة آلات والأدوات للجهاد كما يُرهب به أعداء الإسلام الذين نحن نعرفهم هكذا الأعداء الذين نحن لا نعرفهم، ثم ذكر عدة وجوه على النحو الآتي:

● **الوجه الأول:** أن المراد به المنافقون وهو القول الأصح، لأن تكثير الأسباب والآلات الغزو كما يوجب رهبة الكفار هكذا رهبة المنافقين، وقد ذكر عليه الاعتراض: "المنافقون لا يخافون القتال فكيف يوجب ما ذكر من الإرهاب"؟ واجاب: أن هذا الإرهاب يكون من وجهين: الأول: "أن المنافقين لما يُشاهدون قوة الإسلام والمسلمين وكثرة

(1) كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال للمتقي الهندى (المسوق: 975هـ) رقم الحديث: 28686 ج 10 ص 136 المحقق: بكرى حيانى، صفوة السقا، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة الخامسة 1401هـ الموافق 1981م.

(2) تفسير تبيان القرآن للشيخ غلام رسول السعيدى، ج 4 ص 650

(3) سورة الانفال، الآية 60

أهوائهم وآلاتهم وينقطع عنهم طمعهم من أن يصيروا مغلوبين، وبته يحملون إلى ترك الكفر الذي في قلوبهم وبواطنهم وأيضاً يضطرون أن يصيروا مخلصين في الإيمان". الثاني: "أن عادة المنافقين هو ترخص ظهور الآفات على الإسلام والمسلمين ويحتالون لإلقاء التفرقة والإفساد فيما بين المسلمين، فهم لما يشاهدون المسلمين في غاية قدرتهم وقوتهم يخافون ويتركون أفعالهم المذمومة".

● الوجه الثاني: أريد به الكفار من الجن كما قال ابن جريج وروي أن الرسول الله صلى الله عليه وسلم قرأ هذه الآية: "فقال إنهم الجن"،⁽¹⁾ ثم قال: "إن الشيطان لا يجبل أحداً في دار فيها فرس عتيق، وقال الإمام الحسن⁽²⁾: "صهيل القرمس يُرهب الجن، ولكن ذكر الإمام الرازي عليه إشكالاً: "أنه لا يُعقل تأثير كثرة آلات الجهاد في إرهاب الجن".

● الوجه الثالث: "كما أن المسلم له أعداء من الكفار فهكذا أحياناً له عداوة مع المسلمين أيضاً، فإذا كان قوي الحال وكثير الآلات والسلاح، فكما يخافه أعداءه من الكفار فكذلك كل من كان له عداوة معه مسلماً أو كافراً".⁽³⁾

استدرك الشيخ غلام رسول السعيد علي الإمام فخر الدين الرازي في تفسير هذه الآية وقال: أن الأحاديث التي تجعل مصداق هذه الآية الجن فهي ضعيفة ولا ينبغي لنا الإصرار على الروايات التي تُخالف العقل، ولما الله سبحانه وتعالى لم يُعيّن هذه الأعداء ولا رسوله صلى الله عليه وسلم فلا نتعقبه بل نتركه إلى الله تعالى.⁽⁴⁾

(1) تفسير القرآن العظيم للإمام ابن أبي حاتم، ج 5 ص 1703

(2) هو الحسن بن يسار البصري (21 - 110 هـ الموافق 642 - 728 م) كنيته أبو سعيد؛ تابعي، كثير العلم فصيحاً. ولد بالمدينة، وشب في كنف علي لسجين، وسمع خطبة عثمان رضي الله عنه وشهد يوم القار أبوه مولد زيد بن ثابت رضي الله عنه. وكان ربما أعطته أم سلمة رضي الله عنها نديها في صغره. وله كتب في فضائل مكة، يُنظر شقرات الذهب لابن العماد الحنبلي، ج 2 ص 48 - 51 والأعلام للزركلي، ج 2 ص 226 - 227

(3) يُنظر التفسير الكبير للإمام الرازي، ج 15 ص 499 - 500

(4) تفسير تبيان القرآن للشيخ غلام رسول السعيد، ج 4 ص 669

التحليل والمناقشة:

لذلك فيما يلي جميع الأقوال التي وردت في تفسير هذه الآية ما ذكره الإمام الطبري وابن أبي حاتم وأبو الليث السمرقندي وابن كثير في تفاسيرهم على النحو الآتي: القول الأول: قول الإمام مجاهد: هؤلاء من بني قريظة، وقد قال به الإمام الطبري وابن أبي حاتم وأبو الليث السمرقندي وابن كثير. القول الثاني: قول الإمام السدي: هؤلاء أهل فارس، وقد قال به الإمام الطبري وابن أبي حاتم وأبو الليث السمرقندي وابن كثير. القول الثالث: هم كل عدو للمسلمين، غير الذي أمر النبي صلى الله عليه وسلم أن يشرد بهم من خلفهم، وقد قال به الإمام الطبري. القول الرابع: هؤلاء المنافقون، قال به الإمام الطبري وابن أبي حاتم. القول الخامس: هم قوم من الجن، قال به الإمام الطبري وابن أبي حاتم وابن كثير. القول السادس: هم الشياطين التي في الذور، قال به الإمام ابن أبي حاتم وابن كثير. القول السابع: من دون كفار العرب، يعني: اليهود، قال به أبو الليث السمرقندي.⁽¹⁾

الإمام الألوسي يقول: "أنتم لا تعرفون هذه الأعداء بأعيانكم ولكن الله يعلمهم، واختار بعضهم أن المعنى لا تعلمونهم كما عليه من العداوة".⁽²⁾ خلاصة الكلام: الأئمة المفسرين ذكروا سبعة وجوه واختار الإمام الرازي منه ثلاثة وجوه، وبالنظر نجد أن هذه الوجوه جميعاً ليس فيها قول صحيح صريح للنبي صلى الله عليه وسلم، فهنا احتمال لجميع الوجوه. وعليه فكلام الإمام الرازي مقدم. والله أعلم

(1) تفسير جامع البيان في تأويل القرآن للإمام الطبري، ج 14 ص 36 - 38 وتفسير القرآن العظيم للإمام ابن أبي حاتم، ج 5 ص 1723 - 1754 وتفسير القرآن العظيم للإمام ابن كثير، ج 4 ص 82 وتفسير بحر العلوم للإمام السمرقندي، ج 2 ص 29

(2) يُنظر تفسير روح المعاني للإمام شهاب الدين الألوسي، ج 5 ص 222

الاستدراك الثامن عشر: قول الله تعالى: {إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عَشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتِينَ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا} (1).

يرى الإمام فخر الدين الرازي تفسير هذه الآية هكذا: أن المراد من قول الله تعالى المذكور الأمر وليس المراد منه الخير فكأن المراد منه: "إن يكن منكم عشرون فليصبروا وليجتهدوا في القتال حتى يغلّبوا مائتين"، ويثقل عليه عدة وجوه، وهي: أولاً: "لو كان المراد منه الخير، لزم أن يقال: إنه لم يغلّب قط مائتان من الكفار عشرين من المؤمنين، ومن المعلوم أنه باطل". ثانياً: "أن الله تعالى قال: {الآن خُفِّفَ اللَّهُ عَنْكُمْ} (2) والسمخ اليبق بالأمر منه بالخير". ثالثاً: "قال الله تعالى بعده: {وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ} (3) وذلك ترغيباً في الثبات على الجهاد، فثبت أن المراد من هذا الكلام هو الأمر وإن كان وارداً بلفظ الخير، وهو كقول الله تعالى: {وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ} (4) وقول الله تعالى: {وَالْمُطَلَّقاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ} (5)".

استدراك الإمام شهاب الدين الألوسي على الإمام فخر الدين الرازي في تفسير هذه الآية وقال أنه يرد عليه الاعتراض وهو: "بأن التعليق الشرطي يكفي فيه ترتيب الجزاء على الشرط في بعض الأزمان لا في كلها ليس بشيء"، ثم أشار الإمام الألوسي إلى قول الإمام شهاب الدين الحفاجي: "إن التعليق الشرطي يكفي فيه ترتيب الجزاء على الشرط في بعض الأزمان لا في كله، ولولا ذلك لزم تخلف وعده بذلك لانتفاء الكلية، وفيه بحث لأن تعليق الغلبة على الصبر وجعله سبباً لها يقتضي وجودها كلما وجد، والترغيب في الشيء يقتضي أنه قد يتخلف عنه ولذا ركّب فيه وهذا أمر خطايي يكفي فيه بمثله" (6) ثم يقول الإمام الألوسي: وذكر الشرطية الثانية مع انضمام مضمونها مما قبلها للدلالة على أن الحال مع

(1) سورة الأنفال، الآية 65

(2) سورة الأنفال، الآية 66

(3) سورة الأنفال، الآية 66

(4) سورة البقرة، الآية 233

(5) سورة البقرة، الآية 228 يُنظر التفسير الكبير للإمام فخر الدين الرازي، ج 15 ص 504

(6) حاشية الشهاب على تفسير التيساوي، المشكاة: عناية القاضى وكفاية الرافى على تفسير التيساوي لشهاب

الدين الحفاجي (المتوفى: 1069هـ) ج 4 ص 289 دار النشر: دار صادر، بيروت. عدد الأجزاء: 8

القلة والكثرة واحدة لا تتفاوت لأن الحال قد تتفاوت بين مقاومة العشرين المائتين والمائة الألف وكذا يقال فيما يأتي. وقول الله تعالى: {يَكُنْ} يحتمل أن يكون تاماً والمرفوع فاعله وقول الله تعالى: {مِنْكُمْ} حال منه أو متعلق بالفعل ويحتمل أن يكون ناقصاً والمرفوع اسمه وقول الله تعالى: {مِنْكُمْ} بخبره. (1)

التحليل والمناقشة:

الإمام ابن عطية يقول: "في لفظ خير ظمينة وَعَد بشرط لأن قول الله تعالى: {إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عَشْرُونَ صَابِرُونَ} بمنزلة أن يقال إن يصير منكم عشرون يظلبوا". (2) وقد قال به الإمام القرطبي أيضاً في تفسيره. (3) الإمام الزمخشري يقول: "هذه جملة من الله تعالى وبشارة بأن الجماعة من المؤمنين إن صبروا غلبوا عشرة أمثالهم من الكفار بعون الله تعالى وتأيدته". (4) الإمام الخازن يقول: "ظاهر لفظ الآية خير ومعناه الأمر فكأن الله تعالى قال إن يكن منكم عشرون فليصبروا وليجتهدوا في قتال عدوهم حتى يظلبوا مائتين ويبدل على أن المراد بهذا الخبر الأمر كما قال الله تعالى: {الآن خُفِّفَ اللَّهُ عَنْكُمْ} (5) لأن النسخ لا يدخل على الإخبار وإنما يدخل على الأمر فدل ذلك على أن الله تعالى أوجب أولاً على المؤمنين هذا الحكم وإنما حسن هذا التكليف لأن الله وعدهم بالنصر ومن تكفل الله له بالنصر سهل عليه الثبات مع الأعداء أي قول الله تعالى: {وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ} يعني صابرة فقول الله تعالى: {يَغْلِبُوا أَلْفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا} فحاصله وجوب ثبات الواحد من المؤمنين في مقابلة العشرة من الكفار". (6) الإمام أبو حيان يقول: "هاتان الجملتان شرطيتان في ضمنهما الأمر يصير عشرون لمائتين وبصير مائة لألف ولذلك دخلها النسخ إذ لو كان خيراً محضاً لم يكن فيه النسخ لكن الشرط إذا كان فيه معنى التكليف جاز فيه النسخ وهذا من ذلك ولذلك نسخ بقول الله تعالى: {الآن خُفِّفَ اللَّهُ عَنْكُمْ} والتقيد بالنصر في أول كل شرط لفظاً هو محذوف من الثانية لدلالة ذكره

(1) يُنظر تفسير روح المعاني للإمام شهاب الدين الألوسي، ج 5 ص 277

(2) تفسير المحرر الوجيز للإمام ابن عطية، ج 2 ص 550

(3) تفسير الجامع لأحكام القرآن للإمام القرطبي، ج 8 ص 44

(4) تفسير الكشاف للإمام الزمخشري، ج 2 ص 235

(5) سورة الأنفال، الآية 66

(6) تفسير لجام التأويل في معاني التنزيل للإمام الخازن، ج 2 ص 325

في الأولى وتقييد الشرط الثاني بقول الله تعالى: {مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا} (1) لفظاً هو محذوف من الشرط الأول في قول الله تعالى: {يَغْلِبُوا بِمِثْقَلِ ذَرَّةٍ} (2) الشيخ غلام رسول السعدي يقول: أن هذه الآية خير بالظاهر ولكن للراد منه الأمر، والأمر يقتضي الوجوب والدليل عليه لأن الله تعالى خفف فيه فيما بعد؛ والتخفيف يكون في العمل أو الفعل الذي أمر به أما الخير فليس فيه تخفيف. لأن الله تعالى خفف ونسخ الأمر الذي أمر به للمسلمين. (3)

خلاصة الكلام: يقول الإمام الألوسي: أن المراد منه خير واستدل له بقول الإمام الحفاجي، ولكن نفهم من أقوال الأئمة الكبار أنهم قالوا: أنه أريد في هذه الآية "الخير" ولكن المراد منه "الأمر" كما رأينا، فإذا عندنا في هذه القضية ثلاثة مواقف: الموقف الأول: أن المراد منه "الأمر" كما قال الإمام الرازي، الموقف الثاني: أن المراد منه "الخير" كما قال الإمام الألوسي، الموقف الثالث: أو المراد منه الخير أريد به الأمر كما قال الإمام الخازن والشيخ السعدي. فإذا الترجيح يكون لقول الإمام الألوسي لوافقته لكبار المفسرين. والله أعلم

الاستدراك التاسع عشر: قول الله تعالى: {مَا كَانَ لِنَبِيِّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أُسْرَى حَتَّى يُخَيَّرَ فِي الْأَرْضِ يُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ} (4)

ذكر الإمام فخر الدين الرازي في تفسير هذه الآية إشكال وهو: "أن الله تعالى أمر النبي ﷺ وجميع قومه يوم بدر بقتل الكفار وهو قول الله تعالى: {فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ} (5) وظاهر الأمر للوجوب، فلما لم يقتلوا بل أسروا كان الأسر معصية". (6) ثم يجيب عنه: "إن ظاهر قول الله تعالى: {فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ} أن هذا الخطاب إنما كان مع الصحابة لإجماع المسلمين على أن النبي ﷺ ما كان مأموراً أن يباشر قتل الكفار بنفسه، وإذا كان هذا الخطاب مختصاً بالصحابة رضي الله عنهم، فهم لما تركوا القتل وأقدموا على الأسر،

(1) سورة الأنفال، الآية 65

(2) تفسير البحر محيط للإمام أبي حيان، ج 5 ص 349

(3) تفسير بيان القرآن للشيخ غلام رسول السعدي، ج 4 ص 691

(4) سورة الأنفال، الآية 67

(5) سورة الأنفال، الآية 12

(6) إنظر التفسير الكبير للإمام فخر الدين الرازي، ج 15 ص 508

كان الذنب صادراً منهم لا من الرسول ﷺ. ثم يقول: "أن الصحابة رضي الله عنهم لما هزموا الكفار وقتلوا منهم جمعا عظيما والكفار فرّوا ذهب الصحابة خلفهم وتباعدها عن الرسول ﷺ وأسروا أولئك الأقوام؛ ولم يعلم الرسول بإقدامهم على الأسر إلا بعد رجوع الصحابة إلى حضرته، وهو عليه السلام لم يأمر وأيضاً لم يأمر بالأسر، فزال هذا السؤال".

ثم ذكر الإمام الرازي إشكالا آخرأ: "هب أن الأمر كذلك، لكنهم لما حملوا الأسارى إلى حضرته فلم لم يأمر بقتلهم امتثالاً لقول الله تعالى: {فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ}، وأجاب عنه: "إن قول الله تعالى: {فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ} تكليف مختص بحالة الحرب عند اشتغال الكفار بالحرب، فأما بعد انقضاء الحرب فهذا التكليف ما كان متناولاً له. والدليل القاطع عليه أن الرسول ﷺ استشار الصحابة في أنه بماذا يعاملهم؟ ولو كان ذلك النص متناولاً لتلك الحالة، لكان مع قيام النص القاطع تاركاً لحكمه وطالباً ذلك الحكم من مشاورة الصحابة، وذلك محال، وأيضاً فقول الله تعالى: {فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ} أمر، والأمر لا يفيد إلا المرة الواحدة، وثبت بالإجماع أن هذا المعنى كان واجباً حال المحاربة فوجب أن يبقى عديم الدلالة على ما وراء وقت المحاربة، وهذا الجواب شاف⁽¹⁾".

استدرك الشيخ غلام رسول السعدي على الإمام فخر الدين الرازي في تفسير هذه الآية وقال: أن الجواب الصحيح عندي لهذه الآية هو أن الله تعالى قال لهم: اضربوا الكفار فوق الأعناق واضربوهم على بناغم أيضاً كما قال الله تعالى: {فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ} (2)، والمقصود منه الضرب على الأعناق والبنان، ولم يقل لهم: "أن يضربوا الكفار جميعاً على أعناقهم ولا تتركوا منهم أحداً حياً"؛ فلما قاتل الصحابة رضي الله عنهم من الكفار سبعون رجلاً فطبق الحكم المذكور، ومن المعلوم أنه لم يأمر الله جل جلاله بقتل جميع الكفار ولم يته عن قبض الكفار وأسره؛ لأجله لما الصحابة رضي الله عنهم قبضوا على بعض الكفار وأسروهم فليس فيه ذنب ولا عصيان، وقد أسلم بعض الكفار فيما بعد، ومن المعلوم أنه أمر الله تعالى في سورة محمد صلى الله عليه وسلم بقبض الكفار بعد القتال كما قال الله تعالى: {فَإِذَا لَقِيتُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبِ الرِّقَابِ حَتَّى إِذَا أَتَّخَفْتُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَتَاقَ

(1) ينظر التفسير الكبير للإمام فخر الدين الرازي، ج 15 ص 509 - 510

(2) سورة الأنفال، الآية 12

فِيَا مَنَّا بَعْدُ وَإِنَّا فِدَاءٌ} (1) فنعرف منه أن اقدم الصحابة أصلاً كان موافقاً لمشية الله تعالى. (2)

التحليل والمناقشة:

ومن هنا يظهر أن التوفيق الذي قام به الشيخ السعيدى مناسب لمقام الصحابة الكرام رضوان الله عنهم أجمعين. فحسب رأي قول الشيخ السعيدى راجح. والله أعلم

الاستدراك العشرون: قول الله تعالى: {لَوْلَا كِتَابٌ مِّنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ}. (3)

يرى الإمام فخر الدين الرازى تفسير هذه الآية هكذا حيث نقل ما قاله سعيد بن جبير وقتادة: "لَوْلَا كِتَابٌ مِّنَ اللَّهِ سَبَقَ يَا مُحَمَّدُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِحِلِّ الْعَنَائِمِ لَكَ وَالْأُمَّتِكَ لَمَسَّكُمْ الْعَذَابُ"، (4) ثم ذكر الإمام الرازى الإشكال: "أن تحليل العنائم والفداء هل حصل في ذلك الوقت أو لم يحصل؟ فلو حصل الإذن والتحليل في ذلك الحين فيمتنع بسببه عليهم نزول العذاب لأن العقاب لا يحصل على الأمر المأذون"، ثم يقول: "أن الإذن ما كان حاصلًا في ذلك الوقت فيصير ذلك الفعل محرماً لأجله من ذلك الحين، فلو لم يحصل الإذن في ذلك الوقت فيكون ذلك الفعل حراماً أيضاً، أكثر ما يقول في هذا الباب أن الله جل جلاله كان في علمه أنه سيحكم بحله فيما بعد ولكنه لا يقدح كونه حراماً في ذلك الحين". ثم ذكر الإمام الرازى عليه اشكالاً: "أن كون العنائم بحيث يصير حلالاً فيما بعد كان مستوجباً لتخفيف

(1) سورة محمد، الآية 4

(2) يُنظر تفسير تبيان القرآن للشيخ غلام رسول السعيدى، ج 4 ص 697

(3) سورة الأنفال، الآية 68

(4) تفسير القرآن العظيم للإمام ابن ابي حاتم، ج 5 ص 1734 - 1735 وكما وُزِيَ عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لَمْ يَحِلَّ الْعَنَائِمُ لِقَوْمِ سُودِ الرُّمُوسِ قَبْلَكُمْ كَمَا نَزَلَ النَّارُ مِنَ السَّمَاءِ فَتَأْكُلُهَا، كَمَا يَوْمَ بَدْرٍ أَسْرَعَ النَّاسُ فِي الْعَنَائِمِ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ جَلَّ جَلَالُهُ {لَوْلَا كِتَابٌ مِّنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ فَكُلُّوا مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَالًا طَيِّبًا}، [سورة الانفال، الآية 68] اخرجاه الإمام أحمد بن حنبل في مسنده، رقم الحديث: 7427 ج 7 ص 239

العقاب". ويُجيب عنه: "لأجل هذه الحالة امتنع نزول العذاب عليهم، وذلك مانع من التخويف لأجل ذلك العقاب".⁽¹⁾

استدرك الإمام شهاب الدين الألوسي علي الإمام فخر الدين الرازي في تفسير هذه الآية وقال: "العجب من الإمام الرازي كيف تفوّه به في تفسيره لأن المراد أن من حضر بداراً من المؤمنين يُوقفه الله تعالى لطاعته، ويغفر له الذنب لو صدر منه وبشبهه على الإيمان الذي ملأ به صدره إلى الموافاة لعظم شأن تلك الوقعة إذ هي أول وقعة أعز الله تعالى بها الإسلام وفتحة للفتوح والنصر من الله عزّوجلّ وليس الأمر في الحديث علي حقيقته كما لا يخفى".⁽²⁾

استدرك الشيخ غلام رسول السعيد علي الإمام فخر الدين الرازي في إجابته عن الإشكالات فذكر سببان: السبب الأول لعدم نزول العذاب هو وإن كان الصحابة رضي الله عنهم لم يمنعوا عن أخذ مال الغنيمة من البداية ولكن أخذهم للغنيمة بدون الإذن مع درجتهم العليا صار سبباً لنزول العذاب لأنه يؤخذ علي الرجل حسب منصبه، وقد كتب في لوح المحفوظ من قبله أنه ستجلّ الغنيمة علي هذه الأمة فلم ينزل العذاب عليهم بل اكتفي علي لومهم فقط. السبب الثاني لعدم نزول العذاب وتفسيراً ثانياً لهذه الآية هو: أنه قد كتب الإعفاء عن أصحاب بدر رضي الله عنهم في لوح المحفوظ ولو لم يكن هذا المكتوب؛ ينزل العذاب عليهم، كما يدلّ عليه الحديث ما يتعلّق بقصة حاطب بن أبي بلتعة رضي الله عنه لما أراد أن يُخبر الكفار عن استعداد النبي صلى الله عليه وسلم لفتح مكة إليهم مكتوباً كما روي عن علي رضي الله عنه يقول: "بَعَثَنِي رَسُولُ اللَّهِ أَنَا وَالرَّبِيعُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَالْمِقْدَادُ بْنُ الْأَسْوَدِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: انْطَلِقُوا حَتَّى تَأْتُوا رَوْضَةَ خَاخِ، فَإِنَّ بِهَا ظِعِينَةً، وَمَعَهَا كِتَابٌ فَخُذُوهُ مِنْهَا، فَإِنِ انْطَلَقْنَا تَعَادَى بِنَا حَيْلُنَا حَتَّى انْتَهَيْنَا إِلَى الرَّوْضَةِ، فَإِذَا نَحْنُ بِالظَّعِينَةِ، فَقُلْنَا أَخْرِجِي الْكِتَابَ، فَقَالَتْ: مَا مَعِيَ مِنْ كِتَابٍ، فَقُلْنَا: لَتُخْرِجَنَّ الْكِتَابَ أَوْ لَنُلْقِيَنَّ الْيَابِ، فَأَخْرَجَتْهُ مِنْ عِقَاصِهَا، فَأَتَيْنَا بِهِ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَإِذَا فِيهِ مِنْ حَاطِبِ بْنِ أَبِي بَلْتَعَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إِلَى أَنَسٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ يُخْبِرُهُمْ بِبَعْضِ أَمْرِ رَسُولِ اللَّهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ:

(1) يُنظر التفسير الكبير للإمام فخر الدين الرازي، ج 15 ص 511 - 512

(2) يُنظر تفسير روح المعاني للإمام شهاب الدين الألوسي، ج 5 ص 230

بَا حَاطِبُ مَا هَذَا؟" قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، لَا تَعْجَلْ عَلَيَّ إِنِّي كُنْتُ أَمْرًا مُلَصَّقًا فِي قُرَيْشٍ، وَلَمْ أَكُنْ مِنْ أَنْفُسِهَا، وَكَانَ مِنْ مَعَكَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ لَمْ تَقْرَأْ بِتِمْكَةَ بِمَكَّةَ يَحْتَمُونَ بِهَا أَهْلِيهِمْ وَأَمْوَالَهُمْ، فَأَحْبَبْتُ إِذْ قَاتِي قَوْلَ اللَّهِ تَعَالَى: {قَالُوا بَلْ أَنْتُمْ لَا تَرْجَبُوا بِكُمْ أَنْتُمْ فَمَنْتُمْ نَبَا فَيَسِرَ الْقُرَآءُ} (1) ذَلِكَ مِنَ النَّسَبِ فِيهِمْ، أَنْ أُتِخِذَ عِنْدَهُمْ يَدًا يَحْتَمُونَ بِهَا قُرَآئِي، وَمَا فَعَلْتُ كُفْرًا وَلَا إِزْدِلَادًا، وَلَا رِضًا بِالْكُفْرِ بَعْدَ الْإِسْلَامِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لَقَدْ صَدَّقْتُمْ، قَالَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: "يَا رَسُولَ اللَّهِ دَعْنِي أَضْرِبَ عُنُقَ هَذَا الْمَنَافِقِ، قَالَ: إِنَّهُ قَدْ شَهِدَ بِدُرٍّ، وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يَكُونَ قَدْ أَطْلَعَ عَلَى أَهْلِ بَدْرٍ فَقَالَ: اهُمَلُوا مَا شِئْتُمْ فَقَدْ عَفَرْتُ لَكُمْ" (2).

التحليل والمناقشة:

يقول الإمام الألوسي: أن الفدية التي أخذوها متصير حلالاً لهم. ثم ذكر عليه اعتراض: "أن هذا لا يصلح أن يُعد من موانع مسلسل العذاب فإن الجبل اللاحق لا يرفع حكم الحرمة السابقة كما أن الحرمة اللاحقة كما في الخمر مثلاً لا ترفع حكم الإباحة السابقة، على أنه قادح في شهول ما نعي عليهم من أخذ الفداء كما يدل عليه قول الله تعالى: {لَكُمْ كُفْرًا} أي لأصابتكم فيما {أخذتم} أي لأجل أخذكم أو الذي أخذتموه من الفداء {عذاب عظيم} لا يقادر قدره"، ثم يجيب عنه: "أنه لا مانع من اعتبار كونها مستوجلاً سبباً للعفو ومانعاً عن وقوع العذاب الديني المراد بما في الآية وإن لم يعتبر في وقت من الأوقات كون المباح سيحرم سبباً للانتقام ومانعاً من العفو تغليبا لجانب الرحمة على الجانب الآخر"، يقول الإمام الألوسي في الأخير: "حاصل المعنى أن ما فعلتم أمر عظيم في نفسه مستوجب للعذاب العظيم لكن الذي تسبب العفو عنه ومنع ترتب العذاب عليه إني سأحله قريباً لكم، ومثل ذلك نظراً إلى رحمتي التي سبقت غضبي يصير سبباً للعفو ومانعاً عن العذاب" (3).

(1) سورة ص، الآية 60

(2) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، باب الجلسوس، رقم الحديث: 3007 ج 4 ص 59 وتفسير تبيان القرآن للشيخ غلام رسول السعدي، ج 4 ص 699

(3) كُنْظَرُ تَسْبِيرِ رُوحِ الْمُعَانِي لِلْإِمَامِ شَهَابِ الدِّينِ الْأَلُوسِيِّ، ج 5 ص 230

اقول: أما قول الإمام الرازي: "أن الصحابة رضي الله عنهم لو منعوا من أخذ الغنيمة فأخذهم للغنيمة حرام وإن لم يمنعوا فلا وجه لنزول العذاب"، ولكن الحالة كانت تختلف لأننا نحن نعرف أنهم لم يمنعوا ولكن ليس هنا أمر علي أخذ الغنيمة وفيه شائبة لحب الدنيا، والصحابة رضي الله عنهم أجمعين هم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وشأنهم أكبر من ذلك، فلهذا السبب جاء العتاب، أما كون تحليل الغنائم في المستقبل فهذا الأمر ما كان يعرفه الصحابة ولا غيرهم في ذلك الوقت. أما قول الشيخ السعيد في السبب الأول فصحح لأن "حسنات الأبرار سيئات المقربين"، والرجل يؤخذ عليه علي حسب قرينه، علي سبيل المثال الأستاذ يزجر تلاميذه علي التقصير في الدرس أو غير ذلك تأديباً ولكن علي العموم لا يكون هذا الترجيح لمن لم يكن من تلامذته. أما هذا القول أنه لم يمنع الصحابة رضي الله عنهم من أخذ الغنيمة ولكن لا يوجد هنا إذن لأخذ الغنيمة في الحال وإن كان الله تعالى يريد أن يحلّه في المستقبل لكن لم يكن هناك أي دليل علي حلّه في ذلك الوقت؛ لأجل هذا جعل أخذ الغنيمة سبباً للوم. خلاصة الكلام: ومن هنا فإن ما ذكره الإمام الألوسي والشيخ السعيد أولى في تفسير هذه الآية. والله أعلم

الاستدراك الحادي والعشرون: قول الله تعالى: {لَوْلَا كِتَابٌ مِّنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ} (1)

يرى الإمام فخر الدين الرازي تفسير هذه الآية هكذا: "أن أمير الله تعالى قد سبق بأنه لا يعذب أحداً من أصحاب بدر رضي الله عنهم الذين شهدوا مع النبي صلى الله عليه وسلم (2) ولكن يرد علي هذا القول إشكالاً وهو: أن هذا الحديث يقتضي أن يقال: إن صحابة بدر رضي الله عنهم لم يمنعوا من الكفر والذنوب والفحشاء والزنا والخمر وما إلى ذلك ولم يهتدوا علي هذه الأعمال القبيحة التي تُرتب عليه العذاب، وهو موجب لسقوط التكاليف الشرعية عنهم ولكن لم يقل به أحد من أصحاب العقل، فلو صاروا كذلك، فكيف

(1) سورة الانفال، الآية 68

(2) كما يدل عليه الحديث ما يتعلق بقصة حاطب بن أبي بلتعة رضي الله عنه ... أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب

الجهاد والسير، باب الجاسوس، رقم الحديث: 3007 ج 4 ص 59

يؤاخذهم الله جل جلاله في ذلك الموضوع بعينه في الواقعة المذكورة بعينها، وكيف يواجه عليهم هذا العقاب القوي⁽¹⁾

استدرك الشيخ غلام رسول السعيدى على الإمام فخر الدين الرازى في تفسير هذه الآية وقال: أنّ الإمام الرازى من رجال العلمي الكبار وأنا لا أساوي تراب قدمه ولكن الجواب لهذا الإشكال هو: أن المراد من هذا الحديث⁽²⁾ تسليية صحابة بدر رضى الله عنهم أن لا يحزنوا حول مغفرتهم، وهكذا الله سبحانه وتعالى لا يصدر عنهم الكفر ويحافظهم من ذنوب الكبيرة، ولو صدر عنهم ذنب أو عصيان فيؤقفه سبحانه وتعالى إلى التوبة والاستغفار قبل موتهم. أما أخذهم للقيمة بدون الإذن وعدم إيمان العذاب عليهم فعلايد لهذا الحديث لأن العذاب رجع عنهم بعد ما جاء إلى ما فوق الشجرة لأنهم صحابة بدر رضى الله عنهم وقد كُتِب في اللوح المحفوظ أنهم مغفورين، أما بالنسبة لعناهم ولومهم، فجوابه: أن عتاب الدنيا لا يُنافي المغفرة في الآخرة.⁽³⁾

التحليل والمناقشة:

قول الإمام الرازى: "أن الحديث يقتضي رفع تكاليف الشرعية من صحابة بدر رضى الله عنهم"، لا يرى صحيحاً لأن النبي صلى الله عليه وسلم أيضاً بُشِّر بالجنة ولكن مع ذلك جاء إليه العتاب في بعض الأمور من الله تعالى وأيضاً لم يرفع منه التكاليف الشرعية فكيف يُرفع من الصحابة رضى الله عنهم أو من غيرهم ولكن كما قال الشيخ السعيدى فيه تسليية الصحابة أن لا يحزنوا ولا يخافوا لأنهم أُخبروا عن ما لهم في الدنيا قبل موتهم إطمئناناً لهم، أما صدور العاصي والذنوب فيغفر الله لهم ويثوب عليهم. وهكذا عتاب الدنيا لا يُنافي المغفرة في الآخرة، وعليه فرأي الشيخ السعيدى سديد. والله أعلم

(1) يُنظر التفسير الكبير للإمام فخر الدين الرازى، ج 15 ص 512

(2) ما يتعلق بقصة عاطب بن ابي بلعة رضى الله عنه. الصحيح البخاري للإمام البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب الجاسوس، رقم الحديث: 3007 ج 4 ص 59

(3) تفسير تبيان القرآن للشيخ غلام رسول السعيدى، ج 4 ص 700

المبحث الثالث

سورة التوبة

الاستدراك الثاني والعشرون: قول الله تعالى: {فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُوا مِنْهُمْ وَآخِصْرُوهُمْ وَأَقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصِدٍ فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ}. (1)

يقول الإمام فخر الدين الرازي: "أن الإمام الشافعي رحمه الله تعالى احتج بهذه الآية الكريمة على قتل تارك الصلاة لأن الله عز وجل أباح دماء الكفار على الإطلاق بجميع الطرق، ثم حرمها عند مجموع هذه الثلاثة، وهي التوبة عن الكفر، وإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة، فعند ما لم يوجد هذا المجموع، وجب أن يبقى إباحة الدم على الأصل"، ثم ذكر الإمام الرازي الإشكال وقال: "لم لا يجوز أن يكون المراد الإقرار بإقامة الصلوة وإيتاء الزكاة واعتقاد وجوبهما؟ والدليل عليه أن تارك الزكاة لا يقتل"، ثم أجاب عن الإشكال: "أن القول المذكور عدول عن الظاهر، وقد دخله التخصيص في تارك الزكاة". ثم ذكر إشكالا آخرًا: "لم كان حمل التخصيص أولى من حمل الكلام على اعتقاد وجوب الصلاة والزكاة؟" وأجاب: "أنه ثابت في أصول الفقه أنه مهما وقع بين الجناز وبين التخصيص التعارض، فالخصيص أولى بالحمل". (2)

استدراك الشيخ غلام رسول السعدي على الإمام فخر الدين الرازي في تفسير هذه الآية وقال: أن المراد عندنا من قول الله تعالى: {وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ}: هو الاعتقاد بوجوب الصلوة ونحن لا نقصد معناه الظاهري والحقيقي بدون الضرورة، لأن معناه الظاهري والحقيقي أن يتوبوا من الكفر والشرك ويقموا الصلوة ويؤتوا الزكاة فخلوا طريقهم وإلا فلا، فلو تاب أحد من المشركين عن الشرك ولكن هو لم يصل بسبب عدم دخول وقت الصلوة أو هناك وقت كثير في اختتام وقت الصلوة؛ فوفق ظاهر المعنى يجب قتله، وهكذا إذا

(1) سورة التوبة، الآية 5

(2) يُنظر التفسير الكبير للإمام فخر الدين الرازي، ج 15 ص 528 - 529

تاب عن الشرك ولكن لم يؤد الزكوة لأنه لا يملك المال يُساوي النصاب أو يملك ولكن لم يعض عليه السنة فوفق الظاهر يجب قتله، ولهذا السبب لا بد لنا أن نقصد من هذه الآية الكريمة الاعتقاد بوجوب الصلوة والزكوة للذين يتوبون عن الكفر والشرك. (1) وعن عبد الله رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لَا يَحِلُّ دَمُ أَفْرِيٍّ مُسْلِمٍ، وَشَهْدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَإِنِّي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إِلَّا بِإِخْتِارِي ثَلَاثٌ: النَّفْسُ بِالنَّفْسِ، وَالنَّيْبُ الزَّانِي، وَالْمَارِقُ مِنَ الدِّينِ الشَّارِكُ لِجَمَاعَةٍ". (2) فذكر في الحديث المذكور أنه لا يقتل مسلم إلا لأحد من هذه الوجوه الثلاث، ولكن ليس فيه ترك الصلوة فلا يجوز قتله. (3)

التحليل والمناقشة:

الإمام القرطبي يقول: "فإن تابوا أي من الشرك. أن الله جل جلاله علق القتل على الشرك، ثم قال: "فإن تابوا". والأصل أن القتل متى كان الشرك يزول بزواله، وذلك يقتضي ويطلب زوال القتل بمجرد التوبة، من غير اعتبار إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة، ولذلك سقط القتل بمجرد التوبة قبل وقت الصلاة والزكاة. وهذا بين في هذا المعنى، غير أن الله عز وجل ذكر التوبة وذكر معها شرطين آخرين، فلا سبيل إلى الغالطمة. ونظيره قول الرسول صلى الله عليه وسلم: "أَمَرْتُ أَنْ أَقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، فَمَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، فَقَدْ حَصَمَ مِنِّي مَالَهُ وَنَفْسَهُ إِلَّا بِحَقِّهِ، وَحَسَابُهُ عَلَى اللَّهِ"، (4) وقال أبو بكر الصديق رضي الله عنه: "وَاللَّهِ لَأَقَاتِلَنَّ مَنْ قَرَّبَ بَيْنَ الصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ، فَإِنَّ الزَّكَاةَ حَقُّ الْمَالِ". (5) وقال ابن عباس رضي الله عنه: "رَحِمَ اللَّهُ أَبَا بَكْرٍ مَا كَانَ أَفْقَهُ". (6) وقال ابن العربي: "ولا خلاف بين المسلمين أن من ترك الصلاة وسائر الفرائض مستجلاً كفر، ومن ترك السنن متهاوناً فسق، ومن ترك

(1) تفسير تبيان القرآن للشيخ غلام رسول السعدي، ج 5 ص 66 - 67

(2) المعرجة الإمام البخاري في صحيحه، كتاب الذيات باب قول الله تعالى: "أَنْ النَّفْسُ بِالنَّفْسِ وَالنَّيْبُ بِالنَّيْبِ وَالْأَمْنُ بِالْأَمْنِ..."، [سورة المائدة، الآية 45] رقم الحديث: 6878 ج 9 ص 5

(3) تفسير تبيان القرآن للشيخ غلام رسول السعدي، ج 5 ص 66 - 67

(4) المعرجة الإمام البخاري في صحيحه، باب قتل من أبي قبول الفرائض، وما نسبوا إلى الردة، رقم الحديث: 6924 ج 9 ص 15

(5) نفس المصدر، باب قتل من أبي قبول الفرائض، وما نسبوا إلى الردة، رقم الحديث: 6925 ج 9 ص 15

(6) تفسير جامع البيان في تأويل القرآن للإمام الطبري، ج 11 ص 362

النوافل لم يخرج، إلا أن يجمد فضلها فيكفر، لأنه يصير راداً علي الرسول صلى الله عليه وسلم ما جاء به وأخبر عنه". ثم يقول الإمام القرطبي: "اختلف آراء العلماء فيمن ترك الصلاة من غير نجهد لها ولا استعملها، فيقول الإمام مالك: من آمن بالله وصدق المرسلين وأبى أن يُصلي قُتل، وقد قال به أبو ثور وجميع أصحاب الإمام الشافعي وأيضاً قول حماد بن زيد ومكحول ووكيع. وقال الإمام أبو حنيفة: يُسجن ويُضرب ولا يُقتل، ومن حُججتهم قول النبي صلى الله عليه وسلم: أمرت أن أقاتل الناس...⁽¹⁾ وقالوا: "حقها الثلاث التي قال به النبي: لا يَحِلُّ دَمُ امْرِئٍ مُسْلِمٍ إِلَّا بِأَخْذِ ثَلَاثٍ: زِنَاً بَعْدَ إِخْصَانٍ، أَوْ اِزْتِنَادٍ بَعْدَ إِسْلَامٍ، أَوْ قَتْلِ نَفْسٍ يَغْتَبِرُ حَقَّ قَتِيلٍ بِهِ"⁽²⁾. ويقول جماعة من الصحابة رضي الله عنهم والتابعين: أن من ترك صلاة واحدة متعمداً حتى يخرج وقتها لغير عذر، وأبى من أدائها وقضائها وقال لا أصلي فإنه كافر، ودمه وماله حلالان، ولا يرثه ورثته من المسلمين، ويسهب، فإن تاب وإلا قتل، وحكم ماله كحكم مال المرتد، وهو قول إسحاق.⁽³⁾ يقول الشيخ الخفاجي: قال الإمام الشافعي: "إن الله تعالى أباح دماء الكفار بجميع الطرق والأحوال، ثم حرّمها عند التوبة عن الكفر وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة فما لم يوجد هذا المجموع يبقى إباحة الدم علي الأصل فتارك الصلاة يقتل، ولعل أبا بكر رضي الله عنه استدل بهذه الآية علي قتال مانعي الزكاة، وإنما خصا من بين الفرائض لأن إظهارها لازم، وما عداها يفسر الاطلاع عليه"⁽⁴⁾.

وقد فسّر الإمام النسفي هذه الآية هكذا: "فإن تابوا { عن الكفر } وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة، فخلّوا سبيلهم { فاطلقوا عنهم بعد الأسر والحصر أو فكفوا عنهم ولا

(1) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه، باب قتل من أبى قبول الفرائض، وما نسبوا إلى الردة، رقم الحديث: 6924 ج 9 ص 15

(2) أخرجه الإمام الترمذي في سننه، أبواب الفتن، "باب ما جاء لا يحل دم امرئ مسلم إلا بإحدى ثلاث". رقم الحديث: 2158 ج 4 ص 30 هذا حديث حسن. وأخرج الإمام مسلم في صحيحه، رقم الحديث: 1676 ج 3 ص 1302 هكذا: "لا يحل دم امرئ مسلم، يشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله، إلا بإحدى ثلاث: الكبش الرزقي، والغنم بالنفس، والثأرك لبيدو المناريك للحنافية". أخرجه الإمام البخاري في صحيحه، رقم الحديث: 6878 ج 9 ص 5 هكذا: "لا يحل دم امرئ مسلم، يشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله، إلا بإحدى ثلاث: النفس بالنفس، والثأب الرزقي، والمناريك من الذين القارئك للحنافية".

(3) تفسير الجامع لأحكام القرآن للإمام القرطبي، ج 8 ص 74 - 75

(4) حاشية الشهاب علي تفسير البيضاوي للإمام الخفاجي، ج 4 ص 300 - 301

تعرضوا لهم". (1) هكذا قال الإمام البيضاوي في تفسيره. (2) الإمام السيوطي قال مثل قول الإمام القرطبي فلا نكرهه. (3) الإمام الألوسي يقول: "أن مذهب الشافعية أن من ترك صلاة واحدة كسلا بشرط إخراجها عن وقت الضرورة بأن لا يُصَلِّي الظهر مثلا حتى تغرب الشمس قتل حدًا، واستدلّ بعض أجلة متأخريهم بهذه الآية وقول النبي صلى الله عليه وسلم: أمرت أن أُقاتل الناس، (4) وبين ذلك بأنهما شرطاً في الكفّ عن القتل والمقاتلة الإسلام وإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة لكن الزكاة يمكن الإمام أخذها ولو بالمقاتلة ممن امتنعوا منها وقتلونا فكانت فيها على حقيقتها بخلافها في الصلاة فإنه لا يمكن فعلها بالمقاتلة فكانت فيها بمعنى القتل". ثم يقول: "فعلم وضوح الفرق بين الصلاة والزكاة وكذا الصوم فإنه إذا علم أنه يحبس طول النهار نواه فأجدى الحسب فيه ولا كذلك الصلاة فتعين القتل في حدها ولا يخفى أن ظاهر هذا قول بالجمع بين الحقيقة والمجاز في الآية والحديث لأن الصلاة والزكاة في كل منهما، وفي الآية القتل وحقيقته لا تجري في مانع الزكاة وفي الحديث المقاتلة وحقيقتها لا تجري في تارك الصلاة فلا بد أن يراد مع القتل المقاتلة في الآية ومع للمقاتلة القتل في الحديث ليشأتى جريان ذلك في تارك الصلاة ومانع الزكاة، والجمع بين الحقيقة والمجاز لا يجوز عندنا، على أن حمل الآية والحديث على ذلك مما لا يكاد يتبادر إلى الذهن فالنقض بمانع الزكاة في غاية القوة". (5) خلاصة الكلام: القول الراجح قول الشيخ السعيدى. والله أعلم

(1) مدارك التنزيل وحقائق التأويل للإمام النسفي، ج 1 ص 664 - 665

(2) تفسير أنوار التنزيل وأسوار التأويل للإمام البيضاوي، ج 3 ص 72

(3) تفسير البحر المحيط للإمام السيوطي، ج 5 ص 373 - 374

(4) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه، باب قتل من أبي قبول الغرائض، وما نسبوا إلى الردة، رقم الحديث: 6924

ج 9 ص 15

(5) يُنظر تفسير روح المعاني للإمام الألوسي، ج 4 ص 246 - 247

الاستدراك الثالث والعشرون: قول الله تعالى: ﴿وَإِنْ نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ مِنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا فِي دِينِكُمْ فَقَاتِلُوا أَنْتُمْ أَكْفَرُ﴾ (1).

الإمام فخر الدين الرازى نقل قول الإمام الزجاج في تفسير هذه الآية: "إن هذه الآية توجب قتل الذمى إذا أظهر الطعن في الإسلام، لأن عهده مشروط بأن لا يطعن، فإن طعن فقد نكث ونقض عهدهم" (2).

وقد استدرك الشيخ غلام رسول السعيدى على الإمام فخر الدين الرازى في تفسير هذه الآية فقال: وفق رأي ينبغي أن يقتل هؤلاء غير المسلمين الذين يهينون نبينا محمد صلى الله عليه وسلم أو الأنبياء السابقين عليهم السلام أن يقولوا قولاً أو يكتب كلمة التي تعتبر الإهانة في العرف، (3) كما يدل عليه الأحاديث والأثار:

• روي عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه: "أن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: مَنْ لِكُفْرِ بْنِ الْأَشْرَفِ، فَإِنَّهُ قَدْ آذَى اللَّهَ وَرَسُولَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ مَسْلَمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أُحِبُّ أَنْ أَقْتُلَهُ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: "نَعَمْ"، قَالَ: فَأَنَاءَهُ، فَقَالَ: إِنَّ هَذَا يَعْنِي النَّبِيَّ قَدْ عَنَانَا وَمَسَّأَلَنَا الصَّدَقَةَ، قَالَ: وَأَيْضًا، وَاللَّهِ لَتَمْلُئُنَّهُ، قَالَ: فَإِنَّا قَدْ أَبْعَدْنَا فَنَكْرَهُ أَنْ تَدْعَهُ، حَتَّى نَنْظُرَ إِلَى مَا يَصِيرُ أَثَرُهُ، قَالَ: فَلَمْ يَزَلْ يُكَلِّمُهُ حَتَّى اسْتَمْتَكَنَ مِنْهُ فَقَتَلَهُ" (4).

• وعن ابن عباس رضي الله عنه: "أن أحمى كانت له أم ولد تمشم النبي صلى الله عليه وسلم، وتقع فيه، فبئنهاها، فلا تنتهي، ويترجرها فلا تترجر، قال: فلما كانت ذات ليلة، جعلت تقع في النبي، وتشمه، فأخذ المِعْرُولُ موضعه في بطنها، وانكأ عليها

(1) سورة التوبة، الآية 12

(2) يُنظر التفسير الكبير للإمام فخر الدين الرازى، ج 15 ص 535

(3) تفسير تبيان القرآن للشيخ غلام رسول السعيدى، ج 5 ص 79 - 80

(4) المخرج الإمام البخاري في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، باب الكلاب في الحرب. رقم الحديث: 3031 ج 4

فَقَتَلَهَا، فَوَلَّعَ بَيْنَ رِجْلَيْهَا طِفْلًا، فَلَطَّحَتْ مَا هُنَاكَ بِالدَّمِ، فَلَمَّا أَصْبَحَ ذُكِرَ ذَلِكَ لِلرُّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ... فَقَالَ النَّبِيُّ: أَلَا أَشْهَدُوا أَنَّ دَمَهَا هَدْرٌ." (1)

• "عن عُرْفَةَ بْنِ الْحَارِثِ الْكِنْدِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مَرَّ بِهِ نَصْرَانِيٌّ فَدَعَاهُ إِلَى الْإِسْلَامِ، فَتَنَاوَلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَذَكَرَهُ، فَرَفَعَ عُرْفَةُ يَدَهُ فَذَقَ أَنْفَهُ، فَرَفَعَ إِلَى عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، فَقَالَ عَمْرٍو: أَعْطَيْتَاهُمُ الْغَنَاءَ. فَقَالَ عُرْفَةُ: مَعَاذَ اللَّهِ أَنْ نَكُونَ أَعْطَيْنَاهُمْ عَلَى أَنْ يُظْهِرُوا شَتَمَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إِنَّمَا أَعْطَيْنَاهُمْ عَلَى أَنْ نُخَلِّيَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ كَنَائِسِهِمْ، يَقُولُونَ فِيهَا مَا بَدَأَ لَهُمْ وَأَنْ لَا نُحْمِلَهُمْ مَا لَا يُطِيقُونَ، وَإِنْ أَرَادَهُمْ عَذَابُ قَاتِلِنَاهُمْ مِنْ وَرَائِهِمْ، وَنُخَلِّيَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ أَحْكَامِهِمْ، إِلَّا أَنْ يَأْتُوا رَاضِينَ بِأَحْكَامِنَا، فَنَحْكُمَ بَيْنَهُمْ بِحُكْمِ اللَّهِ وَحُكْمِ رَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَإِنْ عَيَّبُوا عَنَّا لَمْ نَعْرِضْ لَهُمْ فِيهَا. قَالَ عَمْرٍو: صَدَقْتَ." (2)

• "عَنْ عَمْرِو بْنِ أُمَيَّةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّهُ كَانَتْ لَهُ أُحْتٌ وَكَانَ إِذَا خَرَجَ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ آذَنَهُ فِيهِ وَشَتَمَتْ النَّبِيَّ وَكَانَتْ مُشْرِكَةً، فَاشْتَمَلَهَا يَوْمًا عَلَى السُّوفِي، ثُمَّ أَتَاهَا فَوَضَعَهُ عَلَيْهَا فَقَتَلَهَا، ... فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَقْتَلْتِ أُحْتَكَ؟" قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: وَلِمَ؟ قَالَ: إِنَّهَا كَانَتْ تُؤْذِينِي فِيكَ، فَأَرْسَلْتُ النَّبِيَّ إِلَى بَيْتِهَا فَسَأَلْتُهُمْ؟ فَسَمِعُوا غَيْرَ قَاتِلِهَا، فَأَجَبَرْتُمُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِهِ وَأَهْدَرَ دَمَهَا قَالُوا: سَمِعْنَا وَطَاعَةً." (3)

(1) أخرجه الإمام أبو داود في سننه (المتون: 275هـ) كتاب الجنود، "باب الحكم فيمن سب النبي صلى الله عليه وسلم"، رقم الحديث: 4361 ج 4 ص 129 المحقق: محمد عمري النين عبد الحميد. الناشر: المكتبة العصرية، صيدا، بيروت. عدد الأجزاء: 4

(2) أخرجه الإمام البيهقي (المتون: 458هـ) في سننه الكبرى، كتاب الجزية باب يشترط عليهم أن لا يذكروا رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا بما هو أهله. رقم الحديث: 18710 ج 9 ص 336 المحقق: محمد عبد القادر عطا. الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان. الطبعة: الثالثة 1424هـ الموافق 2003م.

(3) للمعجم الكبير للإمام الطبراني (المتون: 360هـ) باب العيون، عمرو بن أمية، رقم الحديث: 124 ج 17 ص 64 المحقق: حمدي بن عبد الحميد السلفي. دار النشر: مكتبة ابن تيمية، القاهرة. الطبعة: الثانية. عدد الأجزاء: 25 وبشكل القطعة التي نشرها لاحقاً المحقق الشيخ حمدي السلفي من المجلد 13 دار الصميعي، الرياض. الطبعة الأولى، 1415هـ الموافق 1994م.

- "عن علي رضي الله عنه: أَنَّ يَهُودِيَّةً كَانَتْ تَشْتُمُ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَتَقَعُ فِيهِ، فَخَنَقَهَا رَجُلٌ حَتَّى مَاتَتْ، فَأَبْطَلَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دَمَهَا". (1)
- عن حصين ابن عبد الرحمن: "أَنَّ ابْنَ عَمْرِو رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَتَى بِرَبِيبٍ قَوِيلَ لَهُ إِنَّ هَذَا يُسُبُّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ لَوْ سَمِعْتَهُ لَفَتَاكُهُ إِنَّمَا لَمْ نُعْطِهِمُ الذِّمَّةَ لِيَتَمُوبُوا نَبِينَا". (2)

التحليل والمناقشة:

اليك ما قاله الأئمة في هذا الشأن فيقول الإمام الزمخشري: "إذا طعن الدمى في دين الإسلام طعناً ظاهراً جاز قتله، لأن العهد معقود معه على أن لا يطعن، فإذا طعن فقد نكث عهده وخرج من الذمة". (3) يقول الإمام أبو بكر الجصاص: "أن أهل الذمة ممنوعون من إظهار الطعن في دين الإسلام وهو يشهد لقول من يقول من الفقهاء إن من أظهر شتم الرسول صلى الله عليه وآله وسلم من أهل الذمة فقد نقض عهده ووجب قتله وقد اختلف الفقهاء في ذلك فقال أصحابنا يعزى ولا يقتل وهو قول الإمام سفيان الثوري. عن الإمام مالك فيمن شتم النبي صلى الله عليه وسلم من اليهود والنصارى قتل إلا أن يسلم. وقال الإمام الأوزاعي (4) ومالك فيمن سب رسولنا محمد صلى الله عليه وسلم: هي ردة يستتاب فإن تاب نكح وإن لم يتوب قتل قال يضرب مائة ثم يترك حتى إذا هن برىء ضرب مائة ولم

(1) اخرج الإمام للإمام البيهقي في سننه، كتاب الجزية، باب يشترط عليهم أن لا يذكروا رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا بما هو له. رقم الحديث: 18710 ج 9 ص 336

(2) المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية للإمام ابن حجر العسقلاني (المتوفى: 852هـ) رقم الحديث: 2031 ج 9 ص 448 المحقق: (17) رسالة علمية قدمت لجامعة الإمام محمد بن سعود. تحقيق: د. سعد بن ناصر بن عبد العزيز الشثري، الباشر: دار العاصمة، دار الفيث، السعودية. الطبعة: الأولى 1419هـ. عدد الأجزاء: 19

(3) تفسير الكشاف للإمام الزمخشري، ج 2 ص 251

(4) هو عبد الرحمن بن عمرو بن محمد الأوزاعي، من قبيلة الأوزاع، أتم عمرو (88 - 157هـ الموافق 707 - 774م): إمام الديار الشامية في الفقه والرواية، وأحد الكتاب المفسرين. وُلِدَ في بعلبك، ونشأ في البقاع، وسكن بيروت وتولى بها. وعرض عليه القضاء فامتنع. وكانت الفتاوى تدور بالأندلس على رأيه إلى زمن الحكم ابن هشام. من كتبه: السنين في الفقه، والمسائل. يُنظر الأعلام للزركلي، ج 3 ص 320

يذكر فرقاً بين المسلم والذمي، وقال الإمام الليث بن سعد⁽¹⁾ في المسلم بسبب النبي صلى الله عليه وسلم إنه لا يناظر ولا يستتاب ويقتل مكانه وكذلك اليهود والنصارى وقال الإمام الشافعي ويشترط على المصالحين من الكفار أن من ذكر كتاب الله أو محمداً رسول الله صلى الله عليه وسلم بما لا ينبغي أو زنى بمسلمة أو أصابها باسم نكاح أو فتن مسلماً عن دينه أو قطع عليه طريقاً أو أمان أهل الحرب بدلالة علي المسلمين أو أوى عيناً لم فقد نقض عهده وأحل دمه ويرث منه ذمة الله جل جلاله وذمة رسوله صلى الله عليه وسلم، ثم يقول: وظاهر الآية يدل على أن من أظهر سب النبي صلى الله عليه وآله وسلم من أهل العهد فقد نقض عهده لأن الله تعالى قال: ﴿وَإِنْ نَكَثُوا أَعْمَانَهُمْ مِنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعْنُوا فِي دِينِكُمْ فَقَاتِلُوا أُمَّةَ الْكُفْرِ﴾⁽²⁾ فجعل الطعن في ديننا بمنزلة نكث الأيمان⁽³⁾.

الإمام القرطبي يقول: "استدل بعض العلماء بهذه الآية على وجوب قتل كل من طعن في الدين، إذ هو كافر، والمراد من الطعن أن ينسب إليه ما لا يليق به، أو يعترض بالاستخفاف على ما هو من الدين، لما ثبت من الدليل القطعي على صحة أصوله واستقامة فروعه. ثم نقل قول الإمام ابن المنذر⁽⁴⁾: أجمع عامة أهل العلم على أن من سب النبي صلى الله عليه وسلم عليه القتل وقال به الإمام مالك والليث وأحمد وإسحاق، وهو مذهب الإمام الشافعي. وقد حكى عن النعمان أنه قال: لا يقتل من سب النبي صلى الله عليه وسلم من

(1) هو الليث بن سعد عبد الرحمن القهبي (94 - 175 هـ الموافق 713 - 791 م): بالولاء، أبو الحارث: إمام أهل مصر في عصره، حديفاً وفقهاً. كان كبير الديار المصرية ورئيسها وأمر من بها في عصره، بحيث أن القاضي والثائب من تحت أمره ومشورته. أصله من خراسان، ومولده في قلقشنده، ووفاته في القاهرة. وكان من الكرماء الأجواد. وله تصانيف. يُنظر الأعلام للزركلي، ج 5 ص 248

(2) سورة التوبة، الآية 12

(3) أحكام القرآن لأحمد بن علي أبو بكر الرازي الجصاص الحنفي (المفروق: 370 هـ)، ج 4 ص 275 - 276 المخطوط: محمد صادق القمحاي، عضو لجنة مراجعة المصاحف بالأزهر الشريف. الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت. تاريخ الطبع: 1405 هـ.

(4) هو محمد بن إبراهيم بن المنذر الثيمابوري، أبو بكر (242 - 319 هـ الموافق 856 - 931 م): كان فقيهاً ومجتهداً، ومن الحفاظ. كان شيخ الحرم بمكة. من كتبه: التيسير في الفقه، والأوسط في السنن والإجماع والاختلاف، والإشراف، وتفسير القرآن. توفي بمكة. يُنظر سير الأعلام النبلاء، للإمام الذهبي، ج 14 ص 490 - 491 والأعلام للزركلي، ج 5 ص 294 - 295

أهل الذمة. وروي أن رجلاً قال في مجلسي علي رضي الله عنه: ما قتل كعب بن الأشرف إلا غدراً، فأمر علي بضرب عنقه. وقاله آخر في مجلس معاوية رضي الله عنه فقام محمد بن مسلمة رضي الله عنه فقال: أيقال هذا في مجلسك وتسكت! والله لا أساكنك تحت سقف أبداً، ولين خلوت به لأقتله. ثم يقول: قال علماؤنا: هذا يقتل ولا يُستتاب إن نسب الغدر للرسول صلى الله عليه وسلم وهو الذي فهمه علي رضي الله عنه ومحمد بن مسلمة رضي الله عنه من قائل ذلك، لأن ذلك زندقة. فأما إن نسب للمباشرين لقتله بحيث يقول: إنهم أمتوه ثم غدروه لكانت هذه النسبة كذبا محضاً، فإنه ليس في كلامهم معه ما يدل على أنهم أمتوه ولا صرخوا له بذلك، ولو فعلوا ذلك لما كان أماناً، لأن النبي صلى الله عليه وسلم إنما وجههم لقتله لا لتأمينه⁽¹⁾.

الإمام ابن تيمية يقول: "أن من سب الرسول صلى الله عليه وسلم من الكفار المخارين، وقال: هو ساحر أو مجنون أو شاعر أو معلم أو مقتر وتاب تاب الله تعالى عليه. وقد كان طائفة يستبون النبي صلى الله عليه وسلم من أهل الحرب ثم أسلموا وحسن إسلامهم وقبل النبي صلى الله عليه وسلم منهم: منهم أبو سفيان رضي الله عنه عم النبي وعبد الله بن سعد بن أبي سرح رضي الله عنه وكان قد ارتد وكان يكذب على النبي صلى الله عليه وسلم ويقول: أنا كنت أعلمه القرآن ثم تاب وأسلم وبأبى النبي صلى الله عليه وسلم على ذلك. وإذا قيل: سب الصحابة رضي الله عنهم حق لأدمي. المستجمل لسبهم كالرافضي يعتقد ذلك ديناً كما يعتقد الكافر سب النبي ديناً. فإذا تاب وصار يُحِبُّهم ويثني عليهم ويدعو لهم بما الله سيئاته بالحسنات". ثم يقول: "أن الكافر الذي كان يسب النبي صلى الله عليه وسلم ويقول إنه كذاب إذا تاب وشهد أن محمداً رسول الله الصادق المصدوق وصار يحبه ويثني عليه ويصلي عليه: كانت حسناته ماحية لسيفاته،⁽²⁾ وقال الله تعالى: {وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ} ⁽³⁾ وقد قال الله تعالى: {حَمْدٌ تَبْطُلُ الْكِبَابِ مِنْ

(1) تفسير الجامع لأحكام القرآن للإمام القرطبي ج 8 ص 82

(2) مجموع الفتاوى للإمام ابن تيمية، (المتوفى: 728هـ)، ج 3 ص 291 - 292 المحقق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية. علم للنشر: 1416هـ الموافق 1995م.

(3) سورة الشورى، الآية 25

اللَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ، غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطُّوْلِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِلَهِيهِ
الْمَصِيرُ (1).

يقول العلامة المرغيناني⁽²⁾ في كتابه الهداية: "ومن امتنع من أهل الذمة عن أداء الجزية أو قتل مسلماً أو سب النبي صلى الله عليه وسلم أو زنى بمسلمة لم ينتقض عهده؛ لأن الغاية التي بها ينتهي القتال فهو التزام الجزية لا أداؤها، والالتزام باقي. وقال الإمام الشافعي: سب النبي صلى الله عليه وسلم يكون نقضاً؛ لأنه لو كان مسلماً ينتقض أمانه، فكذا ينتقض أمانه إذ عقد الذمة خلف عنه، ودليلنا أي الأحناف أن سب النبي صلى الله عليه وسلم منه كفر، والكفر المقارن لا يمنعه فالكفر الطارئ لا يرفعه"⁽³⁾. يقول العلامة بدر الدين العيني في شرحه للهداية: "الوجه مع أصحاب الشافعي في هذه القضية حيث قال الإمام الشافعي: سب النبي صلى الله عليه وسلم يكون نقضاً للعهد لأنه لو كان مسلماً على سبيل التقدير وسب النبي صلى الله عليه وسلم فينتقض أمانه"⁽⁴⁾.

الإمام الألوسي يقول: "ولا فرق بين توجيه الطعن إلى الدين نفسه اجمالاً وبين توجيهه إلى بعض تفاصيله مثل الصلاة والزكاة والحج، ومن ذلك الطعن بالقرآن الكريم وذكر الرسول صلى الله عليه وسلم بسوء (والعياذ بالله تعالى) فيقتل السلمي به عند جمع مستثنين بالآية سواء شرط انتقاض العهد به أم لا. وقال بقتله إذا أظهر الشتم الإمام مالك والشافعي كما ذكرناه في كلام الإمام القرطبي". ثم يقول: "والقول بأن أهل الذمة يقرّون على كفرهم الأصلي بالجزية وذا ليس بأعظم منه فيقرّون عليه بذلك أيضاً وليس هو من الطعن المذكور في شيء ليس من الانصاف في شيء، ويلزم عليه أن لا يُعزّروا أيضاً كما لا يعزّرون بعد الجزية

(1) سورة غافرة، الآيات 1، 3

(2) هو علي بن أبي بكر بن عبد الجليل المرغيناني (530 - 593 هـ الموافق 1135 - 1197 م) أبو الحسن برهان الدين: كان حافظاً محققاً مفهوماً أميناً، مجتهداً من كبار فقهاء الحنابلة. نسبته إلى مرغينان (من نواحي فرغانة) من كتبه: بداية للتبدي وشرح الهداية في شرح البداية في الفقه، والتخصيص والمزيد في الفتاوى يظهر الأخصام للمركلي، ج 4 ص 266

(3) الهداية (أوليت وآخرين) للإمام المرغيناني (المعروف 593 هـ)، ص 598 طبع شركة علمية ملتان، باكستان.

(4) البداية شرح الهداية للعلامة بدر الدين العيني (المعروف 855 هـ)، ج 7 ص 260 النادرة: دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان. الطبعة: الأولى 420 هـ الموافق 2000 م. عدد الأجزاء: 13

على الكفر الأصلي"، وقال حول القول المذكور: "وفيه لعمرى يبع ينيمة الوجود صلى الله عليه وسلم بثمن بختس والدنيا بمذاقيرها (بجوانبها ونواحيها أو بأسرها) بل والآخرة بأسرها في جنب جناحه الرفيع صلى الله عليه وسلم جناح بعوضة أو أدنى". (1)

بعد الكلام المذكور نتكلم عن ما قال به الإمام تقي الدين السبكي (2) في كتاب "السيف المسلول على من سب الرسول صلى الله عليه وسلم"، فيقول: قال القاضي عياض (3): "أجمعت الأمة على قتل متنقص النبي صلى الله عليه وسلم من المسلمين وسأته". وقال ابو بكر بن المنذر: "أجمع عوام أهل العلم على أن من سب النبي صلى الله عليه وسلم القتل كما قال الإمام مالك بن أنس، والليث، وأحمد بن حنبل، وأيضاً هو مذهب الإمام الشافعي". ثم يقول القاضي عياض: ومثله قال الإمام أبو حنيفة وأصحابه، والإمام سفيان الثوري وأهل الكوفة والأوزاعي. وقال محمد بن سحنون (4): "أجمع العلماء أن شاتم النبي صلى الله عليه وسلم المتنقص له كافر، والوعيد جار عليه بعذاب الله تعالى، وحكمه عند الأمة القتل، ومن شك في كفره وعذابه كفر". وقال الإمام حمد الخطابي (5): "لا أعلم أحدًا من

(1) تفسير روح المعاني للإمام شهاب الدين الألوسي؛ ج 5 ص 253

(2) هو علي بن عبد الكافي بن علي بن تمام السبكي الأنصاري الحنظلي، اسمه تقي الدين كنيته ابو الحسن (683 - 756 هـ الموافق 1284 - 1355 م)؛ شيخ الإسلام من الحفاظ والمفسرين المناظرين. وهو والد الشاج السبكي صاحب الطبقات. ولد في سيك في مصر، انتقل إلى القاهرة ثم إلى الشام. وولي قضاء الشام سنة 739 هـ. من كتبه "الدر العظيم" في التفسير، التمهيد فيما يجب فيه التحديد، السيف المسلول على من سب الرسول... يُنظر الأعلام للزركلي؛ ج 4 ص 302

(3) هو عياض بن موسى بن عياض بن عمرو بن المحصي السبكي، أبو الفضل (476 - 544 هـ الموافق 1083 - 1149 م)؛ عالم الفقه وإمام أهل الحديث في وقته. كان من أعلم الناس بكلام العرب وأدبهم وأيامهم. ولي قضاء سبنة وخرنطرة. توفي بمراكش، من تصانيفه: الشفا بترتيب حقوق للصطفى، وشرح صحيح مسلم، والإلماع إلى معرفة أصول الرواية وتقييد السماع،... يُنظر الأعلام للزركلي؛ ج 5 ص 99

(4) هو محمد بن عبد السلام (سحنون) بن سعيد بن حبيب التنوخي، أبو عبد الله (202 - 256 هـ الموافق 817 - 870 م)؛ فقيه مالكي فاضل. من أهل القيروان. كان لفنون العلم منه. رحل إلى المشرق وتوفي بالسياحل، ونقل إلى القيروان فملن فيها. كان كرم اليد، وجيهاً عند الملوك، عالي الهمة. من كتبه: آداب المعلمين، أجوبة محمد بن سحنون، والسير. يُنظر الأعلام للزركلي، 6 ص 204 - 205

(5) هو حمد بن محمد بن إبراهيم ابن الخطاب البستي، أبو سليمان (319 - 388 هـ الموافق 931 - 998 م)؛ فقيه محدث، من أهل بست (من بلاد كابل) من فضل زيد بن الخطاب (أخي عمر بن الخطاب) رضي الله عنه توفي في

المسلمين اختلف في وجوب قتله إذا كان مسلماً". وقال الإمام إسحاق بن راهويه⁽¹⁾: "أجمع المسلمون أن من سبَّ الله عزوجل أو سبَّ رسوله صلى الله عليه وسلم أو دفع شيئاً مما أنزل الله تعالى أو قتل نبياً من أنبياء الله عزوجل أنه كافر بذلك وإن كان مُفَرَّجاً بكل ما أنزل الله جل جلاله"⁽²⁾.

وفي كتاب المبسوط: "من شتم النبي صلى الله عليه وسلم من المسلمين قتل أو صلب حياً ولم يستتب، والإمام محتر في صلبه حياً أو قتله. ومن رواية أبي مصعب وابن أبي أويس: سمعنا مالكا يقول: من سبَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم أو شتمه أو عابه أو تنقصه قتل مسلماً كان أو كافراً ولا يستتاب"⁽³⁾. قال القاضي عياض: "قال بعض علمائنا: أجمع العلماء على أن من دعا على نبي من الأنبياء عليهم السلام بالزور أو بشيء من المكروه أنه يقتل بلا استتابة"⁽⁴⁾. وقال أبو يعلى⁽⁵⁾ من الحنابلة: "من سبَّ الله تعالى أو سبَّ رسوله صلى الله عليه وسلم فإنه يكفر سواء استحلَّ سبَّه أم لم يستحلَّه، فإن قال: لم أسئجل ذلك لم يقبل منه في ظاهر الحكمه رواية واحدة، وكان مرتداً"⁽⁶⁾.

سنت. من كتبه: معالم السنن في شرح سنن أبي داود، وبيان إعجاز القرآن، وإصلاح خطأ المحدثين. يُنظر الأعلام للزركلي، ج 2 ص 273

(1) هو إسحاق بن إبراهيم بن محمد الحنظلي القمي المروزي، أبو يعقوب ابن راهويه (161 - 238 هـ الموافق 778 - 853 م): عالم خراسان في عصره. من سكان مرو (قاعدة خراسان) وهو أحد كبار الحفاظ. طاف البلاد لجمع الحديث وأخذ عنه الإمام أحمد ابن حنبل والبخاري ومسلم والترمذي والنسائي وغيرهم. وكان ثقة في الحديث، استوطن نيسابور وتوفي بها. وله تصانيف، منها المنند. يُنظر الأعلام للزركلي، ج 1 ص 292

(2) السيف المسلول على من سبَّ الرسول صلى الله عليه وسلم للإمام تقي الدين السبكي (المتوفى 756 هـ) ص 119 - 122 المحقق: إيهاب أحمد الفوج. الناشر: دار الفتح (عمان/الأردن) الطبعة: الأولى 1421 هـ الموافق 2000 م. عدد الأجزاء: 1

(3) السيف المسلول للإمام تقي الدين السبكي، ص 127

(4) نفس المصدر، ص 128 - 129

(5) هو محمد بن الحسين بن محمد بن خلف ابن الفراء، أبو يعلى (380 - 458 هـ الموافق 990 - 1066 م): عالم عصره في الأصول والفروع وأنواع الفنون. من أهل بغداد. كان شيخ الحنابلة. ارتفعت مكانته عند القادر والقائم العباسيين. وولاه القائم قضاء دار الخلافة والحريم، وجران وخلصان، وكان قد امتنع. من كتبه الإيمان، والأحكام السلطانية، والكفاية في أصول الفقه، وأحكام القرآن. يُنظر الأعلام للزركلي، ج 6 ص 99 - 100

(6) السيف المسلول للإمام تقي الدين السبكي، ص 131

ثم يتكلم الإمام تقي الدين السبكي في حكم الساب من أهل الذمة فيقول أقوال العلماء ومنها قول أبو سليمان الخطابي: "إذا كان الساب ذمياً قال الإمام مالك: من شتم النبي صلى الله عليه وسلم من اليهود والنصارى قُتل إلا أن يُسلم، وكذا قال الإمام أحمد، وقال الإمام الشافعي: يقتل النعمي إذا سب النبي صلى الله عليه وسلم وتبرأ منه الذمة، واحتج في ذلك بحبر كعب بن الأشرف". وقال ابن المنذر: "أجمع عوام أهل العلم أن علي من سب النبي صلى الله عليه وسلم القتل، ومن قال ذلك الإمام مالك والليث وأحمد وإسحاق، وهو مذهب الإمام الشافعي، وقد حكى عن الإمام أبي حنيفة: أنه لا يقتل من سب النبي صلى الله عليه وسلم من أهل الذمة، ما هم عليه من الشرك أعظم". ثم يقول: "ومما يحتج به في هذا الباب قصة كعب بن الأشرف، فإنه قد آذى الله ورسوله، فانتدب له جماعة بإذن النبي صلى الله عليه وسلم فقتلوه". يقول إسحاق بن راهوية: "إن أظهروا سب رسول الله صلى الله عليه وسلم فسمع ذلك منهم أو تحقق عليهم قتلوا، وأخطأ هؤلاء الذين قالوا: ما هم عليه من الشرك أعظم من سب رسول الله صلى الله عليه وسلم". قال الإمام إسحاق: "يقتلون، لأن ذلك نقض للعهد. وكذلك فعل عمر بن عبد العزيز، وكذلك نص الإمام أحمد علي وجوب قتله وانتقاض عهده". وقال القاضي عياض: "أما النعمي إذا صرح بسب أو عرض أو استخف بقدره أو وصفه بغير الوجه الذي كفر به، فلا خلاف عندنا في قتله إن لم يُسلم، لأننا لم نُعطه الذمة أو العهد على هذا، وهو قول عامة العلماء إلا الإمام أبا حنيفة والثوري وأتباعهما من أهل الكوفة، فإنهم قالوا: لا يقتل، ما هو عليه من الشرك أعظم، ولكن يؤدب ويعزر".⁽¹⁾ خلاصة الكلام: الشيخ السعيدى كمل ما نقص من الإمام فخر الدين الرازي حيث تكلم عن قضية جديدة معاصرة وهي إهانة الأنبياء عليهم السلام بغير المسلمين. قول الشيخ السعيدى راجع في هذه القضية. والله أعلم

(1) السيف المسلول للإمام تقي الدين السبكي، ص 233 - 234

الاستدراك الرابع والعشرون: قول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا آبَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ إِنِ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الْإِيمَانِ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾. (1)

يرى الإمام فخر الدين الرازي تفسير هذه الآية هكذا: "أن الغرض من ذكر هذه الآية أن يكون جواباً عن شبهة أخرى التي ذكروها في البراءة من الكفار حيث أنها غير ممكنة، وهي: إن الرجل المسلم قد يكون أبوه كافراً والرجل الكافر قد يكون أبوه أو أخوه مسلماً، وحصول المقاطعة التامة بين الرجل وأخيه وأبيه كالممتنع للمصدر، وفي هذه الحالة تكون تلك البراءة التي أمر الله تعالى بها، كالمشاق المتعذر الممتنع، فلذا ذكر الله تعالى هذه الآية لإزالة هذه الشبهة"، ثم ذكر الإمام الرازي ما رواه الإمام الواحدي (2) في سبب نزول هذه الآية: "عن ابن عباس رضي الله عنهما لما أمر النبي صلى الله عليه وسلم بالمؤمنين بالهجرة قبل فتح مكة المكرمة ففي ذلك الوقت من لم يهاجر؛ لم يقبل الله جل جلاله إيماناً منه حتى يجانب من آباءه وأقاربه إن كانوا كافرين" (3). ولكن ذكر الإمام الرازي على هذه الآية إشكالاً وقال: أنه مشكل، والصحيح أن هذه العمارة نزلت بعد فتح مكة المكرمة، فلا يمكن حملها على ما ذكر من القول؟ ثم اجاب عنه: "أن القول الأقرب عندي حملة على ما ذكر من القول لأن

(1) سورة التوبة، الآية 23

(2) هو أبو الحسن الواحدي علي بن أحمد النيسابوري (468هـ الموافق 1076م) كان مستقراً عالماً بالأدب و شاعراً، إماماً في النحو واللغة. وكان شافعي المذهب. وأصله من ساوة. ولد بنيسابور ومات بها. من كتبه البسيط في النحو والوجيز وأسباب النزول، تفسير أسماء النبي صلى الله عليه وسلم، وشرح الأسماء الحسنى، يظهر شذرات المذهب لابن العماد الحنبلي، ج 5 ص 591 - 592 والأعلام للزركلي، ج 4 ص 255

(3) أسباب نزول القرآن للإمام الواحدي، (المكتوب: 468هـ) ج 1 ص 245 المحقق: عصام بن عبيد المحسن الحميدان. قال المحقق: قمت بتوفيق الله وحده بتصحيح أحاديث الكتاب لخرجا مستوفى على ما ذكر العلماء أو ما توصلت إليه من خلال نقد تلك الأسانيد. الناشر: دار الإصلاح والدراسات، الطبعة: الثانية، 1412هـ الموافق 1992م. أصل الرواية: "قال الكلبي: لما أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالهجرة إلى المدينة جعل الرجل يقول لأبيه وأخيه وامراته: إنا قد أمرنا بالهجرة، فمنهم من يسرع إلى ذلك وبمجيئه، ومنهم من يتعلق به زوجته وحياله وولده، فيقولون: نأشدناك الله أن تدعنا إلى غير شيء، فنضجع، فيرق فيجلس معهم ويدع الهجرة، فنزل قول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا آبَاءَكُمْ﴾ [سورة التوبة، الآية 23] ونزل في الذين خلفوا بمكة ولم يهاجروا قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ...﴾، [سورة التوبة، الآية 24] يعني: القتال وفتح مكة".

الله تعالى لما أمر المؤمنين بالتبري عن المشركين وبالخ في إيجابه، قالوا كيف يمكن هذه المقاطعة الناتجة بين الرجل وأمه وأبيه وأخيه فقال الله تعالى: أن المقاطعة واجبة بسبب الكفر من الآباء والإخوان والأولاد كما قال الله تعالى: {إِنْ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الْإِيمَانِ} (1).

استدرك الإمام شهاب الدين الألوسي على الإمام فخر الدين الرازي في تفسير هذه الآية وقال: "أن هذه الآية نزلت في حاطب بن أبي بلتعة رضي الله عنه لما كتب بخبر الرسول صلى الله عليه وسلم إلى قريش قبل فتح مكة، أن هذا أي قصة حاطب رضي الله عنه ومثله يقتضي أنها نزلت قبل فتح مكة المكرمة. واستشكل ذلك الإمام الرازي بأن الصحيح أن هذه السورة إنما نزلت بعد فتح مكة فكيف يمكن أن يكون سبب النزول ما ذكر". ثم أجاب الإمام الألوسي: "أن نزول هذه الآية الكريمة قبل فتح مكة المكرمة ليس منافياً مع كون نزول السورة بعد الفتح لأن المقصد منه أكثر السورة أو صدرها، أما بالفسفة لهذا القول أن هذه السورة نزلت في حاطب بن أبي بلتعة رضي الله عنه فلا بأس لأن المعتبر عموم اللفظ لا خصوص السبب، فيشمل حاطب رضي الله عنه أيضاً في النهي عن الاتخاذ بلا شبهة". (2)

التحليل والمناقشة:

خلاصة الكلام: وبالنظر نلاحظ أن كلام الإمام الألوسي قوي في تفسير هذه الآية وعليه فراه مقدم. والله أعلم

الاستدراك الخامس والعشرون: قول الله تعالى: {وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ} (3).

يرى الإمام فخر الدين الرازي تفسير هذه الآية هكذا: "أن ابن صفة والخبر محذوف والتقدير: عزير ابن الله معبودنا"، ثم يشير إلى قول الإمام عبد القاهر الجرجاني (4)

(1) سورة التوبة، الآية 9 يُنظر التفسير الكبير للإمام فخر الدين الرازي، ج 16 ص 16 - 17

(2) يُنظر تفسير روح المعاني للإمام شهاب الدين الألوسي، ج 5 ص 264

(3) سورة التوبة، الآية 30

(4) هو عبد القاهر بن طاهر بن محمد بن عبد الله البغدادي التميمي الأسفريني، (المتوفى 429هـ الموافق 1037م) كنيته أبو منصور، كان عالماً متفتناً، له تبحر في الأصول، كان صلب الإسلام في عصره ويُدرّس في مائة عشر قناراً ولد

فيقول: "أنه طعن في هذا الوجه: وقال الاسم إذا وصف بصفة ثم أخبر عنه فمن كذبه انصرف التكذيب إلى الخبر، وصار ذلك الوصف مسلماً فلما كان المقصود بالإنكار هو قولهم عزير ابن الله معبودنا، لتوجه الإنكار إلى كونه معبوداً لهم، وحصل كونه ابناً لله تعالى، ومعلوم أن ذلك كفر"، (1) ويقول الإمام الرازي: "هذا الطعن عندي ضعيف"، (2) أما قول الإمام الجرجاني: "إن من أخبر عن ذات موصوفة بصفة بأمر من الأمور وأنكره منكراً، توجه الإنكار إلى الخبر"، (3) ثم يقول: "فهذا مسلم"، (4) وهكذا قول الإمام الجرجاني: "ويكون ذلك تسليماً لذلك الوصف"، (5) يقول الإمام الرازي في الأخير: "هذا ممنوع، لأنه لا يلزم من كونه مكذباً لذلك الخبر بالتكذيب أن يدل على أن ما سواه لا يكذبه بل بصدقه، وهذا بناء على دليل الخطاب وهو ضعيف لا سيما في مثل هذا المقام". (6)

استدرك الإمام الألوسي على الإمام فخر الدين الرازي في تفسير هذه الآية فقال بعد نقل قوله: "اعترض عليه الإمام الرازي ونقل قوله وقال: وأجاب بعضهم بأن الوصف للعلية فإنكار الحكم يتضمن إنكار علة". ثم يقول: "وفيه أن إنكار الحكم قد يتمم أن يكون بواسطة عدم الإفضاء (عدم النسبة أو الوصول إليه) لا لأن الوصف كالأبنية مثلاً متعدي". (7)

التحليل والمناقشة:

الإمام الألوسي قد حل الإشكال وبيّن المراد وقوله راجح. والله أعلم

ولمّا في بغداد، ورحل إلى خراسان فاستقر في نيسابور. مات في اسفرائين. من تصانيفه: أصول الدين، الناصح والمنسوخ، تفسير أسماء الله الحسنى... يُنظر الأعلام للزركلي، ج 4 ص 48

(1) دلائل الإعجاز في علم المعاني لعبد القاهر الجرجاني (التحقيق: 471هـ)، ص 375 - 376 المحقق: محمود محمد شاكر أبو فهر، الناشر: مطبعة ليلدي بالقاهرة، دار الحديث بجدة. الطبعة: الثالثة 1413هـ الموافق 1992م. عدد الأجزاء: 1

(2) يُنظر التفسير الكبير للإمام فخر الدين الرازي، ج 16 ص 29

(3) دلائل الإعجاز للإمام الجرجاني، ص 377

(4) يُنظر التفسير الكبير للإمام فخر الدين الرازي، ج 16 ص 29

(5) دلائل الإعجاز للإمام الجرجاني، ص 378

(6) يُنظر التفسير الكبير للإمام فخر الدين الرازي، ج 16 ص 29

(7) يُنظر تفسير روح المعاني للإمام شهاب الدين الألوسي، ج 5 ص 274

الاستدراك السادس والعشرون: قول الله تعالى: {عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذْنَبْتَ هُمْ حَقٌّ يَتَّبِعَنَّ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَتَعْلَمَ الْكَاذِبِينَ} (1).

يرى الإمام فخر الدين الرازي تفسير هذه الآية هكذا فيقول: "احتجّ منكروا عصمة الأنبياء عليهم السلام من هذه الآية على امكانية صدور الذنب عن الأنبياء عليهم السلام بوجهين"، وهي: الوجه الأول: "أن الله تعالى قال: {عَفَا اللَّهُ عَنْكَ} والعفو يتطلب أو يستدعي صدور الذنب في ما مضى". الوجه الثاني: "يقول الله تعالى: {لِمَ أَذْنَبْتَ هُمْ} وفيه استفهام بمعنى الإنكار، فيدلّ على أن الإذن في الآية كان ذنباً أو معصية. قال الإمام قتادة: أن النبي صلى الله عليه وسلم فعل فعلاً لم يؤمر بهما"، كالثاني: أولاً - "إذنه صلى الله عليه وسلم للمنافقين في تبوك، ثانياً - أخذ الفداء من أسارى بلر فعاتب الله نبيه صلى الله عليه وسلم كما تسمعون" (2).

الإمام الرازي اجاب عن الوجهين المذكورين على النحو الآتي: فجوابه عن الوجه الأول: "نحن لا نسلم لزوم الذنب من قول الله تعالى: {عَفَا اللَّهُ عَنْكَ}، بل هي تستخدم في كلام العرب للتعظيم والتكريم في ابتداء الكلام كما يقول: الرجل إلى الأجر إذا كان له عظمة واحترام عنده؛ عفا الله عنك ما صنعت في أمرى، ورضي الله عنك، ما جوابك عن كلامي؟ وعافاك الله ما عرفت حقّي، فيكون الغرض من هذا الكلام الزيادة في التعظيم والاحترام، فلا يلزم صدور الذنب عن النبي صلى الله عليه وسلم في هذه الآية"، أما جوابه عن الوجه الثاني: "أنه لا يجوز كون المقصود من قول الله تعالى: {لِمَ أَذْنَبْتَ هُمْ} الإنكار، لأنه إما الذنب صدر عن النبي صلى الله عليه وسلم في هذه الواقعة أو لم يصدر، فعلى سبيل المثال لو يقال: إنه لم يصدر الذنب عنه، فيمتنع على هذا التقدير كون قول الله تعالى: {لِمَ أَذْنَبْتَ هُمْ} إنكاراً عليه، ولو قيل: لو صدر معصية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فقول الله تعالى: {عَفَا اللَّهُ عَنْكَ} يحتجّ به على حصول العفو من ذاك الذنب، ولما حصل العفو عن الذنب فمستحيل أن يتوجه إليه الإنكار، ويثبت منه أنه تمتنع على التقادير المذكورة جميعاً أن يقال: إن قول الله عزوجل: {لِمَ أَذْنَبْتَ هُمْ} يدلّ على كون الرسول مذنباً"، ثم يقول الإمام الرازي: "هذا جواب

(1) سورة التوبة، الآية 43

(2) تفسير جامع البيان في تأويل القرآن للإمام الطبري، رقم الحديث: 16765 ج 14 ص 273

شاف قاطع. وعند هذا، يُجمل قول الله تعالى: {لَمْ أَذْنَبْ لَكُمْ} على ترك الأولى والأكمل، لا سيما وهذه الواقعة كانت من جنس ما يتعلق بالحروب ومصالح الدنيا⁽¹⁾.

استدرك الشيخ غلام رسول السعدي على الإمام فخر الدين الرازي في تفسير هذه الآية فقال بعد ذكر قوله: لما منع الله سبحانه وتعالى عن شيء بامتناع لازم فهو حرام وارتكابه من الكبائر وإذا لم يمنع عنه فهكذا يكون المنع ترجيحاً، والمراد منه أن عدم العمل به يكون راجحاً، والعمل به ليس من الذنوب بل يُعتبر خلافاً للأولى أو الكراهة التنزيهية. فلو منع الله جل جلاله نبيه صلى الله عليه وسلم من إذن المنافقين بامتناع لازم فيكون العمل به حرام ومن الكبائر، وفي هذه الصورة إذا كان المنع ترجيحاً فلا يكون هذا العمل ذنباً أو معصية بل يكون خلافاً للأولى أو المكروه التنزيهي كما قلنا؛ ولهذا السبب إذن النبي صلى الله عليه وسلم أو عدمه كليهما سواء ومباح وقد خاطب الله تعالى نبيه خطاباً المؤدّة في هذه الآية حيث قال: "عفا الله عنك لم أذنتهم عن الجهاد ولو لم تستأذنهم فهم أيضاً لا يُشاركون فيه" ...⁽²⁾

التحليل والمناقشة:

هذه القضية قضية مهمة وقد تعرّض لها كثير من العلماء ومنهم الإمام السمرقندي فيقول: "أن المراد منه عفا الله عنك يا سليم القلب لم أذنت لهم، فيقال: إن الله عز وجل إذا قال لعبده: لم فعلت كذا وكذا؟ يكون ذلك أشدّ عليه من الموت كذا وكذا مرة، لهيبة قوله: لم فعلت كذا؟ ولو أنه بدأ للنبي صلى الله عليه وسلم بقوله: لم أذنت لهم، لكان يخاف على الرسول صلى الله عليه وسلم أن ينشق قلبه من هيبة هذا الكلام، ألا إن الله تعالى برحمته أخبره بالعفو، حتى سكن قلبه"⁽³⁾. والإمام القطبي⁽⁴⁾ يقول: "إن الله تعالى وقّره ورفع محله فهو افتتوح الكلام بالدعاء له، كما يقول الرجل لمخاطبه إن كان كريماً عنده: عفا الله عنك ما

(1) يُنظر التفسير الكبير للإمام فخر الدين الرازي، ج 16 ص 58

(2) تفسير تبيان القرآن للشيخ غلام رسول السعدي، ج 5 ص 146 - 148

(3) تفسير بحر العلوم للإمام السمرقندي، ج 2 ص 62

(4) هو أحمد بن محمد بن إبراهيم القطبي، (427هـ الموافق 1035م) تلمذ لـ أبو إسحاق: مفسر، من أهل تيسابور له اشتغال بالتأريخ. من كتبه: عرائس المجالس في قصص الأنبياء، والكشف والبيان في تفسير القرآن يعرف بتفسير القطبي يُنظر الأعلام للزركلي، ج 1 ص 212

صنعت في حاجتي ورضي الله عنك إلا أرتئي" ... (1) الإمام البغوي قال مثل ما قاله الإمام الشعلي فلا حاجة إلى تكراره. (2)

يظهر من قول الإمام القرطبي كأنه وافق الإمام الرازي فيقول: "هو افتتاح كلام، كما تقول: أصلحك الله وأعزك ورحمك! كان كذا وكذا. وعلى هذا التأويل يحسن الموقف على قول الله تعالى: {عَفَا اللَّهُ عَنْكَ}، وأخبره بالعمو قبل الذنب لتلا يطير قلبه فرقاً. المعنى عفا الله عنك ما كان من ذنبك في أن أذنت لهم، فلا يحسن الوقف قول الله تعالى: {عَفَا اللَّهُ عَنْكَ} على هذا التقدير". ثم أشار الإمام القرطبي إلى قول الإمام الرازي فقال: "وقال بعض العلماء إنما بئر منه ترك الأولى فقدم الله له العفو على الخطاب الذي هو في صورة العتاب". (3)

الإمام البيضاوي يقول: "أنه كتابة لا عن خطئه في الإذن فإن العفو من روادفه. قول الله تعالى: {لَمْ أَذْنَبْ لَهُمْ} بيان لما كفى عنه بالعفو ومعاتبه عليه، والمعنى لأي شيء أذنت لهم في القعود حين استأذنوك واعتلوا بأكاذيب وهلا توقفت". (4) الإمام النسفي يقول: "أنه كتابة من الزلة لأن العفو رادف لها وهو من لطف العتاب بتصدير العفو في الخطاب وفيه دلالة فضله على سائر الأنبياء عليهم السلام حيث لم يذكر مثله لسائر الأنبياء عليهم السلام قول الله تعالى: {لَمْ أَذْنَبْ لَهُمْ} بيان لما كفى عنه بالعفو ومعناه مالك أذنت لهم في القعود عن الغزو حين استأذنوك واعتلوا لك بملهم وهلا استأنيت بالإذن". (5) نفهم من كلام الإمام ابو السعود كأنه يوافق مع قول الإمام الرازي فلا تكرر. (6) الإمام الألوسي يقول: "أن هذه الكلمة للتوقير والإحترام مثل ما قال الإمام الرازي، وما ينظم في هذا السلك ما روي من قول النبي صلى الله عليه وسلم: "لَقَدْ عَجِبْتُ مِنْ يُوسُفَ وَصَرِيهِ، وَكَرِيمِ قَالَهُ يَفْعُرُ لَهُ حِينَ سُئِلَ عَنِ الْبَغْرَاتِ الْعِجَافِ الْبِسْمَانِ، وَلَوْ كُنْتُ مَكَانَهُ مَا أَحْبَبْتُهُمْ حَتَّى أَشَارَ عَلَيْهِمْ أَنْ

(1) تفسير الكشاف والبيان للإمام الشعلي، ج 5 ص 50

(2) تفسير معالم التنزيل في تفسير القرآن للإمام البغوي، ج 2 ص 354

(3) تفسير الجامع لأحكام القرآن للإمام القرطبي، ج 8 ص 154

(4) تفسير أنوار التنزيل وأسرار التأويل للإمام البيضاوي، ج 3 ص 82

(5) تفسير مدارك التنزيل وحقائق التأويل للإمام النسفي، ج 1 ص 682

(6) تفسير إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم للإمام أبي السعود، ج 4 ص 68

يُخْرِجُونِي". (1) وعن عون بن عبد الله (2) قال: "سَمِعْتُمْ بِمُحَابَبَةِ أَحْسَنَ مِنْ هَذَا ۱۹۱ بَدَأَ بِالْعَفْوِ قَبْلَ الْمُحَابَبَةِ". (3) وقال السجائدي (4): "إن فيه تعليم تعظيم الرسول صلى الله عليه وسلم ولولا تصدير العفو في العتاب لما قام بصولة الخطاب. وعن سفيان بن عيينة (5): "انظروا إلى هذا اللطف بدأ بالعفو قبل ذكر المعفو".

ثم نقد الإمام الألوسي على قول الإمام الزمخشري: "أن هذا الكلام كناية عن الجنابة والمراد منه أخطأت وبثما فعلت". (6) فيقول: ولقد أخطأ وأساء الأدب وبثما فعل فيما قال الإمام الزمخشري. ولا أذن له ليذكر عذره حيث زعمه. وقد قال الإمام ابن المنير (7) في حاشيته على الكشاف المسمى بـ الانتصاف من الكشاف: "ليس له أن يُفسر هذه الآية بهذا التفسير وهو بين أحد الأمرين؛ إما أن لا يكون هو المراد أو يكون هو المراد، ولكن قد أجل الله جل جلاله نبيه الكريم صلى الله عليه وسلم عن مخاطبته بصريح العتب، وخصوصاً في حق للمصطفى صلى الله عليه وسلم، فالإمام الزمخشري على كِلا التقديرين ذاهل عما يجب من حق النبي صلى الله عليه وسلم. ولقد أحسن من قال في هذه الآية: إن من لطف الله تعالى

(1) تفسير جامع البيان في تأويل القرآن للإمام الطبري، ج 16 ص 136

(2) هو عون بن عبد الله بن عتبة بن مسعود الجبلي (المتوفى نحو 115 هـ الموافق نحو 733 م): خطيب، ناسب، شاعر. كان من آدب أهل المدينة. وسكن الكوفة فاشتهر فيها بالعبادة والقراءة. وكان يقول بالارجاء، ثم رجع. وخرج مع ابن الأشعث ثم هرب، وصحب عمر ابن عبد العزيز في خلافته. يُنظر الأعلام للزركلي، ج 5 ص 98

(3) تفسير القرآن العظيم للإمام ابن أبي حاتم، ج 6 ص 1805

(4) هو محمد بن محمد بن عبد الرشيد ابن طيفور، (600 هـ الموافق 1204 م) ميراج الدين أبو طاهر السجائدي: رياضي حنفي فريقي. له السراجية في الفرائض واللواييث، وشرح السراجية، والوقف والابتداء، والجور والمقابلة ... يُنظر الأعلام للزركلي، ج 7 ص 27

(5) هو سفيان بن عيينة بن ميمون الهلالي الكوفي، أبو محمد (107 - 198 هـ الموافق 725 - 814 م): محدث الحريم المكي. من الموالى. ولد بالكوفة، وسكن مكة وتوفي بها. كان حافظاً ثقة، واسع العلم كبير القدر، وحج سبعين سنة. من كتبه: الجامع في الحديث، وكتاب في التفسير. يُنظر الأعلام للزركلي، ج 3 ص 105

(6) يُنظر تفسير الكشاف للإمام الزمخشري، ج 2 ص 274

(7) هو أحمد بن محمد بن منصور المعروف بـ ابن المنير الشكندري (620 - 683 هـ الموافق 1223 - 1284 م): من علماء الإسكندرية. كان له فقه في الفقه والأصول والعربية والبلاغة. كان أديباً وولي القضاء والمطابفة. من تصانيفه: تفسير حديث الإسراء، وله حاشية على الكشاف المسمى بـ الانتصاف من الكشاف. يُنظر شذرات الذهب في أخبار من ذهب لابن العماد الحنبلي، ج 7 ص 666 والأعلام للزركلي، ج 1 ص 220

بنبيه أن بدأه بالعفو قبل العتب، ولو قال له ابتداء: لم أذنت لهم؟ لتفطر قلبه على الرسول صلى الله عليه وسلم، فمثل هذا الأدب يجب احتذائه في حق سيّد البشر عليه أفضل الصلاة والسلام". ثم يقول الإمام ابن المنير: "خاطب الله عزّوجل رسوله صلى الله عليه وسلم خطاب الرقة والرأفة، ولكن فسره الإمام الرضخشي بخطاب الغلظة والقسوة، وشقّان ما بينهما".⁽¹⁾ يقول الإمام الألوسي بعد ذكر هذا القول: "يا سبحان الله من أين أخذ عامله الله تعالى يعدله ما عير عنه ببسما، والعفو لو سلم مستلزم للخطأ فهو غير مستلزم لكونه من القبح واستتباع اللائمة بحيث يصحّح هذه المرتبة من المشافهة بالسوء ويسوغ إنشاء الاستقباح بكلمة بسما المتبعة عن بلوغ القبح إلى رتبة يتعجب منها". وقال الإمام الثعلبي: إنّ الله تعالى وقرّ نبيّه صلى الله عليه وسلم ورفع محله فقول الله تعالى: {عَفَا اللَّهُ عَنْكَ} افتتاح الكلام بالدعاء له، مثل الرجل يقول لمخاطبه إن كان كريماً عنده: "عفا الله عنك ما صنعت في حاجتي ورضي الله عنك إلا زرتني".⁽²⁾ ثم يقول الإمام الألوسي: وليس تفسيره هذا بناء على أن العدول إلى عفا الله تعالى لا للتعظيم حتى يخطأ. وفيه من الاعتذار غير مقبول عند عقلاء. وكم لهذه السقطة في تفسير الكشاف نظائر، ولذلك امتنع من إقرائه بعض الأكابر كالإمام السبكي، ثم تكلم الإمام الألوسي عن الإمام البيضاوي: "وليت هو لم يتابعه في شيء من ذلك"، ثم أشار إلى قول الإمام الرازي كما ذكرناه فلا نكرهه.⁽³⁾

الشيخ ابن عاشور يقول: "افتتاح العتاب بالإعلام بالعفو إكرام عظيم، ولطافة شريفة، فأخبره بالعفو قبل أن يماشره بالعتاب. وفي هذا الافتتاح كتابة عن خفة موجب العتاب لأنه بمنزلة أن يقال: ما كان يهغي، وتسمية الصفح عن ذلك عفوا ناظر إلى مغزى

(1) الانتصاف من الكشاف حاشية لابن المنير. طبع مع التفسير الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأماويل في وجود التأويل للإمام الرضخشي، (المطبع: 538هـ) ج 3 ص 48 تحقيق ودراسة: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض، المشارك في التحقيق: الأستاذ الدكتور فحي عبد الرحمن الحجازي، أستاذ البلاغة والنقد بكلية اللغة العربية جامعة الأزهر. الناشر: مكتبة الميكان، الرياض، طبع في الملك الفهد مع تقاطع المروية. الطبعة الأولى: 1418هـ الموافق 1998م.

(2) تفسير الكشاف والبيان للإمام الثعلبي، ج 5 ص 50

(3) يُنظر تفسير الكشاف للإمام الرضخشي، ج 2 ص 274 وتفسير روح المعاني للإمام شهاب الدين الألوسي، ج 5

قول أهل الحقيقة: حسنات الأبرار سيئات المقربين. وألقي إليه العتاب بصيغة الاستفهام عن العلة لِمَاء إلى أنه ما أذن لهم إلا لسبب تأوله ورجا منه الصلاح على الجملة بحيث يسأل عن مثله في استعمال السؤال من سائل يطلب العلم وهذا من صيغ التلطف في الإنكار أو اللوم، بأن يظهر المنكر نفسه كالمسائل عن العلة التي خفيت عليه، ثم أعقبه بأن ترك الإذن كان أجدر وأليق بتبيين حالهم وهو غرض آخر لم يتعلق به قصد النبي صلى الله عليه وسلم". (1)

اقول: يظهر من كلام الأئمة المفسرين في القضية المذكورة أنهم فسروا وفق تفسير الإمام الرازى ولكن الإمام الزمخشري خالف الجمهور وقد تابعه فيه الإمام البيضاوى، الإمام الرازى أجاب هذا الإشكال والشيخ السعيدى أجاب نفس الإشكال بجواب آخر، كلام الإمام الألوسي في هذه القضية رائع كما ذكرناه. نذكر في الأخير قول الشيخ رشيد رضا حيث قال: "أن بعض المفسرين ولا سيما الإمام الزمخشري قد أساءوا الأدب في التعبير عن عفو الله عزوجل عن رسوله صلى الله عليه وسلم في هذه الآية الكريمة وكان يجب أن يتعلموا منها أعلى الأدب مع الرسول صلى الله عليه وسلم، إذ أخبره ربه ومؤدبه بالعفو قبل الذنب، وهو منتهى التكريم واللطف"، ثم يقول حول كلام الإمام الرازى: "وبالغ آخرون كالإمام الرازى في الطرف الآخر فأرادوا أن يشعروا أن العفو لا يدل على الذنب، وغايته أن الإذن الذي عاتبه الله تعالى عليه هو خلاف الأولى"، ثم يقول الشيخ رشيد رضا: "وهو جمود مع الاصطلاحات المحدثه والعرف الخاص في معنى الذنب وهو المعصية، وما كان ينبغي لهم أن يهربوا من إثبات ما أثبتته الله جل جلاله في كتابه تمسكاً باصطلاحاتهم وعرفهم المخالف له وللدلول اللغة أيضاً، ومن المعلوم أن الذنب في اللغة كل عمل يستتبع ضرراً أو فوت منفعة أو مصلحة، وهو مأخوذ من ذنب الدابة، وليس مرادفاً للمعصية بل أعم منها، والإذن المعفو عنه قد استتبع فوت المصلحة المنصوصة في الآية الكريمة وهي تبين النون صدقوا والعلم بالكاذبين". (2) خلاصة الكلام: حسب رأي أن كلام الإمام الرازى أقوى في هذه المسألة، والله أعلم

(1) تفسير التحرير والتوير للشيخ ابن عاشور، ج 10 ص 210

(2) تفسير المنار للشيخ رشيد رضا، ج 10 ص 402

الاستدراك السابع والعشرون: قول الله تعالى: {وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا مَا آتَاهُمُ اللَّهُ
وَرَسُولُهُ وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ سَيُؤْتِينَا اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَرَسُولُهُ إِنَّا إِلَى اللَّهِ رَاغِبُونَ} (1).

يرى الإمام فخر الدين الرازي تفسير هذه الآية هكذا: "أن هذه الآية تدل على أن
من طلب أو أراد الدنيا آل أمره في الدين إلى النفاق ولكن من طلب الدنيا بقدر مأذون من
الله تعالى فيه، وكان مقصوده منه التوصل إلى الدين ومصالحه فهذا الطريق هو الطريق الحق
والمستقيم، والأصل في هذه القضية أن يكون الرجل راضياً بقضاء الله عز وجل، كما قال الله
تعالى في هذه الآية، ثم ذكر الإمام الرازي فيه أربعة مراتب على النحو الآتي:

- المرتبة الأولى: "رضى الرجل بما آتاه الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم لعلمه بأن
الله تعالى حكيم وهو منزّه عن اللهو والخطأ والعيث، وحكيم بمعنى أن الله عز وجل عليم
وخبير بالأمور وعواقبه. وأحكام الله تعالى وقضاياه جميعاً حق وصواب حيث لا يُعرض
عليه".

- المرتبة الثانية: "إظهار آثار الرضا كما ذكر في المرتبة الأولى على لسان الرجل كما قال
الله تعالى: {وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ} والمراد منه أن الناس غيرنا أخذوا الأموال ولكن نحن لما
رضينا بقضاء الله تعالى وحكمه فتجرحنا في العبودية بهذه المرتبة العظيمة في الحقيقة،
فحسبنا الله جل جلاله".

- المرتبة الثالثة: "أن الرجل إذا لم يصل إلى تلك الدرجة الرفيعة التي يقول عندها قول الله
تعالى: {حَسْبُنَا اللَّهُ} فينزل إلى مرتبة أخرى منها كما يقول الله تعالى: {سَيُؤْتِينَا اللَّهُ مِنْ
فَضْلِهِ وَرَسُولُهُ} وهو إما في الدنيا إن قدر الله تعالى له أو في الآخرة والثاني أفضل من
الأول".

- المرتبة الرابعة: يقول الرجل في هذه المرتبة قول الله تعالى: {إِنَّا إِلَى اللَّهِ رَاغِبُونَ} والمراد
منه إننا نحن لا نريد من الإيمان والطاعة أخذ الأموال والفوز بحصول المناصب في الدنيا،
بل المقصود به أن نكتسب إما سعادات الآخرة وإما أن نستغرق في عبودية الله تعالى

كما يدلّ عليه قول الله تعالى: {إِنَّا إِلَى اللَّهِ رَاغِبُونَ} حيث لم يقل الله عزّ وجلّ في هذا المكان: إِنَّا إِلَى ثَوَابِ اللَّهِ رَاغِبُونَ،⁽¹⁾

نقل الإمام الرازي بعد ذكر هذه المراتب الأربعة قصة عيسى عليه السلام وهي: "أن عيسى عليه السلام مرّ بقوم وهم يذكرون الله تعالى، فسألهم أي شيء حملكم على ذكر الله تعالى؟ فأجابوا الخوف من عذاب الله تعالى، فقال عيسى عليه السلام أصبتم. ثم مرّ عيسى عليه السلام على جماعة أخرى وكانوا يذكرون الله تعالى، فقال ما الذي يحملكم على الذكر، فقالوا: نُرَغِّبُ فِي حَصُولِ الثَّوَابِ، فَصَوَّبَهُ عَيْسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ، ثُمَّ مَرَّ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَلَى قَوْمٍ ثَالِثٍ وَهُمْ أَيْضًا يَشْتَغِلُونَ بِذِكْرِ اللَّهِ تَعَالَى، فَسَأَلَهُمْ عَيْسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ عَنْ سَبَبِ ذِكْرِهِ فَأَجَابُوا: لَا نَذْكُرُ اللَّهَ تَعَالَى خَوْفًا مِنْ عِقَابِهِ وَلَا لِلرَّغْبَةِ فِي ثَوَابِ اللَّهِ جَلَّ جَلَالُهُ بَلْ نَذْكُرُهُ لِإِظْهَارِ ذِلَّةِ الْعِبُودِيَّةِ، وَعِزَّةِ الْعِبُودِيَّةِ وَتَشْرِيفِ الْقَلْبِ بِمَعْرِفَةِ اللَّهِ مَسْبُوحَاتِهِ وَتَعَالَى وَتَشْرِيفِ اللِّسَانِ عَلَى صِفَاتِهِ الْقُدْسِيَّةِ بِاللَّفَاطِ تَدَلُّ عَلَيْهِ، فَقَالَ عَيْسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ: أَنْتُمْ الْمُحَقِّقُونَ الْمُحَقَّقُونَ".⁽²⁾

استدرك الشيخ غلام رسول السعدي على الإمام فخر الدين الرازي في تفسير هذه الآية وقال: لا ينبغي لنا أن نستعبط من هذه الحكاية أن لا يعبد الإنسان خوفاً من عقاب الله تعالى أو رغبة في ثوابه بل يعبد الله تعالى فقط لإظهار العبودية ورضاه، لأن ما ذكر الله سبحانه وتعالى في القرآن الكريم وما ورد في الأحاديث عن شدة عذاب جهنم وخوفه فليس عبثاً أو لهواً، وما ذكره الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم من الجنة ونعيمها فليس بدون فائدة، كما أن الأنبياء عليهم السلام ونبينا محمد صلى الله عليه وسلم تعوذوا بالله من نار جهنم ودعوا الله عزّ وجلّ لحصول الجنة ونعيمها؛ فلا ينبغي للرجل أن يكون جريئاً أمام الله جلّ جلاله بل يدعوا منه خوفاً من عذابه ولا يستغني من نعمه ومن طلب الجنة، وينبغي للرجل أحياناً أن يُصوّر في قلبه عبادة الله تعالى على أنه عيلاً لله وتعالى ويتصرف نظره عن

(1) يُنظَرُ التَّفْسِيرَ الْكَبِيرَ لِلْإِمَامِ فَخْرِ الدِّينِ الرَّازِيِّ، ج 16 ص 76 - 77

(2) يُنظَرُ نَفْسَ الْمَصْدَرِ، ج 16 ص 77

الثواب والعقاب، أما عبودية الله تعالى فيقتضي أن يُخدم مولاه سبحانه وتعالى فقط لرضاه سواءً هو يُعطي إليه اجره أو لم يُعط، وهذا هو الصراط المستقيم. (1)

التحليل والمناقشة:

الشيخ السعدي رفع الغموض الوارد على كلام الإمام الرازي ووضحه توضيحاً رائعاً، لأن بعض الناس يُخطئون في هذه القضية. فلا ينبغي لنا أن نستحقر نعم الله تعالى أو نستحقر النجاة من غضبه وعقابه، ومن المعلوم أن نحن في الدنيا نُحسّ في بعض الأشياء الصعوبة والمشقة وهكذا في بعض الأشياء الراحة والسكون ولكن نحن نُريد ونُحبّ متى النعم والراحة من حيث البشرية، أما ما ذكره الإمام الرازي من المراتب الأربعة والوصول إلى الدرجات الرفيعة فيه، فمختص بالخواص أما العامة فلا يعرفونه جيداً، فإذا كان الرجل يتطور إلى الدرجة الرابعة فينبغي له الاستغراق في عبادة الله تعالى وفق الشريعة وليس به بأس لو لم يُيال بالجنة أو النار ولكن هذا لا يعني أن يحسب نفسه مستغنياً عن الجنة وهكذا عن النار؛ فإذا قول الشيخ السعدي راجح في هذه القضية. والله أعلم

الاستدراك الثامن والعشرون: قول الله تعالى: {اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ}. (2)

يذكر الإمام فخر الدين الرازي في تفسير هذه الآية إشكالاً فيقول: "كيف يجوز أن نقول إن الرسول صلى الله عليه وسلم رغب في الصلوة على عبد الله بن أبي بعد أن عرف كونه كافراً وقد توفّي على الكفر أيضاً، ومن المعلوم أن صلاة الرسول صلى الله عليه وسلم عليه له وسيلة الإجلال والتعظيم، وإضافة على ذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم إذا صلّى عليه فقد دعا له، وذلك ممنوع، لأن الله تعالى أخبره أنه لا يغفر للكفار قط، وأيضاً إعطاء القميص إلى عبد الله بن أبي متلزم إعزازه؟" ثم يُجيب عنه: "لما التمس عبد الله بن أبي عن

(1) تفسير نبيان القرآن للشيخ غلام رسول السعدي، ج 5 ص 163

(2) سورة التوبة، الآية 80

النبي صلى الله عليه وسلم أن يُعطي إليه قميصه الذي من جلده ليُدفن فيه،⁽¹⁾ فغلب على ظن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه انتقل من الكفر إلى الإيمان لأنه هو الوقت الذي يؤمن فيه الكافر ويتوب فيه الفاجر، فلما رأى النبي صلى الله عليه وسلم منه إظهار الإسلام وشاهد العلامات التي تدل على دعول الإسلام فظن النبي صلى الله عليه وسلم أنه أسلم، ورغب أن يُصلي عليه موافقاً لظنه ولكن لما أحر جبرئيل عليه السلام النبي صلى الله عليه وسلم على موته بالكفر والنفاق فامتنع من الصلوة عليه.⁽²⁾ ثم يذكر الإمام الرازي عدة وجوه في دفع القميص إليه: وهي كالتالي:

- الأول: "أن العباس رضي الله عنه عم الرسول صلى الله عليه وسلم وكان رجلاً طويلاً فلما أخذ أسيراً بيدر ولم يجدوا له قميصاً، فكساه عبد الله بن أبي قميصه".
- الثاني: "أن المشركين قالوا لعبد الله بن أبي يوم الحديبية، إنا لا نقاد لحمد صلى الله عليه وسلم ولكننا نقاد لك، فقال لا، إن لي في رسول الله أسوة حسنة، فشكر رسول الله له ذلك".
- والثالث: "أن الله تعالى أمره أن لا يرد سائلاً يقول الله تعالى: {وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ} ⁽³⁾ فلما طلب منه صلى الله عليه وسلم القميص دفعه إليه لأجل هذا المعنى".
- الرابع: "أن منع القميص لا يليق بأهل الكرم".
- الخامس: "أن عبد الله بن عبد الله بن أبي ابنه وكان من الصالحين، وأن الرسول صلى الله عليه وسلم أكرمه ليكان ابنه".

(1) وهو "عن ابن عمر رضي الله عنهما، قال: لما توفي عبد الله بن أبي، جاء ابنه عبد الله بن عبد الله إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسأله أن يُعطيَه قميصه يُكفن فيه أباه، فأعطاه، ثم سأله أن يُصليَ عليه، فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم ليصليَ عليه، فسأله فقال: يا رسول الله تُصليَ عليه، وقد نهاك ربك أن تُصليَ عليه؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إنما خيرني الله فقال: {استغفر لكم أو لا تستغفر لكم، إن تستغفر لكم سبعين مرة}، [سورة التوبة، الآية 80]، واستغفرت على السجين" قال: إنه مُناقض، قال: فصلى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأزل الله: {ولا فصل على أحد منكم مات أثماً، ولا علم على قومه}، [سورة التوبة، الآية 84] أخرجه الإمام البخاري في صحيحه، كتاب تفسير القرآن، باب قول الله تعالى: {استغفر لكم أو لا تستغفر لكم} إن تستغفر لكم سبعين مرة قلن يُغفر الله لهم}، رقم الحديث: 4670 ج 6 ص 67

(2) ينظر التفسر الكبير للإمام فخر الدين الرازي، ج 16 ص 115 - 116

(3) سورة الضحى، الآية 10

• السادس: "لعلَّ الله جل جلاله أوحى إلى النبي صلى الله عليه وسلم أنك إذا دفعت قميصك إلى ابن أبي فيصير ذلك حاملاً للدخول في الإسلام لألف نفر من المنافقين وفعله لهذا الغرض، وروي أنهم لما شاهدوا ذلك أسلم ألف من المنافقين".

• السابع: "النبي صلى الله عليه وسلم كان غلب عليه الرحمة والرفقة كما قال الله تعالى: {وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ} (1) وقال الله تعالى: {فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ تُنتِ هُمْ} (2) فامتنع هو صلى الله عليه وسلم من الصلاة عليه مراعيًا لأمر الله تعالى، ودفع إليه القميص لإظهار الرحمة والرفقة".

استدرك الشيخ غلام رسول السعيدى على الإمام فخر الدين الرازى في تفسير

هذه الآية وقال: أن التقرير المذكور للإمام الرازى لا يصح وقد ثبت من الأحاديث في كتب الصحاح (3) أن النبي صلى الله عليه وسلم صلى على عبد الله ابن أبي ولكن لم يثبت من الحديث أنه توفي على الكفر والنفاق. ثم ذكر الشيخ السعيدى إشكالاً وهو: أن نفاق عبد الله ابن أبي كان مشهوراً فلما ذا رغب النبي صلى الله عليه وسلم في الصلاة عليه؟ وأجاب عنه: أن المنافق لما يظهر الإسلام فيجري عليه أحكام الإسلام وإن هو كان كافر من الباطن حيث يُصلى عليه صلوة الجنائز لأن الأساس في الأحكام الشرعية هو الظاهر، وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: "تَحْنُ تَحْكُمُ بِالظُّوَاهِرِ وَاللَّهُ مُتَوَلَّى السَّرَائِرِ". (4) وأيضاً قال النبي صلى الله عليه وسلم: "إِنَّ قَمِيصِي لَا يُغْنِي عَنْهُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَإِنِّي لَأَرْجُو أَنْ يُسَلِّمَ بِفِعْلِي هَذَا أَلْفَ رَجُلٍ مِّنْ قَوْمِي". (5) فيظهر منه أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يُصلِّ الصلاة على عبد الله ابن أبي لمغفرته بل هو قصد به الدعوة إلى الإسلام، فلا يرد عليه الاعتراض. (6)

(1) سورة الأنبياء، الآية 107

(2) سورة آل عمران، الآية 159

(3) المراد منه كتب الحديث الستة المشهورة وهي الصحيح البخاري والصحيح لمسلم والسنن أبي داود والنسائي والترمذي وابن ماجه.

(4) ما وجدته في تحريجه.

(5) ما وجدته في تحريجه.

(6) تفسير نبيان القرآن للشيخ غلام رسول السعيدى، ج 5 ص 212 - 213

التحليل والمناقشة:

الشيخ السعيدى أشار إلى الأحاديث وهي: "عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّهُ قَالَ: لَمَّا مَاتَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي اَبْنِ سَلُولٍ، دُعِيَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِتُصَلِّيَ عَلَيْهِ، فَلَمَّا قَامَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَتَبَّثَ إِلَيْهِ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَتُصَلِّيَ عَلَيَّ ابْنِ أَبِي، وَقَدْ قَالَ يَوْمَ كَذَا: كَذَا وَكَذَا، قَالَ: أَعْتَيْدُ عَلَيْهِ قَوْلَهُ، فَتَبَّسَّمَتْ رَسُولُ اللَّهِ وَقَالَ: أَيْجُرُّ عَنِّي يَا عُمَرُ فَلَمَّا أَكْثَرَتْ عَلَيْهِ قَالَ: ابْنِي حَيَّرْتُ فَأَحْتَرْتُ، لَوْ أَعْلَمْتُ ابْنِي إِنْ زِدْتُ عَلَى السَّبْعِينَ يُعْفَرُ لَهُ لَزِدْتُ عَلَيْهَا"، قَالَ: فَصَلَّى عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ، ثُمَّ انْصَرَفَ، فَلَمْ يَمُكِّثْ إِلَّا يَسِيرًا، حَتَّى لَزَلَتْ الْآيَتَانِ مِنْ بَرَاءَةِ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: {وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُوا وَهُمْ فَاسِقُونَ} (1) قَالَ: فَعَجِبْتُ بَعْدَ مِنْ جُرْأَتِي عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ (2).

وعن ابن عمير رضى الله عنه، "أنه قال: لما توفى عبد الله بن أبي، جاء ابنه عبد الله بن عبد الله رضى الله عنه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأعطاه قبضة، وأمره أن يكفنه فيه، ثم قام يصلي عليه فأخذ عمر بن الخطاب رضى الله عنه بقوبه، فقال: تصلي عليه وهو منافق، وقد نهاك الله أن تستغفر لهم؟ قال: إنما حبرني الله أو أحببني الله، فقال: {استغفر لهم، أو لا تستغفر لهم، إن تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم} فقال الرسول صلى الله عليه وسلم سأزيدك على سبعين، قال: فصلى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وصلينا معه، ثم أنزل الله عليه قول الله تعالى: {وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَمَاتُوا وَهُمْ فَاسِقُونَ} (3) (4).

خلاصة الكلام: قول الشيخ السعيدى: أن هذا القول لم يثبت من أي حديث أن جبريل عليه السلام أخبر النبي صلى الله عليه وسلم عن موت عبد الله بن أبي بالكفر أو

(1) سورة التوبة، الآية 84

(2) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب تفسير القرآن الكريم، باب قول الله تعالى: {استغفر لهم أو لا تستغفر لهم إن تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم}، رقم الحديث: 4671 ج 6 ص 68

(3) سورة التوبة، الآية 84

(4) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب تفسير القرآن الكريم، باب قول الله تعالى: {استغفر لهم أو لا تستغفر لهم إن تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم}، رقم الحديث: 4672 ج 6 ص 68

النفاق، فقله صحيح كما رأينا أنه لم يُذكر فيه، أما ما استدلل الشيخ السعدي بالحديث أن الإسلام يحكم بالظاهر فصَحَّ وهو من أصول الشريعة والله عليم بذات الصدور. في رأي قول الشيخ السعدي صحيح وصبوب ولكن لا ينبغي أن يقال لتقهر الإمام الرازي: أنه "لا يصح"، يمكن أن نقول له: "لا يُناسب"، أو "أنا لا أوافق معه في هذه القضية". والله أعلم.

الاستدراك التاسع والعشرون: قول الله تعالى: {اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ} (1).

يرى الإمام فخر الدين الرازي تفسير هذه الآية هكذا: "بعض العلماء يقولون: أن الرسول صلى الله عليه وسلم اشتغل بالاستغفار للقوم فمنعه الله منه، والبعض منهم يقولون: إن المنافقين طلبوا من الرسول صلى الله عليه وسلم أن يستغفر لهم فإله تعالى نهاه عنه والنهي عن الشيء لا يدل على كونه المنهي مقدماً على ذلك الفعل"، ثم يقول: "وإنما قلنا إن الرسول صلى الله عليه وسلم ما اشتغل بالاستغفار لهم لوجوه"، وهي فيما يلي:

• أولاً: "أن المنافق كافر، وقد ظهر في شرع النبي صلى الله عليه وسلم أن الاستغفار للكافر لا يجوز. ولهذا السبب أمر الله رسوله صلى الله عليه وسلم بالاعتداء بإبراهيم عليه السلام إلا في استغفاره لأبيه كما قال الله تعالى: {قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ ... إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَ لَكَ} (2)، وإذا كان هذا معروفاً في الشرع فكيف يجوز الإقدام عليه؟"

• ثانياً: "أن استغفار الغير للغير لا ينفعه إذا كان ذلك الغير مُصراً على القبح والمعصية".

• ثالثاً: "أن إقدامه على الاستغفار للمنافقين يجري مجرى إغرائهم (التحريض) بالإقدام على الذنب" ... (3)

استدراك الإمام شهاب الدين الألوسي على الإمام فخر الدين الرازي في تفسير

هذه الآية فنقل قوله وقال: إنه لا يجوز الاستغفار للكافر فكيف يصدر عن النبي صلى الله

(1) سورة التوبة، الآية 80

(2) سورة الممتحنة، الآية 4

(3) يُنظر التفسير الكبير للإمام فخر الدين الرازي، ج 16 ص 112

عليه وسلم؟ ثم أجاب عنه وقال: بأنه يجوز لأحيائهم بمعنى طلب سبب الغفران، ثم أشار إلى الوجه الثالث وقال: "والقول بأن الاستغفار للمصر لا ينفع، لا يتفق لأنه لا قطع بعدم نفعه، إلا أن يوحى إليه عليه الصلاة والسلام بأنه لا يؤمن كأبي لهب".⁽¹⁾

التحليل والمناقشة:

الإمام الألوسي أراد بقوله: أن الاستغفار للمصر ينفع ويُفيد لأنه ليس هنا دليلاً قطعياً على عدم نفعه، إلا إذا كان هنا دليل قطعي على عدم قبولية الإيمان مثل ما جاء في حق أبي لهب حيث قال الله تعالى: {تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ. مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ. سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ}،⁽²⁾ ففي هذه الحالة الاستغفار للمصر لا ينفعه وإلا فلا، خلاصة القول حسب رأي قول الإمام الألوسي راجح. والله أعلم

الاستدراك الثالثون: قول الله تعالى: {اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ}.⁽³⁾

أورد الإمام فخر الدين الرازي إشكالاً حول هذه الآية حيث قال: "بعض العلماء يقولون: إن الرسول صلى الله عليه وسلم اشتغل بالاستغفار للقوم فنعمه الله منه، واليعض منهم يقولون: إن المنافقين طلبوا من الرسول صلى الله عليه وسلم أن يستغفر لهم فإله تعالى تجاهه عنه والنهي عن الشيء لا يدل على كونه للنهي مقدماً على ذلك الفعل"، ثم يقول: "وإنما قلنا إن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما اشتغل بالاستغفار لهم لوجوه"، وهي كالتالي:

• أولاً: "أن المنافق كافر، وقد ظهر في شرع النبي صلى الله عليه وسلم أن الاستغفار للكافر لا يجوز. ولهذا السبب أمر الله رسوله صلى الله عليه وسلم بالاعتداء بإبراهيم عليه السلام إلا في استغفاره لأبيه كما قال الله تعالى: {قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي

(1) تفسير روح المعاني للإمام شهاب الدين الألوسي، ج 5 ص 336

(2) سورة التمسيد، الآيات 1، 3

(3) سورة التوبة، الآية 80

إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ ... إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ {⁽¹⁾} وإذا كان هذا معروفاً في الشرع فكيف يجوز الإقدام عليه؟

- ثانياً: "أن استغفار الغير للغير لا ينفعه إذا كان ذلك الغير مصراً على القبح والمعصية".
- ثالثاً: "أن إقدامه على الاستغفار للمنافقين يجري مجرى إغرائهم (التحريض) بالإقدام على الذنب".
- رابعاً: "أن الله تعالى إذا كان لا يقبل دعاء النبي صلى الله عليه وسلم فيقبي دعاء الرسول صلى الله عليه وسلم مردوداً عند الله جل جلاله، وفذلك يجوزب نقصان في منصبه".
- خامساً: "أن هذا الدعاء لو كان مقبولاً من النبي صلى الله عليه وسلم لكان قليلاً مثل كثيره في حصول الإجابة. فثبت أن المراد من هذا الكلام أن القوم لما طلبوا الاستغفار منه صلى الله عليه وسلم أن يستغفر لهم؛ فمنعه الله تعالى منه، وليس المقصود من ذكر هذا العدد تحديد المنع، بل هو مثل قول الرجل الذي حين يسأله واحد لما يحتاج إليه في شيء: "لو سألتني سبعين مرة لم أفضها لك"، ولكن ليس المراد منه أنه لو زيد قضاها فكذا يكون هاهنا، ويؤكد هذا بقول الله تعالى: {ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا} فوضح منه العلة التي بسببها لا يُفيدهم استغفار الرسول صلى الله عليه وسلم وإن بلغ سبعين مرة، كفرهم وفسقهم، وهذا المعنى قائم في الزيادة على السبعين، فيصير هذا التعليل شاهداً بأن المقصود منه إزالة الطمع في أن يُفيدهم أو ينفعهم استغفار النبي صلى الله عليه وسلم مع إصرارهم على الكفر، وكما يؤكد من قول الله تعالى: {وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ} في هذه الآية، والمراد منه أن فسقهم مانع من الهداية، ثم يقول الإمام الرازي: "ثبت أن الحق ما ذكرناه".⁽²⁾

استدرك الإمام شهاب الدين الألوسي على الإمام فخر الدين الرازي في تفسير هذه الآية حيث نقل قوله: والقول بأن الاستغفار للمنافق إغراءً (تحريضاً) له على النفاق، لا

(1) سورة الممتحنة، الآية 4

(2) ينظر التفسير الكبير للإمام فخر الدين الرازي، ج 16 ص 112

نفاق له أصلاً والألامتغ الاستفغار لعصاة المؤمنين ولا قائل به.⁽¹⁾ وبالنظر نجد أن استدراك الإمام الألوسي في محله.

وقد استدرك الإمام الألوسي على الاستدلال الخامس للإمام الرازي والذي ذكر فيه أن الرسول صلى الله عليه وسلم إن لم يستجب له يكون نقصاً في منصب النبوة وردّ بقوله أنه ممنوع لأنه يمكن أن لا تقبل أحياناً دعاء النبي صلى الله عليه وسلم لحكمة وهكذا لم يقبل دعاء لبعض الأنبياء عليهم السلام ولكنه لا يعدّ نقصاً كما لا يخفى.⁽²⁾

التحليل والمناقشة:

الإمام الألوسي جاء باستدراك رافع وذكر توجيهاً جيداً لأنه ليس من الضرورة أن كل الدعاء يستجاب، وقد ورد في الحديث "عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخَدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَدْعُو بِدَعْوَةٍ لَيْسَ فِيهَا إِثْمٌ، وَلَا قَطِيعَةٌ رَجِمَ، إِلَّا أَعْطَاهُ اللَّهُ بِهَا إِحْدَى ثَلَاثٍ: إِمَّا أَنْ تُعْجَلَ لَهُ دَعْوَتُهُ، وَإِمَّا أَنْ يَدْخِرَهَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ، وَإِمَّا أَنْ يَصْرِفَ عَنْهُ مِنَ الشُّؤْمِ بِثَلَاثٍ" فَالُوا: إِذَا نُكِرَ، قَالَ: "اللَّهُ أَكْثَرُ".⁽³⁾ خلاصة القول حسب رأي القول الراجع قول الإمام الألوسي. والله أعلم

الاستدراك الحادي والثلاثون: قول الله تعالى: {اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ}.⁽⁴⁾

ذهب الإمام فخر الدين الرازي إلى أن الاستفغار لم يحصل منه صلى الله عليه وسلم والنهي عن الشيء لا يدل على كون المنهي مقدماً على ذلك الفعل.⁽⁵⁾

استدرك الإمام شهاب الدين الألوسي على الإمام فخر الدين الرازي في تفسير هذه الآية فيقول: "إِنَّ الصَّحِيحَ الْمَعْمُولَ عَلَيْهِ فِي ذَلِكَ أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ ابْنَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي رَضِيَ

(1) تفسير روح المعاني للإمام شهاب الدين الألوسي، ج 5 ص 336

(2) لمس المصير، ج 5 ص 336

(3) أخرجه الإمام أحمد في مسنده، رقم الحديث: 11133 ج 17 ص 213 - 214 استاده جيد، وأخرجه الإمام

ابن أبي شيبة في مصنفه، رقم الحديث: 29170 ج 6 ص 22

(4) سورة التوبة، الآية 80

(5) ينظر التفسير الكبير للإمام فخر الدين الرازي، ج 16 ص 112

الله عنه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم في مرض أبيه أن يستغفر له ففعل فنزلت فقال النبي صلى الله عليه وسلم: لأن يدنّ علي السبعين فنزلت قول الله تعالى: {سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ} (1) وفيه ردّ على الإمام الرازي أيضاً في اختياره عدم الاستغفار" (2).

التحليل والمناقشة:

ننظر في هذه القضية كي نعرف ماذا قال المفسرون فيه فيقول الإمام ابن عطية يقول: أن هذه الآية يحتمل معنيين، كالتالي: الأول: "أن يكون لفظ أمر ومعناه الشرط، ويكون المعنى: إن استغفرت أو لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم، فيكون مثل قول الله تعالى: {قُلْ أَتُفِقُوا طَوْعاً أَوْ كَرْهاً لَنْ يُتَقَبَلَ مِنْكُمْ} (3) الثاني: الذي يحتمله اللفظ أن يكون تخبيراً، كأنه قال له: "إن شئت فاستغفر وإن شئت لا تستغفر ثم أعلمه أنه لا يغفر لهم وإن استغفر سبعين مرة، وهذا هو الصحيح لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم وتبينه ذلك"، وقد ورد في الروايات كما ذكرنا. يقول في الأخير: "وظاهر صلاة النبي صلى الله عليه وسلم على ابن أبي أن كفره لم يكن يقينا عنده، ومحال أن يُصَلِّيَ على كافر، ولكنه راعى ظواهره من الإقرار ووكل سريره إلى الله جل جلاله، وعلى هذا كان ستر المنافقين من أجل عدم التعيين بالكفر" (4). وهكذا قال الإمام ابن الجوزي في تفسير هذه الآية (5) الإمام الزمخشري والبيضاوي وأبو السعود والخازن فسروا هذه الآية وفق تفسير الإمام الألوسي، أما الإمام النسفي فيقول: "ولما سأل عبد الله بن عبد الله ابن أبي رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يستغفر لأبيه في مرضه نزل هذه الآية وقد أمر أن هذا الأمر في معنى الخير كأنه قيل لن يغفر الله لهم استغفرت لهم أم لم تستغفر لهم" (6).

(1) سورة المنافقون، الآية 6 يُنظر تفسير جامع البيان في تأويل القرآن للإمام الطبري، رقم الحديث: 17024 ج 14 ص 395

(2) تفسير روح المعاني للإمام شهاب الدين الألوسي، ج 5 ص 336

(3) سورة التوبة، الآية 53

(4) تفسير المحرر الوجيز للإمام ابن عطية، ج 3 ص 64

(5) تفسير زاد المسير للإمام ابن الجوزي، ج 2 ص 267

(6) تفسير مدارك التنزيل وحقائق التأويل للإمام النسفي، ج 1 ص 697 - 698

الإمام القرطبي يقول: "روى أن هذه الآية نزلت في شأن عبد الله بن أبي ملول وصلاة النبي صلى الله عليه وسلم عليه. وثبت ذلك في الصحيحين وغيرهما. وتظاهرت الروايات بأن النبي صلى الله عليه وسلم صلى عليه، وأن الآية نزلت بعد ذلك"، لنذكر الروايات فيما يلي:

• وروي عن أنس بن مالك رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم لما تقدم ليصلي عليه جاءه جبريل عليه السلام فجبذ ثوبه وتلا عليه قول الله تعالى: ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا﴾ (1) فانصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يُصَلِّ عليه. (2)

• "عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّهُ قَالَ: لَمَّا مَاتَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي مُلَيْكَةَ، دُعِيَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِتُصَلِّيَ عَلَيْهِ، فَلَمَّا قَامَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَتَبَّتْ إِلَيْهِ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَتُصَلِّي عَلَى ابْنِ أَبِي، وَقَدْ قَالَ يَوْمَ كَذَا: كَذَا وَكَذَا، قَالَ: أَعْيَدُ عَلَيْهِ قَوْلَهُ، فَقَبَسَمَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَالَ: أَحْزِرْ عَنِّي يَا عُمَرُ، فَلَمَّا أَكْثَرْتُ عَلَيْهِ قَالَ: إِنِّي خَيْرْتُ فَأَخْتَرْتُ، لَوْ أَعْلَمُ أَبِي إِنْ زِدْتُ عَلَى السَّبْعِينَ يُعْفَرُ لَهُ لَزِدْتُ عَلَيْهَا، قَالَ: فَصَلَّى عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثُمَّ انْصَرَفَ، فَلَمْ يَمُكِّنْ إِلَّا بِسِيرًا، حَتَّى نَزَلَتْ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُوا وَهُمْ فَاسِقُونَ﴾ قَالَ: فَعَجِبْتُ بَعْدُ مِنْ جُرْأَتِي عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ". (3)

• "عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: لَمَّا تُوفِّيَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي مُلَيْكَةَ جَاءَهُ ابْنَةُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَسَأَلَتْهُ أَنْ يُعْطِيَهُ فَمِيصَةً يُكَلِّفُ فِيهِ أَبَاهُ، فَأَعْطَاهُ ثُمَّ سَأَلَتْهُ أَنْ يُصَلِّيَ عَلَيْهِ؟ فَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِتُصَلِّيَ عَلَيْهِ، فَقَامَ عُمَرُ فَأَخَذَ بِكُوفِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَتُصَلِّي عَلَيْهِ وَقَدْ نَهَاكَ اللَّهُ أَنْ تُصَلِّيَ عَلَيْهِ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "إِنَّمَا

(1) سورة التوبة، الآية 84

(2) تفسير المحرر الوجيز للإمام ابن عطية، ج 3 ص 67

(3) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب تفسير القرآن الكريم، باب قول الله تعالى: "اتَّبِعُوا كَمَنْ أُوَلِّيتُمْ كُمُورًا" لا تَتَّبِعُوا كَمَنْ لَمْ يُؤْتِ

خَيْرِي اللهُ فَقَالَ: {اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً}، وَسَأَزِيدُهُ عَلَى سَبْعِينَ، قَالَ: إِنَّهُ مُتَّفِقٌ، فَصَلَّى عَلَيْهِ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى: {وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ} (1) فَتَرَكَ الصَّلَاةَ عَلَيْهِمْ. (2)

ثم يقول الإمام القرطبي: "وقال بعض العلماء: إنما صلى النبي صلى الله عليه وسلم على عبد الله بن أبي بن سارة على الظاهر من لفظ إسلامه. ثم لم يكن يفعل ذلك لما نهي عنه. يقول في تفسير قول الله تعالى: {اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللهُ لَهُمْ} بَيَّنَّ اللهُ تَعَالَى أَنَّهُ وَإِنْ اسْتَغْفَرَ لَهُمْ لَمْ يَنْفَعَهُمْ ذَلِكَ وَإِنْ أَكْثَرَ مِنَ الاسْتِغْفَارِ". ثم ذكر إشكالات: ولم يثبت ما يروى أنه قال: "لَأَزِيدَنَّ عَلَى السَّبْعِينَ". وأجاب عنه: "وهذا خلاف ما ثبت في حديث ابن عمر رضي الله عنهما: وَسَأَزِيدُ عَلَى السَّبْعِينَ، وفي حديث ابن عباس رضي الله عنهما: لَوْ أَعْلَمُ أَيُّيَّيْنِ زِدْتُ عَلَى السَّبْعِينَ يُغْفَرُ لَهُ لَزِدْتُ عَلَيْهَا. قال: فَصَلَّى عَلَيْهِ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ". (3)

الشيخ ابن عاشور يقول: "والذي يظهر لي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما أوحى إليه بقول الله تعالى: {سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَنْ يَغْفِرَ اللهُ لَهُمْ} والمراد منه أن استغفاره وعدمه سواء في حقهم. تأول ذلك على الاستغفار غير المؤكد وبعبته رحمة بالناس وحرصه على هدايتهم وتكديدهم من اعتراضهم عن الإيمان أن يستغفروا للمنافقين استغفاراً مكرراً مؤكداً عسى أن يغفر الله لهم ويوزل عنهم غضب الله تعالى فيهديتهم إلى الإيمان الحق". (4) في الأخير يقول: "فكان لصلاته عليهم واستغفاره لهم حكمة غير حصول المغفرة بل لمصالح أخرى، ولعل النبي صلى الله عليه وسلم أخذ بأضعف الاحتمالين في صيغة قول الله

(1) سورة التوبة، الآية 84 أخرجه الإمام مسلم في صحيحه، كتاب صفات المنافقين وأحكامهم، رقم الحديث: 2774 ج 2 ص 2141

(2) تفسير الجامع لأحكام القرآن للإمام القرطبي، ج 8 ص 218

(3) تفسير الجامع لأحكام القرآن للإمام القرطبي، ج 8 ص 219 أخرجه الإمام البيهقي في صحيحه، كتاب تفسير القرآن الكريم، باب قول الله تعالى: "اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللهُ لَهُمْ"، رقم الحديث: 4671 ج 6 ص 68

(4) تفسير التحرير والتنوير للشيخ ابن عاشور، ج 10 ص 276 - 277

تعالى: {اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً}، وكذلك في لفظ عدد قول الله تعالى: {سَبْعِينَ مَرَّةً}، استقصاء لمظنة الرحمة". (1)

خلاصة الكلام: الإمام الألوسي استدرك على الإمام الرازي على اختياره عدم الاستغفار للنبي صلى الله عليه وسلم على عبد الله بن أبي لأن الرواية المذكورة التي ذكرها الإمام الألوسي تدل على أن النبي صلى الله عليه وسلم استغفر له كما اختاره الكبار من المفسرين وفي هذه الحالة يكون قول الإمام الألوسي أرجح وأصوب. والله أعلم

الاستدراك الثاني والثلاثون: قول الله تعالى: {اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ}. (2)

يرى الإمام فخر الدين الرازي تفسير هذه الآية هكذا: "بعض الناس قالوا أن التخصيص بالعدد المعين، يدل على أن الحال فيما وراء ذلك العدد بخلافه، وهو مذهب القائلين بدليل الخطاب. قالوا: والدليل عليه أنه لما نزل هذه الآية قال الرسول صلى الله عليه وسلم: "والله لأزيدن على السبعين"، (3) ولم ينصرف عنه حتى نزل قول الله تعالى: {سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ...} (4) فكف عنهم". ثم يذكر الاحتمال: "ولو قيل: هذا الاستدلال بالعكس أولى، لأن الله تعالى لما بين للنبي صلى الله عليه وسلم أنه لا يغفر لهم البتة. ثبت أن الحال فيما وراء العدد المذكور مساوٍ للحال في العدد المذكور، وذلك يدل على أن التقييد بالعدد لا يوجب أن يكون الحكم فيما وراءه بخلافه". (5)

استدرك الإمام شهاب الدين الألوسي على الإمام فخر الدين الرازي في تفسير هذه الآية وقال: "أن عبد الله ابن عبد الله بن أبي رضي الله عنه سأل رسول الله صلى الله

(1) نفس المصدر، ج 10 ص 278

(2) سورة التوبة، الآية 80

(3) تفسير الطبري الوجيز للإمام ابن عطية، ج 3 ص 90

(4) سورة المنافقون، الآية 6

(5) يُنظر التفسير الكبير للإمام فخر الدين الرازي، ج 16 ص 112

عليه وسلم في مرض أبيه أن يستغفر له ففعل فنزلت فقال الرسول صلى الله عليه وسلم: لأزيدن على السبعين فنزلت قول الله تعالى: {سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ...}، وفيه رد على الإمام الرازي في إنكاره كون مفهوم العدد حجة كما نقله عنه الإمام الإسنوي⁽¹⁾ في التمهيد⁽²⁾ مخالفاً في ذلك الإمام الشافعي فإنه قائل بحجتيه كما نقله الإمام الغزالي عنه في المنحول⁽³⁾ وشيخه إمام الحرمين في البرهان⁽⁴⁾ وصرح بأن ذلك قول الجمهور⁽⁵⁾.

التحليل والمناقشة:

الإمام الإسنوي يقول: "مفهوم العدد حجة عند الإمام الشافعي والجمهور كذا قاله إمام الحرمين عبد الملك بن عبد الله الجويني في البرهان ونقله الإمام الغزالي أيضاً في المنحول عن الإمام الشافعي لأنه لما نزل قول الله تعالى: {إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ...} قال النبي صلى الله عليه وسلم والله لأزيدن على السبعين ولكن اختار الإمام الرازي، ويقول الإمام أبو الحسن الأمدي في كتابه: (6) "أنه ليس بحجة". يقول الإمام الرازي: "وقد يدل عليه بدليل منفصل كما إذا كان العدد علة لعدم أمر فإنه يدل على امتناع ذلك الأمر في الزائد أيضاً لوجود العلة وعلى ثبوته في الناقص لانتفاءها كحديث القلتين وكذلك إن لم يكن

(1) هو عبد الرحيم بن الحسن بن علي الإسنوي الشافعي، أبو محمد، جمال الدين (704 - 772 هـ الموافق 1305 - 1370 م): فقيه أصولي، من علماء العربية، ولد بإسنا، وقدم القاهرة، وولي الحسبة ووكالة بيت المال، ثم اعتزل الحسبة. من كتبه: المداية إلى أوهام الكفاية، الأتياها والنظائر، الكوكب الدرّي، تحاميه السؤل شرح متصاح الأصول... ينظر الأعلام للزكلي، ج 3 ص 344

(2) التمهيد في تخرّيج الفروع على الأصول للإمام الإسنوي (المتوفى: 772 هـ)، ص 252 - 253 المحقق: د. محمد حسن هيتو. الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت. الطبعة: الأولى 1400 هـ. عدد الأجزاء: 1

(3) المنحول من تعليقات الأصول للإمام الغزالي (المتوفى: 505 هـ)، حققه وخرّج نصه وعلق عليه: الدكتور محمد حسين هيتو. الناشر: دار الفكر البعاص، بيروت لبنان، دار الفكر دمشق، سورية. الطبعة: الثالثة 1419 هـ الموافق 1998 م. عدد الأجزاء: 1

(4) البرهان في أصول الفقه لعبد الملك بن عبد الله الجويني (المتوفى: 478 هـ)، المحقق: صلاح بن محمد بن عويضة، الناشر: دار الكتب العلمية بيروت، لبنان. الطبعة: الأولى 1418 هـ الموافق 1997 م. عدد الأجزاء: 2

(5) تفسير روح المعاني للإمام شهاب الدين الألوسي، ج 5 ص 336

(6) الأحكام في أصول الأحكام لأبي الحسن الأمدي (المتوفى: 631 هـ)، المحقق: عبد الرزاق عفيفي. الناشر: المكتب الإسلامي، بيروت، دمشق، لبنان. عدد الأجزاء: 4

علة ولكن أحد العددين داخل في العدد المذكور إذا كان كالحكم بالخطر والكراهة فإن تحريم جلد المائة مثلاً أو كراهته تدل عليه في المائتين". (1)

يقول الإمام الجويني: "ومن قال بالمفهوم حصر مفهوم الموافقة في إشعار الأدنى في قصد المتكلم بالأعلى ثم ينقسم ذلك إلى ما يقع نصاً وإلى ما يقع ظاهراً فالواقع نصاً كالمثلي من قول الله تعالى: {فَلَا تَقْتُلْ نَفْسًا أُمَّةً} (2) وما يقع ظاهراً كقول الله تعالى: {وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَأً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٌ} (3) فقال الإمام الشافعي تقييد القتل بالخطأ في إيجاب الكفارة يدل على أن إيجابها في قتل العمد أولى وهذا الذي ذكره ظاهر غير مقطوع به إذ يتطرق إليه إمكان آخر سوى ما ذكره الإمام الشافعي من إشعار الأدنى بالأعلى". ثم يضيف: "فأما مفهوم المخالفة فقد حصره الإمام الشافعي في وجوه من التخصيص منها التخصيص بالصفة ومنها التخصيص بالعدد والتقدير والتخصيص بالحد والتخصيص بالمكان والزمان وظاهر هذه التخصيصات في هذه الجهات يتضمن نفى المسكوت عنه". ثم يقول الإمام الجويني في قول الإمام الشافعي: "وما تكلم عنه الإمام الشافعي من حصر القول بالمفهوم في الجهات التي عدلها من التخصيصات حق ومتقيل عند الجماهير ولكن لو عتبر معيار عن جميعها بالصفة لكان ذلك منقحاً فإن المعلوم والمعلوم موصوفان بعدهما وحدهما والمخصوص بالكون في مكان وزمان موصوف بالاستقرار فيهما فإذا قال القائل زيد في الدار فإنما يقع خبراً ما يصلح أن يكون منسجماً عن صفة متصلة بظرف زمان أو بظرف مكان والتقدير مستقر في الدار أو كائن فيها والقتال واقع يوم الجمعة فالصفة تجمع جميع الجهات التي ذكرها ومن يفكر المفهوم فإنه يأتى القول في جميع هذه الوجوه". (4) خلاصة الكلام: رأينا أقوال العلماء في هذه القضية، في رأي قول الإمام الألوسي راجع. والله أعلم

(1) التمهيد للإمام الإسوي، ص 252 - 253

(2) سورة الإسراء، الآية 23

(3) سورة النساء، الآية 92

(4) الزهراء في أصول الفقه للإمام الجويني، ج 1 ص 167 - 168

الاستدراك الثالث والثلاثون: قول الله تعالى: {لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ} (1).

يذكر الإمام فخر الدين الرازي في تفسير هذه الآية وجهين، على النحو الآتي:
الوجه الأول: "أن الأحسن من صفة فعلهم، وفيها الواجب والمنسوب والمباح والله تعالى يجزيهم على الأحسن، وهو الواجب والمنسوب، دون المباح". الوجه الثاني: "أن الأحسن صفة للجزاء، أي يجزيهم جزاء هو أحسن من أعمالهم وأجل وأفضل، وهو الثواب" (2).

استدرك الشيخ الإمام شهاب الدين الألوسي على الإمام فخر الدين الرازي في تفسير هذه الآية وقال: "الظاهر أن نصب أحسن حيث عد على أنه بدل اشتغال من ضمير يجزيهم. وأورد عليه أنه ناء (تقد) عن المقام مع قلة فائدته لأن حاصله أن الله تعالى يجزيهم على الواجب والمنسوب وأن ما ذكر منه". ثم يقول: "ولا يخفى ركابته وأنه غير خفي على أحد وكونه كناية عن العفو عما قرط (أهمل) منهم في خلاله أن وقع لأن تخصيص الجزاء به (على العفو) يُشير بأنه لا يجازى على غيره خلاف الظاهر" (3).

التحليل والمناقشة:

قال الإمام أبو حيان الأندلسي بعد نقل قول الإمام الرازي: "هذا الوجه فاحتمل أن يكون أحسن بدلاً من ضمير ليجزئهم بدل اشتغال، كأنه قيل: ليجزئ الله أحسن أفعالهم بالأحسن من الجزاء، أو بما شاء من الجزاء. ويحتمل أن يكون ذلك على حذف مضاف فيكون التقدير: ليجزئهم جزاء أحسن أفعالهم" (4). ويقول الإمام الزمخشري: "ويجوز أن يرجع الضمير فيه إلى عمل صالح وقول الله تعالى: {لِيَجْزِيَهُمُ} متعلق بكتب أي أثبت في صحائفهم لأجل الجزاء" (5). وقد قال الإمام البيضاوي: "جزاء أحسن أعمالهم أو أحسن جزاء

(1) سورة التوبة، الآية 121

(2) يُنظر التفسير الكبير للإمام فخر الدين الرازي، ج 16 ص 170

(3) يُنظر تفسير روح المعاني للإمام شهاب الدين الألوسي، ج 6 ص 45

(4) تفسير البحر المحيط للإمام أبي حيان، ج 5 ص 524 - 525

(5) تفسير الكشاف للإمام الزمخشري، ج 2 ص 322

أعمالهم". (1) وهكذا قال الإمام أبو السعود في تفسيره. (2) الشيخ ابن عاشور يقول: "ولما كان هذا جزءاً عن عملهم المذكور علم أن عملهم هذا من أحسن أعمالهم. وانتصب أحسن على نزع الخافض، أي عن أحسن ما كانوا يعملون أو بأحسن ما كانوا يعملون كقول الله تعالى: {لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا} (3) ولما قول الله تعالى: {لِيَجْزِيَنَّكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا} (4) ثم يقول: "الظاهر أنه من غير هذا القليل وأن (أجر) مفعول مطلق. وفي ذكر كانوا والإتيان بخبرها مضارعاً لإفادة أن مثل هذا العمل كان ديدنهم". (5) وفي كتاب إعراب القرآن وبيانه: "اللام للتعليل ويجزي فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد اللام والهاء مفعول به أول والله فاعل وأحسن مفعول به ثانٍ أو مفعول مطلق بمعنى أي يجزيهم أحسن جزءاً، وما موصول مضاف لأحسن وكان واسمها وجملة يعملون خبرها". (6) خلاصة الكلام: وعلى ذلك يكون قول الإمام الألوسي راجح. والله أعلم

(1) تفسير أنوار التنزيل وأسرار التأويل للإمام البيضاوي، ج 3 ص 101

(2) تفسير إرشاد العقل السليم للإمام أبي السعود، ج 4 ص 111

(3) سورة التور، الآية 38

(4) سورة القصص، الآية 25

(5) تفسير التحرير والتنوير للشيخ ابن عاشور، 11 ص 58

(6) إعراب القرآن وبيانه لمحيي الدين درويش (المنبوق: 1403هـ) ج 4 ص 194 الناشر: دار الإرشاد للشؤون

الجامعية، حمص، سورية، (دار الإمامة / دار ابن كثير، دمشق، بيروت)، الطبعة: الرابعة 1415هـ. عدد المجلدات: 10

المبحث الرابع

سورة يونس

الاستدراك الرابع والثلاثون: قول الله تعالى: {إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُفٍ} (1) بالحياة الدنيا.

ذكر الإمام فخر الدين الرازي في تفسير الرجاء قولين، كما يلي:

- **القول الأول:** أن المراد منه: "لا يخافون البعث، ويكون معناه: أن هؤلاء الناس لا يخافون ذلك لأنهم لا يؤمنون بها"، كما قال به ابن عباس رضي الله عنه: ويحتج لتفسير الرجاء بالخوف بقول الله تعالى: {إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ مَّنْ يَخْشَاهَا} (2) وقول الله تعالى: {وَهُمْ مِّنَ السَّاعَةِ مُشْفِقُونَ} (3) وتفسير الرجاء بالخوف جائز كما قال الله تعالى: {مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا} (4)

وقد قال الهذلي: "إذا لسعته النحل لم يرج لسعه".

- **القول الثاني:** أن تفسير الرجاء هو الطمع، فقول الله تعالى: {لا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا} أي الذين لا يطمعون في ثوابنا، إذا فيكون المراد من هذا الرجاء هو الذي ضده اليأس، كما قال الله تعالى: {قَدْ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْكُفَّارِ مَنَ أَصْحَابِ الْقُبُورِ} (5) ثم يقول: "أن حمل الرجاء على الخوف بعيد، لأن تفسير الضد بالضد غير جائز، وليس ههنا أي مانع على أن يحمل الرجاء على معناه الظاهري البتة"، وذكر عليه الدليل حيث قال: "أن لقاء الله جل جلاله إما أن يكون المقصود به تجلي جلال الله عز وجل للعبد وإشراق نور كبريائه في روحه، وإما المراد منه الوصول إلى ثواب الله جل جلاله وإلى رحمته فإن كان المقصود منه الأول فهو أعظم الدرجات وأشرف السعادات وأكمل

(1) سورة يونس، الآية 7

(2) سورة النازعات، الآية 45

(3) سورة الأنبياء، الآية 49

(4) سورة نوح، الآية 13

(5) سورة المتحنن، الآية 13

الخيرات، فكيف لا يرجوه العاقل؟ وكيف لا يتمتعاه؟ وإن كان المراد به الثاني فهو أيضاً كذلك، لأن كل إنسان يرجو من الله تعالى الإيصال إلى ثوابه تعالى ومقامات رحمته، وإذا كان الأمر كذلك فكل من يؤمن بالله تعالى فهو يرجو ثوابه، أما الذين لا يؤمنون بالله تعالى ولا بالمعاد فقد أبطلوا على نفوسهم هذا الرجاء"، وقال في الأخير: "فلا جرم حسن جعل عدم هذا الرجاء كناية عن عدم الإيمان بالله واليوم الآخر".⁽¹⁾

استدرك الإمام الألوسي على الإمام الرازي في تفسير هذه الآية حيث قال: "أن الإمام الرازي استبعد حمل الرجاء على الخوف، وقال: أن تفسير الضد بالضد لا يجوز، ولا يخفى أنه في حيز المنع فقد ورد ذلك في استعمالهم وذكره الإمام الراغب في كتابه"⁽²⁾، وقال به الإمام المرزوقي⁽³⁾ وأنشدوا شاهداً له قوله أبي ذؤيب:⁽⁴⁾ "إذا لسعته النحل لم يرج لسعها ... وحالفها في بيت نوب عوامل".

يقول الإمام الألوسي: ووجه ذلك الإمام الراغب الأصفهاني بأن الرجاء والخوف يتلازمان،⁽⁵⁾ وقال: أما الاعتراض على الإمام الرازي بأن استعمال الضد في الضد جائز في الاستعارة التهكمية فليس بشيء لأن مقصود الإمام الرازي أن ذلك غير جائز في غير الاستعارة المذكورة كما يشعر به قوله تفسير دون استعارة ثم إنه لا يجوز اعتبار هذه الاستعارة هنا لأن التهكم غير مراد كما لا يخفى. ثم يقول: ويعلم مما ذكرنا في تفسير الآية أن الباء للظرفية، وجوز أن تكون للسببية على معنى سكنوا بسبب زيتها وزخارفها، واختيار صيغة الماضي في الحصلتين الأخيرتين للدلالة على التحقق والتقرر كما أن اختيار صيغة المستقبل في الأولى للإيدان بالاستمرار.⁽⁶⁾

(1) يُنظر التفسير الكبير للإمام الرازي، ج 17 ص 211

(2) المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني، ص 346

(3) هو أحمد بن محمد بن الحسن، أبو علي المرزوقي (المتوفى 421هـ الموافق 1030م) عالم بالأدب، من أهل أصبهان. كان معلم أبناء بني بويه فيها. من كتبه: الأئمة، وشرح ديوان الحماسة، شرح المفردات ... يُنظر الأعلام للزركلي، ج 1 ص 212

(4) يُنظر تفسير روح المعاني للإمام الألوسي، ج 6 ص 69

(5) المفردات في غريب القرآن للإمام الراغب الأصفهاني، ص 346

(6) يُنظر تفسير روح المعاني للإمام الألوسي، ج 6 ص 70

التحليل والمناقشة:

وأما قول الإمام الراغب الأصفهاني في الفوق فلا نكرهه. (1) الإمام ابن منظور الإفريقي يقول: "رجاء الرجاء من الأمل: تبيضُ اليأس، تمدود". (2) الإمام فيروزآبادي يقول: "الرجاء: ضدُّ اليأس، كالرجو والرجاء". (3) الإمام الثعلبي يقول أن المراد منه: "لا يخافون عقابنا ولا يرجون ثوابنا، والرجاء يكون بمعنى الهلع والخوف". (4) هكذا قال الإمام البغوي: "الرجاء يكون بمعنى الخوف والطمع". (5) هكذا قال الإمام القرطبي وقال بعده: وجعل لقاء العذاب والثواب لقاء الله تعالى تخميماً فما. يجري اللقاء على ظاهره، وهو الرؤية، أي لا يطمعون في رؤيتهما. وقال: لا يقع الرجاء بمعنى الخوف إلا مع الجحد، كقول الله تعالى: {مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا} (6) وقال بعضهم: بل يقع بمعناه في كل موضع دلَّ عليه المعنى. (7) قال الإمام الزمخشري: لا يرجون لقاءنا لا يتوقعونه أصلاً، ولا يخطرونه يبالغ لغفلتهم المستولية عليهم، المذهلة باللذات وحب العاجل عن التحفظ للحقائق. أو لا يأملون حسن لقائنا كما يأمله السعداء أو لا يخافون سوء لقائنا الذي يجب أن يخاف. (8) هكذا قال الإمام النسفي في تفسيره. (9)

(1) للمفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني، ص 346

(2) لسان العرب لابن منظور الإفريقي، ج 14 ص 309

(3) القاموس المحيط للفروزآبادي، ص 1287

(4) تفسير الكشف والبيان للإمام الثعلبي، ج 5 ص 120

(5) تفسير معالم التنزيل للإمام البغوي، ج 2 ص 411

(6) سورة نوح، الآية 13

(7) تفسير الجامع لأحكام القرآن للإمام القرطبي، ج 8 ص 311 - 312

(8) تفسير الكشاف للإمام الزمخشري، ج 2 ص 330

(9) تفسير مدارك التنزيل وحقائق التأويل للإمام النسفي، ج 2 ص 8

الإمام الماوردي يقول ذكر فيه قولين: الأول: لا يخافون عقابنا. الثاني: لا يطمعون في ثوابنا. (1) هكذا قال الامام الحازن في تفسيره. (2) الإمام ابن جزى القرواطي (3) ذكر في تفسيره عدة أقوال مثل الإمام القرطبي ولكن لم يُرجح بينهما. (4) الإمام النيسابوري يقول: لا يخافون البعث كقول الله تعالى: {وَهُمْ مِنَ السَّاعَةِ مُشْفِقُونَ} (5) ثم يقول: واستبعد كثير من العلماء تفسير الرجاء بالخوف، وقالوا: "إله بمعنى الطمع أي لا يطمعون في حسن لقاءه كما يأمله السعداء، أو لا يتوقعونه أصلاً لأنهم لا يؤمنون بالمعاد فهم ذاهلون عن طلب اللذات الحقيقية فارغون عن التوجه نحو السعادات الباقية". (6)

الإمام ابو السعود يقول: "أن المراد بلقائه إما الرجوع إلى الله تعالى بالبعث أو لقاء الحساب كما في قول الله تعالى: {إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَّةٍ} (7) وأياً ما كان ففيه مع الالتفات إلى ضمير الجلالة من تحويل الأمر ما لا يخفى". ثم يقول: "أن المراد بعدم الرجاء عدم التوقع مطلقاً المنتظم لعدم الأمل وعدم الخوف فإن عدمهما لا يستدعي عدم اعتقاد وقوع للمأمول والخوف أي لا يتوقعون الرجوع إلينا أو لقاء حسابنا للوادي إما إلى حسن الثواب أو إلى سوء العذاب فلا يأملون الأول وإليه أشير بهذه الآية". (8) الشيخ رشيد رضا نقل قول

(1) تفسير الثبوت والغيون للإمام الماوردي، ج 2 ص 423

(2) تفسير لباب التأويل في معاني التنزيل للإمام الحازن، ج 2 ص 429

(3) هو محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله، ابن جزى الكلبي (693 - 741 هـ الموافق 1294 - 1340 م) أبو للناسم: فقيه أصولي، لغوي، من أهل غرناطة، من كتبه القوانين الفقهية في تلخيص مناهج المالكية، تقريب الوصول إلى علم الأصول، التسهيل لعلوم التنزيل، وسيلة للسلم في تهذيب صحيح مسلم ... ينظر الأعلام للزركلي، ج 5 ص 325

(4) التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزي الكلبي (المتوفى: 741 هـ) ج 1 ص 353 المحقق: الدكتور عبد الله الخالدي. الناشر: شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت. الطبعة: الأولى: 1416 هـ.

(5) سورة الأنبياء، الآية 49

(6) غرائب القرآن و غرائب القرآن لتنظيم الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي النيسابوري (المتوفى: 850 هـ)، ج 3 ص 561 المحقق: الشيخ زكريا عميرات. الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت. الطبعة: الأولى: 1416 هـ.

(7) سورة الحاقة، الآية 20

(8) تفسير ارشاد العقل السليم للإمام أبي السعود، ج 444 ص 122

الإمام الفيومي⁽¹⁾ وهو: رجوته أرجوه رجوا - على فعول - أملتة أو أردته، قال تعالى: ﴿لَا يَرْجُونَ نِجَاتًا﴾⁽²⁾ أي يُريدونه، والاسم⁽³⁾ رجاء بالمد، ورجيته أرجيه من باب رمي لغة، ويستعمل بمعنى الخوف؛ لأن الرجائي يخاف أنه لا يدرك ما يرجاه.⁽⁴⁾ ثم ذكر قول الإمام الراغب كما ذكرنا وقال: "أن التحقيق هو هذا أن الرجاء: الأمل والتوقع لما فيه خير ونفع، وأن الخوف توقع ما فيه شر وضر، فهما متقابلان كما قال الله تعالى: ﴿وَيَرْجُونَ رَحْمَةً وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ﴾⁽⁵⁾ وما ذكر في قول الله تعالى: ﴿وَقَالَ لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ إِقَاءَنَا﴾⁽⁶⁾ من رجاء لقاء الله منفياً يتحمل الرجاء والخوف جميعاً؛ لأن لقاء الله تعالى في يوم الحساب مظنة الخوف لقوم والرجاء لآخرين، ولذلك قال الله تعالى في حال الكفار: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ حِسَابًا﴾،⁽⁷⁾ ثم يقول: "فتتر بعض العلماء الرجاء هنا بمجرد التوقع الذي يشمل ما يسر وما يسوء. واللقاء الاستقبال والمواجهة".⁽⁸⁾

الشيخ ابن عاشور يقول: أن المراد من الرجاء: هو ظن وقوع الشيء من غير تقييد كون المظنون محبوباً وإن كان ذلك كثيراً في كلامهم لكنه ليس بمتعين. فيكون المراد منه: "لا يرجون لقاءنا لا يظنون ولا يتوقعونه".⁽⁹⁾ الشيخ غلام رسول السعدي يقول: معنى الرجاء الخوف أي هم لا يخافون من عذاب الله تعالى، وقول آخر: أن معنى الرجاء الطمع أي لا يطمعون الأجر والثواب من الله تعالى أو لا يطمعون رؤية الله تعالى ولكن ينبغي أن يكون معنى

(1) هو أحمد بن محمد بن علي الفيومي ثم الحسوي، (المتوفى 770 هـ الموافق 1368 م) أبو العباس: لغوي، وكان خطيباً. ولد ونشأ بالفيوم (بمصر) ورحل إلى حماة (بمصرية) من كتبه: المصباح للنور، وديوانه، وشرح الجمان في تراجم الأعيان ... يُنظر الأعلام للزركلي، ج 1 ص 224

(2) سورة النور، الآية 60

(3) تفسير المنار للشيخ رشيد رضا، ج 11 ص 250

(4) المصباح للنور في غريب الشرح الكبير للإمام الفيومي (المتوفى: 770 هـ)، ج 1 ص 221 الناشر: المكتبة العلمية، بيروت. عدد الأجزاء: 2

(5) سورة الإسراء، الآية 57

(6) سورة الفرقان، الآية 21

(7) سورة النبأ، الآية 27

(8) تفسير المنار للشيخ رشيد رضا، ج 11 ص 251

(9) تفسير الصحاح والتعريف للشيخ ابن عاشور، ج 11 ص 99

الرجاء "التوقع" وهو أقرب إلى الحقيقة أي لا يطمعون للقاء الله تعالى لأنهم يتكبرون الحشر فلا يضافون العذاب ولا يرجون الثواب. (1) خلاصة الكلام: وبالنظر في أسوال الأئمة تبين لنا أن استدراك الإمام الألوسي في محله ويكون قوله راجحاً. والله أعلم

الاستدراك الخامس والثلاثون: قول الله تعالى: {وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ}. (2)

يرى الإمام فخر الدين الرازي تفسير هذه الآية هكذا: أن الكفار كانوا يعتقدون أو يزعمون أن في عبادة الأصنام تعظيم لله تعالى أكثر من عبادته وكانوا يقولون: نحن لسنا مؤهلين أن نشغل في عبادة الله تعالى بل نشغل في عبادة الأصنام وهم يشفعون لنا إلى الله تعالى. ثم هؤلاء الكفار اختلفوا في هذه القضية أن هذه الأصنام كيف يشفعون لهم، كما يلي:

- الأول: أن الكفار كانوا يعتقدون أن المتولي والمسؤول لكل إقليم من العالم هو روح معين من الأرواح لعالم الأفلاك، ثم كانوا يعينون الصنم الخاص لذلك الروح وبدوا يشتغلون في عبادته، وكانوا يقصدون عبادة ذلك الروح، ثم جاءوا باعتقاد عن ذلك الروح أنه يكون عبداً للإله الأكبر والأعظم ويشغلون في عبادته.
- الثاني: أن الكفار كانوا يعبدون الكواكب وكانوا يزعمون أن للكواكب أهلية عبودية الله جل جلاله، ثم هم بسبب طلوعها وغروبها وضعوا وعينوا لها أصناماً واشتغلوا بعبادتها، وغرضهم من هذا توجيه العبادة والعبودية إلى الكواكب.
- الثالث: الكفار وضعوا طلسمات خاصة ومعينة لتلك الأوثان والأصنام، ثم كانوا يقرَّبون إليها مثل أصحاب الطلسمات.
- الرابع: أن الكفار وضعوا أصناماً على صورة الأنبياء عليهم السلام والأولياء عليهم الرحمة ثم يعبدون ذلك الأصنام وكانوا يعتقدون أن هذه الأصنام يشفعون لهم عند الله جل جلاله، ثم يقول الإمام الرازي: ونظيره في زماننا أن كثير من الناس يُعظِّمون قُبور الأولياء حيث يعتقدون أن تعظيم قبور الأولياء يكون لنا سبباً لحصول شفاعتهم.

(1) يُنظر تفسير تبيان القرآن للشيخ غلام رسول السعدي، ج 5 ص 329

(2) سورة يونس، الآية 18

- الخامس: من اعتقادناهم أن الإله نور عظيم وهكذا للملائكة أنوار ثم الكفار وضعوا الصنم الأكبر على صورة الإله الأعظم، وهكذا صوروا للملائكة صور أخرى.
- السادس: "لعل أن هذا القوم حلولية حيث جئزوا حلول الإله في بعض الأجسام العالية الشريفة".

ثم يقول الإمام الرازي: أن هذه الوجوه كلها باطلة بقول الله تعالى: {وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ} وفيه ثلاثة وجوه كالتالي: الوجه الأول: قال الإمام الزجاج⁽¹⁾: "لا يضرهم إن لم يعبدوه ولا ينفعهم إن عبدوه". الوجه الثاني: أنه لا بد للمعبود أن يكون أكمل في القدرة من العابد، وأما هذه الأصنام فلا تنفع ولا تضر البتة، وهؤلاء الكفار يقدرون على التصرف في هذه الأصنام تارة بالإنسداد وتارة بالإصلاح، وفي حالة التي تكون فيه العابد أكمل حالا من المعبود فتكون العبادة باطلة. الوجه الثالث: لا شك أن العبادة أعظم أنواع التعظيم والإحترام، فهي لا تليق إلا بمن يصدر عنه الإنعام من أعظم أنواع، وذلك ليس إلا الحياة والقدرة والعقل والمعاد ومصالح المعاش، فإذا كانت المنافع والمضار جميعها من الله تعالى، فيجب أن لا تليق العبادة إلا بالله جل جلاله.⁽²⁾

استدرك الشيخ غلام رسول السعدي على الإمام فخر الدين الرازي في تفسير هذه الآية: أن مقصود الإمام الرازي من قوله الرابع تغليباً الذين يقتلون في تعظيم الثُبور مثل الطواف على القبور أو ينحنون إليه إلى حدِّ الركوع أو يسجدون إليه أو يأخذون النثر لأصحاب القبور، ولكن الذين يزورون قبور الأولياء الكرام من المسلمين ليقرأ عليهم القرآن الكريم أو يريدون أن يصل إليهم الثواب أو يدعون من الله تعالى بوسيلتهم، فلا يدخل في الشرك لأن هذه الأمور ثابتة بالدلائل الشرعية.⁽³⁾

(1) هو إبراهيم بن السري بن سهيل، أبو إسحاق الزجاج (241 - 311 هـ الموافق 855 - 923 م): عالم بال نحو واللغة. ولد ومات في بغداد. مال إلى النحو فعلمه لبيد. وطلب عبيد الله بن سليمان (وزير المعتضد العباسي) مؤدبا لابنه القاسم. من كتبه، فأصاب في أمامة لروية كبيرة. وكانت للزجاج مناقشات مع ثعلب وغيره. من كتبه معاني القرآن، وخلق الإنسان، الأمالي. يُنظر الأعلام للزركلي ج 1 ص 40

(2) يُنظر التفسير الكبير للإمام فخر الدين الرازي، ج 17 ص 227

(3) تفسير تبيان القرآن للشيخ غلام رسول السعدي، ج 5 ص 341

التحليل والمناقشة:

الإمام القرطبي يقول: وهذه غاية الجهالة منهم، حيث ينتظرون الشفاعة في الحال ممن لا يوجد منه نفع ولا ضرر في الحال. (1) الإمام النسفي يقول: { وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ } أي الأصنام { شَفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ } أي في أمر الدنيا ومعيشتها لأنهم كانوا لا يُقَرِّونَ بالبعث (2) الإمام البيضاوي يقول: وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ الْأَوْلِيَاءُ. شَفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ تَشْفَعُ لَنَا فِيمَا يَهْمُنَا مِنْ أُمُورِ الدُّنْيَا أَوْ فِي الْآخِرَةِ إِنْ يَكُنْ بَعَثٌ، وَكَأَنَّهُمْ كَانُوا شَاكِّينَ فِيهِ وَهَلَا مِنْ فِرَاطِ جَهَالَتِهِمْ حَيْثُ تَرَكُوا عِبَادَةَ اللَّهِ لِلْوَجْدِ الضَّارِّ النَّافِعِ إِلَى عِبَادَةِ مَا يَعْلَمُ قَطْعًا أَنَّهُ لَا يَضُرُّ وَلَا يَنْفَعُ عَلَى تَوَهُّمِ أَنَّهُ رَعَى يَشْفَعُ لَهُمْ عِنْدَهُ. (3) الإمام أبو السعود نقل ما قال به الإمام الرازي بدون ذكر اسمه، فلا حاجة إلى تكراره. (4) الشيخ رشيد رضا يقول: هَؤُلَاءِ شَفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ فَتَحْنُ نَعْبُدُهُمْ بِتَعْظِيمِ هَيْكَلِهِمْ وَتَطْيِيبِهَا بِالْعَطْرِ وَالطَّوْفِ بِهَا وَبِتَقْدِيمِ التَّدْوِيرِ لَهُمْ، وَالْإِهْلَالِ عِنْدَ ذَبْحِ الْقَرَابِينِ بِأَسْمَائِهِمْ، وَبِدَعَائِهِمْ وَالِاسْتِغَاثَةِ بِحَمْدِهِمْ؛ لِأَنَّهُمْ شَفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ يَقْرَبُونَنَا إِلَيْهِ زَلْفَى فَيُدْفَعُ بِجَاهِهِمْ عَنَّا الْبَلَاءَ، وَيُعْطِينَا مَا نَطْلُبُ مِنَ النِّعَمَاءِ. (5) قال الإمام الشوكاني (6) مثل قول الإمام القرطبي فلا نذكره. (7) الشيخ ابن عاشور يقول: "ويقولون هَؤُلَاءِ شَفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى لِتَحْفِيرِ رَأْيِهِمْ مِنْ رَجَاءِ الشَّفَاعَةِ مِنْ تِلْكَ الْأَصْنَامِ، فَإِنَّمَا لَا تَقْدِيرَ عَلَى ضَرِّ وَلَا نَفْعٍ فِي الدُّنْيَا فَهِيَ أَوْضَعُ مَقْدَرَةً فِي الْآخِرَةِ". (8) الإمام الألوسي يقول: "نسبة الشفاعة للأصنام قبل

(1) تفسير الجامع لأحكام القرآن للإمام القرطبي، ج 8 ص 322

(2) تفسير مدارك التنزيل للإمام النسفي، ج 2 ص 12

(3) تفسير أنوار التنزيل وأسرار التأويل للإمام البيضاوي، ج 3 ص 108

(4) تفسير إرشاد العقل السليم للإمام أبي السعود، ج 4 ص 131 - 132

(5) تفسير المنار للشيخ رشيد رضا، ج 11 ص 266

(6) هو محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني (1173 - 1250 هـ الموافق 1760 - 1834 م): فقيه مجتهد

من كبار علماء اليمن، من أهل صنعاء. ولد بمجرة شوكان (من بلاد حولان، اليمن) وولي قضاءها سنة 1229 هـ. وكان يرى تحريم التقليد. من كتبه: نيل الأوطار من أسرار متقى الأخيار، والندى الطالع محاسن من بعد القرن السابع،

التفسير فتح القدير، وإرشاد الفحول في أصول الفقه. يُنظر الإعلام للزركلي، ج 6 ص 297

(7) تفسير فتح القدير للإمام الشوكاني. (المعروف: 1250 هـ) ج 2 ص 492 الناشر: دار ابن كثير، دار الكلم الطيب، دمشق، بيروت. الطبعة: الأولى 1414 هـ.

(8) تفسير التحرير والتنوير للشيخ ابن عاشور، ج 11 ص 125

باعتبار السببية وذلك لأنهم كما هو المشهور وضعوها على صور رجال صالحين ذوي خطر عندهم وزعموا أنهم متى اشتغلوا بعبادتها فإن أولئك الرجال يشفعون لهم، ثم أشار إلى ما قاله الإمام الرازى... (1)

خلاصة الكلام: الشيخ السعيدى رفع الغموض عن كلام الإمام الرازى وبين الضابط في هذا الأمر أن الزيارة إذا كانت وفق الضوابط الشرعية فهي مستحبة والأفلا. حسب علمي قول الشيخ السعيدى أقوى. والله أعلم

الاستدراك السادس والثلاثون: قول الله تعالى: {أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ
أَلَا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ} (2)

يرى الإمام فخر الدين الرازى تفسير هذه الآية هكذا: في هذه الآية دقيقة وهي كلمة "ألا" لأن هذه الكلمة تستخدم في وقت الذي يُريد فيه تنبيه الغافلين وإيقاظ النائمين، أما أهل الدنيا فمشتغلون بالنظر إلى الأسباب الظاهرة حيث يقال الدار للوزير، والبستان أو الحديقة للأمير والغلام لزيد فينسبون الأشياء إلى مالك آخر، أما المخلوق فيظنون صحة هذه الإضافات المذكورة لأنهم مستغرقين في نوم الجهل والغفلة، فنادى الله جل جلاله هؤلاء الغافلين بقوله: {أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ} ثم يقول: لأنه لما ثبت ووضع بالعقل وأن ما سوى الله الواحد الأحد الحق ممكن لذاته، وظهر ثبوت الممكن مستند إلى الواجب لذاته إما من البداية أو بواسطة فيثبت منه أن ما سواه جل جلاله مُلْكٌ وَمَلَكَةٌ، إذا كان الأمر هكذا فليس لغيره ملك أصلاً، وفي الأخير يقول: ولما كان معظم الناس في الغفلة عن معرفة هذا المراد حيث لا يعرفونه فأمر الله تعالى رسوله ﷺ بتذكيره كي يستيقظوا من الغفلة والجهالة والضلالة. (3)

استدراك الإمام شهاب الدين الألوسي على الإمام فخر الدين الرازى في تفسير هذه الآية وقال بعد نقل قوله المذكور: الكلام في ذكر الأداة في الجملة الثانية على هذا

(1) تفسير روح المعاني للإمام الألوسي، ج 6 ص 83

(2) سورة بؤس، الآية 55

(3) يُظهِر التفسير الكبير للإمام الرازى، ج 17 ص 266 - 267

النمط لا يخلو عن تكلف، ثم يقول: أن القول الحق هو الظاهر أن حمل الوعد على العموم بحيث يندرج فيه العذاب المذكور والعقاب للعصاة أو الوعد بمهما يستدعي اعتبار التغليب في الكلام، وبعضهم حمل الوعد على ما وعد به الرسول ﷺ من نصره وعقاب من لم يتبعه، وقال: إن اعتبار التغليب توهم وليس بالمتعين، وأظهر الاسم الجليل لتقخير شأن الوعد والإشعار بعلّة الحكم، وتصدير الجملة بحرفي التنبيه والتحقيق للتسجيل على تحقق مضمونها المقرر لمضمون ما سلف من الآيات الكريمة والتنبيه على وجوب استحضاره والمحافظة عليه.⁽¹⁾

التحليل والمناقشة:

الإمام ابن عطية يقول: "ألا استفتح وتنبيه، ثم أوجب أن جميع ما في السماوات والأرض ملك لله تعالى".⁽²⁾ الإمام الزمخشري يقول: "ثم أتبع ذلك الإعلام بأن له الملك كله، وأنه المغيب المعاقب، وما وعده من الثواب والعقاب فهو حق. وهو القادر على الأحياء والإماتة، لا يقدر عليهما غيره، وإلى حسابه وجزائه المرجع، ليعلم أن الأمر كذلك، فيخاف ويرجى، ولا يغتر به المغترون".⁽³⁾ وثابعه فيه الإمام البيضاوي.⁽⁴⁾ ويقول الإمام القرطبي: "ألا) كلمة تنبيه للسامع تزداد في أول الكلام، أي انتبهوا لما أقول لكم ...".⁽⁵⁾ الإمام أبو السعود يقول: "أي ما وجد فيهما داخلاً في حقيقتهما أو خارجاً عنهما متمكناً فيهما وكلمة ما لتغليب غير العقلاء على العقلاء فهو تقرير لكمال قدرت الله تعالى على جميع الأشياء ويان لاندراج الكل تحت ملكوته يتصرف فيه كيفما يشاء إيجاداً وإعداماً واثابة وعقاباً".⁽⁶⁾ الشيخ ابن عاشور يقول: افتتح هذا التذييل بحرف التنبيه، وأعيد فيه حرف التنبيه للاستيعاء لسماعه، ولتنبيه على أنه كلام جامع هو حوصلة الفرض الذي سمعوا تفصيله آنفاً

(1) يُنظر تفسير روح المعاني للإمام الألوسي، ج 6 ص 131

(2) تفسير المحرر الوجيز للإمام ابن عطية الأندلسي، ج 3 ص 125

(3) تفسير الكشاف للإمام الزمخشري، ج 2 ص 352 - 353

(4) تفسير أنوار التنزيل وأسرار التأويل للإمام البيضاوي، ج 3 ص 116

(5) تفسير الجامع لأحكام القرآن للإمام القرطبي، ج 8 ص 353

(6) تفسير إرشاد العقل السليم للإمام أبي السعود، ج 4 ص 155

... وأكد بحرف التوكيد بعد حرف التنبيه في الموضوعين للاهتمام به، ولرد إنكار منكري بعضه والذين هم بمنزلة المنكرين بعضه الآخر.⁽¹⁾

الإمام الشوكاني يقول: "هذه الجملة مسوقة لتقرير كمال قدرت الله تعالى، لأن من ملك ما في السموات والأرض تصرف به كيف يشاء، وغلب غير العقلاء لكونهم أكثر المخلوقات، ثم يقول: "لما أقسم على حقية ما جاء به النبي ﷺ أراد أن يصحب ذلك بدليل البرهان البين: بأن ما في العالم على اختلاف أنواعه ملكه، يتصرف به كيف يشاء، وقال وفق قول الإمام الرازى".⁽²⁾ الشيخ ابو زهرة يقول: (ألا) للتنبيه إلى عظم ما يجيء بعدها لدلالته على القسرة القاهرة والسلطان الظاهر.⁽³⁾ الشيخ إسماعيل حقي نقل قول الإمام الرازى في القضية المذكورة فكأنه وافقه.⁽⁴⁾ الشيخ السعيدى يقول: قال الله تعالى في الآية قبل هذه الآية لو أن الظالم يملك جميع ما في هذه الدنيا فيقدمه للنجاة عن العذاب، وقيل في هذه الآية أن الظالم لا يملك شيئاً لأن جميع ما في السموات والأرض يملكه الله سبحانه وتعالى ... ثم ذكر قول الإمام الرازى وقال في الأخير: إذا كان الله جل جلاله له ملكية كل شيء، وهو معطي الحياة وقابضها، فإذا قبض هو جل جلاله هذه الحياة فماذا يبقى في ملكية الرجل، الرجل لا يملك نفسه ولا له ملكية على متاعه، كل هذا يملكه سبحانه وتعالى.⁽⁵⁾ خلاصة الكلام: كما رأينا أن الكبار من المفسرين وافقوا مع قول الإمام الرازى فإذا الترجيح يكون لقول الإمام الرازى. والله أعلم

(1) تفسير التحرير والتنوير للشيخ ابن عاشور، ج 11 ص 198

(2) تفسير فتح القدير للإمام الشوكاني، ج 2 ص 515

(3) تفسير زهرة التفاسير للشيخ أبي زهرة، ج 7 ص 3593

(4) تفسير روح البيان لإسماعيل حقي (لتون: 1127م)، ج 4 ص 53 النافرة: ناز الفكرة: بيروت. بدون ذكر سنة الطبع.

(5) يُنظر تفسير نبيان القرآن للشيخ غلام رسول السعيدى، ج 5 ص 384 - 385

الاستدراك السابع والثلاثون: قول الله تعالى: {يَأْتِيهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءً لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِلْمُؤْمِنِينَ} (1).

يرى الإمام فخر الدين الرازي تفسير هذه الآية هكذا حيث يقول: اعلم أن الله تعالى وصف القرآن الكريم في هذه الآية الكريمة بصفات أربعة، وهي كالتالي: الصفة الأولى: كون القرآن الكريم موعظة من عند الله تعالى. الصفة الثانية: كون القرآن شفاء لما في الصدور. الصفة الثالثة: كونه كتاب الله تعالى هدى. الصفة الرابعة: كون كلام الله رحمة للمؤمنين. ثم يقول: ولا بد لكل واحد من هذه الصفات من فائدة مخصوصة، حيث يقول: إن الأرواح لما تعلقت بالأجساد كان ذلك التعلق بسبب عشق طبيعي يجب للروح على الجسد، ثم إن جوهر الروح التذمست بهيات هذا العالم الجسداني وطيباته بواسطة الحواس الخمس وتُمرن على ذلك واعتاد هذه الطريقة ألفها. ويُضيف عليه: أن نور العقل إنما يحصل في آخر الدرجة، حيث قويت العلائق الحسية والحوادث الجسدانية، فصار ذلك الاستغراق ميباً لحصول العقائد الباطلة والأخلاق الذميمة في جوهر الروح، وهذه الأحوال تجري مجرى الأمراض الشديدة لجوهر الروح، فلا بد لها من طبيب ماهر حاذق، فإن وقع في المرض الشديد ولكن لم يجد طبيب حاذق للعلاج الصحيح والصائب فيموت لا محالة، وإن اتفق له مثل هذا الطبيب، وكان هذا الجسد قابلاً للعلاجات الصائبة فرمما يزول السقم ويحصل الصحة. ثم يقول بعد معرفة هذا القول: أن نبينا محمداً ﷺ كان كالطبيب الحاذق، وهذا القرآن الكريم عبارة عن مجموع أدويته التي تعالج بتزكيها القلوب المريضة. ثم إن الطبيب إذا وصل إلى المريض فله معه مراتب أربعة:

- المرتبة الأولى: الوعظ: أن ينهيه الطبيب عن تناول أو استعمال ما لا ينبغي ويأمره بالاحتراز عن تلك الأشياء التي بسببها وقع في ذلك المرض، فيقول: وهذا هو الموعظة فإنه لا معنى للوعظ إلا الزجر عن كل ما يبعد عن رضوان الله جل جلاله، والمنع عن كل ما يشغل القلب بغير الله عز وجل.

● **المرتبة الثانية: الشفاء:** وهو أن الطبيب يسقي المريض الأدوية التي بها تُزِيلُ عن باطنه تلك الأخلاط الفاسدة الموجبة للمرض، فكذلك الأنبياء عليهم السلام إذا منعوا الخلق عن فعل المحظورات صارت ظواهرهم مُطَهَّرَةٌ عن فعل ما لا يتبغى وتُناسب فحيتنذ بأمرهم بطهارة الباطن، ثم يقول: وذلك بالمجاهدة في تحصيل الأخلاق الحميدة وإزالة الأخلاق الذميمة، وأوائلها ما قال الله تعالى في قوله: {إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ} (1) ثم يُضَيِّف: كما ذكرنا أن العقائد الفاسدة والأخلاق الذميمة جارية مجرى الأمراض، وبإزالتها يحصل الشفاء للقلب ويصير جوهر الروح مطهراً عن جميع النقوش التي تمنع عن مطالعة عالم الملكوت.

● **المرتبة الثالثة: حصول الهدى:** وهذه المرتبة لا يمكن حصولها إلا بعد المرتبة الثانية؛ لأن جوهر الروح الناطقة قابل للجلايا القدسية والأضواء الإلهية وفيض الرحمة عام غير منقطع على ما قال النبي ﷺ: "إِنَّ لِرَبِّكُمْ عَزَّ وَجَلَّ فِي أَيَّامِ ذَهْرِكُمْ نَفْعَاتٍ، فَتَعَرَّضُوا لَهَا" (2) ثم يقول: المنع إما يكون إما للعجز أو للبخل أو للجهل، وكلهم في حق الحق (سبحانه وتعالى) ممنوع، فالمنع في حقه ممنوع، فعلى هذا عدم حصول هذه الأضواء الروحانية، إنما كان لأجل أن العقائد الفاسدة والأخلاق الذميمة طبعها طبع الظلمة، وعند قيام الظلمة يمتنع حصول النور، فلما يزول تلك الأحوال، فقد زال العائق فلا بد وأن يقع ضوء عالم القدس في جوهر النفس القدسية، في الأخير يقول: ولا معنى لذلك الضوء إلا الهدى، فعند هذه الحالة تصير هذه النفس بحيث قد انطبع فيها نقش الملكوت وتجلي لها قدس اللاهوت، وأول هذه المرتبة هو قول الله تعالى: {يَأْتِيئُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ. أَرْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ} (3) أوسطها قول الله تعالى: {فَقَرُّوا إِلَى اللَّهِ} (4)

(1) سورة النحل، الآية 90

(2) للمعجم الأوسط لابي القاسم الطبراني، ج 3 ص 180 تفسير القرآن العظيم للإمام ابن كثير، ج 7 ص 140 كنز العمال للمصفي الهندي، رقم الحديث: 21324 ج 7 ص 769

(3) سورة النجر، الايتان 27، 28

(4) سورة الناريات، الآية 50

وأخرها قول الله تعالى: {قُلِ اللَّهُ يُمْ دَرُؤَهُمْ فِي حَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ} (1) ومجموعها قول الله تعالى: {وَاللَّهُ غَيَّبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأُمُورُ كُلُّهَا فَاَعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ} (2)، وهذه المرتبة هي المراد بقول الله تعالى: {وَهَدَى}.

• المرتبة الرابعة: رحمة للعالمين: فهي أن تصير النفس البالغة إلى هذه الدرجات الروحانية والمعارج الريانية بحيث تفيض أنوارها على أرواح الناقصين فيض النور من جوهر الشمس على أجرام هذا العالم، وذلك هو المراد بقول الله تعالى: {وَرَحْمَةً لِلْمُؤْمِنِينَ}، ثم يقول: وإنما خص المؤمنين بهذا المعنى، لأن أرواح طاعندين لا تستضيء بأنوار أرواح الأنبياء عليهم السلام، لأن الجسم الذي يستفيد أو القابل للنور عن قرص الشمس هو الذي يكون وجهه يقابل وجه الشمس، ولو لم تحصل هذه للمقابلة فلا يقع ضوء الشمس عليه، فكذلك كل روح لما لم تتوجه إلى خلعة أرواح الأنبياء عليه السلام المطهرين، لم تنتفع بأنوارهم، ولم يصل إليها آثار تلك الأرواح المطهرة المقدسة، ومن المعلوم أن الأجسام التي لا تكون مقابلة لقرص الشمس مختلفة الدرجات والمراتب في البعد عن هذه المقابلة ولا تزال تتزايد درجات هذا البعد حتى ينتهي ذلك الجسم إلى غاية بعده عن مقابلة قرص الشمس، فلا جرم يبقى خالص الظلمة، فكذلك تفاوت مراتب النفوس في قبول هذه الأنوار عن أرواح الأنبياء ولا تزال تتزايد حتى تنتهي إلى النفس التي كملت ظلمتها، وعظمت شقاوتها وانتهت في العقائد الفاسدة، والأخلاق الذميمة إلى أقصى الغايات، وأبعد النهايات.

يقول الإمام الرازي في الأخير: حاصل الكلام أن الموعظة إشارة إلى تطهير ظواهر الخلق عما لا ينبغي وهو الشريعة، والشفاء إشارة إلى تطهير الأرواح عن العقائد الفاسدة والأخلاق الذميمة وهو الطريقة والهدى وهو إشارة إلى ظهور نور الحق في قلوب الصديقين وهو الحقيقة، ثم يقول: أن الرحمة: إشارة إلى كونها بالغة في الكمال والإشراف إلى حيث تصير مكملة للناقصين وهي النبوة، فهذه درجات عقلية ومراتب برهانية كما يدل عليه هذه الألفاظ القرآنية ولا يمكن تأخير ما تقدم ذكره وهكذا لا تقدم ما تأخر ذكره، ولما فيه الله عز وجل في

(1) سورة الأنعام، الآية 91

(2) سورة هود، الآية 123

هذه الآية الكريمة على هذه الأسرار العالية الإلهية حيث قال الله تعالى: {قُلْ يَفْضَلِ اللَّهُ وَرِجْهَ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْتَمِعُونَ} (1) والمغرض منه الإشارة إلى ما قرره حكماء الإسلام من أن السعادات الروحانية أفضل من السعادات الجسمانية. (2)

استدرك الإمام شهاب الدين الألوسي على الإمام فخر الدين الرازي في تفسير هذه الآية حيث قال بعد نقل قوله: "ولا يخفى أن هذا خلاف الظاهر جداً والذي يقتضيه الظاهر كون المذكورات أوصافاً للقرآن الكريم باعتبار كونه سبباً وآلة لها، وجعلت عينه مبالغة وبينها تلازم في الجملة، والتكبير فيها للتضعيف، والهداية إن أخذت بمعنى الدلالة مطلقاً فعامة أو بمعنى الدلالة الموصولة فخاصة وحيثما يكون للمؤمنين قيد الأمرين، ويؤيد تقييد الهدى بذلك قول الله تعالى: {هُدًى لِلْمُتَّقِينَ} (3) فالقرآن الكريم واعظ بما فيه من الترهيب والترغيب أو بما فيه من الزجر عن المعاصي كيفما كانت المقترن بالتخويف فقط بناء على التفسير الثاني للموعظة، وشاف لها في الصدور من الأدواء المفضية إلى الهلاك كالجهل والشك والشرك والنفاق وغيرها، ومرشد ببيان ما يليق وما لا يليق إلى ما فيه النجاة والفوز بالتنعيم الدائم أو موصول إلى ذلك، وسبب الرحمة للمؤمنين الذين آمنوا به وامتثلوا ما فيه من الأحكام، وأما إذا ارتكب خلاف الظاهر فيقال غير ما قيل أيضاً (4) كما ذكره الإمام الألوسي بالتفصيل في تفسيره في باب الإشارة وهي: قول الله تعالى: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ} أي تذكير لنفوسكم بالوعد والوعيد والزجر عن الذنوب المتسببة للعقاب والتحصير على الطاعة الموجبة بفضل الله تعالى للثواب قول الله تعالى: {وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ} أي دواء للقلوب من أمراضها التي هي أشد من أمراض الأبدان كالشك والنفاق والحسد والحقد وأمثال ذلك بتعليم الحقائق والحكم الموجبة لليقين والتصفية والتهوؤ لتجليات الصفات الحقة قول الله تعالى: {وَوَهَّدِي} لأرواحكم إلى الشهود الذاتي قول الله تعالى: {وَوَهَّجْتُ} بإفاضة الكمالات اللاتفة بكل مقام من المقامات الثلاثة بعد حصول الاستعداد في مقام النفس بالموعظة ومقام القلب بالتصفية ومقام الروح بالهداية للمؤمنين بالتصديق أولاً ثم باليقين ثانياً ثم بالعيان ثالثاً.

(1) سورة يونس، الآية 58

(2) يُنظر التفسير الكبير للإمام الرازي، ج 21 ص 268 - 269

(3) سورة البقرة، الآية 2

(4) يُنظر تفسير روح المعاني للإمام الألوسي، ج 6 ص 132

ثم يقول: "وذكر بعضهم الموعظة للمريدين والشفاء للمحبين والهدى للعارفين والرحمة للمستأنسين والكل مؤمنون إلا أن مراتب الإيمان متفاوتة والخطاب في الآية الكريمة لهم وفيها إقامة الظاهر مقام المضمرة ويقال: إن الله تعالى بدأ بالموعظة لمريض حُبّه لأنها معجون لإسهال شهواته فإذا تطهر عن ذلك يسقيه شراب الطافه فيكون ذلك شفاء له مما به فإذا شفي يُغذيه بهدايته إلى نفسه فإذا كمل بصحبته يُطهره بمياه رحمته من وسخ المرض ودرن الامتحان".⁽¹⁾

التحليل والمناقشة:

يقول الإمام الخازن: القرآن الكريم والوعظ زجر مفترن بتخويف. وقيل: هو التذكير بالخير فيما يرق له القلب. وقيل: الموعظة، ما يدعو إلى الصلاح بطريق الرغبة والرهبه. والقرآن الكريم داع إلى كل خير وصلاح بهذا الطريق وشفاء لما في الصدور يعني أن القرآن الكريم ذو شفاء لما في القلوب من داء الجهل وذلك لأن داء الجهل أضر للقلب من داء المرض للبدن. وأمراض القلب هي: الأخلاق الذميمة والجهالات المهلكة والعقائد الفاسدة، فالقرآن الكريم مزيل لهذه الأمراض كلها، لما فيه الوعظ والزجر والتخويف والتحذير والتذكير والترغيب والترهيب فهو الدواء والشفاء لهذه الأمراض القلبية.⁽²⁾

يقول الشيخ المظهري⁽³⁾: أن المراد من موعظة القرآن الكريم على لسان الرسول محمد ﷺ فإنها موعظة بمعنى تذكير وتنبية يدعو إلى كل مرغوب ويذجر عن كل مرهوب وذلك بالأوامر والنواهي لأن الأمر من الله الحكيم والعليم يقتضى حسن الأمور به فيكون مرغوباً وكما يترتب عليه اجر مرغوب، أما النهي فيقتضى قبحه فهو مرهوب يترتب عليه اجر

(1) يُنظر نفس المصدر، ج 6 ص 165

(2) تفسير لباب التأويل في معاني التنزيل للإمام الخازن، ج 2 ص 448

(3) هو عماد نساء الله الهندي الفلاني فقي النقشبندية الحنفي العثماني المظهري (1143هـ - 1225هـ): مفسر، فقيه، محدث، صوف. وُلد في قناني فت، حفظ القرآن الكريم ودرس العلوم العقلية والنقلية، لزم الشافعية في الله الشافعية. وأخذ الطريقة النقشبندية من الشيخ خواجه محمد عابد السناني، ومن الشيخ ميرزا جاجانان مظهر. من كتبه: التفسير المظهري، المسبوط في الحديث، وإرشاد الطالبين... يُنظر الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام للمصطفى بن (تريزه الخواطر ومحجة المسامح والنواظر) لعبد الحسي الحسيني (المتوفى: 1341هـ)، ج 7 ص 942 دار النشر: دار ابن حزم، بيروت، لبنان. الطبعة: الأولى 1420هـ الموافق 1999م. عدد الأجزاء: 8

مرهوب. ثم يقول: وَبِشَفَاءِ أَي دَوَاءٍ مُّوجِبٍ لِلشِّفَاءِ لِمَا فِي الصُّدُورِ أَي فِي صُلُوبِكُمْ مِنَ الْأَمْرَاضِ الْقَلْبِيَّةِ يَعْنِي الْعُقَايِدَ الْفَاسِدَةَ وَتَعَلَّقَاتِ الْقُلُوبِ بِمَا يَبْوِي اللَّهُ تَعَالَى. (1) خلاصة الكلام: قول الإمام الرازي راجح في هذا المقام. والله أعلم

الاستدراك الثامن والثلاثون: قول الله تعالى: {وَلَا يَحْزَنُكَ قَوْلُهُمْ إِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا} (2).

يرى الإمام فخر الدين الرازي تفسير هذه الآية هكذا: أن البشر يحزن من وعيد الغير ومكره وتهديده، ولو جوّز كون الوعيد مؤثراً في حال البشر، ولكن إذا أخبر الرجل من جانب الله علام الغيوب أن هذه الأشياء لا يؤثر، فلا يكون من أسباب حزنه، وكما أزال الله عز وجل عن رسوله ﷺ حزن الآخرة حيث قال: {أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ} (3) فهكذا أزال حزن الدنيا بقول الله تعالى: {وَلَا يَحْزَنُكَ قَوْلُهُمْ إِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ} ويظهر من هذا أن الله تعالى لما أرسل رسوله ﷺ إلى الناس وأمره بدعوته إلى دين الإسلام فلا بد من كونه باصراً ومعيناً له، وإذا ثبت أن العزة والغلبة لله تعالى فيحصل معه الأمن ويزول الخوف. يذكر الإمام الرازي عليه اعتراض فيقول: "كيف آمنه من ذلك ولم يزل خائفاً حتى احتاج إلى الهجرة والحرب، ثم من بعد ذلك يخاف حالاً بعد حال؟" ثم يجيب عنه: "إن الله تعالى وعد الرسول ﷺ النصر والظفر مطلقاً ولكن لم يُعَيِّنْ له وقت فلاجله الرسول ﷺ كان يخاف دائماً أن لا يكون هذا الموعد المعين ذلك الوقت يحصل فيه الانكسار والانهزام". (4)

استدراك الشيخ غلام رسول السعدي على الإمام فخر الدين الرازي في تفسير هذه الآية حيث قال: هذا الجواب لا يصح في رأي لأن النبي ﷺ لم يُهاجر إلى المدينة خوفاً من الكفار، وكيف هو يخاف منهم؟ لأنه ﷺ خرج من بين أيديهم لما حاصروا حول حجرة

(1) التفسير المظهرى للشيخ المظهرى، ج 5 ص 34

(2) سورة يونس، الآية 65

(3) سورة يونس، الآية 62

(4) يُنظر التفسير الكبير للإمام الرازي، ج 17 ص 278 - 279

النبي ﷺ ومعهم سيوف مسلولين في أيديهم وكان يقرأ السورة يس. ومن المعلوم أن هجرة الرسول ﷺ موافقاً لسنة الله تعالى لأن الأنبياء عليهم السلام هاجروا من مناطق الكفار ثم كانوا يرجعون إلى نفس المناطق فاتحين وناصرين، أما اختفاء النبي ﷺ في الغار لثلاثة أيام فكان لاختيار الأسباب الظاهري وليس خوفاً منهم وقد قال النبي ﷺ لأبي بكر صديق رضي الله عنه حينما كان في الغار قول الله تعالى: {لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ {⁽¹⁾، وهكذا تضرعه للفتح لاظهار العبودية في غزوة بدر، وكان الرسول ﷺ يخاف من الله تعالى فقط ولا يخاف من الكفار ولا من غيرهم.⁽²⁾

التحليل والمناقشة:

قول الشيخ السعدي: أن النبي ﷺ اختفى وقت الهجرة أخذاً للأسباب، فصح ولكن الخوف شيء طبيعي كما قال الله تعالى لموسى عليه السلام: {يَا مُوسَى لَا تَخَفْ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيْ الْمُرْسَلِينَ} {⁽³⁾ في قصة موسى عليه السلام، وقد قال الله تعالى: {وَلَمَّا أَنْ جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالُوا لَا تَخَفْ وَلَا تَحْزَنْ إِنَّا مُنْجِيُكَ وَأَهْلِكَ إِلَّا أَنْتَ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ} {⁽⁴⁾ والخوف في مثل هذه الأماكن ليس عيب أو نقص، في رأي ليس بين هذا الخوف وما وعده من الأمن تناقض. يقول الإمام الألوسي: اختار الجمهور استئناف وسبق تسليمة لنبينا محمد ﷺ عما يواجهه من الأعداء من الإيذاء قولاً وفعلاً ففيه تبشير للنبي ﷺ بالعز والتصر أن له ولتابعيه أمن واطمئنان من كل خطر وحذر والحصول على كل ما يريدونه ويطلبونه وله اتصال بقول الله جل جلاله: {أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ} {⁽⁵⁾، ثم يقول: الأولى أن لا يُعتبر ما فيه توهم إضافة الخوف إلى النبي ﷺ ... وإن لم يكن في هذه النسبة عيب أو نقص.⁽⁶⁾

(1) سورة التوبة، الآية 40

(2) تفسير تبيان القرآن للشيخ غلام رسول السعدي، ج 5 ص 447

(3) سورة النمل، الآية 10

(4) سورة العنكبوت، الآية 33

(5) سورة يونس، الآية 62

(6) يُنظر تفسير روح المعاني للإمام الألوسي، ج 6 ص 144

الإمام الزمخشري: من أحرزته قولهم تكذيبهم لك، وتهديتهم، وتشاورهم في تدبير هلاكك وإبطال أمرك، وسائر ما يتكلمون به في شأنك إنَّ العزة لله استئناف بمعنى التعليل، كأنه قيل: ما لي لا أحرز؟ فقيل، إن العزة لله جميعاً، أي إنَّ الغلبة والقهر في ملكة الله جميعاً، لا يملك أحد شيئاً منها لا هم ولا غيرهم،⁽¹⁾ هكذا قال الإمام القرطبي في تفسيره.⁽²⁾ يقول الإمام ابن عطية: في هذه الآية تسلية للرسول ﷺ، المعنى ولا يحزنك يا محمد ﷺ ويهملك قولهم، أي قول كفار قريش، ولفظة القول تعم جحودهم واستهزاءهم وخداعهم وغير ذلك.⁽³⁾ الإمام البيضاوي يقول أن المراد منه: "إشراكهم وتكذيبهم وتهديتهم".⁽⁴⁾ الشيخ ابن عاشور يقول: "صبغة لا يحزنك قولهم خطاب للنبي ﷺ وظاهر صيغته أنه نهي عن أن يحزن النبي ﷺ كلام المشركين، مع أن شأن النهي أن يتوجه الخطاب به إلى من فعل الفعل للنهي عنه، ولكن المقصود من مثل هذا التركيب نهي للنبي ﷺ عن أن يتأثر بما شأنه أن يحزن الناس من أقوالهم".⁽⁵⁾ يقول الشيخ رشيد رضا: "ولا يحزنك قولهم نداء عن الحزن والغم من قولهم الذي يقولونه في تكذيبه فحذف مقول القول للعلم به وبين له سبب هذا النهي بقول الله تعالى: {إِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا} أي إن الغلبة والقوة والمنعة لله جميعاً لا يملك أحد من دونه شيئاً منها، فهو يهبها لمن يشاء ويحرمها من يشاء".⁽⁶⁾ وعلى ذلك فكلام الشيخ السعيد في محله. والقول الراجح هو قول الشيخ السعيد. والله أعلم

(1) تفسير لكشاف للإمام الزمخشري، ج 2 ص 357

(2) تفسير الجامع لأحكام القرآن للإمام القرطبي، ج 8 ص 359

(3) تفسير المحرر الوجيز للإمام ابن عطية الأندلسي، ج 3 ص 129

(4) تفسير أنوار التنزيل وأسرار التأويل للإمام البيضاوي، ج 3 ص 118

(5) تفسير التحرير والتنوير للشيخ ابن عاشور، ج 11 ص 221

(6) تفسير لباب التأويل في معاني التنزيل للإمام الخازن، ج 11 ص 370

الاستدراك التاسع والثلاثون: قول الله تعالى: {حَتَّىٰ إِذَا أَذْرَكَهُ الْفَرَقُ قَالَ آمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آمَنْتُ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ. الْآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ} (1).

يذكر الإمام فخر الدين الرازي في تفسير هذه الآية إشكالاً حيث يقول: هل هذا صحيح؟ أن جبريل عليه السلام كان بملاً فم فرعون من الطين حين استغرق لعل يتوب إلى الله تعالى غضباً عليه وقد ورد في الحديث عن ابن عباس رضي الله عنهما، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: "لَمَّا أَغْرَقَ اللَّهُ فِرْعَوْنَ قَالَ: {آمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي ...} فَقَالَ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: يَا مُحَمَّدُ ﷺ قَلَوُ رَأَيْتَنِي وَأَنَا أَخْذُ مِنْ خَالِ (طِينِ) الْبَحْرِ فَأَدْمُسُهُ فِي فِيهِ عَخَافَةً أَنْ تُذْرِكَهُ الرَّحْمَةُ. (2) وفي رواية أخرى عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: "أَنَّ جِبْرِيلَ جَعَلَ يَدُسُّ فِي فِي فِرْعَوْنَ الطِّينَ حَتَّىٰ أَنْ يَقُولَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، فَيَرْحَمَهُ اللَّهُ أَوْ حَتَّىٰ أَنْ يَرْحَمَهُ اللَّهُ جَلَّ جَلَالُهُ". (3) ثم يُجيب عنه: الأقرب أن القول المذكور ليس بصحيح، لأن في حالة التي استغرق فيه فرعون، فإما التكليف كان ثابتاً لفرعون أو لم يكن ثابتاً ففي حالة ثبوت التكليف لفرعون لا يجوز لجبريل عليه السلام أن يمنعه من التوبة، بل يلزم على جبريل عليه السلام معاونته في التوبة وأمور الطاعة في ذلك الوقت كما قال الله تعالى: {وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ} (4) ولو كان جبريل عليه السلام يمنعه من التوبة في ذلك الحين حيث ملأ فمه من تراب فلا بأس فيه، لأن التوبة تمكّن وإن كان فمه ملئاً كما يمكن للأعرس لما يتوب بندامة ويعزم على ترك معاودة القبيح، ففي هذه الصورة ليس لفعل جبريل عليه السلام فائدة، ومن جهة أخرى لو منع جبريل عليه السلام فرعون من التوبة فكأنه قد رضي على بقاءه بالكفر، ومن المعلوم أن الرضا بالكفر كفر، ثم يقول: وكيف ينبغي بالله عز وجل وقد قال

(1) سورة يونس، الآيتان 90، 91

(2) أخرجه الإمام الترمذي في سننه، أبواب تفسير القرآن عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، باب: ومن سورة يونس، رقم الحديث: 3107، ج 5 ص 287

(3) أخرجه الإمام الترمذي في سننه، أبواب تفسير القرآن عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، باب: ومن سورة يونس، رقم الحديث: 3107، 3108، ج 5 ص 286

(4) سورة المائدة، الآية 2

لموسى وهارون عليهما السلام قول الله تعالى: {فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى} (1) ثم بأمر جبريل عليه السلام بمنعه من الإيمان، ذكر الامام الرازي إشكالاً آخرًا وهو: ولو قيل أن جبريل عليه السلام فعل ذلك من عند نفسه ولم يفعله بأمر من الله عزوجل، فهو مبطل لقول جبريل عليه السلام: {وَمَا نَقَّزُلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ}، (2) ولقول الله تعالى في صفتهم: {وَهُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ}، (3) وقول الله عزوجل: {لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْتَمِدُونَ}، (4) في الأخير ذكر السؤال: "ولو قيل إن التكليف كان زائلا عن فرعون في ذلك الوقت، فحينئذ لا يبقى لهذا الفعل الذي تُسبب إلى جبريل عليه السلام إليه فائدة أصلاً". (5)

استدرك الشيخ غلام رسول السعدي على الإمام فخر الدين الرازي في تفسير هذه الآية حيث قال بعد نقل قوله المذكور: أن اعتراضات الإمام الرازي المذكورة قوية جدا ولكن نحن كخادم الحديث الشريف نحافظ على الأحاديث التي وردت فيه، فيكون الجواب لهذا الإشكال: أن فرعون وصل إلى الدرجة لأجل انكاره لآيات الله جل جلاله وإساءته لموسى عليه السلام وإيذائه له، أنه لو آمن قلم يقبل الله عزوجل منه إيمانه، لأجله أرسل جبرئيل عليه السلام في ذاك الوقت لسنّ العراب في فمه كي يوضح عليه أنه مردود ولا يقبل إيمانه. (6)

التحليل والمناقشة:

الإمام الزمخشري قال في الأحاديث التي ذكرناه: أنه حين قال فرعون: أمنت أخذ جبريل عليه السلام من حال البحر فدرسه في فيه، فللغضب لله تعالى على الكافر في وقت قد علم أن إيمانه لا ينفعه، وأما ما يهتم إليه من قولهم: "خشية أن تُدركه رحمة الله"، فمن زيادات الباهتين لله وملائكته: ويقول أن فيه جهالتين، كما يلي: الأولى: "أن الإيمان يصح بالقلب كإيمان الأخرس، فحال البحر لا يمنعه". الثانية: "أن من كره إيمان الكافر وأحب بقاءه على

(1) سورة طه، الآية 44

(2) سورة مريم، الآية 64

(3) سورة الأنبياء، الآية 28

(4) سورة الأنبياء، الآية 27

(5) يُنظر التفسير الكبير للإمام الرازي، ج 17 ص 297

(6) تفسير نبيان القرآن للشيخ غلام رسول السعدي، ج 5 ص 463

الكفر فهو كافر لأن الرضا بالكفر كفر، من المفسدين من الضالين المضلين عن الإيمان، كقول الله تعالى: {الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ مَسْجِدِ اللَّهِ زِدْنَاهُمْ عَذَابًا فَوْقَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يُفْسِدُونَ} (1) الإمام القرطبي قال مثل قول الإمام الرازي وذكر نفس الروايات فلا نكرهه (2) الإمام الخازن نقل الأحاديث التي وردت في هذه القضية أولاً كما ذكره الإمام الرازي ثم قال: أنه في الظاهر مشكل ويحتاج إلى التوضيح وبيان، وقال بعده: أنه ورد هذا الحديث على طريقين مختلفين عن ابن عباس رضي الله عنهما، وهي كما يلي:

● **الطريق الأول:** "وهو عن ابن زيد بن جديعان وهو وإن كان قد ضعفه يحيى بن معين وغيره فإنه كان شيخاً نبيلاً صدوقاً ولكنه كان سيئ الحفظ ويغلط وقد احتمل الناس حديثه وإنما يخشى من حديثه إذا لم يتابع عليه أو خالفه فيه الثقات وكلاهما متنف في هذا الحديث".

● **الطريق الثاني:** "فيه شعبة عن عدي بن ثابت عن سعيد بن جبير وهذا الإسناد على شرط الإمام البخاري، ورواه أيضاً شعبة عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير وعطاء بن السائب ثقة قد أخرج له مسلم فهو على شرط مسلم وإن كان عطاء قد تكلم فيه من قبل اختلاطه فإنما يخاف منه ما انفرد به أو خولف فيه وكلاهما متنف، ثم يقول: فقد علم بهذا أن لهذا الحديث أصلاً وأن روايته ثقات ليس فيهم متهم وإن كان فيهم من هو سيئ الحفظ فقد تابعه عليه غيره. فإن قلت ففي الحديث الثاني شك في رفعه إنما هو جزم بأن أحد الرجلين رفعه وشك شعبة في تعيينه هل هو عطاء بن السائب أو عدي بن ثابت وكلاهما ثقة فإذا رفعه أحدهما وشك في تعيينه لم يكن هذا علة في الحديث (3)".

بعد هذا التكلم الإمام الخازن نقل قول الإمام الرازي المذكور في هذا الاستدراك ثم يقول: الجواب عن هذا الاعتراض أن الحديث قد ثبت عن النبي ﷺ فلا اعتراض عليه لأحد. ثم يتكلم عن قول الإمام الرازي حول التكليف: "هل كان ثابتاً في تلك الحالة أم لا فإن كان ثابتاً لم يجز لجليل عليه السلام أن يمنعه من التوبة"، فيجيب الإمام الخازن عنه: "أن

(1) سورة النحل، الآية 88 تفسير الكشاف للإمام الزمخشري، ج 2 ص 367 - 368

(2) تفسير الجامع لأحكام القرآن للإمام القرطبي، ج 8 ص 377 - 378

(3) تفسير لباب التأويل في معاني التنزيل للإمام الخازن، ج 2 ص 460 - 461

هذا القول لا يستقيم على أصل المثبتين للقدر القائلين بخلق الأفعال لله، وقد قال الله تعالى: {فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ} (1) وهذا قول أهل السنة المثبتين للقدر حيث يقولون: إن الله يحول بين الكافر والإيمان كما يدل على ذلك قول الله تعالى: {وَاعْتَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ} (2) وقول الله تعالى: {وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ} (3) وقال الله تعالى: {وَأَقْلَبُ قُلُوبَهُمْ وَأَبْصُرُهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوْلَ مَرَّةٍ} (4) ثم يقول الإمام الخازن: "أخبر الله عزوجل أنه قلب أفئدتهم مع كل تركهم الإيمان به أول مرة، وهكذا فعل فرعون حيث منعه من الإيمان عند الموت ليكون جزاء على تركه الإيمان أولاً؛ فدرس الطين في قم فرعون من جنس الختم والطبع على القلب ومنع الإيمان وصون الكافر عنه وذلك جزاء على كفره السابق وهذا قول طائفة من المثبتين للقدر القائلين بخلق الأفعال لله تعالى". ثم يقول: "ومن المنكرين لخلق الأفعال من اعترف أيضاً أن الله عزوجل يفعل هذا عقوبة للعبد على كفره السابق فيحسن منه أن يُضِلَّهُ ويطبع على قلبه ويمنعه من الإيمان. ثم أضاف: "لأن قصة جريرل عليه السلام مع فرعون من هذا الباب فإن غاية ما يقال فيه إن الله تعالى منع فرعون من الإيمان وحال بينه وبينه عقوبة له على كفره السابق وردّه للإيمان لما جاءه. وأما فعل جريرل عليه السلام من درس الطين في فيه فإنما فعل ذلك بأمر الله تعالى لا من تلقاء نفسه" (5).

ثم يتكلم الإمام الخازن عن قول الإمام الرازي: "لم يجز لجريرل أن يمنعه من التوبة بل يجب عليه أن يُعِينَهُ لِي التوبة وهكذا على كل طاعة"، وأجاب عنه: هذا إذا كان تكليف جريرل عليه السلام كتكليفنا يجب عليه ما يجب علينا. وأما إذا كان جريرل عليه السلام إنما يفعل ما أمره الله تعالى به، ولكن الله جل جلاله هو الذي منع فرعون من الإيمان وجريرل عليه السلام مُنْفَذٌ لِأَمْرِ اللَّهِ تَعَالَى، ففي تلك الحالة كيف لا يجوز له منع من منعه الله تعالى من التوبة وكيف يجب عليه إعانة من لم يُعِنَهُ اللَّهُ تَعَالَى بل قد حكم عليه وأخبر عنه أنه لا يؤمن

(1) سورة فاطر، الآية 8

(2) سورة الأنفال، الآية 24

(3) سورة النساء، الآية 155

(4) سورة الأنعام، الآية 110

(5) تفسير كتاب التائويل في معاني التنزيل للإمام الخازن، ج 2 ص 461

حتى يرى العذاب الأليم حين لا ينفعه الإيمان كما قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ. وَلَوْ جَاءَهُمْ كُلُّ آيَةٍ حَتَّى يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾، (1) ثم يقول: "وقد يقال: إن جبريل عليه السلام إما أن يتصرف بأمر الله تعالى فلا يفعل إلا ما أمر الله عز وجل به وإما أن يفعل ما يشاء من تلقاء نفسه لا بأمر الله تعالى وعلى كلا التقديرين فلا يجب عليه إعانة فرعون على التوبة ولا يحرم عليه منعه منها لأنه إنما يجب عليه فعل ما أمر به ويحرم عليه فعل ما نهي الله عنه والله تعالى لم يخبر أنه أمره بإعانة فرعون ولا حرم عليه منعه من التوبة وليست الملائكة مكلفين ككليفنا". (2)

ثم ذكر الإمام الحازن إشكالاً آخرًا للإمام الرازي وهو: "وإن كان التكليف زائلاً عن فرعون في ذلك الوقت فحيث لا يبقى هذا الذي نسب إلى جبريل فائدة". وأجاب عنه: أن العلماء ذكروا في تعليل أفعال الله تعالى قولين وهي كما يلي: القول الأول: أن أفعال الله جل جلاله لا تُعلل، فلا يرد هذا السؤال على هذا التقدير أصلاً وقد يزول الإشكال. القول الثاني: إن أفعال الله تعالى لها غاية بحسب المصالح لأجلها فعلها وكذا أولاهم ونواهيها لها غاية محمودة محبوبة لأجلها أمر بها ونهي عنها وعلى هذا التقدير قد يقال لما قال فرعون آمنت أنه لا إله إلا الذي آمنت به بنو إسرائيل وقد علم جبريل أنه من حقت عليه كلمة العذاب وأن إيمانه لا ينفعه دس الطين في فيه لتحقيق معاينته للموت فلا تكون تلك الكلمة نافعة له وأنه وإن كان قائماً في وقت لا ينفعه دس الطين في فيه تحقيقاً لهذا المنع، ثم يقول: "والفائدة فيه تعجيل ما قد قضى عليه وسد الباب عند سداً محكما بحيث لا يبقى للرحمة فيه منقذ (بمصر، طريق) ولا يبقى من عمره زمن يتسع للإيمان فإن موسى عليه السلام لما دعا ربه بأن فرعون لا يؤمن حتى يرى العذاب كما قال الله تعالى: ﴿فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّى يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾: (3) ثم يُضيف: "ومن المعلوم أن الإيمان عند رؤية العذاب غير نافع أوجب الله تعالى دعاءه. فلما قال فرعون تلك الكلمة عند معاينة الغرق استعجل جبريل عليه السلام دس الطين في فيه لئلا يسأل من الحياة ولا تنفعه تلك الكلمة وتتحقق إجابة الدعوة التي وعد الله موسى بقول الله

(1) سورة يونس، الآيات 96، 97

(2) تفسير لباب التأويل في معاني التنزيل للإمام الحازن، ج 2 ص 461 - 462

(3) سورة يونس، الآية 88

تعالى: {قَالَ قَدْ أُجِيبَتْ دَعْوَتُكُمَا} (1) فيكون سعي جبريل عليه السلام في تكميل ما سبق في حكم الله جل جلاله أنه يفعله فيكون سعي جبريل في مرضاة الله تعالى منقاد لما أمره به وقدره وقضاه على فرعون (2).

ثم يذكر الإمام الخازن إشكال آخر للإمام الرازي وهو: "لو منع جبرئيل عليه السلام فرعون من التوبة لكان قد رضي ببقائه على الكفر والرضا بالكفر كفر"، ثم يجيب عنه: "كما قال الله تعالى: {إِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ} (3) وجبريل عليه السلام إنما يتصرف بأمر الله تعالى ولا يفعل إلا ما أمره الله تعالى به وإذا كان جبريل عليه السلام قد فعل ما أمره الله به ونفذه فإنما رضي بالأمر لا بالمأمور به فأى كفر يكون هنا"، ثم يقول: إن الرضا بالكفر إنما يكون كفراً في البشر لأنه مأمور بإزالته حسب إمكانه، فعلى سبيل المثال إذا أقررتنا الكافر على كفره ورضينا به فيكون كفراً في حقنا لمخالفتنا ما أمرنا به. ولكن أما من كان ليس مأموراً كما أمرنا ولا مكلفاً كتكليفنا بل يفعل ما يأمره به ربه عزوجل فإنه لما نفذ ما أمره به حيث لم يكن راضياً بالكفر؛ فلا يكون كفراً في حقه. يقول بعده: "وعلى هذا التقدير فإن جبريل عليه السلام لما دس الطين في قم فرعون وكان ساخطاً لكفره وغير راض به، والله تعالى خالق أفعال العباد خيراً وشرها وهو غير راض بالكفر فغاية أمر جبريل عليه السلام مع فرعون أن يكون منقاداً لفضاء الله عزوجل وقتوره في فرعون من الكفر وهو ساخط له غير راض به". ثم ذكر الإمام الخازن إشكالاً آخر للإمام الرازي وهو: "كيف يليق بجلال الله جل جلاله أن يأمر جبريل عليه السلام بأن يمنع من الإيمان"، وأجابه: يقول الله تعالى: {إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ} (4) وقول الله تعالى: {إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ} (5) وقول الله تعالى: {لَا يُسْأَلُ عَنَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ} (6) وفي الأخير ذكر الإمام الخازن إشكالاً آخر

(1) سورة يونس، الآية 89

(2) تفسير لباب التلويل في معاني التنزيل للإمام الخازن، ج 2 ص 462

(3) سورة فاطر، الآية 8

(4) سورة الحج، الآية 18

(5) سورة المائدة، الآية 1

(6) سورة الأنبياء، الآية 23

الإمام الرازي وهو: وإن قيل إن جبريل عليه السلام إنما فعل ذلك من عند نفسه لا بأمر الله تعالى، وقال في الجواب عنه: أنه إنما فعل ذلك بأمر الله عزوجل مُنْفِذاً لأمر الله تعالى. (1)

الإمام أبو السعود يقول: "ما ورد في الرواية من أن جبريل عليه السلام دسّ فاه عند ذلك بطين البحر وسده به فإنه تأكيد الرد القوي بالرد الفعلي"، ثم يقول: ولا ينافيه تعليقه بمخافة إدراك الرحمة كما ورد في الحديث، (2) أن المراد بها الرحمة الدنيوية أي النجاة التي هي طلبه المخذول وليس من ضرورة إدراكها صحة الإيمان كما في إيمان قوم يونس عليه السلام حتى يلوم من كراهته ما لا يتصور في شأن جبريل عليه السلام من الرضا بالكفر إذ لا استحالة في ترتب هذه الرحمة على مجرد التفوه بكلمة الإيمان وإن كان ذلك في حالة اللبس واللباس فيحصل دس جبريل عليه السلام على سد باب الاحتمال البعيد لكمال الغيظ وشدة الحرء. (3) يقول الإمام أبو حيان: ولم يقبل الله عزوجل منه إذ فاتته وقت القبول وهو حالة الاختيار وبقاء التكليف، والتوبة بعد المعايبة لا تنفع كما قال الله تعالى: {قَلَّمَ لَكَ يَنْفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا سُنَّتَ اللَّهُ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ} (4) وقول الله تعالى: {الآنَ وَقَدْ كُنْتُمْ بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ} (5) والمراد منه: "أتؤمن الساعة في حال الاضطرار حين أدركك الفرق وأيست من نفسك" (6)

الإمام الألوسي يقول: قال: "قال رسول الله ﷺ: قال لي جبريل عليه السلام: ما أبيضت شيئاً من خلق الله تعالى ما أبيضت إبليس يوم أمر بالسجود فأبى أن يسجد وما أبيضت شيئاً أشد بغضاً من فرعون فلما كان يوم الفرق خفت أن يعتصم بكلمة الإخلاص فينجو فأخذت قبضة من حمأة فضربت بها في فيه فوجدت الله تعالى عليه أشد غضباً مني فأمر ميكائيل فأتاه فقال الآن". ثم ذكر الإمام الألوسي قول الإمام الزمخشري كما ذكرناه

(1) تفسير لباب التاويل في معاني التنزيل للإمام الحازن، ج 2 ص 462

(2) أخرجه الإمام الترمذي في سننه، أبواب تفسير القرآن عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، باب: ومن سورة يونس، رقم الحديث: 3107، ج 5 ص 287

(3) تفسير إرشاد العقل السليم للإمام أبي السعود، ج 4 ص 173

(4) سورة غافر، الآية 85

(5) سورة يونس، الآية 51

(6) التفسير البحر المحيط للإمام أبي حيان، ج 6 ص 102

فيما قبل،⁽¹⁾ وذكر الإمام الألوسي قول الإمام ابن المنير وقد ارتضاه هو حيث قال: "لقد أنكروا منكرًا وغضب الله تعالى وملائكته عليهم السلام كما يجب لهم، والجمهور على خلافه لصحة الحديث عند الأئمة الثقات كالإمام الترمذي المقدم على المحدثين بعد مسلم وغيره، وقد خاضوا في بيان المراد منه بحيث لا يبقى فيه إشكال".⁽²⁾

وقال الإمام الألوسي بعد نقل قول الإمام أبو السعود التي ذكرناه: ولا يخفى أن حمل الرحمة على الرحمة الدنيوية بعيد ويكاد يأبى عنه ما روي عن أبي هريرة رضي الله عنه.⁽³⁾ فإنه رتب فيه المغفرة على إدراك الرحمة وهو ظاهر في أنه ليس المراد بها الرحمة الدنيوية لأن المغفرة لا ترتب عليها وإنما يرتب عليها النجاة".⁽⁴⁾ وقال بعض المحققين: "إنما فعل جبريل عليه السلام ما فعل غضباً عليه لما صدر منه وخوفاً أنه إذا كرر ذلك ربما قبل منه على سبيل خرق العادة لسعة بحر الرحمة الذي يستغرق كل شيء، وأما الرضا بالكفر فالحق أنه ليس بكفر مطلقاً بل إذا استحسن وإنما الكفر رضاه بكفر نفسه، نعم قيل: إن الرضا بكفر نفسه إنما يكون وهو كافر فلا معنى لعدده كفراً والكفر حاصل قبله".⁽⁵⁾ الإمام الطيبي يقول: "أنه ليس للعقل مجال في مثل هذا النقل الصحيح إلا التسليم ونسبة القصور إلى النفس".⁽⁶⁾ ثم يقول الإمام الألوسي: "إن الخير متى خالف صريح العقل أو تضمن نسبة ما لا يتصور شرعاً في حق شخص إليه ولم يمكن تأويله على وجه يوافق حكم العقل ويندفع به نسبة النقص لا يكون صحيحاً، وانحمام الراوي بما يوهن أمر روايته أهون من انحام العقل الصريح ونسبة النقص إليه دون نسبة النقص إلى من شهد الله تعالى ورسوله ﷺ بعصمته وكمالته".⁽⁷⁾

خلاصة الكلام: رأينا في هذا القضية عدة أحوال وقد وضح أماننا هذا الأمر أن الإمام الخازن تكلم في هذه القضية بكلام مفضل وهكذا الإمام الألوسي، الإمام الألوسي

(1) تفسير الكشاف للإمام الزمخشري، ج 2 ص 367 - 368

(2) الانتصاف من الكشاف حاشية لابن المنير، ج 2 ص 367 - 368

(3) شعب الإيمان للإمام البيهقي، رقم الحديث: 8944 ج 12 ص 20

(4) ينظر تفسير روح المعاني للإمام الألوسي، ج 6 ص 171 - 172

(5) ينظر نفس المصدر، ج 6 ص 172

(6) فروع الغيب للإمام الطيبي، ج 7 ص 558

(7) ينظر تفسير روح المعاني للإمام الألوسي، ج 6 ص 172

أجاب عن إشكالات الإمام الرازى فرداً فرداً، واستدل بحفظ الأحاديث التي وردت فيه، تفهم من كلام الأمة الكبار مثل الإمام الزمخشري والقرطبي وابو السعود وابو حيان والألوسي وغيرهم أنّ ما قال به الإمام الرازى ليس يقوي. فالترجيح يكون لقول الشيخ السعيدى. والله أعلم

الاستدراك الأربعون: قول الله تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ} (1).

يرى الإمام فخر الدين الرازى تفسير هذه الآية هكذا حيث قال: أن المراد من الكلمة حكم الله تعالى وإخباره عنه، وخلق القدرة والداعية في العبد الذي يوجب عنه حصول ذلك الأثر، ثم يقول: أن الحكم والإخبار والعلم أماننا واضح وظاهر، وهكذا مجموع القدرة والداعية، القدرة إذا كانت صالحة للجانبين لم يترجح أحدها على الآخر إلا إذا كان مرجحاً، وذلك المرجح يكون من الله جل جلاله قطعاً للتسلسل، ويجب الفعل لما يحصل هذه المجموعة، يقول في الأخير: "أن أصحابنا أي أهل السنة احتجوا بهذه الآية الكريمة على تصحيح القول في إثبات القضاء اللازم والقدر الواجب، وهو حق وصدق ولا يحصى عنه" (2).

استدرك الشيخ غلام رسول السعيدى على الإمام فخر الدين الرازى في تفسير هذه الآية: أن الله سبحانه وتعالى يخلق في البشر قدرة الفعل وداعيته، فمن يجعله سبحانه وتعالى شقيماً من الأزل فلا يؤمن، لكن هذا التفسير لا يفهمه عامة الناس، لأن الإمام الرازى ذهب في ردّ موقف المعتزلة والقدرية إلى الموقف الجبرية ولكن مسلك أهل السنة بين الجبر والقدر والمراد منه أن الله جل جلاله يخلق الفعل والعبد يختار الفعل منه، أما موقف المعتزلة في هذه القضية فهو نفي الاختيار من العبد حيث يقولون: أن الله عزوجل هو يختار الفعل للعبد ولكن القدرية والمعتزلة يقولون أن العبد يخلق الفعل (3).

(1) سورة يونس، الآية 96

(2) يُنظر التفسير الكبير للإمام الرازى، ج 17 ص 302

(3) تفسير تبيان القرآن للشيخ غلام رسول السعيدى، ج 5 ص 469

التحليل والمناقشة:

الإمام الزمخشري يقول: "أن المراد منه ثبت عليهم قول الله تعالى الذي كتبه في اللوح وأخبر به الملائكة عليهم السلام أنهم يموتون كفاراً فلا يكون غيره. وتلك كتابة معلوم لا كتابة مقدر ومراد تعالى الله عن ذلك".⁽¹⁾ الإمام القرطبي يقول: في تفسير قول الله تعالى: {كَلِمَاتِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ فَتَقُوا أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ} ⁽²⁾ أي حكمه وقضاؤه وعلمه السابق، قول الله تعالى: {عَلَى الَّذِينَ فَتَقُوا} أي خرجوا عن الطاعة وكفروا وكذبوا، وقول الله تعالى: {أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ} أي لا يصدقون، وفي هذا أوفى دليل على القدرية".⁽³⁾ الإمام الحازن يقول: يعني وجبت عليهم كلمت ربك يعني حكم ربك وهو قول الله تعالى: "خَلَقْتُ هَؤُلَاءِ لِلنَّارِ وَلَا أُبَالِي". وقال قتادة: "سخط ربك وقيل لعنة ربك وقيل هو ما قدره عليهم وقضاه في الأزل لا يؤمنون".⁽⁴⁾ الشيخ الزحيلي يقول: "أنه كناية عن القضاء الأزلي بأنهم يموتون على الكفر ويخلدون في العذاب".⁽⁵⁾ الإمام الألوسي يقول: "أنه بيان لمنشأ إصرار الكفرة على ما هم عليه من الكفر والضلال إلى حيث لا يتفعمون بالإيمان أي إن الدين ثبتت عليهم قول الله تعالى: {كَلِمَتُ رَبِّكَ} أي حكمه وقضاؤه المفسر عند الأشاعرة بإرادت الله تعالى الأزلية المتعلقة بالأشياء على ما هي عليه فيما لا يزال بأنهم يموتون على الكفر أو يخلدون في النار".⁽⁶⁾ الإمام الشوكاني يقول: "أنه حق عليهم قضاء الله تعالى وقدره: بأنهم يصرون على الكفر، ويموتون عليه، لا يقع منهم الإيمان بحال من الأحوال، وإن وقع منهم ما صورته صورة الإيمان، كمن يؤمن منهم عند معاينة العذاب فهو في حكم العدم".⁽⁷⁾ خلاصة الكلام: الشيخ السعيدى استدرك على الإمام الرازى حيث رفع الغموض عن قوله ووضح القضية توضيحاً جيداً. فالترجيح يكون لقول الشيخ السعيدى. والله أعلم

(1) تفسير الكشاف للإمام الزمخشري، ج 2 ص 371

(2) سورة يونس، الآية 33

(3) تفسير الجامع لأحكام القرآن للإمام القرطبي، ج 8 ص 340

(4) تفسير لباب التأويل في معاني التنزيل للإمام الحازن، ج 2 ص 465

(5) التفسير المنير للشيخ الزحيلي، ج 11 ص 262

(6) يُنظر تفسير روح المعاني للإمام الألوسي، ج 6 ص 179

(7) تفسير فتح القدير للإمام الشوكاني، ج 2 ص 538

الفصل الثاني

استدراكات الإمام شهاب الدين الألوسي والشيخ

غلام رسول السعيدى على الإمام فخر الدين

الرازى في سُور هود ويوسف والرعد وإبراهيم

وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول: استدراكات الإمام شهاب الدين الألوسي والشيخ غلام رسول

السعيدى على الإمام فخر الدين الرازى في سورة هود

المبحث الثاني: استدراكات الإمام شهاب الدين الألوسي والشيخ غلام رسول

السعيدى على الإمام فخر الدين الرازى في سورة يوسف

المبحث الثالث: استدراكات الإمام شهاب الدين الألوسي والشيخ غلام رسول

السعيدى على الإمام فخر الدين الرازى في سورة الرعد

المبحث الرابع: استدراكات الإمام شهاب الدين الألوسي والشيخ غلام رسول

السعيدى على الإمام فخر الدين الرازى في سورة إبراهيم

المبحث الأول

سورة هود

الاستدراك الحادى والأربعون: قول الله تعالى: {أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِمِثْرِ سُورٍ مِثْلِهِ مُفْتَرِيَاتٍ وَاذْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ} (1)

ذكر الإمام فخر الدين الرازى أقوال العلماء في الأمر الذي بسببه كان القرآن الكريم معجزاً، وبينها على النحو الآتى: القول الأول: هو الفصاحة، القول الثاني: هو الأسلوب، القول الثالث: هو عدم التناقض، القول الرابع: هو اشتماله على العلوم الكثيرة، القول الخامس: هو الصرف، القول السادس: هو اشتماله على الإخبار عن الغيوب، ثم يقول الإمام الرازى: أن المختار عند أكثر العلماء وعندى هو: أنه معجز بسبب الفصاحة، وذكر احتجاجهم على صحة قولهم بهذه الآية فيقول: "لأنه لو كان وجه الإعجاز للقرآن الكريم هو كثرة الطوم أو الإخبار عن الغيوب أو عدم التناقض لم يكن لقول الله تعالى: {مُفْتَرِيَاتٍ} معنى أما إذا كان وجه الإعجاز هو الفصاحة صبح ذلك لأن فصاحة الفصيح تظهر بالكلام، سواء كان الكلام صدقاً أو كذباً". ثم يُضيف: لو كان الوجه في كون القرآن الكريم معجزاً هو الصرف لكان دلالة الكلام الركيك النازل في الفصاحة تؤكد من دلالة الكلام العالي في الفصاحة على هذا المطلب، ثم إن الله تعالى لما قرّر وجه التحدي قال: {وَاذْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ} والمراد منه: إن كنتم صادقين في ادعاء كونه مفترياً كما قال الله تعالى: {أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ}، يقول الإمام الرازى مستدلاً بهذا الكلام: "ومن المعلوم أن هذا الكلام يدل على أنه لا بدّ في إثبات الدين من تقرير البراهين والدلائل، وذلك لأن الله تعالى أورد في إثبات نبوة نبيّنا محمد ﷺ هذه الحجّة وهذا الدليل، ولولا أن الدين لا يتّج إلا بالدليل لم يكن في ذكره فائدة" (2)

(1) سورة هود، الآية 13

(2) يُنظر التفسير الكبير للإمام الرازى، ج 17 ص 325

استدرك الإمام شهاب الدين الألوسي على الإمام فخر الدين الرازي في تفسير هذه الآية حيث قال بعد نقل قوله: "نعم ما ذكر إنما يدل على صحة كون وجه الإعجاز ذلك ولا يمنع احتمال كونه الأسلوب الغريب وعدم اشتماله على التناقض كما قيل به".⁽¹⁾

التحليل والمناقشة:

وبالنظر نرى أن الجمع بين القولين ممكن حيث يمكن أن يكون سبب الإعجاز الفصاحة وأيضاً عدم وجود التناقض. والله أعلم

الاستدراك الثاني والأربعون: قول الله تعالى: {وَلَا يَنْفَعُكُمْ نُصْحِي إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أُنصَحَ لَكُمْ إِنْ كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ}.⁽²⁾

يرى الإمام فخر الدين الرازي تفسير هذه الآية هكذا حيث قال بعد إجابات نوح عليه السلام لقومه: لما أجاب نوح عليه السلام عن شبهات قومه فختم به الكلام بخاتمة فاطمة، فقال نوح عليه السلام كما ورد في هذه الآية، ثم يقول: أنه احتج أصحابنا بهذه الآية الكريمة على أن الله عز وجل أحياناً يريد الكفر من العبد، فلما أراد الله تعالى من العبد الكفر فيكون صدور الإيمان منه ممتنع، وللقصود من قول نوح عليه السلام للمذكور هو: "لا ينفعكم نصحي إن كان الله يريد أن يغويكم ويضللكم"، وهذا الكلام واضح وصريح في مذهبنا، ثم يتكلم عن موقف المعتزلة حيث يقولون: أن ظاهر الآية يدل على أن الله جل جلاله لما يريد إغواء قوم فلا يتفعلون بنصح الرسول ﷺ، وهذا مسلم، لأن هذا معروف أن الله عز وجل لما يريد إغواء عبد فلا يتفعله الوعظ الواعظين ونصح الناصحين، وذكر سبب النزاع وهو: لكن لم قلت إن الله تعالى أراد الإغواء لأنه سبب النزاع، بل نوح عليه السلام قال بهذا الكلام ليدل على أن الله تعالى ما اغواهم بل فوض إليهم الاختيار، وله وجهين كما يلي:

- الأول: أن نوح عليه السلام قال لو أن الله تعالى كان يريد إغواءهم فلا يبقى فيه فائدة النصح والوعظ، وإذا كان الوعظ والنصح بدون فائدة للكفار فلما ذأمر الله تعالى به،

(1) يُنظر تفسير روح المعاني للإمام الألوسي، ج 6 ص 223

(2) سورة هود، الآيات 34

أن نوح عليه السلام كان مأموراً بدعوة الكفار ووعظهم ونصيحتهم كما عليه إجماع المسلمين، وتعرف من هذا أن هذا التصحح لم يكن خالياً من الفائدة، وإذا لم يكن خالياً فوجب القطع بأن الله تعالى ما أغوا قوم نوح؛ فيصير هذا لنا حجة من هذه الناحية.

● الثاني: لو ثبت الحكم على قوم نوح عليه السلام بأن الله عز وجل أغواهم وأضلهم فيصير هذا لهم عُذراً في عدم إيمانهم بالإسلام والإيمان ويكون نوح عليه السلام منقطعاً عن مناظرتهم، لأن هؤلاء الناس كانوا يقولون له، إنك تسلم أن الله تعالى إذا أغوانا فلم يبق لنا في نصحك فائدة وهكذا في بجدنا واجتهادنا، فإذا أنت يا نوح عليه السلام تدعي بأن الله عز وجل أضلنا فكانك قد جعلتنا من المعنورين وفي هذه الحالة لا يلزم علينا أن نقبل هذه الدعوة، فيثبت منه أن الأمر المذكور لو كان كما يقول به الخصم يصير حجة للكفار على النبي نوح عليه السلام، وكما أنه من المعلوم أنه لا يجوز لنوح عليه السلام أن يتكلم بكلام الذي يصير بسببه مقحم وعاجز عن بيان حجة الله عز وجل. (1)

استدرك الشيخ غلام رسول السعدي على الإمام فخر الدين الرازي في تفسير هذه الآية حيث قال: أنا ما وجدت أحد من المفسرين من تعقب هذا الاعتراض أو أجاب ولكن الجواب لهذا الاعتراض عندي هو: أن الله جل جلاله كان في علمه من الأزل أن الكفار يُعطون إليهم اختيار قول الإيمان أو عدم قبوله ولكن الكفار يختارون تقليد آباءهم عمياناً ويتثبتون عليه بدلاً من الهداية والإيمان ويتعقون به، وبسبب سوء اختيارهم يُقدر الله جل جلاله لهم الكفر فأراد الله تعالى لبقائهم على الضلالة، وهذه الإرادة من الله تعالى لأجل اختيارهم السيء، فلا يكون في استطاعتهم أن يقدّموا بهذا العذر يوم القيامة: "أن الله جل جلاله لما أراد على أن يُضِلنا فما ذا تقصروا فيه؟ وهكذا لا يلزم منه إرسال نوح عليه السلام عيشاً، لأنهم لم يقبلوا دعوته باختيارهم مع أن نوح عليه السلام كان يدعوهم إلى الهداية عتوياً ومتواتراً. (2)

(1) يُنظر التفسير الكبير للإمام الرازي، ج 17 ص 341 - 342

(2) يُنظر تفسير تبيان القرآن للشيخ غلام رسول السعدي، ج 5 ص 534

التحليل والمناقشة:

يقول الإمام الزمخشري أن المراد منه: إذا عرف الله تعالى من الكيف الإصرار فخلاه وشأنه ولم يلجئه، وسمى ذلك إغواءً وإضلالاً، كما أنه إذا عرف من العبد أنه يتوب ويرعوى فلفظ به وسمى هذا إرشاداً وهداية. والمراد منه: "أنكم إذا كنتم من التصميم على الكفر بالمنزلة التي لا تنفعكم نصائح الله ومواعظه وسائر أطافه، كيف ينفعكم نصحي" (1) ويقول الإمام القرطبي: أي إبلاغي واجتهادي في إيمانكم لا ينفعكم لأنكم لا تقبلون نصحاً إن كان الله يريد أن يُضِلَّكم. ثم يقول: "وهنا يدل على بطلان مذهب المعتزلة والقدرية ومن وافقهما، وهم يزعمون أن الله تعالى لا يريد أن يعصي العاصي، ولا يكفر الكافر، ولا يفوي الغاوي، وأن يفعل ذلك، والله لا يريد ذلك، فرد الله عز وجل عليهم: {إِنْ كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ} (2) وقد قال الإمام القرطبي في تفسيره: أن مذهب أهل السنة أن الله تعالى أضلَّ إبليس وخلق فيه الكفر، ولذلك نسب الإغواء في هذا إلى الله تعالى وهو الحقيقة، فلا شيء في الوجود إلا وهو مخلوق له، صادر عن إرادة الله تعالى. ثم تكلم عن موقف الإمامية والقدرية فقال: خالف الإمامية والقدرية وغيرها شيخهم إبليس الذي طاعوه في كل ما زينه لهم، ولكن لم يطاعوه في هذه المسألة وقالوا: أخطأ إبليس، وهو أهل للخطأ حيث نسب الغواية إلى ربه جلا وعلا. ثم يجيبهم: "وإبليس وإن كان أهلاً للخطأ فما تصنعون في نبي مكرم معصوم، وهو نوح عليه السلام حيث قال لقومه كما في هذه الآية قول الله تعالى: {وَلَا يَنْفَعُكُمْ نُصْحِي...} (3) ثم يقول: وقد أكذبوا شيخهم اللعين إبليس في إغواء الله جل جلاله إياه حيث قال: {فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي} ولا يحصى لهم عن قول نوح عليه السلام: {إِنْ كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ} فأضاف إغواءهم إلى الله تعالى، إذ هو الهادي والمضِل، تعالى الله عنه. (4) الإمام البيضاوي يقول: "وهو دليل على أن إرادة الله تعالى يصح تعلقها بالإغواء

(1) تفسير الكشاف للإمام الزمخشري، ج 2 ص 391 - 392

(2) تفسير الجامع لأحكام القرآن للإمام القرطبي، ج 9 ص 28

(3) سورة هود، الآية 34 نفس المصدر، ج 7 ص 175

(4) نفس المصدر، ج 9 ص 28

وأن خلاف مراده محال⁽¹⁾. الإمام الخازن قال مثل قول الإمام الزمخشري والبيضاوي فلا حاجة إلى تكراره⁽²⁾.

الإمام أبو السعود يقول: "بأن ما سبق منه ليس بطريق الجدال والخصام بل بطريق النصيحة لهم والشفقة عليهم وبأنه لم يأل جهداً في إرشادهم إلى الحق وهدايتهم إلى سبيله المستبين وإعراض النصيح لهم ولكن لا ينفعهم ذلك عند إرادة الله جل جلاله لإغوائهم وتقييد عدم نفع النصيح بإرادته مع أنه محقق لا محال للإيدان بأن ذلك النصيح منه مقارن للإرادة والاهتمام به ولتحقيق المقابلة بين ذلك وبين ما وقع بإزائه من إرادت الله تعالى لإغوائهم"، ثم يقول: "وإنما اقتصر في ذلك على مجرد إرادة الإغواء دون نفسه حيث لم يقل إن كان الله يغويكم مبالغة في بيان غلبة جناب الله عز وعلا حيث دل ذلك على أن نصحه المقارن للإهتمام به لا يجديهم عند مجرد إرادة الله تعالى لإغوائهم فكيف عند تحقيق ذلك وخلقه فيهم وزيادة كان للإشعار بتقديم إرادت الله تعالى زماناً كتقدمها رتبة وللدلالة على تجدها واستمرارها"⁽³⁾. يقول الإمام الشوكاني: "إن كان الله يريد إغواءكم فلا ينفعكم النصيح مني، وظاهر لغة العرب أن الإغواء: الإضلال فمعنى الآية: لا ينفعكم نصحي إن كان الله يريد أن يضلكم عن سبيل الرشاد ويخذلكم عن طريق الحق"⁽⁴⁾.

الإمام الألوسي يقول: في هذه الآية دليل على أن إرادة الله عزوجل مما يصحح تعلقها بالإغواء وأن خلاف مراد الله تعالى محال، والألم تصدق للشرطية الدالة على لزوم الجواب للشرط، والمعتزلة وقعوا في حيص بيص منها واختلفوا في تأويلها، فقيل: إن {يُغْوِيكُمْ} بمعنى يهلككم من غوى الفصيل. وقيل: إن قوم نوح عليه السلام كانوا يعتقدون أن الله تعالى أراد إغواءهم فأخرج عليه السلام ذلك مخرج التعجب والإنكار أي إن نصحي لا ينفعكم إن كان الأمر كما تزعمون"، ثم يقول: "ويكون هذه الآية إخباراً من نوح عليه السلام لهم وتعزية لنفسه عنهم لما رأى من إصرارهم وتماديهم على الكفر، ولا يخفى ما في ذلك من مخالفة

(1) تفسير انوار التنزيل وأسوار التأويل للإمام البيضاوي، ج 3 ص 134

(2) تفسير لبابه التأويل في معاني التنزيل للإمام الخازن، ج 2 ص 482

(3) تفسير إرشاد العقل السليم للإمام أبي السعود، ج 4 ص 204 - 205

(4) تفسير فتح القدير للإمام الشوكاني، ج 2 ص 562

الظاهر المعروف في الاستعمال وارتكاب ما لا ينبغي ارتكاب مثله في كلام الملك المتعال". (1)
 خلاصة الكلام: وبذلك نرى أن الرأي الراجح ما ذهب إليه الإمام الرازي، والله أعلم

الاستدراك الثالث والأربعون: قول الله تعالى: {خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ
 وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ}. (2)

يرى الإمام فخر الدين الرازي تفسير هذه الآية هكذا: أن بعض العلماء استدلوا
 من القرآن الكريم ومن المعقول على أن عذاب أو عقاب الكفار ينتهي وينقطع ولها نهاية،
 فاستدلوا بهذه الآية من القرآن الكريم، واستدلواهم من هذه الآية بوجهين، وهي: الأول: أن
 الله تعالى يقول: {مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ} فهذا النص يدل على أن مدة عذاب الكفار
 يساوي لمدة بقاء السموات والأرض، ومدة بقاء السموات والأرض متناهية فيستلزم منه كون
 مدة عذاب الكفار ينقطع. الثاني: أن الله عز وجل قال: {إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ} وهو استثناء من
 مدة عقاب الكفار وذلك يحتج به على زوال ذلك العقاب في وقت الاستثناء المذكور، وأيضاً
 استدلوا بقول الله تعالى: {لَا يَبْقَى فِيهَا أَحْقَابٌ} (3) فذكر الله تعالى عن لبثهم في هذا العذاب أن
 يكون لعنة أحقاب أو أحقاب معدودة. (4)

ثم يذكر الإمام فخر الدين الرازي الأدلة العقلية: الأول: أن معصية الكافر
 وعصيانه متناه ومقابلة الجرم المتناهي بعذاب وعقاب ما لا نهاية له لا يجوز وهذا ظلم،
 الثاني: أن العقاب التي تكلمنا عنه ضرر وهو حال عن النفع ففي هذه الحالة يكون قبحاء
 وفي بيان خلوه عن النفع لأنه لا يرجع منه الفائدة إلى الله عز وجل لكونه متعالياً عن الأشياء
 مثل النفع والضرر، ولا يرجع نفعه إلى الذي يُعاقب لأنه ضرر محض في حقه، وهكذا لا
 يرجع إلى الغير أيضاً، لأن أهل الجنة يكونون مشغولين بملذات الجنة فلا نفع لهم في الالتذاد

(1) تفسير روح المعاني للإمام الألوسي، ج 6 ص 246

(2) سورة هود، الآية 107

(3) سورة النبا، الآية 23

(4) ينظر التفسير الكبير للإمام الرازي، ج 18 ص 400

بالعذاب الدائم في حق غيرهم، ويثبت منه أن ذلك العقاب ضرر وهو خال عن النفع من جميع جهاتها؛ فيلزم منه أنه لا يجوز.

الإمام الرازى يجيب عن الاعتراض المذكور: أنه اتفق الجمهور من الأمة على أن الكافر عذابه يكون دائما، وأجابوا عما تمسك بهذه الآية بجوابين، وهي كالتالي:

• **الجواب الأول:** أن المقصود من السموات والأرض سموات وأرض للآخرة كما يدل عليه قول الله تعالى: {يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ}،⁽¹⁾ وقول الله تعالى: {وَأَوْرَثْنَا الْأَرْضَ نَقَبًا وَمِنْ الْجَنَّةِ حَبِثٌ نَشَاءُ}،⁽²⁾ ولا بد لأهل الآخرة مما يقبلهم ويظلمهم، وذلك هو الأرض والسموات.⁽³⁾ ولقائل أن يقول: أن التشبيه إنما يحسن ويجوز إذا كان حال المشبه به معلوماً مقررأً فيشبهه به غيره تأكيداً لثبوت الحكم في المشبه أما وجود السموات والأرض في الآخرة فغير معلوم، ثم يقول: "ويتقدير أن يكون وجوده معلوماً إلا أن بقاءها على وجه لا يفنى البتة غير معلوم، فإذا كان أصل وجودها مجهولاً لأكثر الخلق ودوامها أيضاً مجهولاً للأكثر، كان تشبيه عقاب الأشقياء به في الدوام كلاماً عديم الفائدة"، يقول في الأخير: "أقصى ما في الباب أن يقال: لما ثبت بالقرآن الكريم وجود سموات وأرض في الآخرة وثبت دوامهما فيجب الاعتراف به، وحينئذ يحسن التشبيه، إلا أنا نقول: لما كان الطريق في إثبات دوام سموات أهل الآخرة ودوام أرضهم هو السمع، ثم السمع دل على دوام عقاب الكافر، فحينئذ الدليل الذي دل على ثبوت الحكم في الأصل حاصل بعينه في الفرع، وفي هذه الصورة أجمعوا على أن القياس ضائع والتشبيه باطل، فكذا هاهنا".

• **الجواب الثاني:** أن العرب كانوا يعيرون عن الأبد والدوام بقولهم "منا دامت السموات والأرض"، ونظيره أيضاً قولهم "ما اختلف الليل والنهار"، "وما طما البحر"، "وما أقام الجبل"، فخطب الله تعالى العرب على عرفهم في كلامهم فلما ذكروا عن هذه الأشياء

(1) سورة إبراهيم، الآية 48

(2) سورة الزمر، الآية 74

(3) ينظر التفسير الكبير للإمام الرازى، ج 18 ص 401

حسب اعتقادهم أنها تبقى إلى الدوام والأبد، نعرف منه أن هذه الكلمات حسب عرف العرب تفيد الخلود والدوام خالياً عن الانقطاع".⁽¹⁾

ثم يذكر الإمام الرازي الإشكال لـو قال أحد: "هل تُسلمون أن قول القائل: خالدٍ فيها ما دامت السموات والأرض، يمنع من بقائها موجودة بعد فناء السموات، أو تقولون إنه لا يدل على هذا المعنى، فإن كان الأول، فالإشكال لازم، لأن النص لما دل على أنه يجب أن تكون مدة كونهم في النار مساوية لمدة بقاء السموات ويمنع من حصول بقائهم في النار بعد فناء السموات، ثم ثبت أنه لا بد من فناء السموات فعندها يلزمكم القول بانقطاع ذلك العقاب، وأما إن قلتم هذا الكلام لا يمنع بقاء كونهم في النار بعد فناء السموات والأرض، فلا حاجة بكم إلى هذا الجواب البتة، فثبت أن هذا الجواب على كلا التقديرين ضائع". ذكر الإمام الرازي الجواب الصحيح في هذه القضية وهو: "حسب رأي الجواب الحق في هذه القضية هو أن المعهود من الآية الكريمة أنه متى كانت السموات والأرض دائمتين، كان كونهم في النار باقياً فهذا يقتضي أنه كلما حصل الشرط حصل للمشروط ولا يقتضي أنه إذا عدم الشرط يعدم المشروط"، ثم يقول: "ألا ترى أنا نقول: إن كان هذا إنساناً فهو حيوان. فإن قلنا: لكنه إنسان فإنه ينتج أنه حيوان، أما إذا قلنا ولكنه ليس بإنسان لم ينتج أنه ليس بحيوان، لأنه ثبت في علم المنطق أن استثناء نقيض المقدم لا ينتج شيئاً، فكذا هاهنا إذا قلنا متى دامت السموات دام عقابهم، فإذا قلنا لكن السموات دائمة لزم أن يكون عقابهم حاصلًا، أما إذا قلنا ولكنه ما بقيت السموات لم يلزم عدم دوام عقابهم". ثم ذكر الإمام الرازي إشكالاً حيث قال: "فإذا كان العقاب حاصلًا سواء بقيت السموات، أو لم تبقى، لم يبق لهذا التشبيه فائدة" وأجابته: "بل فيه أعظم الفوائد وهو أنه يدل على نفاذ ذلك العذاب دهرًا دهرًا، وزمانًا لا يحيط العقل بطوله وامتداده، فأما أنه هل يحصل له آخر أم لا فذلك يستفاد من دلائل آخر، وهذا الجواب الذي قرره جواب حق ولكنه إنما يفهمه إنسان ألف شيئاً من للمعقولات".⁽²⁾

(1) يُنظر التفسير الكبير للإمام الرازي، ج 18 ص 401

(2) يُنظر نفس المصدر، ج 18 ص 401 - 402

استدرك الشيخ غلام رسول السعيدى على الإمام فخر الدين الرازى في تفسير هذه الآية حيث أجاب عن إشكالاته: جوابه عن الإشكال الأول: أن هذا العذاب للكافر وفق نيته، لأنه يريد أن يكفر أبداً وعلى سبيل المثال لو نفرض أن الكافر يكون له الحياة في الدنيا إلى زمن غير متناه فيستمر على الكفر إلى زمن غير متناه؛ ولهذا السبب الكافر يعذب إلى زمن غير متناه. جوابه عن الإشكال الثاني: أجاب الشيخ السعيدى عن الإشكال الثاني بجوابين، كما يلي: الجواب الأول: أن وفق هذا اللبيل لا ينبغي تعذيب الكفار على الإطلاق، أما تخصيص هذا الدليل مع العقاب الدائم فهو باطل. الجواب الثاني: أن تعذيب الكفار هو عقاب جرمهم وعصيانهم وهذا من عدل الله تعالى، وليس من الضروري أن يصل به النفع إلى بعض الناس أو لم يصل به النفع. (1) ثم استدلى الشيخ السعيدى بهذه الآيات الكريمة: قول الله تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْعَلَّافِ كِهِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ. خَالِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ} (2) وقول الله تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا نُفَتِّحْ لَهُمْ أَبْوَابَ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ} (3) وقول الله تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصَلِّيهِمْ نَارًا كَلَّمَا تَضَجَّتْ جُلُودُهُمْ بَدَلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا} (4).

التحليل والمناقشة:

يذكر الإمام الزمخشري في تفسير هذه الآية وجهين، كما يلي:

- الأول: أن تراد سموات الآخرة وأرضها وهي دائمة مخلوقة للأبد كما ثبتت من القرآن الكريم على أن لها سموات وأرضاً كما قال الله تعالى: {يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ} (5) وقول الله تعالى: {وَأُورَثْنَا الْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ} (6).

(1) يُنظر تفسير تبيان القرآن للشيخ غلام رسول السعيدى، ج 5 ص 631

(2) سورة البقرة، الآيات 161، 162

(3) سورة الأعراف، الآية 40

(4) سورة النساء، الآية 56

(5) سورة إبراهيم، الآية 48

(6) سورة الزمر، الآية 74

ولأنه لا بد لأهل الآخرة مما يُقْلَهُمْ وَيُظَلَّهِمْ: إمّا سماء يخلقها الله تعالى، أو يُظَلَّهِمْ العرش، وكل ما أظلك فهو سماء.

● الثاني: أن يكون عبارة عن التأييد ونفي الانقطاع، مثل قول العرب: ما دام تعار، وما أقام ثبير، وما لاح كوكب، وغير ذلك من كلمات التأييد. ثم يذكر سؤال: فما معنى الاستثناء؟ ويُجيب عنه: "هو استثناء من الخلود في عذاب النار، ومن الخلود في نعيم الجنة؛ وذلك أن أهل النار لا يخلدون في عذاب النار وحده، بل يعدّون بالمهرير وبأنواع من العقاب والعذاب سوى عذاب النار، وما هو أغلظ منها كلها وهو سحق الله عليهم وخسوه لهم وإهانتهم إياهم، وكذلك أهل الجنة لهم سوى الجنة ما هو أكبر منها وأجل موقعا منهم، وهو رضوان الله جل جلاله، كما قال الله تعالى: {وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ رِضْوَانًا مِنَ اللَّهِ أَكْبَرُ} (1) ثم يقول: "ولهم ما يفضّل الله تعالى به عليهم سوى ثواب الجنة مما لا يعرف كنهه إلا هو، فهو المراد بالاستثناء. والدليل عليه قول الله تعالى: {عَطَاءٌ غَيْرَ تَحْدُودٍ} (2) ومعنى قوله في مقابله قول الله تعالى: {إِنَّ رِثْكَ فَقَالَ لِمَا تُبِيدُ} (3) أن الله تعالى يفعل بأهل النار ما يريد من العذاب، كما يُعطى أهل الجنة عطاءه الذي لا نهاية له وأيضاً لا انقطاع له، ثم يُضيف: "ومن المعلوم فإن القرآن الكريم يُفسّر بعضه بعضاً، ولا يخدعناك عنه قول المجرة. إن المراد بالاستثناء خروج أهل الكبار من النار بالشفاعة، فإن الاستثناء الثاني ينادي على تكذيبهم ويُسجّل بافترائهم" (4).

يقول الإمام القرطبي: أريد به السماء والأرض المعهودتين في الدنيا وأجرى ذلك على عادة أهل العرب في الإخبار. عن تأييد الشيء ودوامه، مثل القول: "لا آتيك ما جنّ ليل، أو سال سيل، وما اختلف الليل والنهار، وما ناح الحمام، وما دامت السموات والأرض"، وما إلى ذلك وهم يقصدون به طولاً من غير نهاية، فأفهمهم الله تحليد الكفرة بهذا القول، وإن

(1) سورة التوبة: الآية 72

(2) سورة هود، الآية 108

(3) سورة هود، الآية 107

(4) تفسير الكشاف للإمام الزمخشري، ج 2 ص 430

كان قد أخرج بزوال السموات والأرض. وعن ابن عباس رضي الله عنهما: "أن جميع الأشياء المخلوقة أصلها من نور العرش، وأن السموات والأرض في الآخرة تُردان إلى النور الذي أخذتا منه، فهما دائمتان أبداً في نور العرش".⁽¹⁾

يقول الإمام البيضاوي: "أنه ليس لازتباط دوامهم في النار بدوامهما فإن النصوص دالة على تأييد دوامهم وانقطاع دوامهما. بل التعبير عن التأييد والمبالغة بما كانت العرب يُعبرون به عنه على سبيل التمثيل، ولو كان للارتباط لم يلزم أيضاً من زوال السموات والأرض زوال عذابهم ولا من دوامه دوامهما إلا من قبيل المفهوم، لأن دوامهما كالتلزم لدوامه، وقد عرفت أن المفهوم لا يقاوم المنطوق". ثم يقول: وقيل المراد سموات الآخرة وأرضها وبدل عليه قول الله تعالى: {يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ} ⁽²⁾ وإن أهل الآخرة لا بد لهم من مُظِلٍّ ومُظَلٍّ، وقال بعده: "وفيه نظر لأنه تشبيه بما لا يعرف أكثر الخلق وجوده ودوامه، ومن عرفه فإنما يعرفه بما يدل على دوام الثواب والعقاب فلا يجدي له التشبيه".⁽³⁾

الإمام النسفي فسر هذه الآية وفق قول الإمام القرطبي حيث قال: "مادام فوق وتحت ولأنه لا بد لأهل الآخرة مما يُظلمهم ويُظلمهم إما سماء أو عرش وكل ما أظلك فهو سماء أو هو عبارة عن التأييد ونفي الانقطاع كقول العرب ملاح كوكب وغير ذلك من كلمات التأييد قول الله تعالى: {إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ} هو استثناء من الخلود في عذاب النار وذلك لأن أهل النار لا يخلدون في عذاب النار وحده بل يُعذبون بالزمهرير وأنواع من العذاب سوى عذاب النار أو ماشاء بمعنى من شاء وهم قوم يخرجون من النار ويدخلون الجنة فيقال لهم الجهنميون وهو للمستثنون من أهل الجنة أيضاً لفارقتهم إياها بكونهم في النار أياماً فهؤلاء لم يشقوا شقاوة من يدخل النار على التأييد ولا سُعدوا سعادة من لا تمسه النار".⁽⁴⁾ خلاصة الكلام: بعد النظر في اقوال العلماء حسب رأي قول الشيخ السعدي أقوى. والله أعلم

(1) تفسير الجامع لأحكام القرآن للإمام القرطبي، ج 9 ص 99

(2) سورة إبراهيم الآية 48

(3) تفسير انوار التنزيل وأسرار التأويل للإمام البيضاوي، ج 3 ص 149

(4) تفسير مدارك التنزيل للإمام النسفي، ج 2 ص 85

الاستدراك الرابع والأربعون: قول الله تعالى: {فَأَسْتَقِيمُ كَمَا أُمِرْتُ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ} (1).

يرى الإمام فخر الدين الرازي تفسير هذه الآية هكذا: "أن هذه الآية الكريمة أصل عظيم في الشريعة وذلك لأن القرآن الكريم لما ورد بالأمر بأعمال الوضوء مُرْتَبَةً في اللفظ وجب اعتبار الترتيب فيها لقول الله تعالى: {فَأَسْتَقِيمُ كَمَا أُمِرْتُ} ولما ورد الأمر في الزكاة بأداء الإبل من الإبل والبقر من البقر وجب اعتبارها وكذا القول في كل ما ورد أمر الله تعالى به، ولا يجوز عندي تخصيص النص بالقياس، لأنه لما دلّ عموم النص على حكم وجب الحكم بمقتضاه لقول الله تعالى: {فَأَسْتَقِيمُ كَمَا أُمِرْتُ} والعمل بالقياس انحراف عنه". (2)

استدرك الإمام شهاب الدين الألوسي على الإمام فخر الدين الرازي في تفسير هذه الآية حيث قال بعد نقل كلامه المذكور: "أن إيجاب الترتيب في الوضوء لذلك ليس بشيء ويلزمه أن يوجب الترتيب في الأوامر المتعاطفة بالواو مثل قول الله تعالى: {أَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ} (3) وكذا في نحو قول الله تعالى: {وَأَسْتَقِيمُوا بِالصَّوْمِ وَالصَّلَاةِ} (4) بعين ما ذكر في الوضوء وهو كما نرى"، ثم يقول: "وكانه عفا الله تعالى عنه يجوز بأن الحنفية الذين لا يوجبون الترتيب في أعمال الوضوء طاغون خارجون عما حدّ الله تعالى لا احتمال للقول بأنهم مستقيمون وهو من الظلم بمكان". (5)

التحليل والمناقشة:

الإمام الشوكاني يقول في التخصيص بالقياس: أنه ذهب الجمهور إلى جوازه. وقال الإمام الرازي في كتابه "المحصل": وهو قول الإمام أبي حنيفة والشافعي، ومالك، وأبي الحسين البصري والأشعري وغيرهم رحمه الله تعالى. ثم يقول: وحكاية الإمام ابن الحاجب (6) في "مختصر

(1) سورة هود، الآية 112

(2) يُنظر التفسير الكبير للإمام الرازي، ج 18 ص 406

(3) سورة البقرة، الآية 43

(4) سورة البقرة، الآية 45

(5) يُنظر تفسير روح المعاني للإمام الألوسي، ج 6 ص 347

(6) هو عثمان بن عمر بن أبي بكر بن يونس، أبو عمرو جمال الدين ابن الحاجب (570 - 646 هـ الموافق 1174 - 1249 م): فقيه مالكي، من كبار العلماء بالعريفة، ولد في أسنا (من صعيد مصر) ونشأ في القاهرة، وسكن دمشق،

المتنهي" عن هؤلاء الأئمة، وزاد معهم الإمام أحمد بن حنبل أيضاً، وقد قال به الإمام ابن الهمام⁽¹⁾ في "التحرير"، وهكذا وحكى القاضي عبد الجبار عن الحنابلة عن الإمام أحمد روايتين. ثم يُضيف الإمام الشوكاني: وحكاه الشيخ أبو حامد، وسليم الرازي، عن ابن سريج. وذهب أبو علي الجبائي إلى المنع علي الاطلاق. وأيضاً قيل: إن ذلك إنما هو في رواية عنه قال بها طائفة من أصحابه. ونقله القاضي أبو بكر الباقلاني، وعن الإمام الأشعري وعن طائفة من المتكلمين.

ثم يقول الإمام الشوكاني: وقال الإمام عيسى بن أبان إلى أنه يجوز إن كان العام قد خصص قبل ذلك بنص قطعي، كذا حكاه عنه القاضي أبو بكر في "التقريب"، والشيخ أبو إسحاق الشيرازي، وأطلق صاحب الحصول الحكاية عنه ولم يقبدها بكون النص قطعياً، وحكى هذا المذهب الإمام أبو إسحاق الشيرازي عن بعض العراقيين. وذهب الإمام الكرخي إلى أنه يجوز إن كان قد خص بدليل منفصل، وإلا فلا، كذا حكاه عنه "صاحب" الحصول وغيره. وذهب الإمام الإصطخري إلى أنه يجوز إن كان القياس جلياً وإلا فلا، كذا حكاه عنه الإمام أبو حامد، وسليم الرازي، وحكاه الشيخ أبو حامد أيضاً عن إسماعيل بن مروان من أصحاب الإمام الشافعي. ثم يتكلم الإمام الشوكاني فيقول: وحكاه الإمام أبو منصور، عن الإمام أبي القاسم الأنطاقي، وإبي علي الطبري، ومبارك بن أبان، وحكاه ابن الحاجب في "مختصر المتنهي"، عن ابن سريج، والصحيح عنه ما تقدم. وذهب الإمام الغزالي إلى أنه: إن تفاوت القياس والعام في غلبة الظن رجح الأقوى، فإن تعادلاً فالوقف. واختاره المطرزي، ورجحه الإمام الرازي، واستحسنه الإمام القرطبي، وقال الإمام الأمدي: "أن العلة إن كانت منصوبة أو مجمعا عليها جاز التخصيص به، وإلا فلا".

من كجه الكافية في النحو، والشافية في الصرف، والمفصل الجليل، متنهي السؤل والأمل في علمي الأصول والمجمل،

والإيضاح في شرح للفصل للزحشري ... ينظر الأعلام للزركلي، ج 4 ص 211

(1) هو محمد بن عبد الواحد بن عبد الحنيد ابن مسعود، السواسي ثم الإسكندري، كمال الدين، المعروف بابن

الهمام (790 - 861 هـ الموافق 1388 - 1457 م): إمام، من علماء الحنيفة. عارف بأصول الديانات والتفسير

والفرائض والفقه والحساب واللغة والقوسيقى والمنطق. أصله من سيواس. وُلد بالإسكندرية، ونسخ في القاهرة. وكان معظماً

عند الملوك وأرباب الدولة. توفي بالقاهرة. من كجه: فتح القلندر في شرح الهداية، والتحرير في أصول الفقه، والمسيرة في

العقائد المنجية في الآخرة. ... ينظر الأعلام للزركلي، ج 6 ص 255

تكلّم الإمام الشوكاني عن موقف إمام الحرمين في النهاية عن هذه القضية فيقول: أولاً: أنه يجوز إن كان الأصل المقيس عليه مخرجا من "عام وإلا فلا. ثانياً: أنه يجوز إن كان الأصل المقيس عليه مخرجا من غير ذلك للعام وإلا فلا. وقد قال الشيخ أبو حامد الإسفراييني⁽¹⁾: "القياس إن كان جلياً مثل قول الله تعالى: {فَلَا تُقْلِلْ لَهَا أُفٍّ} (2) جاز التخصيص به الإجماع، وإن كان واضحاً وهو المشتمل على جميع معني الأصل، كقياس الربا، فالتخصيص به جائز في قول عامة أصحابنا إلا طائفة شذت لا يعتقد بقولهم وإن كان خفياً، وهو قياس علته الشبه، فأكثر أصحابنا أنه لا يجوز التخصيص به، ومنهم من شد فجوزة". قال الإمام أبو منصور، وأبو إسحاق: "أجمع أصحابنا على جواز التخصيص بالقياس الجلي". ثم اختلفوا في الخفي على وجهين، والصحيح الذي عليه الأكثر جوازه أيضاً، وكذا قال أبو الحسين بن القطان والرويانى والماوردي، وقال الشيخ أبو إسحاق الشيرازي أن الإمام الشافعي نص على جواز التخصيص بالخفي في مواضع. وقال أن الجمهور احتج: "بأن العموم والقياس دليلان متعارضان والقياس خاص فوجب تقليده".

يقول الإمام الشوكاني بعد نقل هذه الأقوال: "وهذا يعرف أنه لا ينتهض احتجاج المانع بقولهم: لو قدم القياس على عموم الخير لزم تقديم الأضعف على الأقوى، وأنه باطل؛ لأن هذا التقديم إنما يكون عند إبطال أحدهما بالآخر، فأما عند الجمع بينهما وإعمالهما جميعاً فلا. ثم يُضيف: وقد طول أهل الأصول الكلام في هذا البحث بإيراد شبه زائفة لا طائل تحتها. من منع من العمل به مطلقاً منع من التخصيص به، ومن منع من بعض أنواعه دون بعض منع من التخصيص بذلك البعض، ومن قبله مطلقاً خصص به مطلقاً. والتفاصيل المذكورة هنا من جهة القائلين له مطلقاً، إنما هي باعتبار كونه وقع هنا مقابلاً لدلالة العموم. ويقول في الأخير: والحق الحقيق بالقبول: "أنه يخصص بالقياس الجلي لأنه معمول به لقوة دلالاته، وبلوغها إلى حد يوازن النصوص، وكذلك يخصص بما كانت علته منصوصة، أو جمعا عليها، أما العلة المنصوصة فالقياس الكائن بها في قوة للنص، وأما العلة المجمع عليها، فلكون

(1) هو أحمد بن محمد بن أحمد الأسفراييني، أبو حامد (344 - 406 هـ الموافق 955 - 1016 م): من أعلام

الشافعية. ولد في أسفراين (بالقرب من نيسابور) ورحل إلى بغداد، فنفق فيها وعظمت مكانته. وألف كتاباً منها مطول

في أصول الفقه، ومختصر في الفقه سماه الرواق وتولى بغداد. ينظر الأعلام للزركلي، ج 1 ص 211

(2) سورة الإسراء، الآية 23

ذلك الإجماع قد دل على دليل مجمع عليه، وما عدا هذه الثلاثة الأنواع من القياس، فلم تقم الحجة بالعسل به من أصله".⁽¹⁾ خلاصة الكلام: قول الإمام الألوسي أقوى. والله أعلم

(1) إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول للإمام الشوكاني اليمني (المسوق: 1250هـ) ج 1 ص 390 - 392 المحقق: الشيخ أحمد عزو عنابة، دمشق، كفر بطنا. قدم له: الشيخ خليل المسيس والدكتور ولي الدين صالح فورور. الناصرة: دار الكتاب العربي. الطبعة: الأولى 1419هـ الموافق 1999م. عدد الأجزاء: 2.

المبحث الثاني

سورة يوسف

الاستدراك الخامس والأربعون: قول الله تعالى: {وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ} (1).

تعرض الإمام فخر الدين الرازي في تفسيره لهذه الآية للإشكال الوارد حول "هم" سيدنا يوسف عليه السلام حيث قال: أن تقول لا نسلم أن يوسف عليه السلام هم بما. والدليل عليه: أن الله تعالى قال: {وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ} وجواب "لولا" هاهنا مقدم، وهو كما يقال: "قد كنت من المهالكين لولا أن فلانا خلصك"، ثم ذكر أن الإمام الزجاج طعن في هذا الجواب من وجهين، وهي: الأول: "أن تقديم جواب "لولا" شاذ وغير موجود في الكلام الفصيح". الثاني: أن لولا يجاب جوابها باللام، فلو كان الأمر على ما ذكرتم لقال: ولقد همت وهم بما لولا. الثالث: وهو: "أنه لو لم يوجد الهم لما كان لقول الله تعالى: لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ} فائدة" (2). وهذا الوجه الثالث ليس للإمام الزجاج كما قال به الإمام الرازي. ثم يقول الإمام الرازي: "أن قول الإمام الزجاج بعيد، لأننا نسلم أن تأخير جواب "لولا" حسن جائز، إلا أن جوازه لا يمنع من جواز تقديم هذا الجواب، وكيف ونقل عن الإمام سيويه أنه قال: إنهم يُقدِّمون الأهم فالأهم، والذي هم بشأنه أعنى فكان الأمر في جواز التقديم والتأخير مربوطاً بشدة الاهتمام. وأما تعيين بعض الألفاظ بالمنع فذلك مما لا يليق بالحكمة، وأيضا ذكر جواب "لولا" باللام جائز". ويقول بعده: أما هذا لا يدل على أن ذكره بغير اللام لا يجوز، ثم إننا نذكر آية أخرى تدل على فساد قول الإمام الزجاج في هذين السؤالين، وهو قول الله تعالى: {إِنْ كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلَا أَنْ رَبَطْنَا عَلَى قَلْبِهَا} (2)، ثم يجيب الإمام الرازي في وجه الثالث التي ذكرناه في الفوق: أن فيه أعظم القوائد، وهو بيان

(1) سورة يوسف، الآية 24

(2) سورة القصص، الآية 10

أن ترك الهم بما كان لعدم رغبته في النساء، وعدم قدرته عليهن بل لأجل أن دلائل دين الله تعالى منعه عن ذلك العمل، ثم نقول: إن الذي يدل على أن جواب "لولا" ما ذكرناه أن لولا تستدعي جواباً، وهذا المذكور يصلح جواباً له، فوجب الحكم بكونه جواباً له لا يقال إنا نضم له جواباً، وترك الجواب كثير في القرآن الكريم، لأننا نقول: لا نزاع أنه كثير في القرآن الكريم، إلا أن الأصل أن لا يكون محذوفاً. ثم يقول: وأيضاً فالجواب إنما يحسن تركه وحذفه إذا حصل في اللفظ ما يدل على تعينه، وهاهنا بتقدير أن يكون الجواب محذوفاً فليس في اللفظ ما يدل على تعين ذلك الجواب، فإن هاهنا أتولعنا من الإضممارات يحسن إضممار كل واحد منها، وليس إضممار بعضها أولى من إضممار الباقي فظهر الفرق".⁽¹⁾

استدرك الإمام شهاب الدين الألوسي علي الإمام فخر الدين الرازي في تفسير هذه الآية حيث قال: أن الإمام الرازي ذكر في تفسير هذه الآية الكريمة بعد أن منع دلالتها علي الهم ما حاصله،⁽²⁾ ثم ذكر قول الإمام الرازي وهي: "سلمنا أن الهم قد حصل إلا أنا نقول: إن قول الله تعالى: {وَهُمْ بِهَا} ⁽³⁾ لا يمكن حمله علي ظاهره لأن تعليق الهم بذات المرأة محال لأن الهم من جنس القصد والقصد لا يتعلق بالذوات الباقية، فثبت أنه لا بد من إضممار فعل مخصوص يجعل متعلق ذلك الهم وذلك الفعل غير مذكور فهم زعموا أن ذلك المضممر هو إيقاع الفاحشة بها، ثم يقول: ونحن نضم شيئاً آخر يغير ما ذكره: أن المراد أن يوسف عليه السلام هم بدفعها عن نفسه ومنعها عن ذلك القبيح لأن الهم هو القصد، فيجب أن يحمل في حق كل أحد علي القصد الذي يليق به، فاللاحق بالمرأة هنا القصد إلى تحصيل اللذة والتمتع والتشبع وهكذا اللائق بيوسف عليه السلام الرسول والمبعوث من الله تعالى القصد إلى زجر العاصي عن معصيته وإلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، كما يقال: هممت بفلان أي بضربه ودفعه. ثم ذكر الإمام الرازي هنا إشكال وهي: فعلى هذا التقدير لا يبقى لقول الله تعالى: {لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْقَانَ رَبِّهِ} فائدة. وأجاب عنه: بل فيه أعظم الفوائد حيث ذكره في وجهين: الأول: "أن الله تعالى أعلم يوسف عليه السلام أنه لو هم بدفعها لقتله أو لكانت

(1) يُنظر التفسير الكبير للإمام الرازي، ج 18 ص 441 - 442

(2) يُنظر تفسير روح المعاني للإمام الألوسي، ج 6 ص 407

(3) سورة يوسف، الآية 24

تأمر الحاضرين بقتله، فأعلمه الله تعالى أن الامتناع من ضربها أولى صوتاً للتفيس عن الهلاك"،
 المعاني: "أن يوسف عليه السلام لو اشتغل بدفعها عن نفسه فرمما تعلقت به، فكان يتمزق
 ثوبه من قدام، وكان في علم الله تعالى أن الشاهد يشهد بأن ثوبه لو تمزق من قدام لكان
 الخائن هو يوسف عليه السلام، ولو كان ثوبه ممزقاً من خلف لكانت المرأة هي الخائنة،
 فأعلمه الله تعالى بهذا المعنى، فلهذا السبب يوسف عليه السلام لم يشتغل بدفعها عن نفسه
 بل وثى هارباً عنها، حتى صارت شهادة الشاهد حجة له على براءته عن المعصية"، ثم ذكر
 الإمام الرازي بعده عدة وجوه في تفسيره.⁽¹⁾

ثم يقول الإمام الألوسي: أن الإمام الشعراي⁽²⁾ قال بتقدير الدفع حيث قال:
 "سألت شيخنا عن قول الله تعالى: {وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا} ما هذا الهم الذي أهم فقد تكلم
 الناس فيه بما لا يليق برتب الأبياء عليهم السلام؟ فقال: لا أعلم"، ثم يقول الإمام
 الألوسي: "أن مطلق اللسان يئل على أحدية المعنى، ولكن ذلك أكثرى لا كغلي فالحق أنها
 همت به يوسف عليه السلام لتفهره على ما أرادته منه، وهم هو بما ليقهرها في الدفع عما
 أرادته منه فالاشراك في طلب الفهر منه ومنها والحكم مختلف، ولهذا قالت قول الله
 تعالى: {أَنَا رَاوِدُتُهُ عَنْ نَفْسِهِ}،⁽³⁾ وما جاء في هذه السورة أصلاً أن يوسف عليه السلام
 راودها عن نفسها".⁽⁴⁾

التحليل والمناقشة:

خلاصة الكلام: وبذلك يظهر أن الإمام الألوسي قد أضاف إلى ما ذكره الإمام
 الرازي وجهاً أخرى في الرد، وعليه فكلام الإمامين في المسألة قوي. والله أعلم

(1) يُنظر التفسير الكبير للإمام الرازي، ج 18 ص 442 ويُنظر تفسير روح المعاني للإمام الألوسي، ج 6 ص 407

(2) هو عبد الوهاب بن أحمد بن علي الحنفي، نسبة إلى محمد ابن الحنفية، الشعراي، أبو محمد (898 - 973 هـ
 الموافق 1493 - 1565 م): من علماء التصوفين، ولد في قلقشنده (بمصر) وتولى في القاهرة. من كتبه الأجوبة
 للمرضية عن أئمة الفقهاء والصوفية، وأدب القضاة، وإرشاد الطالبين إلى مراتب العلماء السالطين... يُنظر شذرات الذهب
 لابن العماد الحنبلي، ج 10 ص 544 - 545 والأعلام للزركلي، ج 4 ص 180 - 181

(3) سورة يوسف، الآية 51

(4) يُنظر تفسير روح المعاني للإمام الألوسي، ج 6 ص 407 - 408

الاستدراك السادس والأربعون: قول الله تعالى: {وَقَالَتِ الْخُرُجِ عَلَيْهِنَّ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ} (1).

يرى الإمام فخر الدين الرازي تفسير هذه الآية هكذا: القائلون بأن الملك أفضل من البشر احتجاجوا بهذه الآية فقالوا: لا شك أنهن إنما ذكرت هذا الكلام في معرض تعظيم يوسف عليه السلام. فوجب أن يكون إخراجهن من البشرية وإدخاله في الملكية سببا لتعظيم شأنه وإعلاء مرتبته، وإنما يكون الأمر كذلك لو كان الملك أعلى حالا من البشر، ثم نقول: لا يخلو إما أن يكون المقصود بيان كمال حاله في الحسن الذي هو الخلق الظاهر، أو كمال حاله في الحسن الذي هو الخلق الباطن، والأول باطل لوجهين:

الأول: أنهم وصفوه بكونه كريما، وإنما يكون كريما بسبب الأخلاق الباطنة لا بسبب الخلقة الظاهرة، والثاني: أنا نعلم بالضرورة أن وجه الإنسان لا يشبه وجوه الملائكة البتة، أما كونه بعيدا عن الشهوة والغضب معرضا عن اللذات الجسمانية متوجها إلى عبودية الله تعالى مستغرق القلب، والروح فيه فهو أمر مشترك فيه بين الإنسان الكامل وبين الملائكة.

وإذا ثبت هذا فنقول: تشبيه الإنسان بالملك في الأمر الذي حصلت المشاهدة فيه على سبيل الحقيقة أولى من تشبيهه بالملك فيما لم تحصل المشاهدة فيه البتة، فثبت أن تشبيه يوسف عليه السلام بالملك في هذه الآية إنما وقع في الخلق الباطن، لا في الصورة الظاهرة، وثبت أنه متى كان الأمر كذلك وجب أن يكون الملك أعلى حالا من الإنسان في هذه الفضائل، فثبت أن الملك أفضل من البشر والله أعلم. (2)

استدراك الإمام شهاب الدين الألوسي على الإمام فخر الدين الرازي في تفسير هذه الآية حيث قال: أنه لا يستدل بهذه الآية الكريمة على تفضيل الملائكة عليهم السلام من بني آدم كما زعمه الإمام أبو علي الجبائي وأتباعه، وأيده الإمام فخر الدين الرازي، ولا فخر له بما أيده، ثم يقول: "وذهب غير واحد أن المقصود منه تنزيه يوسف عليه السلام من الشيء التي رُمي به على وجه كامل، وافتتحوا ذلك بقول الله تعالى: {حَاشَ لِلَّهِ} على ما هو الشائع في مثل ذلك"، ثم يقول أنه قال الإمام ابن مالك: "الاستعمال على أنهم إذا أرادوا

(1) سورة يوسف، الآية 31

(2) ينظر التفسير الكبير للإمام الرازي، ج 18 ص 450

تبرئة أحد من سوء ابتدؤوا تبرئة الله عزوجل من السوء ثم يبرئون من أرادوا تبرئته على معنى أن الله تعالى منزّه عن أن لا يُظَهَره مما يُضيمه فيكون أكد وأبلغ⁽¹⁾، ثم يقول الإمام الألوسي في الأخير: والمنصور ما أشير إليه أولاً وهو الذي يقتضيه السياق والسباق.⁽²⁾

التحليل والمناقشة:

الإمام الزمخشري يقول في قول الله تعالى: {حَاشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِنْ سُوءٍ}⁽³⁾: "أنه التعجب من قدرت الله تعالى على خلق عفيف مثله ما هذا بشراً تُقِن عنه البشرية لغرابة جماله ومباعدة حسنه، لما عليه محاسن الصور، وأثبت له الملكية وبتن بها الحكم"، ثم يقول: ومن المعلوم أن الله تعالى ركّز في الطباع البشرية أن لا أحسن من الملك ولا أقبح من الشيطان، ولهذا السبب يُشبه كل متناه في الحسن والأقبح بمما، وما ركّز ذلك فيها إلا لأن الحقيقة كذلك، كما ركّز في الطباع الإنسانية أن لا تدخل في الشر من الشياطين، ولا أجمع للخير من الملائكة عليهم السلام، إلا ما عليه الفئة الخامسة المجرة من تفضيل الإنسان على الملك، وما هو إلا من تعكسهم للحقائق، ولجحودهم للعلوم الضرورية، ومكابرتهم في كل باب.⁽⁴⁾

الإمام القرطبي يقول: وذكرت النسوة أن صورة يوسف أحسن، من صورة البشر، بل هو في صورة ملك، وقال الله تعالى: {لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ}⁽⁵⁾، والجمع بين الآيتين أن قولهن: {حَاشَ لِلَّهِ} تبرئة ليوسف عما رُمته به امرأة العزيز من المرادة، أي بعد يوسف عن هذا، وقولهن: {لله} أي خوفه، أي براءة لله من هذا، أي قد نبها يوسف من ذلك، فليس هذا من الصورة في شيء، والمراد منه: أن يوسف عليه السلام في التبرئة عن المعاصي كالملائكة، فعلى هذا لا يكون تناقض. ثم يقول: وقيل: أن المراد منه تبرئه يوسف

(1) شرح تسهيل الفوائد للإمام ابن مالك الطائي (المتوفى: 672هـ)، ج 2 ص 185 المحقق: د. عبد الرحمن السيد، د. محمد بدوي المحمّد، الناشر: هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان. الطبعة: الأولى (1410هـ الموافق 1990م) عدد الأجزاء: 4

(2) يُنظر تفسير روح المعاني للإمام الألوسي، ج 6 ص 422

(3) سورة يوسف، الآية 51

(4) يُنظر تفسير الكشاف للإمام الزمخشري، ج 2 ص 466

(5) سورة التين، الآية 4

عليه السلام عن مشاهجة البشر في الصورة، لقرط جماله. وقول الله تعالى: {لله} تأكيد لهذا المعنى، فعلى هذا المعنى قالت النسوة ذلك ظناً منهن أن صورة الملك أحسن، وما بلغهن قول الله تعالى: {لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ} فإنه من كتابنا القرآن الكريم. وقد ظن بعض الضعفة أن هذا القول لو كان ظناً باطلاً منهن لوجب على الله تعالى أن يرده عليهن، ويثبت كذبهم، وهذا باطل، لأنه لا يجب على الله تعالى، وليس كل ما يخبر به الله عز وجل من كذب الكاذبين وكفر الكافرين يجب عليه أن يقرن به الرد عليه، في الأخير يقول: ومن المعلوم أن أهل العرف يقولون في القبيح كأنه شيطان، وفي الحسن كأنه ملك، والمراد منه: "أنه لم ير مثله، لأن الإنسان لا يرون الملائكة، فهو مبني على ظنهم أن صورة الملك أحسن، أو على الإخبار بطهارة أخلاقه وبعده عن التهم".⁽¹⁾ الإمام البيضاوي يقول: "ما هذا بشراً لأن هذا الجمال غير معهود للبشر، إن هذا إلا ملك كريم فإن الجمع بين الجمال الرائق والكمال الفائق والعصمة البالغة من خواص الملائكة، أو لأن جماله فوق جمال البشر ولا يفوقه فيه إلا الملك".⁽²⁾

الشيخ غلام رسول السعيدى ذكر في تفسير هذه الآية توجيهان: التوجيه الأول: وفيه أيضاً وجهين: أولاً: أن مقصود النسوة بقولن المذكور كون فوقية يوسف عليه السلام في الحسن، أما أحسن الملائكة عليهم السلام وقبح الشيطان فهو مركز في ذهن عامة الناس ولأجله قلن ليوسف ملائكة لأنهم غاية في الزينة عندهن، ثانياً: أن الملك عليهم السلام لا يوجد فيهم قوة الغضب والشهوة وغذائهم حمد الله تعالى وثناؤه، ثم النسوة لما رأين أن يوسف عليه السلام لم ينظر إلى وجه أحد منهن رغم أن الرجل العادي لما يمر على النسوة فينظر إليهن، فقلن: أنه ليس بشر بل ملك كريم، والمراد منه أنا نحن لم نجد فيه أي أثر من الشهوة وأيضاً من القضايا البشرية، وأن هذا الرجل منزّه من الصفات السفلية للإنسان ويظهر من رؤيته بالظاهر كأنه ملك في صورة الإنسان. التوجيه الثاني: أن هذه النسوة لما رأين يوسف عليه السلام، فقلن: {حاشا لله} أن البهتان الذي رمى به امرأة العزيز يوسف عليه السلام، فهو

(1) ينظر تفسير الجامع لأحكام القرآن للإمام القرطبي، ج 9 ص 183

(2) تفسير انوار التنزيل وأسرار التأويل للإمام البيضاوي، ج 3 ص 162

منه بعيد جداً وكأنه معصوم من المعاصي مثل الملائكة عليهم السلام فلا ينبغي أن يُظنَّ حوله مثل هذه الظنون. (1)

خلاصة الكلام: رأينا أقوال العلماء في هذه القضية أن الإمام الرازي والزمخشري والبيضاوي يقولون بتفضيل الملائكة عليهم ولكن الإمام القرطبي يقول بتفضيل البشر وهكذا الشيخ غلام رسول السعدي أيضاً أما الإمام أبو السعود والخازن وغيرهم من الكبار العلماء والمفسرين فلم يتكلموا في هذه القضية حسب علمي فإذا الترجيح يكون لقول الإمام الألوسي. والله أعلم.

الاستدراك السابع والأربعون: قول الله تعالى: **إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ**}. (2)

يذكر الإمام فخر الدين الرازي في تفسير هذه الآية إشكالاً وهو: أن هذه الآية الكريمة توهم أن يوسف عليه السلام كان في هذه الملة ثم تركه، وقد أجاب الإمام الرازي عن هذا الإشكال بعدة وجوه على النحو الآتي: الوجه الأول: "أن كلمة الترك عبارة عن عدم التعرض للشيء وليس من شرطه أن يكون قد كان خائضاً فيه". الوجه الثاني: القول الأصح هذا أن هؤلاء الناس كانوا يزعمون أو يعتقدون إعتقاداً فاسداً أن يوسف عليه السلام كان عبداً لهم، ولعل هو كان لا يظهر التوحيد والإيمان قبل ذلك خوفاً منهم على سبيل التقيّة، ثم أظهر تركه في ذلك الوقت، فكان هذا جارياً مجرى ترك الملة لأولئك الكفرة حسب الظاهر.

وقد استدرك الشيخ غلام رسول السعدي على الإمام فخر الدين الرازي في تفسير هذه الآية حيث قال: القول للذي جعله الإمام الرازي صحيحاً لا يصح أصلاً لأن التقيّة ليس من شأن الأنبياء عليهم السلام، وموافقة الباطل خوفاً على النفس لا يليق بشأن الأنبياء عليهم السلام لأنهم يُظهرون الحق ويقولون به في جميع الأحوال والأوقات، أما يوسف

(1) يُظنر تفسير تبيان القرآن للشيخ غلام رسول السعدي، ج 5 ص 749 - 750

(2) سورة يوسف، الآية 37

عليه السلام فلم يفعل بتقية مع امرأة العزيز بل قال صريحاً: أن هذه المرأة كانت تُرغبني في المعصية، وهو لم يُوافق هذه المرأة بل لأمها وقرّ منها. (1)

التحليل والمناقشة:

يقول الإمام الزمخشري: "أي علمني ذلك وأوحى إلي، لأنني رفضت ملة أولئك واتبعت ملة الأنبياء المذكورين وهي الملة الحنيفة، وأراد بأولئك الذين لا يؤمنون: أهل مصر ومن كان الفتيان على دينهم". (2) الإمام البيضاوي يقول: "أنه تعليل لما قبله أي علمني ذلك لأنني تركت ملة أولئك". (3) الإمام النسفي يقول: أن المراد منه علمني ذلك وأوحى به إلي لأنني رفضت ملة أولئك وهم أهل مصر ومن كان الفتيان على دينهم". (4) يقول الإمام أبو السعود أن المراد منه: أنني تركت ملة الكفرة أي دينهم الذي اجتمعوا عليه من الشرك وعبادة الأوثان، والمراد بتركها الامتناع عنها رأساً كما يفصح عن قول الله تعالى: ﴿مَا كَانَ لَنَا أَنْ نُشْرِكَ بِاللَّهِ مِنْ شَيْءٍ﴾ (5) لا تركها بعد ملاستها وإنما عتر عنه بذلك لكونه أدخل بحسب الظاهر في اقتدائهما به عليه السلام". (6)

الإمام الخازن يقول: يفهم من ظاهر هذه الآية أن يوسف عليه السلام كان داخلاً في هذه الملة ثم تركها ولكن ليس الأمر كذلك لأن الأنبياء عليهم السلام من حين ولدوا وظهروا إلى الوجود كانوا على التوحيد، ثم ذكر إشكالاً: فما معنى هذا الترك في هذه الآية الكريمة؟ ويُجيب عنه: أن جوابه يشتمل على وجهين: أولاً: "أن الترك عبارة عن عدم التعرض للشبه والاتفات إليه بل مرة وليس من شرطه أن يكون قد كان داخلاً فيه ثم تركه ورجع عنه". ثانياً: أن يوسف عليه السلام لما كان عند العزيز وهو كافر وجميع من عنده كذلك وكان يوسف عليه السلام على التوحيد والإيمان الصحيح فيصح قول الله تعالى: ﴿إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَا

(1) ينظر تفسير تبيان القرآن للشيخ غلام رسول السعدي، ج 5 ص 758

(2) تفسير الكشاف للإمام الزمخشري، ج 2 ص 470

(3) تفسير ألتوار التنزيل وأسرار التأويل للإمام البيضاوي، ج 3 ص 164

(4) تفسير مدارك التنزيل للإمام النسفي، ج 2 ص 111

(5) سورة يوسف، الآية 38

(6) تفسير إرشاد العقل الجليل للإمام أبي السعود، ج 4 ص 277

يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ} (1) فترك ملتهم وأعرض عنهم ولم يوافقهم على ما كانوا عليه، ثم يقول الإمام الخازن: وهذا الوجه عندي أقرب. (2)

الإمام أبوحيان يقول: "وعبر بتركك مع أنه لم يتشبث بتلك الملة قط، إجماعاً للشرك مجرى التجنب من أول حالة، واستجلاباً لهما لأن يتركا تلك الملة التي كانا فيها". (3) يقول الشيخ رشيد رضا أن المراد منه: تركت دخولها واتباع أهلها من عابدي الأوثان المتحلة على كثرة أهلها ودعوتهم إليها، وليس المراد منه أنه كان متبعاً لها ثم تركها، ثم ذكر مثلاً مستدلاً به قول الله تعالى: {يُحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى} (4) أي بعد موته فلا يعث، ليس معناه أنه كان سدى قبله، فترك الشيء يصدق بعدم ملاسته مطلقاً، وبالتحوّل عنه بعد التلبس به، ويفرق بينهما بقرينة الحال أو المقال أو كليهما كما هنا. (5)

يقول الإمام الألويسي: "أنه وقع جواباً عن سؤال نشأ مما تقدّم وتعليلاً له والسؤال: لماذا علمت ربك تلك العلوم الجليلة الشأن؟ فأجاب عنه: لأني تركت دين الكفر الذي اجتمعوا عليه من الشرك وعبادة الأوثان. ثم يقول: "والمراد بالترك الامتناع فإن يوسف عليه السلام لم يلقوث بتلك قط كما يفصح عنه لكن عبر به عن ذلك استجلاباً لهما لأن يتركا تلك الملة التي هم عليها على أحسن وجه". (6) الشيخ ابن عاشور يقول: "الترك: عدم الأخذ للشيء مع إمكانه، أشار به إلى أنه لم يتبع ملة القبط مع حلوله بينهم، وكون مولاه متديناً بها". (7)

خلاصة الكلام: وبالنظر في أقوال العلماء نجد أنهم اتفقوا مع الإمام الرازي في جوابه الأول أما الجواب الثاني فقد تفرّد به الإمام الرازي وهو جواب صحيح وليس فيه شيء لجواز أن يخفى لإزالة حاله حتى يؤيده الله تعالى بتأييده من عنده. وما قال به الشيخ السعدي

(1) سورة يوسف، الآية 37

(2) تفسير لباب التأويل في معاني التنزيل للإمام الخازن، ج 2 ص 528

(3) تفسير البحر المحيط للإمام أبي حيان، ج 6 ص 277

(4) سورة القيامة، الآية 36

(5) تفسير المنار للشيخ رشيد رضا، ج 12 ص 252

(6) ينظر تفسير روح المعاني للإمام الألويسي، ج 6 ص 432

(7) تفسير التحرير والتنوير للشيخ ابن عاشور، ج 12 ص 272

فتوجيه رائع وجيد لأنه يليق بشأن الأنبياء عليهم السلام، فإذا الترجيح يكون لقوله. والله أعلم

الاستدراك الثامن والسبعون: قول الله تعالى: ﴿وَقَالَ يَا بَنِيَّ لَا تَدْخُلُوا مِن بَابٍ وَاحِدٍ وَادْخُلُوا مِن أَبْوَابٍ مُّتَفَرِّقَةٍ وَمَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ﴾ (1).

يرى الإمام فخر الدين الرازي تفسير هذه الآية هكذا حيث قال: أن الجمهور من المفسرين قالوا: أن يقرب عليه السلام خاف من العين على أبنائه، ثم يقول أن هاهنا مقامان، كما يلي:

● **المقام الأول:** إثبات أن العين حق ويدل عليه وجوه كثيرة: الأول: اطبق المفسرون المتقدمون على أن المراد من هذه الآية الكريمة ذلك. الثاني: ما روي أن الرسول ﷺ كان يُعوذُ بالحسن والحسين رضي الله عنهما فيقول: "أَعِيذُكُمْ بِكَلِمَاتِ اللَّهِ التَّامَّةِ، مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ وَهَامَّةٍ، وَمِنْ كُلِّ غَلِيظٍ عَيْنٍ لَآمَةٍ" وَيَقُولُ: "هَكَذَا كَانَ أَبِي إِبْرَاهِيمُ يُعَوِّذُ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ". (2) الثالث: عبادة بن الصامت رضي الله عنه يقول: أتى جبرائيل عليه السلام، النبي ﷺ، وَهُوَ يُوعَكُ، فَقَالَ: "بِسْمِ اللَّهِ أَزِيدُكَ، مِنْ كُلِّ شَيْءٍ يُؤْذِيكَ، مِنْ حَسَدِ حَاسِدٍ، وَمِنْ كُلِّ عَيْنٍ، اللَّهُ يَشْفِيكَ". (3) الرابع: روي أن بني جعفر بن أبي طالب كانوا غلماناً بيضا فقالت أسماء رضي الله عنها: يا رسول الله ﷺ إن العين إليهم سريعة أفاسترقى لهم من العين فقال لها نعم. (4) الخامس: "عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: دَخَلَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَعِنْدَنَا صَبِيٌّ يَشْتَكِي، فَقَالَ:

(1) سورة يوسف، الآية 67

(2) تفسير القرآن العظيم للإمام ابن كثير، ج 8 ص 203

(3) أخرجه الإمام النسائي (المشوق: 303 هـ) في سننه، كتاب عمل اليوم والليلة، ذكر ما كلف إبراهيم صلى الله عليه وسلم يعوذ به إسماعيل وإسحاق صلى الله عليهما وسلم، رقم الحديث: 10778 ج 9 ص 370 تحقيق: عبد الفتاح ابوعزة. الناشر: مكتب للطبوعات الإسلامية، حلب. الطبعة: الثانية، 1406 هـ الموافق 1986 م عدد الأجزاء: 9

(4) أخرجه الإمام ابن ماجه في سننه، أبواب الطب، باب ما يعوذ به من الحمى، رقم الحديث: 3527 ج 2 ص

مَا هَذَا؟ فَأَلْوَا: أَنْتَهُمْ بِهِ الْعَيْنَ. قَالَ: أَفَلَا تَسْتَرْقُونَ لَهُ مِنَ الْعَيْنِ؟ إسناده صحيح. (1)
 السادس: قول النبي ﷺ: "الْعَيْنُ حَقٌّ، وَلَوْ كَانَ شَيْءٌ مِثْلَ الْقَدَرِ سَبَقَتْهُ الْعَيْنُ، وَإِذَا
 اسْتَفْسَلْتُمْ فَأَغْسِلُوا". (2) السابع: عن عائشة رضي الله عنها: قَالَتْ: كَانَ يُؤَمِّرُ الْعَائِضُ
 فَيَتَوَضَّأُ ثُمَّ يَغْتَسِلُ مِنْهُ الْعَمِيمُ". (3)

● المقام الثاني: يقول الإمام الرازي في الكشف عن ماهيته: إن الإمام أبا علي الجبائي
 أنكر هذا المعنى (أي العين حتى) إنكاراً بليغاً ولم يذكر في إنكاره شبهة فضلاً عن
 حجة، ثم يقول الإمام الرازي: ولكن أما الذين اعترفوا به (بتأثير العين) وأقرّوا بوجوده
 فقد ذكروا فيه عدة وجوه، منها: "إنه يمتدّ من العين أجزاء فتصل بالشخص المستحسن
 فتؤثر فيه وتسري فيه كتأثير اللسع والمشمّ والنار، وإن كان مخالفاً في جهة التأثير لهذه
 الأشياء، قال القاضي عبد الجبار⁽⁴⁾: "وهذا ضعيف لأنه لو كان الأمر كما قال،
 لوجب أن يؤثر في الشخص الذي لا يستحسن كتأثيره في المستحسن"، ثم يقول
 الإمام الرازي: "أن هذا الاعتراض ضعيف وذلك لأنه إذا استحسن شيئاً فقد يجب
 بقاءه كما إذا استحسن ولد نفسه وبستان نفسه، وقد يكره بقاءه أيضاً كما إذا أحسن
 الحاسد بشيء حصل لعنوه، فإن كان الأول فإنه يحصل له عند ذلك الاستحسان
 خوف شديد من زواله والخوف الشديد بوجوب انحصار الروح في داخل القلب فحيثما
 يسخن (حارّ) القلب والروح حذاء، ويحصل في الروح الباصرة كيفية قوية مسخنة (حارّ)
 وإن كان الثاني: فإنه يحصل عند ذلك الاستحسان حسد شديد وحزن عظيم بسبب

(1) أخرجه الإمام أبو علي الموصلي (المتوفى: 307هـ) في مسنده، رقم الحديث: 6879 ج 12 ص 302 المحقق:

حسين سليم أمد، الناشر: دار المأمون للتراث، دمشق. الطبعة: الأولى، 1404هـ يوليئ 1984م. عدد الأجزاء: 13

(2) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه، كتاب السلام، باب الطب والمرض والرقي، رقم الحديث: 2188 ج 4 ص

1719

(3) أخرجه الإمام أبو داود (المتوفى: 275هـ) في سننه، رقم الحديث: 3880 ج 4 ص 9 المحقق: محمد عبيد الدين

عبد الحميد، الناشر: المكتبة المعصرية، صيدا، بيروت. عدد الأجزاء: 4 كتاب الطب، باب ما جاء في العين صحيح

الإسناد يُنظر التفسير الكبير للإمام الرازي، ج 18 ص 481 - 482

(4) هو عبد الجبار بن أحمد بن عبد الجبار النمذاني الأسدي، (المتوفى 415هـ الموافق 1025م) ابن الحمزة، كان

قاضيًا، أصولياً، من شيوخ المعتزلة، ولي القضاء بالري، من تصانيفه: تزييه القرآن عن المطالع، والأمالي والمجموع في المحيط

بالتكليف، وشرح الأصول الخمسة ... يُنظر الأعلام للزركلي، ج 3 ص 273 - 274

حصول تلك النعمة لعدوه، والحزن أيضا يوجب انحصار الروح في داخل القلب ويحصل فيه سخونة شديدة، ثم يقول: "فلبت أن عند الاستحسان القوي تسخن الروح جدا فيسخن شعاع العين بخلاف ما إذا لم يستحسن فإنه لا تحصل هذه السخونة فظهر الفرق بين الصورتين، ولهذا السبب لعن الرسول ﷺ العائن بالوضوء ومن أصابته العين بالاعتسال". (1)

استدرك الإمام شهاب الدين الألوسي على الإمام فخر الدين الرازي في تفسير هذه الآية حيث قال: تعقبه الإمام الرازي بأنه تضعيف ضعيف، ثم يقول بعد نقل كلامه: وما أشار إليه من أن العائن قد يُصيب ولده مثلا مما شهدت له التجربة، لكن زوي عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: "العَيْنُ حَقٌّ، وَيَحْضُرُ بِهَا الشَّيْطَانُ وَحَسَدُ ابْنِ آدَمَ" (2) وقال الإمام الهيثمي: رجاله رجال الصحيح، وظاهره يقتضي خلاف ذلك (أي قول الإمام الرازي). (3)

التحليل والمناقشة:

الإمام الألوسي استدلل بالحديث المذكور كما رأينا أنه يقتضي أن العين يؤثر فقط في الرجل الذي يكون من أعدائه أو في الذي يحسد معه، ولكن لا يؤثر في من يُحبه ولا يحسد معه كما ظهر من الحديث المذكور، وقد قال الإمام الرازي كما ذكرناه: أن العين يؤثر في من يحبه وأقربائه. فإذا قول الإمام الألوسي راجح، والله أعلم

الاستدراك التاسع والأربعون: قول الله تعالى: {قَالُوا إِنْ يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَهُ مِنْ قَبْلِهِ}. (4)

يرى الإمام فخر الدين الرازي تفسير هذه الآية هكذا: أنه لما خرج الصواع من رجل أخى يوسف نكس إخوته رؤسهم وقالوا: هذه الواقعة عجيبة أن راحيل ولدت ولدين

(1) ينظر التفسير الكبير للإمام الرازي، ج 18 ص 482

(2) أخرجه الإمام أحمد بن حنبل في مسنده، رقم الحديث: 9668 ج 15 ص 417

(3) ينظر تفسير روح المعاني للإمام الألوسي، ج 7 ص 17

(4) سورة يوسف، الآية 77

لصين، ثم قالوا: يا بني راحيل ما أكثر البلاء علينا منكم، فقال بنيامين ما أكثر البلاء علينا منكم ذهبتم بأخي وضيعتموه في المفازة، ثم تقولون لي هذا الكلام، قالوا له: فكيف خرج الصواع من رحلك، فقال: وضعه في رحلي من وضع البضاعة في رحالكم، ثم يقول: واعلم أن ظاهر الآية يقتضي أنهم قالوا للملك: إن هذا الأمر ليس بغريب منه فإن أخاه الذي هلك كان أيضاً سارقاً، وكان غرضهم من هذا الكلام أنا لسنا على طريقته ولا على سيرته، وهو وأخوه مختصان بهذه الطريقة لأنهما من أم أخرى، واختلفوا في السرقة التي نسبوها إلى يوسف عليه السلام على أقوال: الأول: قال سعيد بن جبير: كان جده أبو أمه كافراً يعبد الأوثان فأمرته أمه بأن يسرق تلك الأوثان ويكسرها ففعلها بترك عبادة الأوثان ففعل ذلك، فهذا هو السرقة، والثاني: أنه كان يسرق الطعام من مائدة أبيه ويدفعه إلى الفقراء، وقيل سرق عناقاً من أبيه ودفعه إلى المسكين وقيل دجاجاً، والثالث: أن عمته كانت تحبه حباً شديداً فأرادت أن تمسكه عند نفسها، وكان قد بقي عندها منطقة لإسحاق عليه السلام وكانوا يتبركون بها فشدها على وسط يوسف ثم قالت بأنه سرقها وكان من حكمهم بأن من سرق يسرق، فتوسلت بهذه الحيلة إلى إمساكه عند نفسها، والرابع: أنهم كذبوا عليه وبخونه وكانت قلوبهم مملوءة بالغضب على يوسف بعد تلك الوقائع، وبعد انقضاء تلك المدة الطويلة، وهذه الواقعة تدل على أن قلب الحاسد لا يظهر عن الغل البتة. (1)

استدرك الشيخ غلام رسول السعدي على الإمام فخر الدين الرازي في تفسير هذه الآية حيث قال: جميع الروايات التي نسبت فيه السرقة إلى يوسف عليه السلام من جهة إخوته لا تصدق عليه اسم السرقة، وهذا كذب وبهتان على يوسف عليه السلام من جهة إخوته وقد ثبت في يوسف عليه السلام في زعمهم ولكنهم لم يسكتوا عن ذكره السيء، وهذا دليل واضح على أن إخوة يوسف عليه السلام ليسوا أنبياء لأن النبي يكون معصوماً من المعاصي سواء كان من زمرة الصفات أو الكبار وأيضاً سواء كان قبل النبوة أو بعدها. (2)

(1) تفسير المهر الجوز للإمام ابن عطية الأندلسي، ج 3 ص 267 يُنظر التفسير الكبير للإمام الرازي، ج 18 ص

(2) يُنظر تفسير تبيان القرآن للشيخ غلام رسول السعدي، ج 5 ص 834

التحليل والمناقشة:

لذكر الوجوه الواردة في هذه القضية التي ذكرها الكبار من المفسرين، وهي:

الوجه الأول: عن قتادة: ذكر أنه سرق صنمًا لجدّه أبي أمه، فعزّوه بذلك. وقال: وسرقته التي عابوه بها، صنم كان لجدّه أبي أمه، فأخذه، إنما أراد نبي الله بذلك الخير، فعابوه. (1) عن ابن جريج: كانت أم يوسف أمّرت يوسف أن يسرق صنمًا لحاله بعبد، وكانت مسلمة. (2) الوجه الثاني: عن أبي رضي الله عنه قال: كان بنو يعقوب على طعام، إذ نظّر يوسف عليه السلام إلى عرق فخبأه (يدّخر)، فعزّوه بذلك كما ورد في هذه الآية الكريمة. (3) الوجه الثالث: عن مجاهد أبي الحجاج قال: كان أول ما دخل على يوسف عليه السلام من البلاء، فيما بلغني أن عمته ابنة إسحاق عليه السلام، وكانت أكبر ولد إسحاق، وكانت إليها صارت منطقة إسحاق عليه السلام وكانوا يتوارثونها بالكبر، فكان من اختانها من ولها كان له منكم لا ينزع فيه، يصنع فيه ما شاء. وكان يعقوب عليه السلام حين ولد له يوسف عليه السلام، كان قد حضنته عمّته فكان معها وإليها، فلم يحبّ أحدٌ شيئًا من الأشياء حُبّها إياه. حتى إذا ترعرع وبلغ سنون، ووفعت نفس يعقوب عليه السلام عليه، أتاه فقال، يا أخية سلّمي إليّ يوسف عليه السلام، فوالله ما أقدر على أن يغيب عني ساعة! قالت: فوالله ما أنا بتاركه، والله ما أقدر أن يغيب عني ساعة! قال: فوالله ما أنا بتاركه! قالت: فدعه عندي أيّامًا أنظر إليه وأسكن عنده، لعل ذلك يسليني عنه أو كما قالت. فلما خرج من عندها يعقوب عمدت إلى منطقة إسحاق عليه السلام فحزمتها على يوسف عليه السلام من تحت ثيابه، ثم قالت: لقد فقدت منطقة إسحاق عليه السلام، فانظروا من أخذها ومن أصابها؟ فالتبسيت، ثم قالت: كسّفوا أهل البيت! فكشفوهم، فوجدوها مع يوسف عليه السلام، فقالت: والله إنه لي

(1) تفسير جامع البيان في تأويل القرآن للإمام الطبري، ج 16 ص 195

(2) تفسير جامع البيان في تأويل القرآن للإمام الطبري، ج 16 ص 195 - 196 تفسير القرآن العظيم للإمام ابن جام، ج 7 ص 2777 تفسير بحر العلوم للإمام السمرقندي، ج 2 ص 204 - 205 تفسير الكشاف والبيان للإمام الطبري، ج 5 ص 242 - 243 تفسير المحرر الوجيز لابن عطية، ج 3 ص 267 تفسير الكشاف والبيان للإمام الثعلبي، ج 5 ص 242 - 243 تفسير ابن كثير للإمام ابن كثير، ج 4 ص 402

(3) تفسير جامع البيان في تأويل القرآن للإمام الطبري، ج 16 ص 196 تفسير الدر المنثور للإمام السيوطي، ج 4

لسلّم، أصنع فيه ما شئت. قال: وأتاها يعقوب عليه السلام فأخبرته الخبر، فقال لها: أنت وذاك إن كان فعل ذلك، فهو سلّم لك، ما أستطيع غير ذلك. فأمسكته فما قدر عليه حتى ماتت. قال: فهو الذي يقول إخوة يوسف حين صنع بأخيه ما صنع حين أخذه فقالوا قول الله تعالى: {قَالُوا إِنَّ يَسْرِقَ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَهُ مِنْ قَبْلُ}.⁽¹⁾ الوجه الرابع: عن زيد بن أسلم في تعبير إخوة يوسف عليه السلام له ما ورد في هذه الآية، قال: كان يوسف عليه السلام مع أمه عند خال له قال: وكان غلاماً، يلعب مع الغلمان، فدخلوا كنيسة لهم فوجد تمثالاً لهم صغيراً من ذهب فأخذه فذلك قول إخوته.⁽²⁾ الوجه الخامس: عن الإمام ابن عطية قال: "كان علي الخوان فاجر عرقاً، أو قال: خبأه".⁽³⁾ الوجه السادس: "بعثته أمه حين أرادت أن ترتحل من حران مع يعقوب عليه السلام إلى فلسطين والأردن، أمرته أن يذهب فأخذ جونة فيها أوثان لابنها أي ذهب فيأتيها بما لكي إذا فقدتها أبوها أسلم، فانطلق فأخذها وجاء بها إلى أمه، فهذه سرقة التي يعنون".⁽⁴⁾ الوجه السابع: كان يوسف عليه السلام في المنزل وحده أفاته سائل وكان في المنزل عتاق وهي الأنثى من الجدي، فدفعها إلى السائل من غير أمر أبيه.⁽⁵⁾ الوجه الثامن: كان يُجبي الطعام من المائدة للفقراء.⁽⁶⁾ الوجه التاسع: وقال الإمام سفيان بن عيينة: سرق يوسف عليه السلام دجاجة من الطير التي كانت

(1) سورة يوسف، الآية 77 تفسر جامع البيان في تأويل القرآن للإمام الطبري، ج 16 ص 196 - 197 تفسر الكشف والبيان للإمام النعماني، ج 5 ص 242 - 243 تفسر القرآن العظيم للإمام ابن خاتم، ج 7 ص 2778 - 2778 تفسر المحرر الوجيز لابن عطية، ج 3 ص 267 تفسر القرآن العظيم للإمام ابن كثير، ج 4 ص 402 تفسر الدر المنثور للإمام السيوطي، ج 4 ص 563

(2) تفسر القرآن العظيم للإمام ابن خاتم، ج 7 ص 2778 تفسر الكشف والبيان للإمام النعماني، ج 5 ص 242 - 243 تفسر المحرر الوجيز لابن عطية، ج 3 ص 267 تفسر الدر المنثور للإمام السيوطي، ج 4 ص 564

(3) تفسر القرآن العظيم للإمام ابن خاتم، ج 7 ص 2778 تفسر المحرر الوجيز لابن عطية، ج 3 ص 267 تفسر الكشف والبيان للإمام النعماني، ج 5 ص 242 - 243

(4) تفسر الكشف والبيان للإمام النعماني، ج 5 ص 242 - 243

(5) نفس المصدر، ج 5 ص 242 - 243

(6) نفس المصدر، ج 5 ص 242 - 243

في بيت يعقوب عليه السلام فأعطاهما سائلًا⁽¹⁾ الوجه العاشر: عن الإمام مجاهد: "أن يوسف عليه السلام جاءه سائل إلى البيت فسرق جبة من البيت فنالها السائل فغَيَّرَها بما".⁽²⁾ الوجه الحادي عشر: وقال الإمام مجاهد: أنه كان بيضة. قال الإمام كعب: أنه شاة.⁽³⁾ الوجه الثاني عشر: عن ابن عباس رضي الله عنه: أنه سرق مكحلة لخالته.⁽⁴⁾

قال ابن الأنباري: وليس في هذه الأفعال كلها ما يوجب السرقة، لكنها تُشبه السرقة، فقَرَّه إخوته بذلك عند الغضب.⁽⁵⁾ الإمام القرطبي يقول: قال الحصن: إنهم كذبوا عليه فيما نسبوه إليه.⁽⁶⁾ وعن الإمام ابن المنير: "أن ذلك تصلف (بغض) لا يسوغ نسبة مثله إلى بيت النبوة بل ولا إلى أحد من الأشراف فالواجب تركه وإليه ذهب الإمام مكِّي".⁽⁷⁾ الإمام الواحدي يقول: قد يوصف بالشيء على جهة التمثيل، ولا يراد به الحقيقة، كما روي عن النبي ﷺ قال: "كذب إبراهيم ثلاث كذبات"⁽⁸⁾ وتأويله: قال قولًا يُشبه الكذب في الظاهر، وهو صدق عند البحث.⁽⁹⁾ الإمام الألوسي يقول بعد ذكر عدة روايات: "ومن

(1) تفسير الكشف والبيان للإمام الكفطي، ج 5 ص 242 - 243 وتفسير الدر المنثور للإمام السيوطي، ج 4 ص 564

(2) تفسير الكشف والبيان للإمام الكفطي، ج 5 ص 242 - 243

(3) تفسير زاد المسير لابن الجوزي، ج 2 ص 460

(4) نفس المصدر، ج 2 ص 460

(5) نفس المصدر، ج 2 ص 460

(6) تفسير الجامع لأحكام القرآن للإمام القرطبي، ج 9 ص 239

(7) يُنظر تفسير روح المعاني للإمام الألوسي، ج 7 ص 31

(8) عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: "لم تكذب إبراهيم عليه السلام إلا ثلاث كذبات، فتنزى منهن في ذات الله عز وجل، فزلة (إني سقيم) [الصفات: 89]. وقول الله تعالى: {لَنْ نَعْلَمَ كَيْفَ نَحْمَدُكَ} [الأنبياء: 63]. وقال: بينما هو ذات يوم وسارته إذ أتى على جبار من الجبابرة، فقبل له؛ إن ما هنا رجلاً معه امرأة من الأناس، فأرسل إليه فسأله عنها، فقال: من هذو؟ قال: أحمي، فأنى سارة؟ قال: يا سارة؛ لئن على وجه الأرض مؤمن غيبي وعزوب، وإن هذا سألني فليخبرني أنك أحمي، فلا تكذبي، فأرسل إليها فلما دخلت عليه ذهب يتناولها بيده فأخذ، فقال: اذيعي الله لي ولا أخشرك، فتعقبت الله فأطلق، ثم تناولت الثانية فأخذت يئها أو أذيت، فقال: اذيعي الله لي ولا أخشرك، فتعقت فأطلق، فدعا بتغصن حبيبي، فقال: إنكم لم تأمنوني بإنسان، إنما أتاكم من وبيطان، فأختتمها ماسج، فأتته وهو قائم يصلي، فأوتى به؛ فأتته، قالت: رد الله عني الكافير، أو الفاسق، في تحري. أخرجه الإمام البخاري في صحيحه، كتاب: أحاديث الأنبياء عليهم السلام، باب: قول الله تعالى: {وَالَّذِينَ كَفَرُوا مِنْكُمْ لَآتَيْنَهُمْ جَسَدًا يُؤْتُونَ مِنْهُ حَبْلًا مِثْلَ خَبْطِ الْعُرْجِيِّ مَنْعًا لِمَنْ يَحْتَضِرُ}، رقم الحديث: 3358 ج 4 ص 140

(9) التفسير البسيط للإمام الواحدي، ج 12 ص 194

المعلوم أن في عدكلم مباء قيل في بيان المراد من سرقة الأخ تصلفا تصلف (بعض) فإن فيه ما لا بأس في نسبه إلى بيت النبوة، وإن ادعى أن دعوى نسبتهم السرقة إلى يوسف عليه السلام مما لا يليق نسبة مثله إليهم لأن ذلك كذب إذ لا سرقة في الحقيقة وهم أهل بيت النبوة الذين لا يكذبون جاء حديث أكله الذئب وهم غير معصومين أولا وآخرًا".⁽¹⁾ الشيخ ابن عاشور يقول: "أنه بمجانا ونفيا للمعزة عن أنفسهم. وليس ليوسف عليه السلام سرقة من قيل، ولم يكن إخوة يوسف عليه السلام يومئذ أنبياء. وشتان بين السرقة وبين الكذب إذا لم ترتب عليه مضرة. وكان هنا الكلام بمسمع من يوسف عليه السلام في مجلس حكمه".⁽²⁾ خلاصة الكلام: وبالنظر نلاحظ أن جمهور المفسرين على أن ظاهر السرقة حصل ولكنها لم تكن سرقة حقيقية وعليه فالوجه التي ذكرها الإمام الرازي مقبولة. والله أعلم

الاستدراك الخمسون: قول الله تعالى: {يَا بَنِي إِدْرِيسَ اتَّخِذُوا مَعَكُمْ مَالًا فَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّهُ بَالِغٌ فِي الْعُقُوبَاتِ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ} (3)

يذكر الإمام فخر الدين الرازي في تفسير هذه الآية الكريمة رواية إسرائيلية تتضمن إرسال سيدنا يعقوب عليه السلام رسالة إلى عزيز مصر يقول فيها:

من يعقوب إسرائيل الله بن اسحاق ذبيح الله بن ابراهيم خليل الله (عليهم السلام) إلى

عزيز مصر

أما بعد: نحن أهل بيت ائبلينا بالمصائب من جيل إلى جيل، أما جدّي فشئت بداه ورجلاه ورمي في النار لي-حرق، ولكن نجاه الله جل جلاله وجعلت النار عليه بردا وسلاما، وأما أبي فوضع السكين على قفاه لقتله ولكن فداه الله تعالى منه، وكان لي ابن أحب إلي من جميع أولادي فذهب به اخوته إلى الغابة، ثم قالوا لي قد أكله الذئب ولطخوا قبيصه بالدم وأثوني به، فذهبت عينا بكاء له، وكان له أخ قلبي كانت يطمئن به فذهبوا به مني ثم

(1) يُنظر تفسير روح المعاني للإمام الألوسي، ج 7 ص 31

(2) تفسير التحرير والتنوير للشيخ ابن عاشور، ج 13 ص 34

(3) سورة يوسف، الآية 87

رجعوا إليّ قائلين: انه سرق وحبسه عزيز مصر، نحن أهل بيت لا نسرقي لا نلد سارقاً، فإن رددت ابني إليّ ادعوا لك، وإلا ادعوا عليك تُدركه في السابع من أولادك، والسلام.

فلما قرأ يوسف عليه السلام هذا المكتوب لم يتمالك على نفسه وسالت قُومعه، وعرف اخوته أن العزيز هو يوسف عليه السلام.⁽¹⁾

استدرك الشيخ غلام رسول السعدي على الإمام فخر الدين الرازي في تفسير هذه الآية حيث قال: هذا المكتوب مزور وموضوع ومن الروايات الإسرائيلية لأنه جعل فيه الذبيح اسحاق عليه السلام أما المحقق فالذبيح هو اسماعيل عليه السلام.⁽²⁾

التحليل والمناقشة:

قال الإمام ابن القيم الجوزية⁽³⁾ في هذه القضية: نسب النبي ﷺ متفق عليه إلى عدنان بن النسيان، أما ما فوق عدنان ففيه اختلاف أن عدنان من أولاد إسماعيل عليه السلام، وإسماعيل عليه السلام هو الذبيح عند العلماء الصحابة رضي الله عنهم والتابعين ومن بعدهم على قول الصواب، أما بالنسبة لقول أنه اسحاق عليه السلام فباطل بوجوه كثيرة، ثم يقول الإمام ابن القيم أنه سمع من الإمام ابن تيمية: "هذا القول متلقى عن أهل الكتاب، مع كونها باطل بنص كتابهم: إن الله أمر إبراهيم عليه السلام أن يذبح ابنه بكره، وفي لفظ: وحيدته، ولا يشك أهل الكتاب مع المسلمين أن إسماعيل هو بكر أولاده"، ثم يقول: "والذي غر أصحاب هذا القول أن في التوراة التي بأيديهم: اذبح ابنك إسحاق عليه السلام، قال: وهذه الزيادة من تحريفهم وكذبهم لأنها تناقض قوله: اذبح بكره ووحيدته، ولكن اليهود حسدت بني إسماعيل على هذا الشرف وأحبوا أن يكون لهم، وأن يسوقوه إليهم

(1) تفسير معالم التجهيل للإمام البهوي، ج 4 ص 273 وينظر التفسير الكبير للإمام الرازي، ج 18 ص 503 -

(2) ينظر تفسير تبيان القرآن للشيخ غلام رسول السعدي، ج 5 ص 849

(3) هو محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الأزعي دمشقي، تلمذ للإمام أبي حامد الغزالي (691 - 751 هـ الموافق 1292 - 1350 م) أبو عبد الله: من كبار العلماء وأركان الإصلاح الإسلامي. ولد وتوفي في دمشق. من تلامذة الإمام ابن تيمية. صاحب مؤلفات كثيرة منها: إصلام الموقعين، شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل، مدارج السالكين، البيان في أقسام القرآن... ينظر شذرات الذهب لابن العماد الحنبلي، ج 8 ص 287 - 288 والأعلام للزركلي، ج

ويحتارونه لأنفسهم دون العرب، ويأبي الله تعالى إلا أن يجعل فضله لأهله". ثم يستدل الإمام ابن تيمية: "كيف يسوغ أن يقال: إن الذبيح إسحاق عليه السلام، والله عز وجل قد بشر أم إسحاق عليه السلام به وبابنه يعقوب عليه السلام، فقال الله تعالى عن الملائكة: إنهم قالوا لإبراهيم عليه السلام لما أتوه بالبشرى قول الله تعالى: {لَا تَحْزَنْ إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَى قَوْمِ لُوطٍ وَآثَرَانَا قَائِلَةً فَذُحِكَّتْ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ} (1)" فمحال أن يبشرها بأنه يكون لها ولد ثم يأمر بذبحه، ولا ريب أن يعقوب عليه السلام داخل في البشارة، فنناول البشارة لإسحاق ويعقوب عليهما السلام في اللفظ واحد، وهذا ظاهر الكلام وسيافه". (2) لا شك أن الذبيح كان بمكة المكرمة ولأجله جعلت القرابين يوم النحر بها، مثل ما جعل السعي بين الصفا والمروة ورمي الجمار تذكيراً لشأن إسماعيل عليه السلام وأمه عليها السلام، وأيضا لإقامة ذكر الله تعالى، ثم يقول: ومن المعلوم أن إسماعيل وأمه كانا بمكة المكرمة بمكة غير إسحاق عليه السلام وأمه، ولهذا السبب اتصل مكان وزمان الذبيح بالبيت الحرام الذي شارك في تأسيسه إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام، وكان النحر بمكة من تمام حج البيت الذي كان علي بناؤه علي يد إبراهيم عليه السلام وابنه إسماعيل عليه السلام زماناً ومكاناً، ولو كان الذبيح كما يزعم أهل الكتاب ومن تلقى عنهم بالشام لكانت القرابين والنحر أيضاً بالشام لا بمكة. في الأخير يُضيف: ومن المعلوم أن الله سبحانه وتعالى مهي الذبيح حلماً، لأنه لا يوجد أحلم ممن يُسلم نفسه للذبيح على طاعة لله تعالى ولكن لما ذكر عن إسحاق عليه السلام سماه عليماً، فقال الله تعالى: {وَهَلْ أَتَاكَ خَلِيبٌ خَسِيفٌ إِبْرَاهِيمَ ... وَبَشَّرُوهُ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ} (3) والمراد به إسحاق عليه السلام بلا شك لأنه من امرأته، وهي المبشرة به، وأما إسماعيل فمن السرية، وأيضاً فإنهما بشرتا به على الكبر واليأس من الولد؛ وهذا بخلاف إسماعيل، فإنه ولد قبل ذلك". (4)

(1) سورة هود: الأيتان 70، 71

(2) زاد المعاد في هدي خير العباد للإمام ابن قيم الجوزية (المطبعة: 1475هـ)، ج 1 ص 70 - 71 للناسخ: مؤسسة الرسالة، بيروت. مكتبة المنار الإسلامية، الكويت. الطبعة: السابعة والعشرون 1415هـ الموافق 1994م. عدد الأجزاء: 5

(3) سورة الذاريات، الآية 24 - 28

(4) زاد المعاد لابن قيم الجوزية: ج 1 ص 71 - 72

يقول الشيخ ابو شهبة في كتابه: والحق في أن الذبيح إسحاق عليه السلام هي من الروايات الإسرائيلية لأهل الكتاب ونقلها من قبل الإسلام منهم ككعب الأحبار وغيرهم، وبعض الصحابة والتابعين حلوها تحسناً للظن بهم فذهبوا إليه، ثم جاء العلماء بعدهم واغتروا به، وجعلوا الذبيح هو إسحاق عليه السلام، ويوجد الاختلاف بين سلف في هذه القضية في كتب التفسير والسير والتاريخ فمنهم من عقبه ومنهم من لم يُعقبه. ثم يقول: أن هذه الروايات حقيقة من وضع أهل الكتاب لأجل عدائهم المتأصلة من قديم الزمان للنبي الأمي العربي صلى الله عليه وسلم، وقومه العرب، فقد أرادوا أن لا يكون لأسماعيل الجد الأعلى للنبي والعرب فضل أنه النبي حتى لا ينجر إلى النبي وإلى جنس العربي. (1) خلاصة الكلام: حسب علمي المفسرون الكبار مثل الإمام الطبري وابن أبي حاتم والزمخشري والقرطبي والنسفي والبيضاوي وأبي السعود وابن كثير والسيوطي والألوسي وابن عاشور لم يتكلموا في هذه القضية في تفسيرهم، أما قول الشيخ السعدي أن هذا موضوع وكلب لأنه جعل فيه الذبيح إسحاق عليه السلام؛ فصح، حسب رأي قول الشيخ السعدي راجح في هذا المقام. والله أعلم

الاستدراك الحادي والخمسون: قول الله تعالى: {أَلَمْ تَكُنْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفِّي مُسْلِمًا وَآخِطِي بِالصَّالِحِينَ} (2)

يرى الإمام فخر الدين الرازي تفسير هذه الآية هكذا حيث قال: اختلف أقوال العلماء في تفسير هذه الآية، هل طلب يوسف عليه السلام به الوفاة أو لا؟ فقال قتادة: سأل يوسف عليه السلام ربه اللجوق به ولم يتمنّ نبي قط الموت قبله، كما هو قول كثير من المفسرين، وقال ابن عباس رضي الله عنه: يريد إذا توفيتني فتوفني على دين الإسلام، (3) فهذا طلب لأن يجعل الله عزوجل وفاته على الإسلام وليس فيه ما يدل على أنه طلب الوفاة. ثم

(1) الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير لابي شهبة (المتون: 403 هـ)، ص 254 الناشر: مكتبة

السنة، الطبعة: الرابعة. عدد الأجزاء: 1

(2) سورة يوسف، الآية 101

(3) تفسير جامع البيان في تأويل القرآن للإمام الطبري، ج 16 ص 279 بالمفهوم.

يقول: "اعلم أن اللفظ صالح للأمرين ولا يعد في الرجل العاقل إذا كميل عقله أن يتمنى الموت ويعظم رغبته فيه لوجوه كثيرة، ذكر الإمام الرازي عدة وجوه لتمني الموت والرغبة فيه، وهي كالتالي:

- **السبب الأول:** أن كمال النفس البشرية أن يكون علماً بالإلهيات، وأن يكون ملكاً ومالكا متصرفاً في الجسمانيات، ثم يقول: أن مراتب التفاوت في هذين النوعين غير متناهية والكمال المطلق فيهما ليس إلا لله جل جلاله وكل ما دون ذلك فهو ناقص والناقص إذا حصل له شعور بنقصانه وذاق لذة الكمال المطلق بقي في الفلق وألم الطلب، وإذا كان الكمال المطلق ليس إلا لله تعالى، وما كان حصوله للإنسان ممتعاً فيلزم أن يبقى الإنسان دائماً في فلق الطلب وألم التعب، فلما الإنسان يعرف هذه الحالة فيعرف أنه لا سبيل له إلى دفع هذا التعب عن النفس البشري إلا بالموت، فحينئذ هو يتمنى الوفاة والموت.

- **السبب الثاني:** لتمني الموت أن البلغاء والخطباء وإن أكثروا وأطنبوا في مذمة الدنيا ولكن حاصل كلامهم يرجع إلى أمور ثلاثة، وهي: الأول: أن سعادات الدنيا سريعة الزوال ومشرفة على الفناء والألم الحاصل عند زوال هذه السعادات أشد من اللذة والسرور الحاصلة عند وجدانها. الثاني: "أنها غير خالصة بل هي ممزوجة بالمكدرات والمنقصات. الثالث: أن الأراذل من الخلق يشاركون الأفاضل في الدنيا بل ربما كان حصة الأراذل أعظم بكثير من حصة الأفاضل فيه، ثم يقول: فهذه الجهات الثلاثة تُتفكر عن هذه اللذات، ولما العاقل يعرف أنه لا تُحصيل هذه اللذات إلا مع هذه الجهات والجوانب الثلاثة المنقصة فلا جرم يتمنى الوفاة والموت ليخلص عن هذه الآفات.

- **السبب الثالث:** "أن هذه اللذات الجسمانية ليس لها حقيقة، بل حاصلها دفع الآلام، فلذة الأكل عبارة عن دفع ألم الجوع، ولذة الوقاع عبارة عن دفع الألم الحاصل بسبب الدغدغة المتولدة من حصول المنى في أوعية المنى. ولذة الإمارة والرياسة عبارة عن دفع الألم الحاصل بسبب شهوة الانتقام وطلب الرياسة"، ثم يقول: "وإذا كان حاصل هذه اللذات ليس إلا دفع الألم لا جرم صارت عند العقلاء حقيرة مخنيسة نازلة ناقصة

وحيث أن يتمنى الإنسان الموت ليتخلص عن الاحتياج إلى هذه الأحوال الخسيسة". ثم يقول الإمام الرازي حول هذا السبب: أنه أقوى عند العلماء والمحققين.

● السبب الرابع: في هذا السبب يذكر الإمام الرازي يتكلم عن مداخل اللذات الدنيوية فيقول: أن مداخل اللذات الدنيوية قليلة، ولها ثلاثة أنواع: الأول: لذة الأكل، الثاني: لذة الوقاع، الثالث: لذة الرياضة. (1)

ثم يقول الإمام الرازي: "أن العاقل إذا تأمل هذه المعاني علم قطعاً أنه لا صلاح له في طلب هذه اللذات والسعي في هذه الخيرات البثة. ثم إن النفس خلقت مجبولة على طلبها، والعشق الشديد عليها، والرغبة التامة في الوصول إليها، ثم يقول: وحيث أن يعتقد هاهنا قياف، وهون أن الإنسان ما دام يكون في هذه الحياة الجسمانية فإنه يكون طالباً لهذه اللذات وما دام يطلبها كان في عين الآفات وفي لجة الحسرات، وهذا اللازم مكروه فباللزام أيضاً مكروه فحيث أن يتمنى زوال هذه الحياة الجسمانية والسبب في الأمور المرغوبة في الموت أن موجبات هذه اللذة الجسمانية متكررة ولا يمكن الزيادة عليها والفكرير يوجب الملالة أما سعادات الآخرة فهي أنواع كثيرة غير متناهية. يقول الإمام فخر الدين الرازي رحمه الله تعالى في الأخير: وهو مصنف هذا الكتاب أنار الله بهانه. أنا صاحب هذه الحالة والتوغل فيها، ولو فتحت الباب وبالفت في عيوب هذه اللذات الجسمانية فرمما كتبت المجلدات وما وصلت إلى القليل منها فلهذا السبب صيرت مواظباً في أكثر الأوقات على ذكر هذا الذي ذكره يوسف عليه السلام في قول الله تعالى: {رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ وَلِيِّ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَتُوبِي مُسْلِمًا وَآخِئِي بِالصَّالِحِينَ}. (2)

استدرك الشيخ غلام رسول السعدي على الإمام فخر الدين الرازي في تفسير هذه الآية حيث قال: أما أنا فلا أستطيع أن أصل إلى العلوم والمعارف للإمام الرازي وقد استفدت من تحقيقاته وتدقيقاته، وأفتخر بكوني أنا من تلامذة الروحاني له، ولكن مع الأدب والاحترام اختلف منه في هذا التحقيق حيث لا يجوز تمحي الموت عندي ولم يتمن يوسف عليه

(1) يُنظر التفسير الكبير للإمام الرازي، ج 18 ص 516 - 517

(2) سورة يوسف، الآية 101 يُنظر التفسير الكبير للإمام الرازي، ج 18 ص 517

السلام للموت ولم يدعته أيضاً بل قال: اللهم لما أُرِيدَ القبض على رُوحِي فاجعله على الإسلام، فليس فيه طلب الموت بل فيه دعاء للقرار على الإسلام طول الحياة. (1)

التحليل والمناقشة:

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: "لَا يَتَمَنَّوْنَ أَحَدَكُمْ الْمَوْتَ مِنْ ضَرِّ أَصَابِهِ، فَإِنْ كَانَ لَا بُدَّ فَاعِلًا، فَلْيَقُلْ: اللَّهُمَّ أَحْبِبْنِي مَا كَانَتْ الْحَيَاةُ خَيْرًا لِي، وَتَوَقَّئِي إِذَا كَانَتْ الْوَفَاةُ خَيْرًا لِي". (2) وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: "لَا يَتَمَنَّيْ أَحَدُكُمْ الْمَوْتَ، وَلَا يَدْعُ بِهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَهُ، إِنَّهُ إِذَا مَاتَ أَحَدُكُمْ انْقَطَعَ عَمَلُهُ، وَإِنَّهُ لَا يَرِيْدُ الْمُؤْمِنُ عَمْرَهُ إِلَّا خَيْرًا". (3) وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: "لَا يَتَمَنَّيْ أَحَدُكُمْ الْمَوْتَ إِذَا مُحْسِنًا فَلَعَلَّهُ يَزِدَّادُ، وَإِذَا مُسِيئًا فَلَعَلَّهُ يَسْتَقْتَبُ". (4) قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: كَانَ يُوسُفُ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَرِيدُ أَنْ لَا يَسْلُبَنِي الْإِسْلَامُ حَتَّى يَتَوَقَّئِي عَلَيْهِ. وَقَالَ ابْنُ عَقِيلٍ: أَنْ يُوسُفُ عَلَيْهِ السَّلَامُ مَا تَمَنَّى لِلْمَوْتِ بَلْ دَعَا لِلْوَفَاةِ عَلَى الْإِسْلَامِ فَمَعْنَاهُ تَوَقَّئِي مُسْلِمًا بِاللَّهِ لِمَا أُرِيدُ وَفَاتِي. (5) وَكَانَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَقُولُ: مَا تَمَنَّى نَبِيٌّ قَطُّ الْمَوْتَ قَبْلَ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلَامِ. قَالَ قَتَادَةُ: وَلَمْ يَتَمَنَّ الْمَوْتَ أَحَدٌ قَطُّ، نَبِيٌّ وَلَا غَيْرُهُ إِلَّا يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلَامِ. (6) وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: مَا سَأَلَ نَبِيٌّ الْوَفَاةَ غَيْرُ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلَامِ، يَعْنِي فِي تَحْوِيلِ اللَّهِ تَعَالَى: {تَوَقَّئِي

(1) يُنظَرُ تَفْسِيرُ تَبْيَانِ الْقُرْآنِ لِلشَّيْخِ غَلَامِ رَسُوْلِ السَّعِدِيِّ، ج 5 ص 868

(2) أَخْرَجَهُ الْإِمَامُ الْبُخَارِيُّ فِي صَحِيحِهِ، كِتَابُ الْمَرْهُوسِ، بَابُ تَمَنِّي الْمَرِيضِ الْمَوْتَ، رَقْمُ الْحَدِيثِ: 5671 ج 7 ص 121 وَأَخْرَجَهُ الْإِمَامُ مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ، كِتَابُ الذِّكْرِ وَاللِّدْعَاءِ وَالتَّوْبَةِ وَالِاسْتِغْفَارِ، بَابُ كِرَاهَةِ تَمَنِّي الْمَوْتَ لِضَرِّ نَزْلِ بِهِ، رَقْمُ الْحَدِيثِ: 2680 ج 4 ص 2064

(3) أَخْرَجَهُ الْإِمَامُ مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ، كِتَابُ الذِّكْرِ وَاللِّدْعَاءِ وَالتَّوْبَةِ وَالِاسْتِغْفَارِ، بَابُ كِرَاهَةِ تَمَنِّي الْمَوْتَ لِضَرِّ نَزْلِ بِهِ، رَقْمُ الْحَدِيثِ: 2680 ج 4 ص 2082

(4) أَخْرَجَهُ الْإِمَامُ الْبُخَارِيُّ فِي صَحِيحِهِ، كِتَابُ التَّمَنِّي، بَابُ مَا يَكْرَهُ مِنَ التَّمَنِّي، رَقْمُ الْحَدِيثِ: 7235 ج 9 ص 84 وَأَخْرَجَهُ الْإِمَامُ التِّرْمِذِيُّ، كِتَابُ الْجَنَائِزِ، بَابُ تَمَنِّي الْمَوْتَ، رَقْمُ الْحَدِيثِ: 1818 ج 4 ص 2

(5) تَفْسِيرُ زَادِ الْمَجْدِ لِابْنِ الْجَوْزِيِّ، ج 2 ص 475

(6) تَفْسِيرُ جَامِعِ الْبَيَانِ فِي تَأْوِيلِ الْقُرْآنِ لِلْإِمَامِ الطَّبْرِيِّ، ج 16 ص 280

مُسَلِّمًا} وقال أيضاً: هَذَا أَوَّلُ نَبِيِّ سَأَلَ اللَّهَ الْمَوْتَ. (1) وقال سهل بن عبد الله التستري (2): لا يتمنى الموت إلا ثلاث: رجل جاهل بما بعد الموت، أو رجل يقتر من أقدار الله تعالى عليه، أو مشتاق بحب لقاء الله عز وجل. الإمام القرطبي يقول بعد نقل الروايات المذكورة لابن عباس رضي الله عنه وغيرهم: وهذا هو قول الجمهور. ثم يقول: "وإذا ثبت هذا فكيف يقال: إن يوسف عليه السلام تمنى الموت والخروج من الدنيا وقطع العمل؟ هذا بعيد! إلا أن يقال: إن ذلك كان جائزاً في شرعه، أما أنه يجوز تمنى الموت والدعاء به عند ظهور الفتن وغلبتها، وخوف ذهاب الدين". (3) الإمام الخازن يقول: اختلف أقوال العلماء هل يوسف عليه السلام طلب للوفاة في الحال أم لا، وفيه قولين، القول الأول: أن يوسف عليه السلام سأل الله تعالى الوفاة في الحال، كما قال قتادة: لم يسأل نبي من الأنبياء الموت إلا يوسف عليه السلام. ثم يقول: وقال أصحاب هذا القول وإنه لم يأت عليه أسبوغ حتى توفي. القول الثاني: أن يوسف عليه السلام سأل الوفاة على الإسلام ولم يثمن الموت في الحال قال الإمام الحسن: إنه عاش بعد هذه سنين كثيرة فعلى هذا القول يكون معنى الآية توفي إذا توفيتني على الإسلام فهو طلب لأن يجعل الله وفاته على الإسلام وليس في اللفظ ما يدل على أنه طلب الوفاة في الحال، ثم يقول: قال بعض الأئمة والعلماء وكلا القولين محتمل لأن اللفظ صالح للأمرين ولا يعد من الرجل العاقل الكامل أن يتمنى الموت لعلمه أن الدنيا ولذاتها فانية زائلة سريعة الذهاب وأن نعيم الآخرة باقٍ دائم لا نفاذ له ولا زوال ولا يمنع من هذا قول النبي

(1) تفسير القرآن العظيم للإمام ابن أبي حاتم ج 7 ص 2204

(2) هو سهل بن عبد الله بن يوسف التستري، أبو محمد (200 - 283 هـ الموافق 815 - 896 م): أحد أئمة

المصوفية وعلمائهم ولشكلمين في علوم الإخلاص والرياضيات وعيوب الأفعال. له كتاب في تفسير القرآن، وكتاب رقائق

الحسين ... يُنظر الأعلام للزركلي، ج 3 ص 143

(3) تفسير الجامع لأحكام القرآن للإمام القرطبي، ج 9 ص 269

﴿لَا يَتَمَنَّوْنَ أَنْ يُكْفَرَ بِنِعْمَةِ اللَّهِ﴾: "لا يَتَمَنَّوْنَ أَنْ يُكْفَرَ بِنِعْمَةِ اللَّهِ" (1) فإن تمنى الموت عند وجود الضر ونزول البلاء مكروه والصبر عليه أولى (2).

الإمام النسفي يقول: أن المراد منه طلب الوفاة على حال الإسلام كقول يعقوب عليه السلام لولده قول الله تعالى: ﴿فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ (3) الإمام ابو حيان يقول: أنه قال كثير من العلماء والمفسرين أن يوسف عليه السلام لما عد نعم الله تعالى عنده تشوق إلى لقاء ربه عزوجل ولحاقه بصالحى سلفه الكرام، ورأى أن الدنيا كلها فانية فتمنى الموت، ثم يقول: "والذي يظهر أنه ليس في الآية الكريمة تمنى الموت، وإنما عدد نعم الله تعالى عليه، ثم دعا أن يُتَمَّ عليه النعم في باقي أمره أي: توفي إذا حان أجله على الإسلام، واجعل لحاقي بالصالحين. وإنما تمنى الوفاة على الإسلام لا الموت، والصالحين أهل الجنة أو الأنبياء عليهم السلام، أو آباؤه إبراهيم وإسحاق ويعقوب عليهم السلام" (4) الشيخ ابن عاشور يقول: "أشار بهذه الآية الكريمة إلى النعمة العظمى وهي نعمة الدين الحق، فإن طلب توفيه على الدين الحق يقتضي أنه منتصف بالدين الحق المعبر عنه بالإسلام من الآن، فهو يسأل الدوام عليه إلى الوفاة" (5).

الإمام الألوسي نقل قول الإمام الرازي المذكور كما ذكرنا في تفسيره ثم يقول: والله

تعالى قول من قال:

ضجعة الموت رقدة يستريح ... الجسم فيها والعيش مثل السهاد. وقال:

تعب كلها الحياة فما اعجز ... ب إلا من راغب في ازدياد

إن حزنا في ساعة الفوت أضعا ... ف سرور في ساعة الميلاد

(1) أخرجه الإمام البيهقي (المتوفى: 292هـ) في مسنده المسمى بـالجزار المشهور باسم البحر الزخار، رقم الحديث: 6850 ج 13 ص 283 المحقق: محفوظ الرحمن زين الله، (حقن الأجزاء من 1 إلى 9) وعادل بن سعد (حقن الأجزاء من 10 إلى 17) وصبري عبد الحائل الشافعي (حقن الجزء 18) الناشر: مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة. الطبعة: الأولى، بدأت 1988م، وانتهت 2009م) عدد الأجزاء: 18

(2) تفسير لباب التأويل في معاني التنزيل للإمام الحازن، ج 2 ص 558

(3) سورة البقرة، الآية 132 تفسير مدارك التنزيل للإمام النسفي، ج 2 ص 136

(4) تفسير البحر المحيط للإمام أبي حيان، ج 6 ص 329

(5) تفسير التحرير والتنوير للشيخ ابن عاشور، ج 13 ص 60

وقد ذكر غير واحد أن تمني الموت حبا للقاء الله تعالى مما لا يأس به، ثم نقل الإمام الألوسي هذه الرواية عن عائشة رضي الله عنها، قالت: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "مَنْ أَحَبَّ لِقَاءَ اللَّهِ، أَحَبَّ اللَّهُ لِقَاءَهُ، وَمَنْ كَرِهَ لِقَاءَ اللَّهِ كَرِهَ اللَّهُ لِقَاءَهُ" (1) وقال: أن التمني الموت في وقت نزول البلاء ممنوع ما جاء في الخير، وقال قوم: "إن يوسف عليه السلام لم يتمن الموت وإنما عدد نعم الله تعالى عليه ثم دعا بأن تدوم تلك النعم في باقي عمره حتى إذا حان أجله قبضه على الإسلام وألحقه بالصلحين". في الأخير يقول الإمام الألوسي: "الحاصل أن يوسف عليه السلام إنما طلب الموافاة على الإسلام لا الوفاة، ولا يرد على القولين أنه من المعلوم أن الأنبياء عليهم السلام لا يموتون إلا مسلمين إما لأن الإسلام هنا بمعنى الاستسلام لكل ما قضاه الله تعالى أو لأن ذلك بيان لأنه وإن لم يتخلف ليس إلا بإرادة الله تعالى ومشيئته" (2) خلاصة الكلام: والرأي في هذه المسألة أن تمني الموت للمتنوع إنما هو مقيد بتمنيه بضر حصل به، أما طلبه تشوقاً للقاء الله تعالى فلا مانع منه بدليل حديث: "عَنْ أَحَبِّ لِقَاءَ اللَّهِ، أَحَبَّ اللَّهُ لِقَاءَهُ" (3) فقول الإمام الرازي راجح. والله أعلم

(1) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه، كتاب الرقاق، باب من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه، رقم الحديث: 6507 ج 8 ص 106 وأخرجه الإمام مسلم في صحيحه، كتاب الذكر والنداء والتوبة والاستغفار، باب من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه، رقم الحديث: 2684 ج 4 ص 2065

(2) ينظر تفسير روح المعاني للإمام الألوسي، ج 7 ص 60

(3) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه، كتاب الرقاق، باب من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه، رقم الحديث: 6507 ج 8 ص 106 وأخرجه الإمام مسلم في صحيحه، كتاب الذكر والنداء والتوبة والاستغفار، باب من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه، رقم الحديث: 2684 ج 4 ص 2065

المبحث الثالث

سورة الرعد

الاستدراك الثاني والخمسون: قول الله تعالى: {جَنَّاتٌ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ} (1).

يذكر الإمام فخر الدين الرازي في تفسير هذه الآية قولين وهي: الأول: قال ابن عباس رضي الله عنهم المراد منه التصديق كما صدق هؤلاء المسلمين وإن لم يكن أعمالهم كمثلهم فيدخلون الجنة. الثاني: قال الإمام الزجاج: يقول الله جل جلاله في هذه الآية أنه إذا لم تكن الأعمال سالحة فالأنساب لا تُفرد، ولا يدخل الجنة الآباء والاجداد والأزواج والذريات والأبناء إلا بالأعمال الصالحة. ثم ذكر الإمام الرازي قول الإمام الواحدي: أن ما قاله ابن عباس رضي الله عنه صحيح لأن الله تعالى جعل في جزاء المطيع سروره أن يكون معه أهله في الجنة وذلك يدل على أن أهل المطيع يدخلون الجنة كرامة للمطيع بالأعمال الصالحة، ولو دخل أهل المطيع إلى الجنة بأعمالهم الصالحة فليس فيه كرامة للمطيع وليس للوعد معه فائدة على أن أهله يدخلون الجنة؛ لأن كل من كان مصلحاً في أعماله فيدخل الجنة. يقول الإمام الرازي حول القول المذكور: أن هذا الدليل ضعيف، لأن الغرض من دخول أهله إلى الجنة بشارة للمطيع كي يزيد سروراً فلو بشر الله تعالى المكلف على أنه يدخل معه أهله وأبواؤه وذرياته فهذا يزيد بحجته وسروره، وهذا من أعظم موجبات السرور أن يجتمعوا في الجنة ويشكرون فيما بينهم أحوال الدنيا ويشكرون الله تعالى بالخلاص من هموم الدنيا وآلامها وأيضاً يشكرونه بحصول الجنة كما قال الله تعالى في صفة أهل الجنة: {ثَالِثٌ قَوْمٍ يَعْلَمُونَ. بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَجَلِّي مِنَ الْمُكْرِمِينَ} (2).

استدراك الشيخ غلام رسول السعدي على الإمام فخر الدين الرازي في تفسير هذه الآية حيث قال: أن قول الإمام الزجاج صحيح أما قول الإمام الواحدي الذي نقله

(1) سورة الرعد، الآية 23

(2) سورة يس، الأيتان 26، 27 ينظر التفسير الكبير للإمام الرازي، ج 19 ص 36

الإمام الرازي فليس بصحيح لسببين وهما: أولاً - لم يُذكر هذا القول في تفسير البسيط للإمام الواحددي، ثانياً - ولو قيل أن أهل المطيع يدخلون الجنة ولم يكن أعمالهم صالحة؛ كرامة للمطيع فهو مخالف للنص الصريح قول الله تعالى: {وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ} (1) ذكر الإمام الرازي عليه إشكالاً وهو: ما هي كرامة للمطيع فيه لما أهل للمطيع يدخلون الجنة بسبب أعمالهم؟، ويُجيب عنه: أن فيه كرامة للمطيع لأن أهله يسكن في الجنة مع أبيه وأمه وأزواجه وأولاده ويقابلهم فيفرح بما للمطيع وهي نعمة كبيرة من الله جل جلاله، فيتضح من هذه الآية أن الرجل لا ينبغي له أن يعتمد على نفسه وحسبه بل لا بد له أن يجتهد في الأعمال الصالحة، كما ينبغي للرجل أن يُراعي أن الأعمال الصالحة سبب ظاهري لدخول الجنة أما السبب الحقيقي فهو رحمة الله تعالى وفضله. (2) ثم استدل الشيخ السعدي بحديث سودة بنت زمعة رضي الله عنها زوج النبي ﷺ وكانت هي ثقيلة سمينة واصبحت لميعة عند رسول الله ﷺ فَهَمَّ النَّبِيُّ بِطَلَاقِهَا، فَقَالَتْ سَوْدَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: لَا تُطَلِّقْنِي وَأَنْتَ فِي جِلْدٍ مِنْ شَأْنِي، فَإِنَا أَوْدُ أَنْ أَحْتَمِرَ فِي زُمْرَةِ أَزْوَاجِكَ، وَإِنِّي قَدْ وَهَيْتُ يَوْمِي لِعَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، وَإِنِّي لَا أُرِيدُ مَا تَرِيدُ النِّسَاءَ، فَأَمْسَكَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَتَّى تُوُفِّيَ عَنْهَا مَعَ سَائِرِ مَنْ تُوُفِّيَ عَنْهُنَّ مِنْ أَزْوَاجِهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُنَّ. وَتُوُفِّيَتْ فِي آخِرِ زَمَانِ عَمْرٍاءِ بْنِ الْمُطَّلَبِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. (3) تفهم من هذا الحديث أن اجتماع الرجل مع أهله في الجنة نعمة كبيرة. (4)

(1) سورة الرعد، الآية 23

(2) يُنظر تفسير بيان القرآن للشيخ غلام رسول السعدي، ج 6 ص 87

(3) الاستجاب في معرفة الأصحاب ليوسف بن عبد الله القرطبي (المتوفى: 463هـ) ج 4 ص 1867 المحقق: علي محمد البجاوي، الناشر: دار الجيل، بيروت، الطبعة: الأولى، 1412هـ الموافق 1992م. عدد الأجزاء: 4 باب سين، سودة بنت زمعة رضي الله عنها. رقم الحديث: 3394 ويُنظر تفسير بيان القرآن للشيخ غلام رسول السعدي، ج 6 ص 87 - 88

(4) يُنظر تفسير بيان القرآن للشيخ غلام رسول السعدي، ج 6 ص 88

التحليل والمناقشة:

الإمام القشيري يقول: يتم النعمة عليهم بأن يجمع بينهم وبين من يحبون صحبتهم من أقاربهم وأزواجهم، وقد ورد في الخبر: "المِرَّةُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ" (1) فمن كان محبوبه أمثاله وأقاربه حشر معهم، ومن كان اليوم بقلبه مع الله، فهو غداً مع الله، وفي الخبر: "أنا جليس من ذكرني" (2) وهذا في العاجل، وأما في الآجل، ففي الخبر: "الفقراء الصابرون جلساء الله يوم القيامة" (3) يقول الإمام ابن الجوزي: أن المراد من "صلح": "آمن، وذلك أن الله تعالى ألحق بالمؤمن أهله المؤمنين إكراماً له، لتقر عينه بهم" (4) الإمام القرطبي يقول: "ويجوز أن يكون المعنى: يدخلونها ويدخلها من صلح من آباؤهم، أي من كان صالحاً، حيث لا يدخلونها بالأنساب. ويجوز أن يكون موضع "من" نصباً على تقدير: "يدخلونها مع من صلح من آباؤهم، وإن لم يعمل مثل أعمالهم يلحقه الله بهم كرامة لهم". وقال ابن عباس رضي الله عنه: "هذا الصلاح الإيمان بالله والرسول ﷺ، ولو كان لهم مع الإيمان طاعات أخرى لدخلوها بطاعتهم لا على وجه التبعية" (5) الإمام البيضاوي والخازن قالا وفق قول الإمام الرازي (6) الإمام أبو السعود يقول: "أن المراد منه إنه يلحق بهم من صلح من أهلهم وإن لم يبلغ فضلهم تبعاً لهم تعظيماً لشأنهم، وهو دليل على أن الدرجة تعلق بالشغاعة وأن الموصوف بتلك الصفات يقرن بعضهم ببعض لما بينهم من القرابة والوصلة في دخول الجنة زيادة في أنسهم وفي التقييد بالصلاح قطع للأطماع الفارغة لمن يمتنك بمجرد حبل الأنساب" (7)

(1) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه، باب للمرء مع من أحب، رقم الحديث: 2640 ج 4 ص 2034 أخرجه الإمام

الترمذي في سننه، باب ما جاء أن المرء مع من أحب، رقم الحديث: 2385 ج 4 ص 595

(2) تفسير الجواهر الحسان للإمام العيني، ج 5 ص 226

(3) تفسير لطائف الإشارات للإمام القشيري، ج 2 ص 228

(4) تفسير زاد المسير للإمام ابن الجوزي، ج 2 ص 493

(5) تفسير الجامع لأحكام القرآن للإمام القرطبي، ج 9 ص 312

(6) تفسير أنوار التنزيل وأسرار التأويل للإمام البيضاوي، ج 3 ص 186 تفسير ليلب التأويل للإمام الخازن، ج 3 ص

16

(7) تفسير إرشاد العقل السليم للإمام أبي السعود، ج 5 ص 18

الإمام النيسابوري ذكر إشكالاً: الدخول أعم من الاجتماع ولا دلالة للامام على الخاص فيصح اعتراض الإمام الواحدي. (1) الشيخ ابن عاشور يقول: "في هذه الآية الكريمة يُشْرَى لمن كان له سلف صالح أو خلف صالح أو زوج صالح ممن تحققت فيهم هذه الصلاة أنه إذا صار إلى الجنة لحق بصالح أصوله أو فروعه أو زوجته، وما ذكر الله تعالى هذا إلا لهذه البشرية كما قال الله تعالى: {وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلْتَنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ}." (2) الإمام الألوسي يقول: اعترض عليه بأن واو المعية لا تدخل إلا على المتبوع. ورؤد بأن هذا إنما ذكر في مع لا في الواو وفيه نظر، والمعنى أنه يلحق بهم من صالح من أهلهم وإن لم يبلغ مبلغ فضلهم تبعاً لهم تعظيماً لشأنهم. عن عبد الله بن جبير قال: "تَدْخُلُ الرَّجُلُ الْجَنَّةَ، فَيَقُولُ: أَيُّنَ أَبِي، أَيُّنَ أُمِّي، أَيُّنَ وَلَدِي، أَيُّنَ زَوْجَتِي، فَيُقَالُ: لَمْ يَفْعَلُوا بِمِثْلِ عَمَلِكَ، فَيَقُولُ: كُنْتُ أَعْمَلُ لِي وَلَهُمْ، فَيُقَالُ: أَدْخَلُوهُمْ الْجَنَّةَ؛ ثُمَّ قَرَأَ قَوْلَ اللَّهِ تَعَالَى: {جَنَّاتٍ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتُهُمْ وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ}، (3) وقال: أن الإمام الرازي ضعف ذلك كما ذكرناه، يقول الإمام الألوسي بعد ذكر هذه الأقوال: وعلى هذا لا تكون الآية دليلاً على أن بالشفاعة تعلق الدرجة. ومنهم من استدلل بها على ذلك على المعنى الأول لها. ثم ذكر عليه إشكالاً: وتعقب بأنها أيضاً لا دلالة لها على ما ذكر. وأجيب عنه: "أنه إذا جاز أن تعلق بمجرد التبعية للكاملين في الإيمان تعظيماً لشأنهم فالعلق بشفاعتهم معلوم بالطريق الأول، إنهم لما كانوا بصالحهم مستحقين لدخول الجنة كان جعلهم في درجاتهم مقتضى طلبهم وشفاعتهم لهم بمقتضى الإضافة. الإمام الألوسي يقول في الأخير: "والحق أن الآية لا تصلح دليلاً على ذلك خصوصاً إذا كان الواو بمعنى مع." (4)

خلاصة الكلام: بعد النظر في أقوال كبار المفسرين وضح هذا الأمر أن أهل المطيع يدخلون الجنة إذا كانوا صالحين كرامة للمطيع وهو موقف لكثير من المفسرين، أما قول الإمام

(1) تفسير غرائب القرآن وغرائب القرآن للإمام النيسابوري، ج 4 ص 154

(2) سورة الطور، الآية 21 ينظر تفسير النخعي والتوير للشيخ ابن عاشور، ج 13 ص 131

(3) سورة الرعد، الآية 23

(4) تفسير روح المعاني للإمام الألوسي، ج 7 ص 136 - 137

الواحدي فأنا أيضاً لم أجده في تفسيره البسيط. (1) فإذا يكون استدراك الشيخ السعدي في محله. والله أعلم

الاستدراك الثالث والخمسون: قول الله تعالى: {قُلْ كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ}. (2)

يذكر الرازي في تفسير هذه الآية أربعة أقوال وهي: القول الأول: "أن المراد شهادة أهل الكتاب من الذين آمنوا برسول الله ﷺ وهم: عبد الله بن ملام، وسلمان الفارسي، وغيرهم الداري رضي الله عنهم". القول الثاني: "قال الإمام الأصم: المراد به القرآن الكريم وهو معجزة قاهرة وبرهان، ولا بُدَّ لفهم الفصاحة والبلاغة لمعرفة اعجاز القرآن الكريم، ولعرفة برهانه واشتماله على الغيوب والعلوم كثيرة". القول الثالث: "قال ابن عباس أن المراد منه علماء اليهود والنصارى"، القول الرابع: "عن الإمام الحسن، ومجاهد: يقصد به الله جل جلاله واختار هذا القول الإمام الزجاج". (3)

استدراك الشيخ غلام رسول السعدي على الفخر الرازي في تفسير هذه الآية حيث قال: أن الرازي ذكر أربعة أقوال، الشيخ السعدي اختار منه القول الثاني والرابع وقال: أما بقية الأقوال فلا يناسب ذكرها باعتبار سياق الكلام. (4)

التحليل والمناقشة:

اختلف أقوال الأئمة العظام والعلماء الكرام في هذه القضية على سبيل المثال ذكر الإمام ابن الجوزي في المراد منه سبعة أقوال وهي: الأول: "قال ابن عباس: أن المراد منه علماء اليهود والنصارى"، الثاني: "قال الإمام الحسن، ومجاهد، وعكرمة: أنه عبد الله بن سلام"، الثالث: قال قتادة: "المراد منه قوم من أهل الكتاب الذين كانوا يشهدون بالحق،

(1) التفسير البسيط لأبي الحسن الواحدي، (التلويح: 468هـ) المحقق: إميل تحقيقه في (خمسة عشر) رسالة دكتوراه بجامعة الإمام محمد بن سعود، ثم قامت لجنة علمية من الجامعة بتبكيه وتنسيقه. الناشر: عمادة البحث العلمي، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية. الطبعة: الأولى، 1430هـ. عدد الأجزاء: 25

(2) سورة الرعد، الآية 43

(3) التفسير الكبير للإمام الرازي، ج 19 ص 54 - 55

(4) يُنظر تفسير تبيان القرآن للشيخ غلام رسول السعدي، ج 6 ص 122 - 123

ومنهم سلمان الفارسي وعبد الله بن سلام وتميم الداري، "الرابع: "قال سعيد بن جبير: هو جبريل عليه السلام"، الخامس: "قال الإمام ابن الحنفية: أن المراد به علي"، السادس: "قال شهر: أريد به ابن يامين"، السابع: "روي عن الإمام الحسن، وبجاهد: يقصد به الله جل جلاله واختار هذا القول الإمام الزجاج أيضاً".⁽¹⁾ الإمام السمرقندي قال بالقول الثالث. ثم قال: "وقال عبد الله بن مسعود: هذه السورة مكية، وعبد الله بن سلام أسلم بعد ذلك بمدة، فكيف يجوز أن يكون المراد به عبد الله بن سلام؟"⁽²⁾ ذكر الإمام الماوردي ثلاثة أقوال في هذه القضية وهي: القول الثالث والرابع والسابع.⁽³⁾ هكذا الإمام ابن عطية،⁽⁴⁾ والزمخشري،⁽⁵⁾ الإمام القرطبي⁽⁶⁾ والبيضاوي⁽⁷⁾ ذكروا عدة أقوال،

الإمام الخازن يقول: "إنهم مؤمنوا أهل الكتاب يشهدون أيضاً على نبوته". أو المراد منه: "إن من علم أن القرآن الكريم الذي جئتكم به معجز ظاهر وبرهان باهر لما فيه من الفصاحة والبلاغة والإخبار عن الغيوب، وعن الأمم الماضية فمن علم بهذه الصفة كان شهيداً بيني وبينكم".⁽⁸⁾ قال الإمام الألوسي في تفسير هذه الآية عدة أقوال: "قال محمد بن الحنفية والباقر: المراد "بمن" علي، والظاهر أن المراد بقول الله تعالى: {لِكِتَابِ} حيثما القرآن الكريم"، يقول الإمام الألوسي في هذا الوجه: "ولعمري أن عن علي علم الكتاب كاملاً لكن الظاهر أنه كرم الله وجهه غير مراد".⁽⁹⁾

خلاصة الكلام: رأينا أقوال العلماء في هذه القضية فمنهم من ذكر أقوال كثير ومنهم من لم يذكر ومنهم من جاء بقولين أو ثلاثة أقوال، فكل واحد من المفسرين ذكر أقوال حسب رأيه، الإمام ابن الجوزي ذكر سبعة وجوه كما ذكرنا، وهناك احتمال لجميع الوجوه.

(1) تفسير زاد المسير للإمام ابن الجوزي، ج 2 ص 502

(2) تفسير بحر العلوم للإمام السمرقندي، ج 2 ص 232

(3) تفسير التكت والعيون للإمام الماوردي، ج 3 ص 119

(4) تفسير المحرر الوجيز للإمام ابن عطية، ج 3 ص 320

(5) تفسير الكشاف للإمام الزمخشري، ج 2 ص 536

(6) تفسير الجامع لأحكام القرآن للإمام القرطبي، ج 9 ص 336

(7) تفسير أنوار التنزيل وأسرار التأويل للإمام البيضاوي، ج 3 ص 191

(8) تفسير لبيب التأويل في معاني التنزيل للإمام الخازن، ج 3 ص 26

(9) تفسير روح المعاني للإمام الألوسي، ج 7 ص 166

أما قول الشيخ السعدي عن بعض الأقوال "أنها لا يُناسب ذكره"، فهذا ليس بصحيح
حسب رأيي، اختلاف الآراء فيما بين العلماء ليس شئ جديد. فيكون حسب رأي قول
الإمام الرازي راجع. والله أعلم

المبحث الرابع

سورة إبراهيم

الاستدراك الرابع والخمسون: قول الله تعالى: {الرَّكَابَ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ} (1).

يذكر الإمام فخر الدين الرازي في تفسير هذه الآية أن بعض العلماء احتج بها على أن تحصيل معرفة الله سبحانه وتعالى لا يمكن إلا بتعليم الرسول ﷺ والإمام، لأن الله تعالى قال بالصرامة أن الرسول ﷺ هو الذي يُخرج الناس من ظلمات الكفر إلى نور الإيمان، وذلك يدل على أن معرفة الله تعالى لا تحصل إلا من طريق التعليم. ثم أجاب عن هذا الإشكال: "أن رسول الله ﷺ يكون كالمنبه، وأما المعرفة فهي إنما تحصل بالدليل" (2).

وقد استدرك الشيخ غلام رسول السعدي على الإمام الرازي في تفسير هذه الآية حيث قال: أن الأمر المحقق هو أن الشيء التي تجعل سبب قبول الإسلام لأهل العرب هو سيرة النبي ﷺ الطيب وعديم المثال، الذين كانوا ينظرون إلى شخصية الرسول ﷺ وسيرته فدخلوا في الإسلام حسب قربة معه أولاً قأولاً، والذين رأوه فيما بعد فأسلموا فيما بعد، فقط الأدلة كانت لا تكفي لقبولهم للإسلام وإلا فهي كانت موجودة على توحيد الله تعالى وصفاته من الأزل، ثم يقول: الشيء الأصلي في الحقيقة هو تعليم الرسول ﷺ وفيضانه، ولكن بعض المحققين كانوا يُعَيرون عن تعليم النبي ﷺ بالتنبيه (3).

(1) سورة إبراهيم، الآية 1

(2) يُنظر التفسير الكبير للإمام الرازي، ج 19 ص 58

(3) يُنظر تفسير بيان القرآن للشيخ غلام رسول السعدي، ج 6 ص 132 - 133

التحليل والمناقشة:

وبالنظر نجد أن كلام الشيخ السعدي وجيه في هذا المجال حيث إن الأدلة كانت متوفرة قبل ظهور الرسول صلى الله عليه وسلم ولكن مع وجود الرسول حصلت المعرفة. والله أعلم

الاستدراك الخامس والخمسون: قول الله تعالى: {رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ} (1).

ذكر الإمام الرازي تفسير هذه الآية إشكال حيث قال: أنه كيف يجوز لإبراهيم عليه السلام أن يستغفر لأبويه في حال كونهما كافرين؟ ثم أجاب عن الإشكال المذكور بوجوه، على النحو الآتي: أولاً - أن المنع عن الاستغفار لا يُعلم أو يُعرف إلا بالوحي فلعل إبراهيم عليه السلام لم يجد الوحي منه منعاً فظن أن الاستغفار يجوز. ثانياً - أن المراد من والدي إبراهيم عليه السلام آدم وحواء عليهما السلام. ثالثاً - أن الاستغفار كان مشروطاً بالإسلام. يقول الإمام الرازي: لو كان الأمر كذلك لما كان ذلك الاستغفار باطلاً ولو لم يكن لبطل قول الله تعالى: {إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَ لَكَ} (2) أن أمه كانت مؤمنة ولهذا السبب خص أباه بالذكر في كما قال الله تعالى: {مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَىٰ مِنْ تَعْدٍ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ. وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَلَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ} (3).

استدراك الشيخ غلام رسول السعدي على الإمام فخر الدين الرازي في تفسير هذه الآية: أنه من كبار العلماء حيث لا نستطيع أن ندرك علوم تلامذته كما لا نستطيع الوصول إلى غبار قدمه في العلم، وليس بيننا وبينه مقارنة في العلم والفضل، وقد استفدت في تفسيري من تحقيقاته العلمية وتدقيقاته العميقة، وفي قلبي له توقير عظيم وإحترام كبير ولكن

(1) سورة إبراهيم، الآية 41

(2) سورة المنتحن، الآية 4

(3) سورة التوبة، الأيتان 113، 114 يُنظر للتفسير الكبير للإمام الرازي، ج 19 ص 107

كرامة الأنبياء عليهم السلام وعظمتهم أكبر منه وهي جزء من إيماننا، فلا تتفق معه في القضية على أن والذي إبراهيم عليه السلام كانا كافرين، أما الآية المذكورة من سورة التوبة فتحول عنه أزر، وأطلق كلمة "الأب" للعم كما هو معروف بين أهل العرب، ثم يُضيف: ولا تُسلم أن إبراهيم عليه السلام كان لا يعرف أن الاستغفار للمشركين لا يجوز، وقد عرفه إبراهيم عليه السلام من هذه الآية قول الله تعالى: {وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَّتْهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ}، (1) أما استغفار إبراهيم عليه السلام لأبيه كما قيل في هذه الآية فهذه الواقعة حدثت فيما بعد بزمن الطويل لما كان هو شيخ وقد وُلد اسماعيل واسحاق عليهما السلام، وقبل هذا الدعاء إبراهيم عليه السلام حمد الله تعالى وقال: {الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ}، (2) ثم يقول بعده قول الله تعالى: {رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ}، (3) وقد روي عن ابن عباس رضي الله عنه قال: "كَانَ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَسْتَغْفِرُ لِأَبِيهِ فَلَمَّا مَاتَ لَمْ يَسْتَغْفِرْ لَهُ تَبَرَّأَ مِنْهُ حِينَ مَاتَ وَلَمْ يُؤْمِنْ". (4)

التحليل والمناقشة:

ذكر الإمام ابن عطية في تفسير هذه الآية قولين: الأول: كان هذا من إبراهيم عليه السلام قبل يأسه من إيمان أبيه وتبينه أنه عدو لله، فأراد أباه وأمه، لأنها كانت مؤمنة. الثاني: أراد آدم ونوحا عليهما السلام. ثم يقول: وقرأ سعيد بن جبير "ولو كذبت" بإفراد الأب وحده، وهذا يدخله ما تقدم من التأويلات. (5) الإمام القشيري يقول: وهذا قبل أن يعلم أنه لا يؤمن. (6) ذكر الإمام القرطبي في تفسير هذه الآية عدة أقوال، كما يلي: القول الأول: استغفر إبراهيم عليه السلام لوالديه قبل أن يثبت عنده أنهما عدوان لله جل جلاله. قال

(1) سورة التوبة، الآية 114 يُنظر التفسير الكبير للإمام الرازي، ج 19 ص 107

(2) سورة إبراهيم، الآية 39

(3) سورة إبراهيم، الآية 40

(4) تفسير القرآن العظيم للإمام ابن أبي حاتم، رقم الحديث: 10060 ج 6 ص 1895 يُنظر تفسير نيران القرآن

للشيخ غلام رسول السعدي، ج 6 ص 213

(5) تفسير المحرر الوجيز للإمام ابن عطية، ج 3 ص 343

(6) تفسير لطائف الإشارات للإمام القشيري، ج 2 ص 258

الإمام القشيري: "ولا يبعد أن تكون أمه مسلمة لأن الله تعالى ذكر عذره في استغفاره لأبيه دون أمه". يقول الإمام الألوسي: "وعلى هذا قراءة سعيد بن جبير، "رب اغفر لي ولوالدي" يعني أباه". القول الثاني: استغفر لهما طمعا في إيمانهما، كذا قال الإمام ابن الجوزي في تفسيره. (1) القول الثالث: استغفر لهما بشرط أن يسلما. القول الرابع: أراد آدم وحواء عليهما السلام، كذا قال الإمام البيضاوي في تفسير هذه الآية. (2) وقد روي أن العبد إذا قال: "اللهم اغفر لي ولوالدي" وكان أبواه قد ماتا كافرين انصرفت المغفرة إلى آدم وحواء عليهما السلام لأنهما والدا الخلق أجمع. القول الخامس: إته أراد ولديه إسماعيل وإسحاق عليهما السلام. وكان إبراهيم النخعي يقرأ: "ولولدي" يعني ابنيه. (3)

الإمام الزمخشري يذكر السؤال: "كيف جاز له أن يستغفر لأبويه وكانا كافرين؟" ويوجب عنه: "هو من مجوزات للعقل لا يعلم امتناع جوازها إلا بالتوفيق". ثم ذكر الاحتمالات مثل الإمام القرطبي. (4) الإمام أبو السعود قال مثل قول الإمام الزمخشري فلا نكرهه. (5) الإمام الخازن ذكر اشكال كما ذكره الإمام الزمخشري وأجابته أراد إبراهيم عليه السلام أنهما إن أسلمتا وتابا، ثم ذكر عدة أقوال كما ذكره الإمام القرطبي. (6) هكذا الإمام الألوسي ذكر في تفسير هذه الآية عدة أقوال مثل جمهور المفسرين فلا نكرهه. (7) الإمام محمد بن سعد يقول: "هاجر إبراهيم عليه السلام من بابل إلى الشام. فجاءته سارة عليها السلام فوهبت له نفسها. فتزوجها وخرجت معه وهو يومئذ ابن سبع وثلاثين سنة. فأتى حران فأقام بها زمانا، ثم أتى الأردن فأقام بها زمانا. ثم خرج إلى مصر فأقام بها زمانا. ثم رجع إلى الشام فنزل السبع. أرضا بين إيليا وفلسطين. فاحتفر بئرا وبني مسجدا". ثم يقول: "ثم إن بعض أهل البلد آذوه فتحول من عندهم فنزل منزلا بين الرملة وإيليا فاحتفر به بئرا وأقام به. وكان

(1) تفسير زاد المسير في الإمام ابن الجوزي، ج 2 ص 516

(2) تفسير أنوار التنزيل وأسرار التأويل للإمام البيضاوي، ج 3 ص 202

(3) تفسير الجامع لأحكام القرآن للإمام القرطبي، ج 9 ص 375

(4) تفسير الكشاف للإمام الزمخشري، ج 2 ص 562

(5) تفسير إرشاد العقل السليم للإمام أبي السعود، ج 5 ص 54

(6) تفسير لباب التأويل في معاني التنزيل للإمام الخازن، ج 3 ص 43

(7) ينظر تفسير روح المعاني للإمام الألوسي، ج 7 ص 229

قد وسع عليه في المال والخدم، وهو أول من أضاف الضيف، وأول من نرد الشريد، وأول من رأى الشيب" (1) "ولد لإبراهيم عليه السلام إسماعيل عليه السلام وهو ابن تسعين سنة. فكان بكر أبيه. وولد إسحاق عليه السلام بعده بثلاثين سنة. وإبراهيم عليه السلام يومئذ ابن عشرين ومائة سنة" (2) خلاصة الكلام: وبالنظر في هذه الأقوال نجد أن القول ما ذكره الإمام الرازي، أما ما ذهب إليه الشيخ السعدي فليس عليه دليل قوي. والله أعلم

الاستدراك السادس والخمسون: قول الله تعالى: {يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ وَتَرَزَّوْا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ} (3)

يرى الإمام فخر الدين الرازي في تفسير هذه الآية هكذا حيث يقول أن تبديل السموات والأرض يحتمل وجهين وهي: الاحتمال الأول: أن تبقى الذات وتبدل صفتها بصفة أخرى. الاحتمال الثاني: "أن تفتى الذات الأولى وتحدث ذات أخرى"، ثم ذكر عليه الدليل وهي: "أن ذكر لفظ التبديل لإرادة التغيير في الصفة بجائز، أنه يقال بدلت الحلقة خاتما إذا أذبتها وسويتها خاتما فنقلتها من شكل إلى شكل"، ومنه قول الله تعالى: {فَأَوَّلِيكَ يَبْدُلُ اللَّهُ سَوِيَّاتِهِمْ عَسَنَاتٍ} (4) ويقال: "بدلت قميصي جبة أي نقلت العين من صفة إلى صفة أخرى"، ويقال: "تبدل زيد إذا تغيرت أحواله"، وأما ذكر لفظ التبديل عند وقوع التبديل في الذوات فكقولك بدلت الدرهم دنانير، ومنه قول الله تعالى: {بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا} (5) وقول الله تعالى: {وَبَدَّلْنَاهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ} (6)

ثم يقول الإمام الرازي أن بعد معرفة أن اللفظ يحتمل لكل واحد من هذين المفهومين ففي هذه الآية الكريمة قولين: القول الأول: أن يكون المراد منه تبديل الصفة لا تبديل

(1) الطبقات الكبرى لابي عبد الله محمد بن سعد (النفوس: 230هـ)، ج 1 ص 39 - 40 تحقيق: محمد عبد القادر عطا. المنشور: دار الكتب العلمية، بيروت. الطبعة: الأولى، 1410هـ الموافق 1990م. عدد الأجزاء: 8

(2) الطبقات الكبرى لمحمد بن سعد، ج 1 ص 40 - 41

(3) سورة إبراهيم، الآية 48

(4) سورة الفرقان، الآية 70

(5) سورة النساء، الآية 56

(6) سورة صباء، الآية 16

الذات. وقد قال ابن عباس رضي الله عنهما: هي تلك الأرض إلا أنها تغيرت في صفاتها، فتسير عن الأرض جبالها وتفجر بحارها وتسوي، فلا يرى فيها عوج ولا أمست. وروي عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: "يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ فَيُبْسَطُ عَلَيْهَا وَيُسَطِّحُهَا وَيُتَدَا مَدَّ الْأَيْمِ الْعُكَّاطِي لَا تَرَى فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا".⁽¹⁾ ثم يقول الإمام الرازي: أن المراد من تبديل السموات غير السموات، كقول النبي ﷺ: "أَلَا لَا يُفْتَلُ مُؤْمِنٌ بِكَافِرٍ، وَلَا ذُو عَهْدٍ فِي عَهْدِهِ".⁽²⁾ "ولا ذو عهد في عهده بكافر"، ثم قال: "أن تبديل السموات بانتشار كواكبها وانفطارها، وتكوير شمسها، وخسوف قمرها، وكونها أبوابا، وأنها تارة تكون كالمهل وتارة تكون كالدهان". القول الثاني: أن المراد منه تبديل الذات. قال ابن مسعود رضي الله عنه: "تبديل بأرض كالفضة البيضاء النقية لم يسفك عليها دم ولم تعمل عليها خطيئة"، فهذا هو الشرح للقولين عند الإمام الرازي، ثم يقول: بعض العلماء رجحوا القول الأول حيث قالوا: أن المراد من "يوم تبديل الأرض" هذه الأرض، "والتبديل صفة مضافة إليها، وعند حصول الصفة لا بد وأن يكون الموصوف موجوداً، فلما كان الموصوف بالتبديل هو هذه الأرض وجب كون هذه الأرض باقية عند حصول ذلك التبديل، ولا يمكن أن تكون هذه الأرض باقية مع صفاتها عند حصول ذلك التبديل، وإلا لامتنع حصول التبديل، فوجب أن يكون الباقي هو الذات". يثبت منه أن هذه الآية تقتضي كون الذات باقية، والقائلون بهذا القول هم الذين يقولون: "إن عند قيام القيامة لا يعدم الله الذوات والأجسام، وإنما يعدم صفاتها وأحوالها". يقول الإمام الرازي في الأخير: فليس يبعد أن يقال: أن المراد من تبديل الأرض والسموات هو أن الله تعالى يجعل الأرض جهنم، ويجعل السموات الجنة، ويحتج عليه بقول الله تعالى: {كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ}،⁽³⁾ وقول الله تعالى: {كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْفُجَّارِ لَفِي سِجِّينَ}.⁽⁴⁾

(1) تفسير جملع البيان في تأويل القرآن للإمام الطبري، ج 17 ص 49

(2) أخرجه الإمام أحمد في مسنده، رقم الحديث: 959 ج 2 ص 268 والإمام أبي داود في سننه، رقم الحديث:

2751 ج 4 ص 379

(3) سورة النطفين، الآية 18

(4) سورة المطففين، الآية 7 يُنظر التفسير الكبير للإمام الرازي، ج 19 ص 111 - 112

استدرك الإمام شهاب الدين الألوسي على الإمام فخر الدين الرازي في تفسير هذه الآية حيث قال حول قوله: "لا يبعد أن يقال: المراد بتبديل الأرض جعلها جهنم وتبديل السموات جعلها الجنة"، ثم يقول وقد تعقبه العلماء بأنه بعيد لأنه يستلزم منه كون الجنة والنار غير مخلوقتين إلى هذا الوقت، والثابت في الكلام والحديث خلافه، ويُجيب عنه: بأن الثابت خلق السموات والأرض مطلقاً وليس خلق كليهما، فيجوز أن يكون السموات والأرض الموجود الآن بعضهما ثم تصير بعضاً منهما، وفي أن هذا وإن صححه لا يقر به، تكلم الإمام الألوسي عن استدلال الإمام الرازي: الاستدلال على ذلك بقول الله تعالى: {كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَنْبِيَاءِ لَفِي عِزِّينَ} (1) وقول الله تعالى: {كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْفُجَّارِ لَفِي سِجِّينَ} (2) في غيبة الغرابة فإن في إشعار ذلك بالمقصود نظراً فضلاً عن كونه دالاً عليه. نعم جاء في بعض الآثار ما يؤيد ما قاله، عن أبي بن كعب رضي الله عنه أنه قال: تصير السموات جناناً ويصير مكان البحر ناراً أو تبدل الأرض غيرها. (3) وعن ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال: الأرض كلها نار يوم القيامة. (4) وعن ابن جبير أنه قال: تبدل الأرض خبزة بيضاء فيأكل المؤمن من تحت قدميه. وأخرج ابن مردويه عن أفلح مولى أبي أيوب أن رجلاً من يهود سأل النبي ﷺ فقال: ما الذي تبدل به الأرض؟ (5) فقال: خبزة فقال اليهودي: درمكة بأبي أنت فضحك النبي ﷺ ثم قال: قاتل الله تعالى يهود هل تدرون ما الدرمة؟ لباب الخبز. وقد تقدم خبر أن الأرض تكون يوم القيامة خبزة واحدة يتكفؤها الجبار بيده كما يتكفأ أحدكم خبزته في السفر نزلاً لأهل الجنة وهو عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، قال النبي ﷺ: "تَكُونُ الْأَرْضُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ خُبْزَةً وَاحِدَةً، يَتَكَفَّوْهَا الْجِبَارُ بِيَدِهِ كَمَا يَتَكَفَّأُ أَحَدُكُمْ خُبْزَتَهُ فِي السَّفَرِ، نُزْلاً لِأَهْلِ الْجَنَّةِ". (6) ثم يقول: أن بعض العلماء قالوا: "أن التبديل

(1) سورة المطففين، الآية 18

(2) سورة المطففين، الآية 7

(3) تفسير جامع البيان في تأويل القرآن للإمام الطبري، ج 17 ص 49

(4) نفس المصدر ج 17 ص 48

(5) ينظر تفسير روح المعاني للإمام الألوسي، ج 7 ص 239

(6) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه، باب: يقبض الله الأرض يوم القيامة، رقم الحديث: 6520 ج 8 ص 108

أخرجه الإمام مسلم في صحيحه، باب نزل أهل الجنة، رقم الحديث: 2792 ج 4 ص 2151

يقع في الأرض ولكن تبدل لكل فريق بما يقتضيه حاله، ففريق من المؤمنين يكونون على خبز يأكلون منه وفريق يكونون على فضة وفريق الكفرة يكونون على نار، وليس تبدلها بأي شيء كان بأعظم من خلقها بعد إن لم تكن. ثم أضاف: أنها تبدل أولاً صفتها على النحو المروري عن ابن عباس رضي الله عنهما، ثم تبدل ذاتها ويكون هذا الأخير بعد أن تحدث أخبارها، ولا مانع من أن يكون هنا تبدلات على أنحاء شتى. عن عائشة رضي الله عنها أن الناس يوم تبدل على الصراط، وفيه من حديث ثوبان رضي الله عنه: "أن يهودياً سأل رسول الله ﷺ أَيْنَ يَكُونُ النَّاسُ يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: هُمْ فِي الظُّلْمَةِ دُونَ الْحِشْرِ".⁽¹⁾ ثم يقول الإمام الألوسي: "لعل المراد من هذا التبدل نحو خاص منه. وتقديم تبدل الأرض لقرها منا ولكون تبدلها أعظم أمراً بالنسبة إلينا".⁽²⁾ وقال ابن الأباري: تبدل السموات بطيها وجعلها مرة كالمهل ومرة وردة كالدهان. عن علي كرم الله تعالى وجهه أنه قال: تبدل الأرض من فضة والسماء من ذهب.⁽³⁾ وضح عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال: تبدل الأرض أرضاً بيضاء كأنها سبيكة فضة لم يسفك فيها دم حرام ولم يعمل فيها خطيئة.⁽⁴⁾ يقول الإمام الألوسي: وقد يحمل قول علي رضي الله عنه على التشبيه.⁽⁵⁾

التحليل والمناقشة:

عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "يُحْشَرُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى أَرْضٍ بَيْضَاءَ عَفْرَاءَ، كَقُرْصَةِ النَّعِيِّ، لَيْسَ فِيهَا عِلْمٌ لِأَحَدٍ".⁽⁶⁾ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَنْ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: {يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ

(1) أخرجه الإمام المسلم في صحيحه، باب بيان صفة مني الرجل والمرأة وأن الولد مخلوق من مائهما، رقم الحديث: 315 ج 1 ص 252

(2) يُنظر تفسير روح المعاني للإمام الألوسي، ج 7 ص 240

(3) تفسير جامع البيان في تأويل القرآن للإمام الطبري، ج 17 ص 48

(4) نفس المصدر، ج 17 ص 47

(5) يُنظر تفسير روح المعاني للإمام الألوسي، ج 7 ص 240

(6) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه، كتاب صفة القيامة والجنة والنار، باب في البعث والنشور وصفة الأرض يوم القيامة. رقم الحديث: 2790 ج 4 ص 2150

وَالسَّمَاوَاتِ}، (1) فَأَيُّنَ يَكُونُ النَّاسُ يَوْمَئِذٍ؟ يَا رَسُولَ اللَّهِ فَقَالَ: "عَلَى الصُّرَاطِ". (2) عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي قَوْلِ اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ: {يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ} قَالَ: "أَرْضٌ بَيْضَاءُ كَأَنَّهَا فِضَّةٌ، لَمْ يُشْفَكْ فِيهَا دَمٌ حَرَامٌ، وَلَمْ يُعْتَلَنَّ فِيهَا خَطِيئَةٌ". (3) عَنِ أَبِي سَعِيدٍ الْخَدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: تَكُونُ الْأَرْضُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ خُبْرَةً وَاحِدَةً، يَتَكَفَّرُهَا الْجِبَارُ بِيَدِهِ كَمَا يَكْفَأُ أَحَدُكُمْ خُبْرَتَهُ فِي السَّفْرِ، نُزُلًا لِأَهْلِ الْجَنَّةِ. (4) الإمام النووي (5) يقول في شرح هذا الحديث: "أما النزول فيضم النون والزاي ويجوز إسكان الزاي وهو ما يعد للضيف عند نزوله وأما الخبزة فيضم الخاء. وقال أهل اللغة: هي الظلمة التي توضع في الملة يتكفؤها بالخمزة بيده أي يميلها من يد إلى يد حتى تجتمع وتساوى لأنها ليست منبسطة كالرقاقة، وقد حققنا الكلام في البد في حق الله سبحانه وتعالى وتأويلها مع القطع باستحالة الجراحة عليه ليس كمثله شيء، ومعنى الحديث أن الله سبحانه وتعالى، يجعل الأرض كالظلمة أي الرغيف العظيم وتكون طعاماً نزلًا لأهل الجنة والله على كل شيء قدير". (6)

روى الإمام ابن عطية في تبديل الأرض عدة أقوال، ثم ذكر الأحاديث التي ذكرناها: وقال بعض المفسرين: تبديل الأرض: هو نسف جبالها وتفجير بحارها وتغييرها حتى لا يرى فيها عوج ولا أمت: فهذه حال غير الأولى، وبهذا وقع التبديل ... وأكثر المفسرين

(1) سورة إبراهيم، الآية 48

(2) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه، كتاب صفة القيامة والجنة والنار، باب في البعث والنشور وصفة الأرض يوم القيامة، رقم الحديث: 2791 ج 4 ص 2150

(3) للعجم الأوسط للإمام أبي القاسم الطبراني (المتوفى: 360هـ) رقم الحديث: 7167 ج 7 ص 164 المحقق: طارق بن عوض الله بن محمد، عهد الحسن بن إبراهيم الحسيني، الناشر: دار الحرمين، القاهرة، عدد الأجزاء: 10

(4) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه، باب: يقبض الله الأرض يوم القيامة، رقم الحديث: 6520 ج 8 ص 108

(5) هو يحيى بن شرف بن مري بن حسن الجزاسي الحوزاني، النووي، الشافعي، أبو زكريا، يحيى الدين (631 - 676هـ، المتوفى 1233 - 1277م): علامة بالفقه والحديث. مولده ووفاته في نوا (من قرى حوران، سورية) درس في دمشق، من كتبه تهذيب الأسماء واللغات، والمنهاج في شرح صحيح مسلم، التفريب والتيسير في مصطلح الحديث، رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين ... يُنظر شذرات الذهب لابن العماد الحنبلي، ج 1 ص 55 والأعلام للزركلي، ج 8 ص 149

(6) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج للإمام النووي (المتوفى: 676هـ) ج 17 ص 135 الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة: الثانية، 1392هـ عدد الأجزاء: 18 في 9 مجلدات.

علي أن التبديل يكون بأرض بيضاء عفراء لم يعص الله فيها. ولا سفك فيها دم، وليس فيها معلم لأحد، كما ذكرنا عنه الأحاديث. (1)

الإمام ابن الجوزي يقول في معنى تبديل الأرض قولين: القول الأول: أنها تلك الأرض، وإنما يزداد فيها وينقص منها، وتذهب آكامها وجبالها وأوديتها وشجرها، وتمد مد الأديم، (2) وقد روى أبو هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ يوم تبدل الأرض غير الأرض قال: يسطها ويمدّها مدّ الأديم. (3) القول الثاني: أنها تبدل بغيرها، ثم فيه أربعة أقوال: الأول: عن ابن مسعود رضي الله عنه: أنها تبدل بأرض غيرها بيضاء كالفضة لم يعمل عليها خطيئة. الثاني: قال أبي بن كعب رضي الله عنه: أنها تبدل تارة. الثالث: قاله أنس بن مالك رضي الله عنه: أنها تبدل بأرض من فضة. الرابع: قال أبو هريرة رضي الله عنه تبدل بحبزة بيضاء، فيأكل المؤمن من تحت قدميه. وقال غيره: يأكل منها أهل الإسلام حتى يفرغ من حسابهم. ثم ذكر الإمام ابن الجوزي في تبديل السماوات سعة أقوال: أولاً: قال علي رضي الله عنه: أنها تجعل من ذهب. ثانياً: قال أبي بن كعب رضي الله عنه: أنها تصير جناناً. ثالثاً: قال ابن عباس رضي الله عنه: أن تبديلها: تكوير شمسها وتناثر نجومها. رابعاً: قال ابن الأنباري: أن تبديلها: اختلاف أحوالها، فمرة كاللؤلؤ، ومرة تكون كالدهان، خامساً: أن تبديلها أن تطوى كطي السجل للكتاب. سادساً: قال الماوردي: أن تنشق فلا تظلم. (4)

الإمام الزمخشري يقول أن المراد منه: يوم تبدل هذه الأرض التي تعرفونها أرضاً أخرى غير هذه المعروفة، وكذلك السموات، والتبديل: التغيير، وله قسمان: القسم الأول: وقد يكون في الذوات كقولك: بدلت الدراهم دنانير. ومنه قول الله تعالى: {بَدَلْنَاكُمْ مَجْلُودًا غَيْرَهَا} (5) وقول الله تعالى: {وَبَدَلْنَاكُمْ بِحَبَّتَيْنِ}، (6) القسم الثاني: وفي الأوصاف علي

(1) تفسير المهر للوجيز للإمام ابن عطية، ج 3 ص 347

(2) المخرج الإمام ابن ماجه في سننه، كتاب الفتن، باب فتنة الدجال، وخروج عيسى ابن مريم عليه السلام، وخروج ياجوج، وماجوج. رقم الحديث: 4081 ج 2 ص 1365

(3) تفسير زاد المسير للإمام ابن الجوزي، ج 2 ص 520

(4) نفس المصدر، ج 2 ص 520

(5) سورة النساء، الآية 56

(6) سورة نساء، الآية 16

سبيل المثال: بدلت الحلقة خاتماً، إذا أذبتها وسويتها خاتماً، فنقلتها من شكل إلى شكل. ومنه قول الله تعالى: {فَأَوَلَيْكَ يَتَّبِعُونَ اللَّهَ مَنِّيَ مَا يَسْتَحِبُّونَ} (1) ثم يقول: اختلف أقوال العلماء في تبديل الأرض والسموات، وهي: الأول: تبدل أوصافها ففسر عن الأرض جبالها وتفجر بحارها. وتسوى فلا يرى فيها عوج ولا أمت. الثاني: وعن ابن عباس رضي الله عنه: هي تلك الأرض وإنما تغير، وتبدل السماء بانتشار كواكبها، وكسوف شمسها، وكسوف قمرها، واتشققها، وكونها أبواباً. الثالث: يخلق بدلها أرض وسموات أخرى. الرابع: وعن ابن مسعود وأبى بن عثمان رضي الله عنهما: يحشر الناس على أرض بيضاء لم يخطئ عليها أحد خطيئة. الخامس: وعن علي رضي الله عنه: تبدل أرضاً من فضة، وسموات من ذهب. (2)

الإمام القرطبي ذكر عدة أقوال كما ذكرنا وقال: اختلف في كيفية تبديل الأرض، وروى مرفوعاً من حديث أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "تبدل الأرض غير الأرض فيبسطها ويمدها مد الأديم العكاظي لا ترى فيها عوجاً وأمتاً ثم يزجر الله الخلق زجرة فإذا هم في الثانية في مثل مواضعهم من الأولى من كان في بطنها ففي بطنها ومن كان على ظهرها كان على ظهرها. وتبدل السماء تكوير شمسها وقمرها، وتناثر نجومها، قاله ابن عباس رضي الله عنه. وقيل: اختلاف أحوالها، فمرة كالمهل ومرة كالدهان، حكاه ابن الأثير، وأن الصحيح إزالة هذه الأرض حسب ما ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم. عن قُوتَبَانَ مَوْلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَدَّثَنِي قَالَ: كُنْتُ قَائِمًا عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَبَجَاءَ جَبْرٌ مِنْ أَحْبَابِ الْيَهُودِ فَقَالَ الْيَهُودِيُّ: أَيَّنْ يَكُونُ النَّاسُ يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتِ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "هُنَّ فِي الظُّلْمَةِ دُونَ الْجِسْرِ". (3) وحديث عائشة رضي الله عنها، هذه الآية {يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ} قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَائِنٌ يَكُونُ النَّاسُ؟ قَالَ: "عَلَى الصِّرَاطِ". (4) ثم يقول الإمام القرطبي:

(1) سورة الفرقان، الآية 70

(2) تفسير الكشاف للإمام الرخشي، ج 2 ص 566 - 567

(3) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه، باب بيان صلة من الرجل والمرأة وأن الولد مخلوق من مالهما، رقم الحديث:

315 ج 1 ص 252

(4) أخرجه الإمام الترمذي في سننه، باب: ومن سورة إبراهيم عليه السلام، رقم الحديث: 3121 ج 5 ص 296 هذا

حديث حسن صحيح.

فهذه الأحاديث تخصّ على أن السموات والأرض تبدل وتزال، ويخلق الله أرضاً أخرى يكون الناس عليها بعد كونهم على الجسر. ثم ذكر عدة أحاديث: عن سهل بن سعد قال قال رسول الله ﷺ: "يُخْسِرُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى أَرْضٍ بَيْضَاءَ عَفْرَاءَ، كَقُرْصَةِ النَّوْصِيِّ، لَيْسَ فِيهَا عَلَمٌ لِأَحَدٍ". (1) وقال جابر رضي الله عنه: سألت أبا جعفر محمد بن علي عن قول الله عزوجل: "يوم تبدل الأرض غير الأرض" قال تبدل خبزة يأكل منها الخلق يوم القيامة. وقال ابن مسعود رضي الله عنه: إنما تبدل بأرض غيرها بيضاء لم يعمل عليها خطيئة. وقال ابن عباس رضي الله عنه: بأرض من فضة بيضاء. وقال علي رضي الله عنه: تبدل الأرض يومئذ من فضة والسماء من ذهب وهذا تبديل للعين، وخيبك. (2)

الإمام البيضاوي يقول: التبديل يكون في الذات أوفي الصفة كما قال به الإمام الرضخري فعن علي رضي الله عنه: تبدل أرضاً من فضة وسموات من ذهب، وعن ابن مسعود وأبي رضي الله عنهما: يحشر الناس على أرض بيضاء لم يخطئ عليها أحد خطيئة، وعن ابن عباس رضي الله عنهما: هي تلك الأرض وإنما تغير صفاتها. ويدل عليه ما روى أبو هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: "تبدل الأرض غير الأرض فتبسط وتمد بمد الأديم العكاظي لأكرى فيها عرجاً ولا أمتاً واعلم أنه لا يلزم على الوجه الأول أن يكون الحاصل بالتبديل أرضاً وسماء على الحقيقة، ولا يبعد على الثاني أن يجعل الله الأرض جهنم والسموات الجنة على ما أشعر به بقول الله تعالى: {كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَنْبِيَاءِ لَفِي هَيْبَةٍ} (3) وقول الله تعالى: {كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْفُجَّارِ لَفِي سِجِّينٍ}. (4) الإمام أبوحيان نقل الأحاديث وأقوال الكبار من المفسرين في هذه القضية كما ذكرناه ثم نقل قول الإمام الرازي المذكور وقال بعده: وكلامه يدل على أن الجنة والنار غير مخلوقتين، وظاهر القرآن والحديث أنهما قد خلقتا، وصح في الحديث أن رسول الله ﷺ أطلع عليهما، (5) ولا يمكن أن يطلع عليهما حقيقة إلا بعد خلقهما. الشيخ

(1) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه، باب في البعث والنشور وصفة الأرض يوم القيامة، رقم الحديث: 2790 ج 4 ص 2150

(2) تفسير الجامع لأحكام القرآن للإمام القرطبي، ج 9 ص 382 - 384

(3) سورة المطففين، الآية 18

(4) سورة المطففين، الآية 7 تفسير أنوار التنزيل وأسرار التأويل للإمام البيضاوي، ج 3 ص 203 - 204

(5) تفسير البحر المحيط للإمام أبي حيان، ج 6 ص 457

ابن عاشور يقول: "أن تبديل الأرض والسموات يوم القيامة: إما بتغيير الأوصاف التي كانت لها وإبطال النظم المعروفة فيها في الحياة الدنيا، وإما بإزالتها ووجدان أرض وسموات أخرى في العالم الآخروي. وحاصل المعنى استبدال العالم المعهود بعالم جديد".⁽¹⁾ خلاصة الكلام: وبالنظر أن معظم المفسرين قالوا وفق قول الإمام الألوسي في هذه القضية، وكما ورد في الأحاديث والآثار، فإذا الترجيح يكون لقوله. والله أعلم

(1) تفسير التحرير والتنوير للشيخ ابن عاشور، ج 13 ص 252 - 253

الفصل الثالث

استدراكات الإمام شهاب الدين الألوسي والشيخ غلام رسول

السعيدى على فخر الدين الرازى في سُور الحجر والنحل

والإسراء والكهف

فيه أربعة مباحث:

المبحث الاول: استدراكات الإمام شهاب الدين الألوسي والشيخ غلام رسول

السعيدى على الإمام فخر الدين الرازى في سورة الحجر

المبحث الثانى: استدراكات الإمام شهاب الدين الألوسي والشيخ غلام رسول

السعيدى على الإمام فخر الدين الرازى في سورة النحل

المبحث الثالث: استدراكات الإمام شهاب الدين الألوسي والشيخ غلام رسول

السعيدى على الإمام فخر الدين الرازى في سورة الإسراء

المبحث الرابع: استدراكات الإمام شهاب الدين الألوسي والشيخ غلام رسول

السعيدى على الإمام فخر الدين الرازى في سورة الكهف

المبحث الأول

سورة الحجر

الاستدراك السابع والخمسون: قول الله تعالى: ﴿وَالْأَرْضَ مَدَدْنَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ﴾ (1).

يرى الإمام فخر الدين الرازي تفسير هذه الآية هكذا: الدلائل التي ذكرت في هذه الآية وهي الجبال الثابتة، واحدها راسي، والجمع راسية، وجمع الجمع رواسي، وهو كقول الله تعالى: ﴿وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ﴾ (2)، ثم ذكر الإمام الرازي في تفسيره هذه الآية وجهين: القول الأول: هو قول ابن عباس رضي الله عنهما: "لما بسط الله تعالى الأرض على الماء مالت بأهلها كالسفينة فأرساها الله تعالى بالجبال الثقال لكيلا تميل بأهلها". ثم ذكر الإمام الرازي عليه اشكالا وهو: "أقولون إن الله تعالى خلق الأرض بدون الجبال فمالت بأهلها فخلق فيها الجبال بعد ذلك أو تقولون إن الله خلق الأرض والجبال معا". ثم أجاب: أنه يمكن الإحتمال لكلا الوجهين. القول الثاني: يمكن أن يكون المراد منه أن الله تعالى خلق الجبال لتكون دلالة للناس على طرق الأرض ونواحيها لأنها كالأعلام فلا تميل الناس عن الجادة المستقيمة ولا يقعون في الضلال، ويقول الإمام الرازي في هذا الوجه: أنه ظاهر الإحتمال (3).

استدراك الإمام الألوسي علي الإمام الرازي في تفسير هذه الآية حيث قال بعد نقل قوله: أنه لا يليق إختيار هذا القول مع وجود الأخبار والآثار القوية والكبيرة مثل الجبال ولكن هؤلاء الناس مع ذلك ينكرونها (4).

(1) سورة الحجر، الآية 19

(2) سورة النحل، الآية 15

(3) ينظر التفسير الكبير للإمام الرازي، ج 19 ص 131

(4) ينظر تفسير روح المعاني للإمام الألوسي، ج 7 ص 274

التحليل والمناقشة:

روى عن أنس بن مالك أن النبي ﷺ قال: لَمَّا خَلَقَ اللهُ الأَرْضَ جَعَلَتْ تَمِيدٌ، فَخَلَقَ الجِبَالَ، فَقَالَ بِهَا عَلَيْهَا فَاسْتَقَرَّتْ، فَعَجَبَتِ المَلَائِكَةُ مِنْ بَيْدَةِ الجِبَالِ ... (1) عن قتادة: سمعت الحسن يقول: لما خلقت الأرض كادت تميد، فقالوا: ما هذه بمقرة على ظهرها أحد، فأصبحوا وقد خلقت الجبال، فلم تدر الملائكة من خلقت الجبال. (2) ثم يقول: "وجعل على ظهر الأرض رواسي، وهي ثوابت الجبال أن تميد بكم أن لا تميد بكم، أن لا تضطرب بكم، ولا تتحرك بحمة ولا بسرة، ولكن تستقر بكم". عن قتادة في قول الله تعالى: {وَأَلْقَى فِي الأَرْضِ رَوَاسِيَ} أي: جبالاً (أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ) أثبتها بالجبال، ولولا ذلك ما أقرت عليها خلقاً، (3) عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: "لَمَّا خَلَقَ اللهُ الأَرْضَ جَعَلَتْ تَمِيدٌ فَجَعَلَ الجِبَالَ فَأَلْقَاهَا عَلَيْهَا فَاسْتَقَرَّتْ فَعَجَبَتِ المَلَائِكَةُ مِنْ خَلْقِ الجِبَالِ فَقَالَتْ: قُلْ مِنْ خَلْقِكَ يَا رَبِّ أَشَدُّ مِنْ الجِبَالِ فَقَالَ: الخَدِيدُ فَقَالَتْ: يَا رَبِّ فَهَلْ مِنْ خَلْقِكَ أَشَدُّ مِنَ الخَدِيدِ؟ قَالَ: نَعَمْ النَّارُ، فَقَالَتْ: فَهَلْ مِنْ خَلْقِكَ أَشَدُّ مِنَ النَّارِ قَالَ: نَعَمْ المَاءُ فَقَالَتْ: يَا رَبِّ فَهَلْ مِنْ خَلْقِكَ شَيْءٌ أَشَدُّ مِنَ المَاءِ؟ قَالَ: نَعَمْ الرِّيحُ قَالَتْ: يَا رَبِّ فَهَلْ مِنْ خَلْقِكَ شَيْءٌ أَشَدُّ مِنَ الرِّيحِ؟ قَالَ: نَعَمْ ابْنُ آدَمَ يَتَصَدَّقُ بِبَيْتِهِ بِخَفِيهَا مِنْ شِمَالِهِ". (4) الإمام ابن كثير يقول: "جعل على الأرض أوتاداً أرساها بها وثبتها وقررها حتى سكنت ولم تضطرب من عليها". (5) وقال الإمام القرطبي في تفسير قول الله تعالى: {وَالجِبَالِ أوتاداً} (6) أي لتسكن ولا تتكفأ ولا تميل بأهلها". (7) وأيضاً قال: أن الله جعل رواسي أي جبالاً ثوابت، واحدها راسية، لأن الأرض ترسو بها، أي تثبتت، والإرساء الثبوت، (8) كما قال في تفسير هذه الآية أن المراد منه "جبالاً

(1) أخرجه الإمام الترمذي في سننه، أبواب تفسير القرآن عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، رقم الحديث: 3369 ج 5 ص 45 استاده ضعيف.

(2) تفسير جامع البيان في تأويل القرآن للإمام الطبري، ج 17 ص 183 - 184

(3) نفس المصدر، ج 20 ص 133

(4) تفسير القرآن العظيم للإمام ابن أبي حاتم، ج 7 ص 2218

(5) يُنظر تفسير القرآن العظيم للإمام ابن كثير، ج 8 ص 302

(6) سورة النبا، الآية 7

(7) تفسير الجامع لأحكام القرآن للإمام القرطبي، ج 19 ص 171

(8) نفس المصدر، ج 9 ص 280

ثابتة لئلا تتحرك بأهلها".⁽¹⁾ يقول الإمام الخازن في تفسير هذه الآية: يعني جبالاً ثوابت وذلك لأن الله سبحانه وتعالى لما خلق الأرض علي الماء مادت ورجفت فأثبتها بالجبال.⁽²⁾ وقال الإمام الشوكاني: أي: جبالاً ثوابت تمسكها، وتمنعها من الحركة.⁽³⁾ خلاصة الكلام: الكبار من المفسرين اختاروا القول الأول مثل الإمام الألوسي لأن أساسه النقل وهو قول ابن عباس رضي الله عنه كما ذكرناه، أما القول للإمام الرازي فأساسه العقل، الإمام الألوسي رجح القول الأول علي القول الثاني حيث قال أن الآثار القوية تدلّ علي ترجيحها. فإذا القول الراجح هو قول الإمام الألوسي، والله أعلم

(1) تفسير الجامع لأحكام القرآن للإمام القرطبي، ج 10 ص 13
(2) تفسير ليلاب التأويل في معاني التنزيل للإمام الخازن، ج 3 ص 52
(3) تفسير فتح القدير للإمام للشوكاني، ج 4 ص 169

المبحث الثاني

سورة النحل

الاستدراك الثامن والخمسون: قول الله تعالى: {وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا خَيْرًا لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ وَلَنِعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ} (1).

يرى الإمام فخر الدين الرازي تفسير هذه الآية هكذا حيث يذكر أولاً مذهب المعتزلة فيه فيقول: قال القاضي عبد الجبار: "يدخل تحت التقوى أن يكون تاركاً لكل المحرمات فاعلاً لكل الواجبات، ومن جمع بين هذين الأمرين فهو مؤمن كامل الإيمان، ثم ذكر الإمام الرازي موقف أهل السنة في المراد من التقوى فيقول: يريد الذين اتقوا الشرك وأيقنوا أنه لا إله إلا الله محمد ﷺ رسول الله، وهذا أولى مما قاله القاضي عبد الجبار، لأننا بينا أنه يكفي في صدق قوله فلان قاتل أو ضارب كونه آتياً بقتل واحد وضرب واحد، ولا يتوقف صدق هذا الكلام على كونه آتياً بجميع أنواع القتل وجميع أنواع الضرب، فعلى هذا قول الله تعالى: {وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا} يتناول كل من أتى بنوع واحد من أنواع التقوى إلا أنا أجمعنا على أنه لا بد من التقوى عن الكفر والشرك فوجب أن لا يزيد على هذا القيد لأنه لما كان تقييد المطلق بخلاف الأصل، يقول في الأخير: كان تقييد المقيد أكثر مخالفة للأصل، وأيضاً فلأن الله تعالى إنما ذكر هؤلاء في مقابلة أولئك الذين كفروا وأشركوا، فوجب أن يكون المراد: من أتى عن ذلك الكفر والشرك" (2).

استدراك الشيخ غلام رسول السعيد علي الإمام فخر الدين الرازي في تفسير هذه الآية حيث قال: حسب رأي الدين يمتنعون عن الشرك والكفر ويؤمنون بالله جل جلاله ورسوله ﷺ ولكن ليسوا متصفين بالتجنب عن السيئات وعلى العمل بالمحسنات فيكفي عليهم اطلاق كلمة المؤمنين، ولو أطلق عليهم الكلمة "المتقين" فينبغي أن يضيف عليه بعض القيود

(1) سورة النحل، الآية 30

(2) ينظر التفسير الكبير للإمام الرازي، ج 20 ص 201

واللوازم للتقوى، وإلا فلا يبقى الفرق بين المؤمنين والمتقين. ثم يقول: ومثال القاتل والضارب التي جاء به الإمام الرازي حول التقوى لا يصح بل للمثال الصحيح لهذا المقام هو مثال العالم أو المفتي، لأن في العرف لا يقال "العالم" للرجل الذي لا يعلم قضية واحدة ولا للرجل الذي يعرف جميع القضايا، بل "العالم" هو الرجل الذي يعرف القضايا عديدة والجديرة بالذكر، وهكذا المفتي لا يقال للرجل الذي يعرف جميع القضايا ولا للرجل الذي لم يأت أحياناً بالحل لقضية واحدة، بل المفتي هو الذي يأتي بحل للمسائل والقضايا العديدة والجديرة بالذكر، هكذا لا يقال "البزاز" للرجل الذي يبيع الأقمشة مرة أو مرتان، وهكذا لا يقال "الخصاف" للرجل الذي يصنع الحذاء مرة أو مرتان، وهكذا لا يقال "القصار" للرجل الذي يغسل الملابس عدة مرات، فهكذا لا يقال للمفتي للرجل الذي اجتنب من الكفر والشرك ويقول بكلمة التوحيد فقط بل يقال للمفتي اجتنب من الكفر والشرك ويؤمن بالله جل جلاله ورسوله ﷺ يؤدي الفرائض والواجبات جميعاً، ولو قصر في الفرائض والواجبات فقصيراً بشرة فيندركه، ولو وقع في ذنب أو خطيئة بسبب ضعف البشري أو لاجل زلة النفس الأمازة فيندم ويتوب ويستغفر الله تعالى ويرجو مغفرته ورحمته. ثم يقول الشيخ السعدي: ولكن لا يدخل في مفهوم التقوى التجنب من الكفر أو الشرك فقط بل يدخل فيه الاجتناب من هواء النفس أيضاً كما قال الله تعالى: {وَلَوْ أَنَّهُمْ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَمَثُورَةٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ خَيْرٌ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ}،⁽¹⁾ ومن المعلوم أنه يفهم من هذه الآية الكريمة أن مرتبة التقوى بعد الإيمان، والتقوى هو العمل بالصالحات والترك للسيئات بعد قبول الإيمان خوفاً من الله تعالى، ومن عمل هكذا فهو من أهل التقوى، وكمال الرجل يكون في تقواه حسب كثرته في الحسنات وحسب تركه للمعاصي وقد قال الله تعالى: {لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقَوْا أَجْرٌ عَظِيمٌ}،⁽²⁾ فنعرف من هذه الآية أن درجة التقوى ومرتبها بعد الإيمان والإحسان. يقول في الأخير: نفهم من القرآن الكريم والآحاديث الشريفة أن التقوى لها أثر كبير في الأعمال الصالحة والاجتناب من الكبائر والسيئات، وللتقوى عدة مراتب، وهي: لا الدرجة الأولى: هو الاجتناب من الكبائر وترك الفرائض، الدرجة الثانية: هو الاجتناب من الصغائر وترك الواجبات، الدرجة الثالثة: هو

(1) سورة التوبة، الآية 103

(2) سورة آل عمران، الآية 172

الاجتناب من المكروه التنزيهي وترك الأعمال خلاف السنة، الدرجة الرابعة هو التجنب من الإحماك في أمور الدنيا وأشغالها والحذر من الأشياء التي يتغفل به الرجل من ذكر الله تعالى.

التحليل والمناقشة:

وبالنظر يتبين لنا أن كلام الشيخ السعيد راجح لأن التقوى لا يكون إلا في من حافظ علي حدود الله واجتنب المعاصي. والله أعلم

الاستدراك التاسع والخمسون: قول الله تعالى: {فَمِنْهُمْ مَن هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَن حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ} (1).

يرى الإمام فخر الدين الرازي تفسير هذه الآية هكذا حيث قال: أن هذه الآية يئدل على مذهبنا لأن الله تعالى لما أخبر عنه أنه حقت عليه الضلالة امتنع أن لا يصدر منه الضلالة، وإلا لا نقلب خبر الله الصادق كذبا، وذلك محال ومستلزم المحال محال، فكان عدم الضلالة منهم محالا، ووجود الضلالة منهم واجبا عقلا، فهذه الآية دالة على صحة مذهبنا في هذه الوجوه الكثيرة، أما نظائر هذه الآية فكثيرة كما قال الله تعالى: {فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ} (2) وقول الله تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ} (3) وقول الله تعالى: {لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ عَلَىٰ أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ} (4).

استدرك الشيخ غلام رسول السعيد علي الإمام فخر الدين الرازي في تفسير هذه الآية حيث قال بعد نقل قوله المذكور أنه يرد الاعتراض على قول الإمام الرازي في تفسير هذه الآية وهو: أن ما هو ذنب الكفار في ضلالتهم لما أضلهم الله جل جلاله حيث يستحيل قبولهم للهداية ويجب منه ضلالتهم؟ وما ذا يكون التوجيه لنتم الكفار في الدنيا وعذابهم الدائم في الآخرة؟ ثم أجاب الشيخ السعيد عن الاعتراض الوارد على كلام الإمام الرازي فيقول: أن الله سبحانه وتعالى كان يعلم من الأزل أن هؤلاء الكفار سيحطون إليهم الخيار ثم هم

(1) سورة النحل، الآية 36

(2) سورة الأعراف، الآية 30

(3) سورة يونس، 96

(4) سورة ص، الآية 7 يُنظر التفسير الكبير للإمام الرازي، ج 20 ص 205

يختارون الكفر من الإيمان والأعمال السيئة من الحسنة؛ فالله تعالى يخلق للعبد ما يختاره العبد، فخلق الله تعالى لهم الضلالة حسب اختيارهم، واخبرهم الله تعالى حسب علمه جل جلاله أنه ثبت عليهم الضلالة، أما وقوع خير الله تعالى فضروري وواجب والأقرب قلب علم الله تعالى بالجهل وصدق كلامه جل جلاله بالكذب وكلا الأمران محال وغير ممكن. (1)

التحليل والمناقشة:

الإمام ابو السعود يقول: أي وجبت وثبتت إلى حين الموت لعيناه وإصراره عليها وعدم صرف قدرته إلى تحصيل الحق وتغيير الأسلوب للإشعار بأن ذلك لسوء اختيارهم. (2)

الإمام البيضاوي يقول: "إذ لم يوفقهم ولم يرد هداهم، وفيه تبييه على فساد الشبهة الثانية لما فيه من الدلالة على أن تحقق الضلال وثباته بفعل الله تعالى وإرادته من حيث أنه قسم من هدى الله تعالى". (3) الشيخ ابن عاشور يقول: التعبير في جانب الضلالة بلفظ قول الله تعالى: {حَقَّتْ عَلَيْهِمْ} دون إسناد الإضلال إلى الله إشارة إلى أن الله لما نهاهم عن الضلالة فقد كان تصميمهم عليها إبقاء لضلالتهم السابقة قول الله تعالى: {حَقَّتْ} أي ثبتت ولم ترتفع. (4) خلاصة الكلام: وعلى ذلك نلاحظ أن الشيخ السعدي رفع الغموض ودفع الإشكال الوارد على قول الإمام الرازي المذكور حيث ذكر الإشكال ثم أجابه. والله أعلم

الاستدراك الستون: قول الله تعالى: {فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ}. (5)

يرى الإمام فخر الدين الرازي تفسير هذه الآية هكذا: اختلف العلماء في قضية تقليد المجتهد للمجتهد هل يجوز أم لا؟ فمن العلماء من حكم بجوازه واحتجوا بهذه الآية الكريمة حيث قالوا: لما لم يكن أحد من المجتهدين عالماً فيجب عليه الرجوع إلى المجتهد الآخر

(1) يُنظر تفسير لبيان القرآن للشيخ غلام رسول السعدي، ج 6 ص 414

(2) تفسير ارشاد العقل السليم للإمام أبي السعود، ج 5 ص 113

(3) تفسير انوار التنزيل وأسرار العاويل للإمام البيضاوي، ج 3 ص 226

(4) تفسير التحرير والتنوير للشيخ ابن عاشور، ج 14 ص 150

(5) سورة النحل، الآية 43

الذي يكون عالماً كما يدل عليه قول الله تعالى المذكور من هذه الآية الكريمة فإن لم يجب فلا أقل من الجواز. (1)

استدرك الإمام شهاب الدين الألوسي على الإمام فخر الدين الرازي في تفسير هذه الآية حيث قال بعد ذكر قوله: "وأيد ذلك بأن بعض المجتهدين نقلوا مذاهب بعض الصحابة وأقرّوا الحكم عليه، والصحيح أنه يجوز التقليد في الفروع للعامة، وما ذكر ليس بتقليد بل هو من باب موافقة الاجتهاد الاجتهاد". (2)

التحليل والمناقشة:

الإمام السيوطي يقول: "استدل به على جواز التقليد في الفروع للعامة". (3) وقال الإمام الجلال المحلي⁽⁴⁾: "ويلزم غير المجتهد عامياً كان أو غيره أي يلزمه التقليد للمجتهد لقول الله تعالى: {فَاسْأَلُوا أَقْلَ الْبِذْرِيِّ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ} ثم قيل في شرحه: "أي المطلق أي ويلزم التقليد مطلقاً أخذاً من التفصيل الآتي ثم إن هذا شامل للعقائد كالعقائد بدليل قوله الآتي". (5) ينقل الإمام الألوسي قول الإمام السيوطي فيقول: "وصحح هو وغيره امتناع التقليد على المجتهد مطلقاً سواء كان له قاطع أو لا وسواء كان مجتهداً بالفعل أو له أهلية الاجتهاد، ومقتضى كلامهم أنه لا فرق بين تقليد أحد أئمة المذاهب الأربع وتقليد غيره من المجتهدين". (6) الإمام الغزالي يتكلم في هذه القضية حيث يقول: "لو بحث عن مسألة ونظر في الأدلة لاستقل بها ولا يفتقر إلى تعلم علم من غيره فهذا هو المجتهد، فهل يجب عليه الاجتهاد أم يجوز له أن يقلد غيره؟ هذا مما اختلفوا فيه، فذهب قوم إلى أن الإجماع قد حصل

(1) يُنظر التفسير الكبير للإمام الرازي، ج 20 ص 211

(2) يُنظر تفسير روح المعاني للإمام الألوسي، ج 7 ص 387

(3) الإكليل في استنباط التنزيل للإمام السيوطي (لبنون: 1911م)، ص 163 تحقيق: سيف الدين عبد القادر الكاتب. دار النشر: دار الكتب العلمية، بيروت. 1401هـ الموافق 1981م. عدد الأجزاء: 1

(4) هو جلال الدين المحلي محمد بن أحمد بن محمد بن إبراهيم المحلي الشافعي (791 - 864هـ الموافق 1389 - 1459م): كان أصولياً ومفسراً، ولد وتوفي بالقاهرة. وعرض عليه القضاء الأكبر فلم يقبل. من كتبه: تفسير الجلالين، كنز الراغبين البدر الطالع، في حل جمع الجوامع في أصول الفقه ... يُنظر الأعلام للزركلي، ج 5 ص 333

(5) حاشية العطار على شرح الجلال المحلي على جمع الجوامع لمحسن بن محمد العطار الشافعي (لبنون: 1250هـ) ج 2 ص 432 - 433 الناشر: دار الكتب العلمية. الطبعة: بدون طبعة وبدون تاريخ، عدد الأجزاء: 2

(6) يُنظر تفسير روح المعاني للإمام الألوسي، ج 7 ص 387

على أن من وراء الصحابة رضي الله عنهم لا يجوز تقليدهم، وقال قوم: من وراء الصحابة رضي الله عنهم والتابعين وكيف يصح دعوى الإجماع؟ ثم يقول: ومن قال بتقليد العالم الإمام أحمد بن حنبل وإسحاق بن راهويه وسفيان الثوري رحمهم الله تعالى وقال الإمام محمد بن الحسن: "يقلد العالم الأعلم ولا يقلد من هو دونه أو مثله وذهب الأكثرون من أهل العراق إلى جواز تقليد العالم فيما يُفتي وفيما يخصه". وقال قوم: يجوز فيما يخصه دون ما يُفتي وخصص قوم من جملة ما يخصه ما يفوت وقته لو اشتغل بالاجتهاد واختار القاضي منع تقليد العالم للصحابة رضي الله عنهم ولمن بعدهم، الإمام الغزالي يُضيف: "وهو الأظهر عندنا والمسألة ظنية اجتهادية. والذي يدل عليه أن تقليد من لا تثبت عصمته ولا يعلم بالحقيقة إصابته بل يجوز خطؤه وتليسه حكم شرعي لا يثبت إلا بنص أو قياس على منصوص ولا نص ولا منصوص إلا للعامي والاجتهاد، إذ للمجتهد أن يأخذ بنظر نفسه وإن لم يتحقق وللعامي أن يأخذ بقوله؛ أما المجتهد إنما يجوز له الحكم بظنه لعجزه عن العلم فالضرورة دعت إليه في كل مسألة ليس فيها دليل قاطع".⁽¹⁾ يقول الإمام أبو إسحاق الشيرازي⁽²⁾: لا يجوز للعالم تقليد العالم ومن الناس من قال يجوز ذلك وهو قول الإمام أحمد بن حنبل وإسحاق رحمهما الله تعالى وقال محمد بن الحسن يجوز له تقليد من هو أعلم منه ولا يجوز له تقليد مثله، لنا قول الله تعالى: {فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ} ⁽³⁾ والرد إليهما لا يمكن فثبت أنه أراد به حكم الله ورسوله ﷺ، ثم ذكر إشكالاً حيث يقول: تقليد العالم حكم الله تعالى لأنه أعلم بطريق الظن، ويُجيب عنه: "إذا ترك ما يقتضيه ظاهر الكتاب وظاهر السنة وقلد غيره فقد ترك حكم الله تعالى ولم يعمل به فيجب أن لا يجوز وأيضاً قول الله تعالى: {وَلَا

(1) للمتصفي للإمام الغزالي (المعروف: 505هـ)، ص 369 تحقيق: محمد عبد السلام عيد الشامي. الناشر: دار الكتب العلمية. الطبعة: الأولى، 1413هـ الموافق 1993م. عدد الأجزاء: 1

(2) هو إبراهيم بن علي بن يوسف الفيروزآبادي الشيرازي، (393 - 476هـ الموافق 1003 - 1083م) أبو إسحاق: من كبار العلماء وأصحاب المناظرة. ولد في فيروزآباد (بفارس) وانتقل إلى شيراز ثم إلى البصرة ومنها إلى بغداد. وبني له الوزير نظام الملك المدرسة النظامية، فكان يدرس فيها ويديرها. من تصانيفه المهذب في الفقه، والتبصرة في أصول الشافعية، وطبقات الفقهاء... يُنظر الأعلام للزركلي، ج 1 ص 51

(3) سورة النساء، الآية 59

تَقْفُ مَا كُنْتَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ⁽¹⁾ ولا علم للمقلد بما أفتى به العالم فهجب أن لا يقفه وأيضاً قول النبي ﷺ اجتهدوا فكل ميسر لما خلق له ولم يفصل ولأن معه آلة يقوصل بها إلى حكم الحادثة فلا يجوز له التقليد فيه⁽²⁾ يقول الإمام التيسابوري: "فيه دليل على أنه يجوز للمجتهد تقليد مجتهد آخر فيما يشبه عليه"⁽³⁾.

الإمام الرازي يقول في كتابه المحصول: يجوز للعامة أن تقلد المجتهد في فروع الشرع خلافاً لمعتزلة بغداد وقال الإمام الجبائي يجوز ذلك فيما كان من مسائل الاجتهاد ثم فيه وجهين، وهي كالتالي:

● الأول - إجماع الأمة قبل حدوث المخالف لأن العلماء الكرام في كمال عصر لا يتكبرون على العامة الاقتصار على مجرد أقاويلهم وأيضاً لا يلزمونهم أن يسألوهم عن وجه اجتهادهم.

● الثاني - أن العامي إذا نزلت به حادثة من الفروع فإما أن لا يكون مأموراً فيها بشئ وهو باطل بالإجماع لآنا نلزمه إلى قول العلماء والخصم يلزمه الرجوع إلى الاستدلال وإما أن يكون مأموراً فيها بشئ وذلك إما بالاستدلال أو بالتقليد، ثم يقول: والاستدلال باطل لأنه إما أن يكون هو التمسك بالبراءة الأصلية أو التمسك بالأدلة السمعية والأول باطل بالإجماع والثاني أيضاً باطل لأنه لو لزمه أن يستدل لم يتحل من أن يلزمه ذلك حين كمل عقله أو حين حدثت الحادثة والأول باطل لوجهين: الوجه الأول: أن الصحابة رضي الله عنه ما كانوا يلزمون من لم يشرع في طلب العلم ولم يطلب رتبة المجتهد في أول ما يكمل عقله. الوجه الثاني: أن وجوب ذلك عليه يمنع من الاشتغال بأمور الدنيا وذلك سبب لفساد العالم والثاني أيضاً باطل لأنه يقتضي أن يجب عليه اكتساب صفة المجتهدين عند نزول الحادثة وذلك غير مقدور له.

(1) سورة النساء، الآية 36

(2) التبصرة في أصول الفقه للإمام أبي إسحاق الشيرازي (المعروف: 476م)، ص 403 - 404 المحقق: د. محمد

حسن هيتو. الناشر: دار الفكر، دمشق. الطبعة: الأولى، 1403م. عدد الأجزاء: 1

(3) تفسير غرائب القرآن للإمام التيسابوري، ج 4 ص 264

ثم يقول الإمام الرازي: "ربما أحد يقول في هذا الوجه بأنه لا يجوز التقليد في الشرع لا يقولون بالإجماع ولا بخير الواحد ولا بالقياس ولا يجوزون التمسك بالظواهر المحتملة وإذا كان كذلك سها الأمر عليهم فإنهم قالوا قد تقرر في عقل كل عاقل أن الأصل في اللذات الإباحة وفي المضار الحرمه فإن جاء في بعض الحوادث نص قاطع للمتن قاطع الدلالة يوجب ترك ذلك الأصل العقلي قلنا به وإن لم يوجد ذلك وجب البقاء على حكم العقل".⁽¹⁾

خلاصة الكلام: نقد الإمام الألوسي قول الإمام الرازي حيث قال أن ما قال به هو: ليس بتقليد بل من باب موافقة الاجتهاد الاجتهاد، وقوله هذا صحيح، وقوله أقوى وأرجح في هذه القضية كما رأينا أن العلماء أيضا قالوا بما. للمفسرين الكبار لم يتكلموا في هذه القضية. بعد النظر في أقوال العلماء حسب رأي قول الإمام الألوسي أقوى وأرجح. والله أعلم

الاستدراك الحادي والستون: قول الله تعالى: {رَأَوْا يَرَوْنَ إِلَىٰ مَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ يَتَفَتَّحُونَ ظِلَالُهُ عَنِ الْيَمِينِ وَالْشَّمَائِلِ سُجَّدًا لِلَّهِ وَهُمْ ذَاخِرُونَ}.⁽²⁾

يرى الإمام فخر الدين الرازي تفسير هذه الآية حيث يقول: "إن الله تعالى دبر النيرات الفلكية، والأشخاص الكوكبية بحيث يقع أضواؤها على هذا العالم السفلي على وجوه مخصوصة. ثم إنا نشهد أن تلك الأضواء، وتلك الأظلال لا تقع في هذا العالم إلا على وفق تدبير الله تعالى وتقديره، فنشاهد أن الشمس إذا طلعت وقعت للأجسام الكثيفة أظلال ممتدة في الجانب الغربي من الأرض، ثم كلما ازدادت الشمس طلوعا وارتفاعا، ازدادت تلك الأظلال تقلصا وانتقاصا إلى الجانب الشرقي إلى أن تصل الشمس إلى وسط الفلك، فإذا انحدرت إلى الجانب الغربي ابتدأت الأظلال بالوقوع في الجانب الشرقي، وكلما ازدادت الشمس انحدارا ازدادت الأظلال تمعدا وتزايداً في الجانب الشرقي". يقول الإمام الرازي بعده: "وكما أنا نشاهد هذه الحالة في اليوم الواحد، فكذلك نشاهد أحوال الأظلال مختلفة في النيام والتياسر في طول السنة، بسبب اختلاف أحوال الشمس في الحركة من الجنوب إلى الشمال وبالعكس، فلما شاهدنا أحوال هذه الأظلال مختلفة بسبب الاختلافات اليومية

(1) الحصول للإمام فخر الدين الرازي، ج 6 ص 75

(2) سورة النحل، الآية 48

الواقعة في شرق الأرض وغربها، وبحسب الاختلافات الواقعة في طول السنة في يمين الفلك ويساره، ورأينا أنها واقعة على وجه مخصوص وترتيب معين، علمنا أنها منقادة لقدرة الله خاضعة لتقديره وتدبيره، فكانت السجدة عبارة عن هذه الحالة".⁽¹⁾ ذكر الإمام الرازي الإشكال هنا: "لم لا يجوز أن يقال: اختلاف حال هذه الأظلال معلل باختلاف سير النير الأعظم الذي هو الشمس، لا لأجل تقدير الله تعالى وتدبيره؟" وأجاب عنه: "قد دللنا على أن الجسم لا يكون متحركاً لذاته، إذ لو كانت ذاته علة لهذا الجزء المخصوص من الحركة، لبقى هذا الجزء من الحركة لبقاء ذاته، ولو بقي ذلك الجزء من الحركة لامتنع حصول الجزء الآخر من الحركة، ولو كان الأمر كذلك لكان هذا سكوناً لا حركة، فالقول بأن الجسم متحرك لذاته يوجب القول بكونه ساكناً لذاته وأنه محال، وما أفضى ثبوته إلى نفيه كان باطلاً"، يقول في الأخير: "ومن المعلوم أن الجسم يمتنع كونه متحركاً لذاته، وأيضاً فقد دللنا على أن الأجسام متماثلة في تمام الماهية، فاختصاص جرم الشمس بالقوة المعينة والخاصية المعينة لا بد وأن يكون بتدبير الخالق المختار الحكيم".⁽²⁾

استدرك الإمام شهاب الدين الألوسي على الإمام فخر الدين الرازي في تفسير هذه الآية حيث قال بعد نقل قوله المذكور: "أنه لا ينبغي أن يتردد في أن السبب الظاهري للظلال هو الشمس وفجوها وكثافة الشاخص، نعم في كون ذلك مستنداً إلى الله تعالى في الحقيقة ابتداءً أو بالواسطة خلاف، الظاهر أن المراد بالظلال الظلال الميسوطة وتسمى للمستوية، ويجوز أن يراد بها ما يشمل الظلال المعكوسة فإنها أيضاً تنفي عن اليمين والشمال".⁽³⁾

التحليل والمناقشة:

قول الإمام الرازي راجح في هذه القضية. والله أعلم

(1) ينظر التفسير الكبير للإمام الرازي، ج 20 ص 215

(2) ينظر نفس المصدر، ج 20 ص 216

(3) ينظر تفسير روح المعاني للإمام الألوسي، ج 7 ص 395

الاستدراك الثاني والسعون: قول الله تعالى: {وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ سُبْحَانَهُ وَهُمْ مَا يَشْتَهُونَ} (1).

يرى الإمام فخر الدين الرازي تفسير هذه الآية هكذا حيث قال: من كلمات الكفار والمشركين الفاسدة أنهم يجعلون لله عز وجل البنات ونظيره قول الله تعالى: {وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الْمُنِجِينَ لَهُمْ عِبَادَ الرَّحْمَنِ إِنثًا} (2) وكانت قبيلة خزاعة وكنانة تقول: "الملائكة بنات الله"، ثم يقول الإمام الرازي في سبب تسمية الكفار للملائكة: حسب ظني أهل العرب أطلقوا على الملائكة عليه السلام كلمة "البنات" لأن الملائكة تكون مستترين عن العيون ويشبهون النساء في الاستتار، وهكذا قرص الشمس يجري مجرى المستتر عن العيون بسبب ضوئه الباهر ونوره القاهر فأطلقوا عليه لفظ التأنيث، ثم يقول: أن هذا الشيء يظن علي ظني في سبب إقدامهم على قولهم الفاسد ومذهبهم الباطل (3).

استدراك الإمام شهاب الدين الألوسي على الإمام فخر الدين الرازي في تفسير هذه الآية حيث قال بعد نقل قوله في سبب تسمية الملائكة عليهم السلام بنات الله تعالى: أطلق المشركين والكفار على الملائكة بنات الله للاستتار مع كونها في محل لا تصل إليه الأغنياء فهي كبنات الرجل اللاتي يغار عليهن فيسكنهن في مكان مكين ومحل أمين، والجن أيضاً وإن كانوا مستترين لكن لا يستترون مثل هذه الصورة، ثم يقول: وهذا أولى مما ذكره الإمام الرازي وأما عدم التأويل فلا يناسب ذلك (4).

التحليل والمناقشة:

الإمام الخازن يقول: وإنما أطلقوا لفظ البنات على الملائكة لاستتارهم عن العيون كالنساء، أو لدخول لفظ التأنيث في تسميتهن (5) فكان الإمام الألوسي أخذ بقول الإمام الخازن حيث يوافق، وكلام الإمام الألوسي أرجح مما ذكره الإمام الرازي. والله أعلم

(1) سورة النحل، الآية 57

(2) سورة الزخرف، الآية 19

(3) ينظر للتفسير الكبير للإمام الرازي، ج 20 ص 224

(4) ينظر تفسير روح المعاني للإمام الألوسي، ج 7 ص 406

(5) تفسير لباب التأويل في معاني التنزيل للإمام الخازن، ج 3 ص 82

الاستدراك الثالث والسعون: قول الله تعالى: ﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ. ثُمَّ كُلِي مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلًا يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (1).

يرى الإمام فخر الدين الرازي تفسير هذه الآية هكذا: "أنه يوجد في كتب الطب أن الله عزوجل يُدبّر هذا العالم على وجه، وهو أنه يُحدث في الهواء طَلًّا لطيف في الليالي ويقع ذلك الطل على أوراق الأشجار، فقد تكون تلك الأجزاء الطليّة لطيفة صغيرة متفرقة على الأوراق والأزهار، وقد تكون كثيرة بحيث يجتمع منها أجزاء محسوسة فهو مثل الترنجيبين فإنه طل ينزل من الهواء ويجمع على أطراف الطرفاء في بعض البلدان وذلك محسوس". ثم يقول: "من أي شيء تُصنع العسل؟ يذكر الإمام الرازي حوله قولين، وهي: القول الأول: "هو الذي ألهم الله عزوجل هذا النحل حتى أنها تلتقط تلك الذرات من الأزهار وأوراق الأشجار بأفواهها وتأكلها وتتغذى بها، فإذا شبعت التقطت بأفواهها مرة أخرى شيئاً من تلك الأجزاء وذهبت بها إلى بيوتها ووضعتها هناك، لأنها تحاول أن تدخر لنفسها غذاءها، فإذا اجتمع في بيوتها من تلك الأجزاء الطليّة شيء كثير فذاك هو العسل". القول الثاني: "إن النحل تأكل من الأزهار الطليّة والأوراق المعطرة أشياء، ثم إن الله تعالى يُقلّب تلك الأجسام في داخل بدننا عَسَلًا، ثم إننا تقيء مرة أخرى فذاك هو العسل". رجح الإمام الرازي القول الأول حيث قال: "أنه أقرب إلى العقل وأشدّ مناسبة إلى الاستقراء، فإن طبيعة الترنجيبين قريبة من العسل في الشكل والطعم، ولا شك أنه طلّ يحدث في الهواء ويقع على أطراف الأشجار والأزهار فكذا هاهنا". ثم ذكر مشاهدته فيقول: "نحن نُشاهد أن هذا النحل إنما يتغذى بالعسل، ولذلك فإننا إذا استخرجنا العسل من بيوت النحل نترك لها بقية من ذلك لأجل أن نتغذى بها فقلبنا أنها إنما تتغذى بالعسل وإنما تقع على الأشجار والأزهار لأنها تتغذى بتلك الأجزاء الطليّة العسلية الواقعة

من الهواء عليها". وقال في الآخر: "أن كلمة من في قول الله تعالى: {ثُمَّ كَلِمَ مِنْ كَلِمِ التَّمْرَاتِ}، تكون لا ابتداء الغاية، ولا تكون للتبويض على هذا القول". (1)

استدرك الإمام الشهاب الدين الألوسي علي الإمام فخر الدين الرازي في تفسيره: "أن ظاهر كَلِمِ يؤيد القول الثاني وهو أشدّ تأييداً له من تأييد مشاهمة الترنجبين للعسل في الطعم والشكل للقول الأول لا سيّما وطبيعة العسل والترنجبين مختلفة، فقد ذكر بعض أجلة الأطباء أن العسل حار في الثالثة يابس في الثانية والترنجبين حار في الأولى رطب في الثانية أو معتدل. نعم لتلك المشاهمة يطلق عليها اسم العسل فإن ترنجبين فارسي معناه غسل رطب لا طَلّ الندا كما زعمه الإمام الرازي"، ثم يقول: "وإن قالوا: هو في الحقيقة طَلّ يسقط على العاقول بفارس ويجمع كالمثل، ويطلب من التكرور شيء يُسمى بلسانهم طنيط أشبه الأشياء به في الصورة والفعل لكنه أغلظ، والأمر في مشاهدة تغذيها بالعسل سهل فإنه ليس دائماً، وينقل عن بعض الطيور التي تكمن شتاء التغذي بالرجيع". ثم يستدل الإمام الألوسي بقول علي رضي الله عنه حول تحقير الدنيا حيث يقول: "أشرف لباس ابن آدم فيه لعاب دودة وأشرف شرابه رجيع نحل". (2)

استدرك الشيخ غلام رسول السعدي أيضاً علي الإمام فخر الدين الرازي في تفسير هذه الآية حيث قال بعد ذكر قوله: أنه رجع قول الأول ولكن القول الأصح وقربن قياس هو القول الثاني. (3)

التحليل والمناقشة:

الإمام ابن عطية يقول: "أي كَلِمِ جزءاً أو شيئاً من كَلِمِ التمرات، وذلك أنها إنما تأكل النوار من أشجار". (4) الإمام القرطبي يقول: أنها إنما تأكل النوار من الأشجار. (5) الإمام البيضاوي يقول: "استدل به من زعم أن النحل تأكل الأزهار والأوراق العطرة فتستحيل في بطنها عسلاً، ثم تقىء ادخاراً للشتاء، ومن زعم أنها تلتقط بأفواهها أجزاء طليبة

(1) التفسير الكبير للإمام الرازي، ج 20 ص 237

(2) تفسير المهرج الوجيز، ج 3 ص 406 تفسير روح المعاني للإمام الألوسي، ج 7 ص 422

(3) ينظر تفسير تبيان القرآن للشيخ غلام رسول السعدي، ج 6 ص 494

(4) تفسير المهرج الوجيز للإمام ابن عطية، ج 3 ص 406

(5) تفسير الجامع لأحكام القرآن للإمام القرطبي، ج 10 ص 135

حلوة صغيرة متفرقة على الأوراق والأزهار، وتضعها في بيوتها ادخارا فإذا اجتمع في بيوتها شيء كثير منها كان العسل".⁽¹⁾ الإمام النسفي يقول: "أي ابني البيوت ثم كلتي كل ثمرة تشتهيها فإذا أكلتها".⁽²⁾ هكذا قال الإمام أبو السعود في تفسيره.⁽³⁾ والإمام الخازن أيضاً.⁽⁴⁾ الشيخ ابن عاشور يقول: "أصل الثمرة ما تخرجه الشجرة من غلة، مثل التمر والعنب والنحل يمتص من الأزهار قبل أن تصير ثمرات، فأطلق الثمرات في هذه الآية الكريمة على الأزهار على سبيل المجاز المرسل بعلاقة الأول". ثم يقول: "وبين ذلك أن للأزهار وللثمار غددا دقيقة تفرز سائلا سكرها تمتصه النحل وتملا به ما هو كالحواصل في بطونها وهو يزداد حلوة في بطون النحل باختلاطه بمواد كيميائية مودعة في بطون النحل، فإذا راحت من مرعائها إلى بيوتها أخرجت من أفواهها ما حصل في بطونها بعد أن أخذ منه جسمها ما يحتاجه لقوته، وذلك يشبه اجترار الحيوان الجتر". في الأخير يقول الشيخ ابن عاشور: "فذلك هو العسل. والعسل حين القذف به في خلايا الشهد يكون مائعا رقيقا، ثم يأخذ في جفاف ما فيه من رطوبة مياه الأزهار بسبب حرارة الشخ المركب منه الشهد وحرارة بيت النحل حتى يصير خائرا، ويكون أبيض في الربيع وأحمر في الصيف".⁽⁵⁾ خلاصة الكلام: رأينا أقوال المفسرين في هذه القضية أن كلهم قالوا وفق قول الإمام الألوسي والشيخ السعدي وكما يُشاهد في هذا العصر الجديد فإذا الترجيح يكون لقولهما لأن النحل تستخدم الأزهار والأوراق للأكل، والقول الراجح حسب علمي قول الإمام الألوسي والشيخ السعدي.

والله أعلم

(1) تفسير أنوار التنزيل وأسرار التأويل للإمام البضاوي، ج 3 ص 233

(2) تفسير مدارك التنزيل للإمام النسفي، ج 2 ص 222

(3) تفسير أرشاد العقل المليم للإمام أبي السعود، ج 5 ص 125

(4) تفسير لباب التأويل في معاني التنزيل للإمام خازن، ج 3 ص 86

(5) تفسير العنبر والتنوير للشيخ ابن عاشور، ج 14 ص 208

الاستدراك الرابع والستون: قول الله تعالى: {وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ
وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ} (1).

يرى الإمام فخر الدين الرازي تفسير هذه الآية هكذا حيث قال: "وجعل لكم السمع لتسمعوا مواعظ الله والأبصار لتبصروا دلائل الله، والأفئدة لتعقلوا عظمة الله، والأفئدة جمع فؤاد نحو أغربة وعراب. ثم ينقل قول الإمام الزجاج: ولم يجمع فؤاد على أكثر العدد، وما قيل فيه فئدان كما قيل: غراب وغبيران. وقال الإمام الرازي في الأخير: "لعل الفؤاد إنما جمع على بناء جمع القلة تبيها على أن السمع والبصر كثيران وأن الفؤاد قليل، لأن الفؤاد إنما خلق للمعارف الحقيقية والعلوم اليقينية، وأكثر الخلق ليعسوا كذلك بل يكونون مشغولين بالأفعال البهيمية والصفات السبعية، فكان فؤادهم ليس بفؤاد، فلهذا السبب ذكر في جمعه صيغة جمع القلة" (2).

استدراك الإمام شهاب الدين الألوسي على الإمام فخر الدين الرازي في تفسير هذه الآية حيث قال بعد نقل قوله: ويرد على قول الإمام الرازي الأبصار فإنه جمع قلة أيضا. وقد قال الإمام أبو حيان حول قول الإمام الرازي المذكور: "وهو قول هذيان، وليولا جلالة قائله وتسطيره في الكتب ما ذكرته، وإنما يقال في هذا ما قاله الإمام الزمخشري: والأفئدة في فؤاد، كالأغربة في غراب، وهو من جموع القلة التي جرت مجرى جموع الكثرة، والقلة إذا لم يرد في السماع غيرها، كما جاء شسوع في جمع شسع لا غير، فجرت ذلك المجرى (3) إلا أن دعوى الزمخشري أنه لم يجيء في جمع شسع إلا شسع لا غير، ليس بصحيح، بل جاء فيه جمع القلة قالوا: أشماع، فكان ينبغي له أن يقول: غلب شسوع" (4). ثم يقول الإمام الألوسي: "وزعم بعضهم أن الفؤاد إنما يدرك ما ليس بمحدود بنحو أمين وكيف وكم وغير ذلك وإن لكل مدرك قوة مدركة له تناسبه لا يمكن أن يدرك غيرها على نحو المحسوسات الظاهرة من

(1) سورة النحل، الآية 78

(2) يُنظر التفسير الكبير للإمام الرازي، ج 20 ص 251

(3) يُنظر تفسير الكشاف للإمام الزمخشري، ج 2 ص 624

(4) تفسير البحر المحيط للإمام أبو حيان، ج 6 ص 574 - 575

الأصوات والألوان والطعوم ولحوها والحواس الظاهرة من السمع والبصر والذوق إلى غير ذلك وهو كما ترى". (1)

التحليل والمناقشة:

الإمام الراغب الأصفهاني يقول: الْفَوَادُ كَالْقَلْبِ لَكِنْ يُقَالُ لَهُ: فَوَادٌ إِذَا اهْتَوَى فِيهِ مَعْنَى التَّمَوُّدِ، أَي: التَّوَقُّدِ، وَجَمْعُ الْفَوَادِ: أَفِيدَةٌ. قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: { نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ، الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الْأَفِيدَةِ }، (2) وَتَخْصِيصُ الْأَفِيدَةِ تَتِيهِ عَلَى فَرْطِ تَأْتِيرِ لَهُ، وَمَا بَعْدَ هَذَا الْكِتَابِ مِنَ الْكُتُبِ. (3)

الإمام ابن منظور الإفريقي: وَالْفَوَادُ: الْقَلْبُ، وَقِيلَ: وَسَطُهُ، وَقِيلَ: الْفَوَادُ غِشَاءُ الْقَلْبِ، وَالْجَمْعُ أَفِيدَةٌ؛ قَالَ سَيِّئُونِي: وَلَا تَعْلَمُهُ كَثِيرٌ عَلَى غَيْرِ ذَلِكَ. (4) يَقُولُ الْإِمَامُ الْفَيْرُوزْآبَادِي: الْفَوَادُ: لِلْقَلْبِ، مُدَّكَّرٌ، جَمْعُهُ: أَفِيدَةٌ. وَالْفَوَادُ. (5) الْإِمَامُ الْبِقَاعِي (6) يَقُولُ فِي تَفْسِيرِ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: { نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ، الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الْأَفِيدَةِ } جَمْعُ فَوَادٍ وَهُوَ الْقَلْبُ الَّذِي يَكَادُ يَحْتَرِقُ مِنْ شِدَّةِ ذِكَايَتِهِ، فَكَانَ يَنْبَغِي أَنْ يُجْعَلَ ذِكَايُهُ فِي أَسْبَابِ الْخِلَاصِ، وَاطَّلَاعُهَا عَلَيْهِ بِأَنْ تَعْلُو وَسَطُهُ وَتَشْتَمِلَ عَلَيْهِ اشْتِمَالًا بِالغَاءِ، سُمِّيَ بِذَلِكَ لِشِدَّةِ تَوَقُّدِهِ، وَخَصَّ بِالذِّكْرِ لِأَنَّهُ أَلْطَفُ مَا فِي الْبَدَنِ وَأَشَدُّه تَأَلُّمًا بِأَدْنَى شَيْءٍ مِنَ الْأَذَى، وَلِأَنَّهُ مَنشَأُ الْعَقَائِدِ الْفَاسِدَةِ وَمَعْدِنُ حُبِّ الْمَالِ الَّذِي هُوَ مَنشَأُ الْفَسَادِ وَالضَّلَالِ، وَعِنْدَهُ تَصَدَّرُ الْأَفْعَالُ الْقَبِيحَةُ. (7) وَقَدْ قَالَ: وَالْأَفِيدَةُ هِيَ الْقُلُوبُ الَّتِي هِيَ أَمَّا لِفَهْمِ وَإِصْلَاحِ الْبَدَنِ بِمَا أُوْدِعَهَا مِنَ الْحَرَارَةِ اللَّطِيفَةِ الْقَابِلَةِ لِلْمَعَانِي الدَّقِيقَةِ. (8) قَالَ الْإِمَامُ الْقُرْطُبِيُّ:

(1) يُنظَرُ تَفْسِيرُ رُوحِ الْمُعَانِي لِلْإِمَامِ الْأَلُوسِيِّ، ج 7 ص 438 - 439

(2) سُورَةُ الْمَعْرِفَةِ: الْأَجَانِ 6، 7

(3) لِلْفَرْدَاتِ لِلْإِمَامِ الرَّقْبِ الْأَصْفَهَانِيِّ، ص 646

(4) لِسَانِ الْعَرَبِ لِابْنِ مَنْظُورِ الْأَنْدَلُسِيِّ، ج 3 ص 329

(5) الْقَامُوسُ الْمَجْمُوعُ لِلْإِمَامِ الْفَيْرُوزْآبَادِيِّ، ص 305

(6) هُوَ إِسْرَاهِيمُ بْنُ عَمْرِو بْنِ حَسَنِ السَّرِيَّاطِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي بَكْرٍ الْبِقَاعِيِّ، (809 - 885 هـ الْمَوَافِقُ 1406 -

1480 م) أَبُو الْحَسَنِ بَرَهَانَ الدِّينِ: كَانَ مُؤَرِّعًا أَدِيبًا. أَصْلُهُ مِنَ الْبِقَاعِ فِي سُورِيَا، وَسَكَنَ دِمَشْقَ وَبَيْتَ الْمُقَدَّسِ وَالْقَاهِرَةَ،

وَتَوَلَّى دِمَشْقَ. لَهُ كُتُبٌ كَثِيرَةٌ مِنْهَا: عَدْوَانُ الزَّمَانِ فِي تَرَاجِمِ الشُّيُخِ وَالْأَعْرَابِ، وَأَحْبَابُ الْجِلَادِ فِي فَتْحِ الْبِلَادِ، نَظْمُ السُّدْرِ فِي

تَنَاسُبِ الْآيَاتِ وَالسُّورِ، الْقَوْلُ لِلْفَيْدِ فِي أَصُولِ التَّجْوِيدِ ... الْأَعْلَامُ لِلزُّرْكَلِيِّ، ج 1 ص 56

(7) نَظْمُ السُّدْرِ فِي تَنَاسُبِ الْآيَاتِ وَالسُّورِ لِلْإِمَامِ الْبِقَاعِيِّ (تَلَوْنِي: 885 هـ)، ج 22 ص 247 الْعَاشِرُ: فَارِ الْكُتُبِ

الْإِسْلَامِيِّ، الْقَاهِرَةِ. عَدَدُ الْأَجْزَاءِ: 22

(8) نَفْسُ الْمَصْدُورِ، ج 11 ص 222

"الأفئدة" جمع الفؤاد نحو غراب وأغربة. (1) يقول ابن عاشور: والأفئدة: جمع الفؤاد، وأصله القلب. ويطلق كثيراً على العقل وهو المراد هنا. (2) هكذا قال الإمام أبو السعود: وهو وسط القلب وهو من القلب كالقلب من الصدور وهو من جموع القلة التي جرت مجرى جموع الكثرة. (3) خلاصة الكلام: وبذلك نلاحظ أن الأئمة وافقوا مع قول الإمام الرازي فإذا الترجيح يكون لقول الإمام الرازي. والله أعلم

(1) تفسير الجامع لأحكام القرآن للإمام القرطبي، ج 10 ص 151

(2) تفسير التحرير والتنوير للشيخ ابن عاشور، ج 14 ص 232

(3) تفسير ارشاد العقل السليم للإمام أبي السعود، ج 5 ص 132

المبحث الثالث

سورة الإسراء

الاستدراك الخامس والستون: قول الله تعالى: {أَقْرَأَ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا} (1)

يرى الإمام فخر الدين الرازي تفسير هذه الآية هكذا حيث ذكر في البداية مقدمتين، وهي: المقدمة الأولى: "أن التجربة تدل على أن تكرار الأعمال الاختيارية تُفيد حدوث الملكة النفسانية الراسخة في جوهر النفس، ألا ترى أن من يُداوم ويُواظب على تكرار قراءة درس واحد فيصير ذلك الدرس عنده محفوظاً، ومن داوم وواظب على عمل واحد مدة طويلة يصير ذلك العمل ملكة له. ثم يقول بعده: "لما كان التكرار الكثير يوجب حصول الملكة الراسخة وجب أن يحصل لكل واحد من تلك الأعمال أثر ما في جوهر النفس، ثم ذكر مثال من المشاهدة حيث قال: فإننا لما رأينا أن عند نوالي القطرات الكثيرة من الماء على الحجر حصلت الثقب في الحجر، فنعرف أن لكل واحد من تلك القطرات أثراً ما في حصول ذلك الثقب وإن كان قليلاً ضعيفاً. المقدمة الثانية: "إن كانت الكتابة أيضاً في عُرف الناس عبارة عن نقوش مخصوصة اصطلاح الناس على جعلها معرفات لألفاظ مخصوصة، فعلى هذا، دلالة تلك النقوش على تلك المعاني المخصوصة دلالة كائنة جوهرية واجبة الثبوت، ممتعة الزوال، كان الكتاب المشتغل على تلك النقوش أولى باسم الكتاب من الصحيفة المشتملة على النقوش الدالة بالوضع والاصطلاح" (2)

ثم يقول الإمام الرازي بعد معرفة هاتين المقدمتين: "إن كل عمل يصنعه من الإنسان كثيراً كان أو قليلاً قوياً كان أو ضعيفاً، فإنه يحصل منه لا محالة في جوهر النفس الإنسانية أثر مخصوص، فإن كان ذلك الأثر أثراً لجذب جوهر الروح من الخلق إلى حضرة الحق كان ذلك من موجبات السعادات والكرامات وإن كان ذلك الأثر أثراً لجذب الروح من حضرة الحق إلى

(1) سورة الإسراء، الآية 14

(2) يُنظر التفسير الكبير للإمام الرازي، ج 20 ص 310

الاشتغال بالخلق كان ذلك من موجبات الشقاوة والحذلان إلا أن تلك الآثار تخفى ما دام الروح متعلقاً بالبدن، لأن اشتغال الروح بتدبير البدن يمنع من انكشاف هذه الأحوال وتجليها وظهورها، ثم يُضيف: فإذا انقطع تعلق الروح عن تدبير البدن فهناك تحصل القيامة لقول النبي ﷺ: "مَنْ مَاتَ فَقَدْ قَامَتْ قِيَامَتُهُ".⁽¹⁾ والمراد من كون هذه الحالة قيامة أن النفس الناطقة كأنها كانت ساكنة مستقرّة في هذا الجسد السفلي، فإذا انقطع ذلك التعلق، قامت النفس وتوجّهت نحو الصعود إلى العالم العلوي، فهذا هو المراد من كون هذه الحالة قيامة، ثم عند حصول القيامة هذا المعنى زال الغطاء وانكشف الوطاء، وقيل له قول الله تعالى: {فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ}⁽²⁾ وقول الله تعالى: {وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنشُورًا}⁽³⁾ والمراد منه: "ونُخْرِجُ له عند حصول هذه القيامة من عمق البدن المظلم كتاباً مشتملاً على جميع تلك الآثار الحاصلة بسبب الأحوال الدنيوية، ويكون هذا الكتاب في هذا الوقت منشوراً، لأن الروح حين كانت في البدن كانت هذه الأحوال فيه مخفية فكانت كالمطوية أما بعد انقطاع التعلق الجسدي ظهرت هذه الأحوال وجلت وانكشفت فصارت كأنها مكتشوفة منشورة بعد أن كانت مطوية، وظاهرة بعد أن كانت مخفية"، ثم يقول: "وعند ذلك تشاهد القوة العقلية جميع تلك الآثار مكتوبة بالكتابة الذاتية في جوهر الروح فيقال له في تلك الحالة: قول الله تعالى: {اقْرَأْ كِتَابَكَ} ثم يقال له قول الله تعالى: {كَفَىٰ بِتَفْسِيرِكَ الْيَوْمَ عَائِيكَ حَسِينًا} فإن تلك الآثار إن كانت من موجبات السعادة حصلت السعادة لا محالة، وإن كانت من موجبات الشقاوة حصلت الشقاوة لا محالة"، ثم يقول الإمام الرازي: "فهذا تفسير هذه الآية بحسب الأحوال الروحانية. ومن المعلوم أن الحق أن الأحوال الظاهرة التي وردت فيها الروايات حق وصدق لا مبرية فيها، واحتمال الآية لهذه المعاني الروحانية ظاهر أيضاً، والمنهج القويم والصراط المستقيم هو الإقرار بالكل".⁽⁴⁾

(1) شرح السنة الحبيبة السنة البضوي (التلويح: 516هـ)، ج 15 ص 97 تحقيق: شعيب الأرنؤوط، محمد زهير الشاويش. الناشر: المكتب الإسلامي، دمشق، بيروت. الطبعة: الثانية، 1403هـ الموافق 1983م. عدد الأجزاء: 15

(2) سورة ق، الآية 22

(3) سورة الإسراء، الآية 13

(4) ينظر التفسير الكبير للإمام الرازي، ج 20 ص 310 - 311

استدرك الإمام شهاب الدين الألوسي على الإمام فخر الدين الرازي في تفسير هذه الآية حيث قال بعد ذكر قوله وهي: "إن الحق أن الأحوال الظاهرة التي وردت فيها الروايات حتى وصدق لا برية فيها واحتمال الآية لهذه المعاني الروحانية ظاهر أيضاً والمنهج القويم والصراط المستقيم هو الإقرار بالكل"، وقال الإمام الألوسي بعده: "ونعم ما قال غير أن كون ذلك الاحتمال ظاهر غير ظاهر"، وقال الإمام الحفاجي: ليس في هذا ما يخالف النقل وقد حمل عليه ما روي عن قتادة: أنه يقرأ في ذلك اليوم من لم يكن قارئاً، ولا وجه لعهده مؤيداً له، ومن المعلوم أن حمل كلام الإمام قتادة على ذلك تأويل أيضاً، ولعل قتادة وأمثاله من سلف الأمة لا يخطر لهم أمثال هذه التأويلات بيال والكلام العربي كالجمل الأنوف والله تعالى أعلم بحقائق الأمور. (1)

التحليل والمناقشة:

خلاصة الكلام أن المراد من كلام الإمام الألوسي أنه قال: أن هذا الاحتمال خفي وليس واضح، فرفع الإمام الألوسي الغموض عن كلام الإمام الرازي ولكنه لم يوضحه، فقول الإمام الألوسي راجح. والله أعلم.

الاستدراك السادس والسبعون: قول الله تعالى: {وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رُسُلًا} (2).

يرى الإمام فخر الدين الرازي تفسير هذه الآية هكذا حيث قال: قال أصحابنا وجوب شكر للنعم لا يثبت بالعقل بل بالسمع، والدليل عليه هذه الآية ووجه الاستدلال أن الوجوب لا يتقرر ماهيته إلا بترتيب العقاب على الترك، ولا عقاب قبل الشرع بحكم هذه الآية الكريمة، فوجب أن لا يتحقق الوجوب قبل الشرع ثم أكدوا هذه الآية الكريمة بقول الله تعالى: {رُسُلًا مُّبْتَلِينَ وَمُنذِرِينَ لِقَلَّ يُكُونُ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ} (3) ويقول الله تعالى: {وَلَوْ أَنَّا أَهْلَكْنَاهُمْ بِعَذَابٍ مِنْ قَبْلِهِ لَمَالُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْنَا إِلَيْنَا رُسُلًا فَتَنَّبِعَ آيَاتِكَ مِنْ

(1) يُنظر تفسير روح المعاني للإمام الألوسي، ج 8 ص 33

(2) سورة الإسراء، الآية 15

(3) سورة النساء، الآية 165

قِيلَ أَنْ نَزَلَ وَتَحْوَى}،⁽¹⁾ ثم ذكر عليه إشكالاً: يمكن أحد يقول أن هذا الاستدلال ضعيف، ونشكلم عنه في وجهين: لو لم يثبت الوجوب العقلي لم يثبت الوجوب الشرعي البتة، وهذا باطل فذاك باطل، ثم ذكر عدة وجوه في بيان ملازمته، كالتالي:

● أولها: يذكر الإمام الرازي السؤال: "أنه إذا جاء للمشرع وادعى كونه نبيا من عند الله عزوجل وأظهر المعجزة، فهل يجب على المستمع استماع قوله والتأمل في معجزاته أو لا يجب؟ فإن لم يجب استماع قوله والتفكير في معجزاته فقد بطل القول بالنبوة وإن وجب، فإما أن يجب هذا بالعقل أو بالشرع فإن وجب بالعقل فيثبت منه الوجوب العقلي، وإن وجب بالشرع فهو باطل، لأن ذلك الشرع إما أن يكون هو ذلك المدعي أو غيره، والأول باطل، ويقول في سببه: "لأنه يرجع حاصل الكلام إلى أن ذلك الرجل يقول: الدليل على أنه يجب قبول قولي أي أقول إنه يجب قبول قولي، أما هذا فإثبات للشيء بنفسه، وإن كان ذلك الشارع غيره كان الكلام فيه كما في الأول: ولنزم إما الدور أو التسلسل وهما محالان".

● ثانيها: "أن الشرع إذا جاء وأوجب بعض الأفعال، وحرم بعضها فلا معنى للإيجاب والتحريم، إلا أن يقول الشارع: لو تركت كذا وفعلت كذا لعاقبتك، ثم يقول حول القول المذكور: إما أن يجب عليه الاحتراز عن العقاب أو لا يجب، فلو لم يجب عليه الاحتراز عن العقاب لم يتقرر معنى الوجوب البتة، وهذا باطل فذاك باطل، وإن وجب عليه الاحتراز عن العقاب، فإما أن يجب بالعقل أو بالسمع، فإن وجب بالعقل فهو المقصود، وإن وجب بالسمع لم يتقرر معنى هذا الوجوب إلا بسبب ترتيب العقاب عليه، وحينئذ يعود التقسيم الأول ويلزم التسلسل وهو محال".

● ثالثها: أن مذهب أهل السنة أنه يجوز من الله تعالى أن يعفو عن العقاب على ترك الواجب وإذا كان كذلك كانت ماهية الوجوب حاصلة مع عدم العقاب، فلم يبق إلا أن نقول: "إن ماهية الواجب إنما تتقرر بسبب حصول الخوف من العقاب، وهذا الخوف حاصل بمحض العقل، فثبت أن ماهية الوجوب إنما تحصل بسبب هذا الخوف، وثبت أن هذا الخوف حاصل بمجرد العقل، فلزم أن يقال: الوجوب حاصل بمحض العقل". يذكر

هنا عليه إشكال وهو: "ماهية الوجوب إنما تتقرر بسبب حصول الخوف من الذم"؟ ثم يُجيب عنه: "إن الله تعالى إذا عفا فقد سقط الذم، فعلى هذا ماهية الوجوب إنما تتقرر بسبب حصول الخوف من الذم وذلك حاصل بمحض العقل، فثبت بهذه الوجوه أن الوجوب العقلي لا يمكن دفعه".⁽¹⁾

ثم يقول الإمام الرازي: بعد أن ثبت ضعف هذا الاستدلال أن في هذه الآية الكريمة قولان: الأول: أن تجري هذه الآية الكريمة على ظاهرها ونقول: أن العقل هو رسول الله إلى الخلق، بل هو الرسول الذي لولاه لما تقررت رسالة أحد من الأنبياء، فالعقل هو الرسول الأصلي، فيكون معنى هذه الآية الكريمة: وما كنا معدّين حتى نبعث رسول العقل. الثاني: أن تُخصّص عموم هذه الآية فنقول: "أن المراد وما كنا معدّين في الأعمال التي لا سبيل إلى معرفة وجوبها إلا بالشرع إلا بعد مجيء الشرع، وتخصيص العموم وإن كان عدولاً عن الظاهر إلا أنه يجب المصير إليه عند قيام الدلائل، وقد بينا قيام الدلائل الثلاثة، على أنها لو تُقينا الوجوب العقلي لزمننا نفس الوجوب الشرعي". في الأخير ذكر الإمام الرازي القول المختار أو القول الراجح حسب رأيه حيث يقول: "ومن المعلوم أن الذي نرتضيه ونذهب إليه أن مجرد العقل سبب في أن يجب علينا فعل ما يُنتفع به، ويُترك ما يتضرر به، أما مجرد العقل لا يدل على أنه يُحبّ على الله تعالى شيء وذلك لأننا مجبولون (جعلت في طبيعتنا) على طلب النفع والاحتراز عن الضرر، فلا جرم كان العقل وحده كافياً في الوجوب في حقنا والله تعالى منزّه عن طلب النفع والهرب من الضرر، فامتنع أن يحكم العقل عليه بوجوب فعل أو ترك فعل".⁽²⁾

استدرك الإمام شهاب الدين الألوسي علي الإمام فخر الدين الرازي في تفسير هذه الآية حيث قال: أن الإمام الرازي ضعف الاستدلال بالآية ثم نقل قوله كما ذكرناه في الفوق وقال: أن الاستدلال بهذه الآية على تقدير تمامه لا يختص بالمعتزلة بل يشاؤهم في ذلك من الأحناف ومن أهل السنة الماتريدية وهكذا عامة مشايخ سمرقند لأنهم وإن لم يقولوا مثل المعتزلة بأنّ العقل حاكم بالحسن والقبح اللذين أثبتوهما جميعاً لكنهم يقولون: "إن العقل آلة للعلم بهما فيخلقه الله جل جلاله عقيب نظر العقل نظراً صحيحاً وأوجبوا الإيمان بالله

(1) يُنظر التفسير الكبير للإمام الرازي، ج 20 ص 312 - 313

(2) يُنظر نفس المصدر، ج 20 ص 313

عز وجل وتعظيمه وحرموه نسبة ما هو شنيع إلى الله سبحانه حتى روي عن الإمام أبي حنيفة رحمه الله تعالى أنه قال: لو لم يعث الله تعالى رسولا لوجب على الخلق معرفته، ثم يقول الإمام الألوسي: وقد صرح غير واحد من علمائهم بأن العقل حجة من حجج الله جل جلاله ويجب الاستدلال به قبل ورود الشرع العلماء احتجوا في ذلك بما أخبر الله تعالى به عن إبراهيم عليه السلام من قوله لأبيه وقومه قول الله تعالى: {إِنِّي أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ}،⁽¹⁾ حيث قال ذلك ولم يقل أوحى إلي، ومن استدلاله بالنجوم ومعرفة الله تعالى بما جعلها حجة على قومه كما قال الله تعالى: {فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْإِفْلَاقَ. فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِعًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ. فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِعَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ}،⁽²⁾ وكذلك كل الأنبياء والرسل عليهم السلام حاجوا قومهم بخروج العقل كما ينبيء عنه قول الله تعالى: {قَالَتْ رَبُّنَا لِمَ آتَى اللَّهُ الْفِرْعَوْنَ الْقَوْمَ عَلَىٰ ذَلِيلٍ مُّبِينٍ}،⁽³⁾ بقول الله تعالى: {وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ}،⁽⁴⁾ فيقول الإمام الألوسي: "أنه لم يقل ومن يدع مع الله إلها آخر بعد ما أوحى إليه أو بلغته الدعوة وبقول الله تعالى خيرا عن أهل النار قول الله تعالى: {وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ الشَّجَرِ}،⁽⁵⁾ حيث قالوا أنهم صاروا في نار جهنم لتركهم الانتفاع والاستفادة بالسمع والعقل". ثم يضيف: "أنهم لو انتفعوا بالعقول في معرفة الصانع قبل ورود الشرع لم يصيروا في النار وبأن الحجج السمعية لم تكن حجة إلا باستدلال عقلي، وبأن دعاء جميع الكفرة إلى دين الإسلام واجب على الأمة، ومن المعلوم أنه لا يحتج على الدهرية بكلام الله تعالى ورسوله ﷺ فلم يبق إلا الحجج العقلية وما إلى ذلك"، ثم يقول: "وحينئذ يقال لهم: لو وجب على الخلق معرفة الله تعالى والإيمان به قبل بعثه رسول ﷺ لزم تعذيب الكافر قبلها لإخبار الله تعالى بأن الله تعالى لا يغفر الشرك كما قال الله تعالى: {إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ

(1) سورة الأنعام، الآية 74

(2) سورة الأنعام، الآيات 76 - 78

(3) سورة إبراهيم، الآية 10

(4) سورة المؤمنون، الآية 117

(5) سورة تلك، الآية 10

بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ} (1) به وقد نفى التعذيب في الآية فلا وجوب ضرورة انتفاء الملزوم بانتفاء اللازم على فتح ما فعل مع المحذرة (2).

التحليل والمناقشة:

خلاصة الكلام: الإمام الألوسي رفع الغموض عن قول الإمام الرازي، وكمل ما نقص منه. قول الإمام الألوسي راجع في هذه القضية. والله أعلم

الاستدراك السابع والستون: قول الله تعالى: {تَسْبِحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ خَلِيمًا غَفُورًا} (3).

يرى الإمام فخر الدين الرازي تفسير هذه الآية هكذا حيث يقول: أن الحى المكلف يُسبح لله تعالى بوجهين، وهي كالتالي: الأول- التسبيح بالقول: كقوله باللسان سبحانه الله وما إلى ذلك. الثاني- التسبيح بالدلالة: أحواله على توحيد الله تعالى وتقديسه وعزته، ثم يقول: فأما الذي لا يكون مكلفاً مثل اليهائم، ومن لا يكون حياً مثل الجمادات فهي إنما تُسبح لله تعالى بالدلالة أي بالطريق الثاني، لأن التسبيح بالقول أي بالطريق الأول لا يحصل إلا مع الفهم والإدراك والعلم والنطق وكل ذلك محال في الجماد، فلم يبق حصول التسبيح في حق الجمادات إلا التسبيح بالدلالة أي بالطريق الثاني. ثم يُضيف: "لو جَوَّزْنَا فِي الْجَمَادِ أَنْ يَكُونَ عَالِمًا مُتَكَلِّمًا لَعَجَّزْنَا عَنِ الِاسْتِدْلَالِ بِكَوْنِ اللَّهِ تَعَالَى عَالِمًا قَادِرًا عَلَى كَوْنِهِ حَيًّا وَحَيْثُ يُفْسَدُ عَلَيْنَا بَابُ الْعِلْمِ بِكَوْنِهِ حَيًّا وَذَلِكَ كُفْرٌ، لِأَنَّهُ يُمْكِنُ أَنْ يُقَالَ: إِذَا جَازَ فِي الْجَمَادَاتِ أَنْ تَكُونَ عَالِمَةٌ بِذَاتِ اللَّهِ تَعَالَى وَصِفَاتِهِ وَتَسْبِّحَهُ مَعَ أَنَّهَا لَيْسَتْ بِأَحْيَاءٍ فَحَيْثُ لَا يَلْزَمُ مِنْ كَوْنِ الشَّيْءِ عَالِمًا قَادِرًا مُتَكَلِّمًا كَوْنَهُ حَيًّا فَلَمْ يَلْزَمْ مِنْ كَوْنِ اللَّهِ تَعَالَى عَالِمًا قَادِرًا كَوْنَهُ حَيًّا وَذَلِكَ جَهْلٌ وَكُفْرٌ، لِأَنَّ مِنَ الْمَعْلُومِ بِالضَّرُورَةِ أَنْ مَنْ لَيْسَ بِحَيٍّ لَمْ يَكُنْ عَالِمًا قَادِرًا مُتَكَلِّمًا، وَقَالَ أَنَّهُ أَطْبَقَ الْعُلَمَاءُ وَالْمُحَقِّقُونَ عَلَى هَذَا الْقَوْلِ"، ثم يقول: أنه قال بعض الناس: "إن

(1) سورة النساء، الآية 48 والآية 116

(2) يُنظر تفسير روح المعاني للإمام الألوسي، ج 8 ص 38

(3) سورة الإسراء، الآية 44

الجمادات وأنواع النبات والحيوان كلها تُسبِّح الله تعالى، واحتجوا على صحة قولهم بأن قالوا: دل هذا النص على كونها مسبحة لله تعالى ولا يمكن تفسير هذا التسبيح بكونها دلائل على كمال قدرة الله تعالى وحكمته لأن الله تعالى قال: {وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ} فهذا يقتضي أن تسبيح هذه الأشياء غير معلوم لنا ودلائلها على وجود قدرة الله وحكمته معلوم، المعلوم مغاير لما هو غير معلوم فدل على أنها تُسبِّح الله تعالى وأن تسبيحها غير معلوم لنا، فوجب أن يكون التسبيح المذكور في هذه الآية مغايراً لكونها دالة على وجود قدرة الله تعالى وحكمته". ثم يُجيب عنه الإمام الرازي في عدة وجوه، كما يلي:

● **الوجه الأول:** "أنك إذا أخذت تفاعاً واحداً فتلک التفاع مركبة من عدد كثير من الأجزاء التي لا تتجزأ، وكل واحد من تلك الأجزاء دليل تام مستقل على وجود الإله، ولكل واحد من تلك الأجزاء التي لا تتجزأ صفات مخصوصة من الطبع والطعم واللون والرائحة والخبز والجهة، واختصاص ذلك الجواهر الفرد بتلك الصفة المعينة من الجائزات فلا يحصل ذلك الاختصاص إلا بتخصيص مخصص قادر حكيم". ثم يُضيف: "فقد ظهر أن كل واحد من أجزاء تلك التفاع دليل تام على وجود الإله وكل صفة من الصفات القائمة بذلك الجزء الواحد فهو أيضاً دليل تام على وجود الإله تعالى، ثم عدد تلك الأجزاء غير معلوم، وأحوال تلك الصفات غير معلومة، فلهذا المعنى قال الله تعالى: {وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ}".

● **الوجه الثاني:** هو أن الكفار والمشركين وإن كانوا يُقرِّون بالاستتاهم بإثبات إله العالم ولكنهم ما كانوا يتدبرون ويتفكرون في أنواع الدلائل، ولهذا المعنى قال الله تعالى: {وَكَايِنٍ مِنْ آيَةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يُمُرُونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ} (1) فيكون المراد من قول الله تعالى: {وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ} هذا المعنى.

● **الوجه الثالث:** أن القوم وإن كانوا معترفين ومقرِّين بالاستتاهم بإثبات إله العالم إلا أنهم ما كانوا عالمين بكمال قدرت الله تعالى ولذلك فإنهم استبعدوا كون الله تعالى قادراً على الحشر والنشر فكان المراد ذلك. قال الله تعالى لنبياً محمد ﷺ: {قُلْ لَوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا

يَقُولُونَ إِذَا لَا يَتَّقُوا إِلَى ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا⁽¹⁾ فهم ما كانوا عالمين بهذا الدليل فلما ذكر هذا الدليل قال: {تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ} فنسبب السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ يشهد بصحة هذا الدليل وقوته وأنتم {لَا تَفْقَهُونَ} هذا الدليل ولا تعرفونه، ثم يُضَيِّفُ: بل نقول إن القوم كانوا غافلين عن أكثر دلائل التوحيد والعدل، والنبوة والمعاد، فكان المراد من قول الله تعالى: {وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ} ذلك، ثم يقول الإمام الرازي: ومما يدل على أن الأمر كما ذكرناه قول الله تعالى: {إِنَّهُ كَانَ خَلِيمًا غَقُورًا} فذكر الخليم والغفور هاهنا يدل على أن كونهم بحيث لا يفقهون ذلك التسبيح جرم عظيم الذي صدر عنهم وهذا إنما يكون جرماً إذا كان المراد من تلك التسبيح كونها دالة على كمال قدرة الله تعالى وحكمته، ثم إنهم لتقلبتهم وجهلهم ما عرفوا وجه دالة تلك الدلائل. أما لو حملنا هذا التسبيح على أن هذه الجمادات تسبح الله بأقوالها وألفاظها لم يكن عدم الفقه لتلك التسيحات جرماً ولا ذنباً، وإذا لم يكن ذلك جرماً ولا ذنباً لم يكن قول الله تعالى: {إِنَّهُ كَانَ خَلِيمًا غَقُورًا} لائقاً بهذا الموضع، يقول الإمام الرازي في الأخير: أن هذا الوجه القوي في تأييد وتصرة القول الذي اخترناه. ومن المعلوم أن القائلين بأن هذه الجمادات والحيوانات تُسَبِّحُ الله تعالى بألفاظها أضافوا إلى كل حيوان نوعاً آخر من التسبيح وقالوا: "إنها إذا ذبحت لم تسبح مع أنهم يقولون إن الجمادات تُسَبِّحُ الله تعالى، فإذا كان كونه جماداً لا يمنع من كونه مُسَبِّحاً، فكيف صار ذبح الحيوان مانعاً له من التسبيح، وقالوا أيضاً: إن غصن أو فرع الشجرة إذا كثر لم يُسَبِّحْ، وإذا كان كونه جماداً لم يمنع من كونه مُسَبِّحاً فكسره كيف يمنع من ذلك، ولكن هذه الكلمات ضعيفة".⁽²⁾

استدرك الشيخ غلام رسول السعدي على الإمام فخر الدين الرازي في تفسير هذه الآية حيث قال: أن نظرية الإمام الرازي تخالف الصريح من الآيات القرآنية والأحاديث الصحيحة، والصحيح أن كُلَّ شَيْءٍ يُسَبِّحُ الله تعالى في الحقيقة ولكن نحن لا نفهم حخداهم وتَسْبِيحَهُمْ على العموم، أما الأنبياء عليهم السلام فيسمعون ويفهمون تسبيح هذه الأشياء

(1) سورة الإسراء، الآية 42

(2) ينظر التفسير الكبير للإمام الرازي، ج 20 ص 347 - 348

إعجازاً من الله تعالى هكذا الصحابة الكرام رضي الله عنهم والأولياء العظام رحمهم الله تعالى، كما يدل عليه الآيات القرآنية والأحاديث الشريف. (1)

التحليل والمناقشة:

نذكر بعض الآيات من القرآن الكريم وبعض الأحاديث التي تدل على التسييح، وهي

كالتالي:

- قول الله تعالى: {إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعُشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ}، (2) قول الله تعالى: {تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًا. أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا}، (3) قول الله تعالى: {وَإِنَّ مِنْهَا لَمَنْ يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ}، (4).
- عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ سَمِعَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ لَهُ: إِنِّي أُرَاكَ تُحِبُّ الْعَنَمَ وَالْبَادِيَةَ، فَمَاذَا كُنْتَ فِي عَنَمِكَ، أَوْ بَادِيَتِكَ، فَأَذْنَبْتَ بِالصَّلَاةِ فَارْتَفَعَ صَوْتُكَ بِالزَّهْدِ، فَإِنَّهُ: "لَا يَسْمَعُ مَدَى صَوْتِ الْمُرْدِينِ، حِينَ وَلَا يُنْسَى وَلَا شَيْءٌ، إِلَّا شَهِدَ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ" (5).
- عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: وَلَقَدْ كُنَّا نَسْمَعُ تَسْبِيحَ الطَّعَامِ وَهُوَ يُؤْكَلُ. (6)
- عَنْ جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "إِنِّي لَأَعْرِفُ عَجْرًا بِمَكَّةَ كَانَ يُسَلِّمُ عَلَيَّ قَبْلَ أَنْ أُبْعَثَ إِنِّي لَأَعْرِفُهُ الْآنَ" (7).
- عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "إِنَّ نَبِيَّ اللَّهِ نُوحًا ﷺ لَمَّا خَضَرْتَهُ الْوَقَاةَ قَالَ لِأَبْنِهِ: إِنِّي قَاصِرٌ عَلَيْكَ الْوَصِيَّةَ: آمُرُكَ بِالتَّسْبِيحِ، وَأَنْهَاكَ عَنِ

(1) يُنظر تفسير تبيان القرآن للشيخ غلام رسول السعدي، ج 6 ص 724 - 725

(2) سورة ص، الآية 18

(3) سورة مريم، الآيتان 90، 91

(4) سورة البقرة، الآية 74

(5) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه، كتاب الأذان، باب رفع الصوت بالنداء، رقم الحديث: 609 ج 1 ص 125

(6) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه، كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام، رقم الحديث: 3579 ج 4

ص 194

(7) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه، كتاب الفضائل، باب فضل نبي الله صلى الله عليه وسلم، وتسلم، وتسلم الحجر

عليه قبل النبوة، رقم الحديث: 2277 ج 4 ص 1784

أَتَتْنِي، أَمْرُكَ بِإِلَهِ إِلَّا اللَّهُ، فَإِنَّ السَّمَوَاتِ السَّبْعَ، وَالْأَرْضِينَ السَّبْعَ، لَوْ وُضِعَتْ فِي كَيْفَةٍ، وَوُضِعَتْ إِلَّا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ فِي كَيْفَةٍ، رَجَحَتْ بِهِنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَلَوْ أَنَّ السَّمَوَاتِ السَّبْعَ، وَالْأَرْضِينَ السَّبْعَ، كُنَّ خَلْقَةً مُبْتَهَمَةً، فَصَمَتَهُنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَمُسَبَّحَانَ اللَّهِ وَتَحْمِيدَهُ، فَإِنَّهَا صَلَاةٌ كُلُّ شَيْءٍ، وَبِمَا يُرْزَقُ الْخَلْقُ... (1)

• عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: "أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِشَيْءٍ أَمَرَ بِهِ نُوحٌ ابْنُهُ؟ إِنَّ نُوحًا قَالَ لِابْنِهِ يَا بُنَيَّ أَمْرُكَ أَنْ تَقُولَ سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَحْمِيدَهُ فَإِنَّهَا صَلَاةُ الْخَلْقِ، وَتَسْبِيحُ الْخَلْقِ، وَبِمَا تُرْزَقُ الْخَلْقُ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى (وَرَأَى مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ). (2)

• عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه، أن للرجل إذا قال: لا إله إلا الله فهي كلمة الإخلاص التي لا يقبل الله من أحد عملاً حتى يقولها، فإذا قال الحمد لله، فهي كلمة الشكر التي لم يشكر الله عبد قط حتى يقولها، فإذا قال الله أكبر، فهي تملأ ما بين السماء والأرض، فإذا قال سبحان الله، فهي صلاة الخلاق التي لم يدع الله أحد من خلقه إلا نوره بالصلاة والتسبيح، فإذا قال لا حول ولا قوة إلا بالله، قال: أسلم عبدي وامسلم. (3)

• عن ابن عباس رضي الله عنه، قال: مرَّ النَّبِيُّ ﷺ بِحَائِطٍ مِنْ حِيطَانِ الْمَدِينَةِ، أَوْ مَكَّةَ، فَسَمِعَ صَوْتِ إِنْثَانَيْنِ يُعَدُّبَانِ فِي قُبُورِهِمَا، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: "يُعَدُّبَانِ، وَمَا يُعَدُّبَانِ فِي كَيْفٍ؟" ثُمَّ قَالَ: بَلَى، كَمَا أَحَدُهُمَا لَا يَسْتَعِيرُ مِنْ بَوْلِهِ، وَكَمَا الْآخَرُ يَمْشِي بِالنَّمِيمَةِ. ثُمَّ دَعَا بِحَرِيدَتِهِ، فَكَسَرَهَا كِسْرَتَيْنِ، فَوَضَعَ عَلَى كُلِّ قَبْرٍ مِنْهُمَا كِسْرَةً، فَقِيلَ لَهُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، لِمَ فَعَلْتَ هَذَا؟ قَالَ: "الْعَلَّةُ أَنْ يُخَفَّفَ عَنْهُمَا مَا لَمْ تَبَيِّنَا أَوْ: إِلَى أَنْ يَبَيِّنَا". (4)

(1) أخرجه الإمام أحمد في مسنده، مسند المكثبين من الصحابة رضي الله عنهم، مسند عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما، رقم الحديث: 6583 ج 11 ص 150

(2) تفسير جامع البيان في تأويل القرآن للإمام الطبري، ج 17 ص 455

(3) تفسير نفس المصدر، ج 17 ص 456

(4) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه، كتاب الوضوء، باب: من الكبار أن لا يستعر من بولِهِ، رقم الحديث: 216 ج 1 ص 53

الإمام القرطبي يقول بعد ذكر الحديث المذكور: فقول النبي ﷺ "ما لم ييسا" إشارة إلى أنهما ما دامتا رطبين يُسبِحان، فإذا يسا صارا جمادا. وروى الإمام الطيالسي: فتوضع على أحدهما نصفاً وعلى الآخر نصفاً وقال: "لعله أن يهون عليهما العذاب ما دام فيهما من بلوئهما شيء". ثم يقول الإمام القرطبي أن العلماء قالوا: "ويستفاد من هذا غرس الأشجار وقراءة القرآن الكريم على القبور، وإذا خفف عنهم بالأشجار فكيف بقراءة الرجل للمؤمن القرآن الكريم. وأنه يصل إلى الميت ثواب ما يؤدي إليه".⁽¹⁾ الإمام الزعزعي يقول: "أن المراد منه أنها تسيح له بلسان الحال، حيث تدل على الصانع وعلى قدرته وحكمته، فكأنها تنطلق بذلك، وكأنها تنزه الله تعالى عما لا يجوز عليه من الشركاء وغيرها".⁽²⁾

قال الإمام ابن حجر في شرح هذا الحديث: "هو محمول على أنه دعا لها بالتخفيف مدة بقاء التداوة لا أن في الجريدة معنى يخصه ولا أن في الرطب معنى ليس في اليابس، وقد قيل إن المعنى فيه أنه يُسبِح ما دام رطبا فيحصل التخفيف ببركة التسيح وعلى هذا فيطرد في كل ما فيه رطوبة من الأشجار وغيرها وكذلك فيما فيه بركة كالذكر وتلاوة القرآن الكريم من باب الأولى".⁽³⁾ يقول العلامة بدر الدين العيني⁽⁴⁾ في شرحه: "يحتمل أن النبي ﷺ يدعو لها تلك المدة، وأيضاً قيل: لكونهما يُسبِحان ما دامتا رطبتين وليس لليابس بتسيح، وقالوا: أن المراد منه وإن من شيء حي، ثم حياة كل شيء بحسبه، فحياة الخشب ما لم يتبس وحياة الحجر ما لم يقطع، قال العلماء المحققون: "أنه على عموم، ولكن اختلفوا في أنه هل يُسبِح حقيقة أم فيه

(1) تفسير الجامع لأحكام القرآن للإمام القرطبي، ج 10 ص 267

(2) تفسير الكشاف للإمام الزعزعي، ج 2 ص 669 - 670

(3) فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن حجر الصقلاني، ج 1 ص 320 الناشر: دار المعرفة، بيروت، 1379هـ. رقم كته واپوابه واحداً: محمد فؤاد عبد الباقي، تمام بإخراجه وصححه وأشرف على طبعه: محب الدين الخطيب. عليه تعليقات العلامة: عبد العزيز بن عبد الله بن باز، عدد الأجزاء: 13 يُنظر تفسير تبيان القرآن للشيخ غلام رسول السعدي، ج 6 ص 724 - 725

(4) هو محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد، أبو محمد، بدر الدين العيني الحنفي (762 - 855هـ الموافق 1361 - 1451م): مؤرخ، علامة، من كبار المحتسبين. أصله من حلب ومولده في وول في القضاة الحنابلة ونظر السجون وتقرّب من الملك المؤيد، وعكف على التدريس والتصنيف. من كتبه: عمدة القاري في شرح البخاري، مغاني الأخبار في رجال معاني الآثار، تاريخ البدر في أوصاف أهل العصر، البداية في شرح الهداية ... يُنظر الأعلام للزركلي، ج

دلالة على الصانع، فيكون مُسَبَّحاً قَنَزُهَا بصورة حاله، وأهل التحقيق على أنه يُسَبَّح حقيقة، وإذا كان العقل لا يحيل جعل التمييز فيها وجاء النهر به، وجب المصير إليه". ثم يقول الإمام العيني: "واستحب العلماء قراءة القرآن الكريم عند القبر لهذا الحديث، لأنه إذا كان يرجى التخفيف لتسبيح الجريد، فتلاوة القرآن الكريم أولى". ثم يذكر السؤال: "ما الحكمة في كونها ما داما رطبين يمنعان العذاب، بعد دعوى العموم في تسبيح كل شيء؟" وأجاب عنه: "يمكن أن يكون معرفة هذا كمعرفة عدد الزبانية في أن الله تعالى هو المختص بها".⁽¹⁾

الإمام ابن الجوزي يقول: وَإِنَّ بِمَعْنَى "مَا" فِي هَذِهِ الْآيَةِ. ثُمَّ يَذْكُرُ السُّؤَالَ حَيْثُ يَقُولُ: وَهَلْ هَذَا عَلَى إِطْلَاقِهِ، أَمْ لَا؟ وَيُجِيبُ عَنْهُ: أَنَّ فِيهِ قَوْلَيْنِ، وَيَذْكُرُهُ فِيمَا يَلِي: الْقَوْلُ الْأَوَّلُ: قَالَ إِبْرَاهِيمُ النَّخَعِيُّ: أَنَّهُ عَلَى إِطْلَاقِهِ، فَكُلُّ شَيْءٍ يَسْتَبِيحُهُ حَتَّى الثُّوبُ وَالطَّعَامُ وَصَرِيرُ الْبَابِ. الْقَوْلُ الثَّانِي: أَنَّهُ عَامٌّ يَرَادُ بِهِ الْخَاصُّ. وَذَكَرَ الْإِمَامُ ابْنَ الْجَوْزِيِّ فِيهِ ثَلَاثَةَ أَقْوَالٍ: الْأَوَّلُ: قَالَ الْحَسَنُ، وَقَتَادَةَ وَالضَّحَّاكُ: أَنَّهُ كُلُّ شَيْءٍ فِيهِ الرُّوحُ. الثَّانِي: "أَنَّهُ كُلُّ ذِي رُوحٍ، وَكُلُّ نَامٍ مِنْ شَجَرٍ أَوْ نَبَاتٍ، قَالَ عِكْرَمَةُ: الشَّجَرَةُ تَسْبِيحٌ، وَالْأَسْطُوَانَةُ لَا تَسْبِيحٌ وَجَلَسَ الْحَسَنُ عَلَى طَعَامٍ فَقَدِمُوا الْحَيَّوَانَ، فَقِيلَ لَهُ: أَيْسَبِيحُ هَذَا الْحَيَّوَانُ؟، فَقَالَ: قَدْ كَانَ يَسْبِيحُ مَرَّةً". الثَّلَاثُ: أَنَّهُ كُلُّ شَيْءٍ لَمْ يَفْتَرِ عَنْ حَالِهِ، فَإِذَا تَغَيَّرَ انْقَطَعَ تَسْبِيحُهُ، وَقَدْ رُوِيَ عَنِ الْمُقَدِّمِ بْنِ مَعْدِيكَرِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: "إِنَّ التُّرَابَ لَيْسَبِيحٌ مَا لَمْ يَتَلَّ، فَإِذَا اجْتَلَّ تَرَكَ التَّسْبِيحَ، وَإِنَّ الْوَرَقَةَ تَسْبِيحٌ مَا دَامَتْ عَلَى الشَّجَرَةِ، فَإِذَا سَقَطَتْ تَرَكَتِ التَّسْبِيحَ، وَإِنَّ الثُّوبَ لَيْسَبِيحٌ مَا دَامَ جَدِيدًا، فَإِذَا تَوَسَّخَ تَرَكَ التَّسْبِيحَ. فَأَمَّا تَسْبِيحُ الْحَيَّوَانِ النَّاطِقِ، فَمَعْلُومٌ، وَتَسْبِيحُ الْحَيَّوَانِ غَيْرِ النَّاطِقِ، فَجَائِزٌ أَنْ يَكُونَ بِصَوْتِهِ، وَجَائِزٌ أَنْ يَكُونَ بِدَلَالَتِهِ عَلَى صَانِعِهِ".

ومن المعلوم أنه ذكر الإمام ابن الجوزي في تسبيح الجمادات ثلاثة أقوال: القول الأول: أنه تسبيح لا يعلمه إلا الله عز وجل. القول الثاني: أنه خضوعه وخشوعه لله سبحانه وتعالى. القول الثالث: أنه تدل على صانعه، ويوجب ذلك تسبيح مُبْصِرِهِ. ثم يقول: "فإن قلنا:

(1) عمدة القاري شرح صحيح البخاري لسائر للدين العيني، ج 3 ص 117 الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت. عدد الأجزاء: 25 × 12 يُنظر تفسير بيان القرآن للشيخ غلام رسول السعدي، ج 6 ص 724 - 725

إنه تسبيح حقيقة، كان قول الله تعالى: {وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ} (1) لجميع الخلق وإن قلنا: إنه دلالة على صانعه، كان الخطاب للكفار، لأنهم لا يستدلون، ولا يعترفون. (2)

الإمام البيضاوي يقول: "أي ينزه الله تعالى عما هو من لوازم الإمكان وتوابع الحدوث بلسان الحال حيث تدل بإمكانها وحدوثها على الصانع القديم الواجب لذاته". ويقول في قول الله تعالى: {وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ}: أيها المشركون لإخلالكم بالنظر الصحيح الذي به يفهم تسبيحهم، ويجوز أن يحمل التسبيح على المشترك بين اللفظ والدلالة لإسناده إلى ما يتصور منه اللفظ وإلى ما لا يتصور منه وعليهما عند من جوز إطلاق اللفظ على معنيه. (3) الإمام أبو السعود يقول في تفسيره: "أن المراد بالتسبيح معنى منتظم لما ينطق به لسان المقال ولسان الحال بطريق عموم المجاز، وقول الله تعالى: {وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ} من الأشياء حيواناً كان أو نباتاً أو جماداً قول الله تعالى: {إِلَّا يُسَبِّحُ} ملتبساً قول الله تعالى: {يُحَمِّدُوهُ} أي ينزه الله تعالى بلسان الحال عما لا يليق بذاته الأقدس من لوازم الإمكان ولواحق الحدوث إذ ما من موجود إلا وهو بإمكانه وحدوثه بذل دلالة واضحة على أن له صانعاً عليمًا قادراً حكيمًا واجباً لذاته قطعاً للسلسلة. (4)

الإمام الحازن ذكر في تفسير هذه الآية قولان، وهي كالتالي:

- **القول الأول:** قول الله تعالى: {تُسَبِّحُ لَهُ} الملائكة والإنس والجن {وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ}، ثم ذكر فيه عدة أقوال: قال ابن عباس رضي الله عنه: في قول الله تعالى: {وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ حَتَّىٰ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ} جميع الحيوانات والنباتات. (5) "إن التراب يسبح ما لم يتقل، فإذا ابتل ترك التسبيح، وإن الخرزة تسبح ما لم ترفع من موضعها، فإذا رفعت تركت التسبيح. وإن الورقة تسبح ما دامت على الشجرة، فإذا سقطت تركت التسبيح، وإن الماء يسبح ما دام جارياً فإذا ركد ترك التسبيح وإن الثوب يسبح مادام جليداً فإذا اتسخ ترك التسبيح وإن الوحش والطير لتسبح إذا صاحت، فإذا

(1) سورة الإسراء، الآية 44

(2) تفسير زاد المسير للإمام ابن الجوزي، ج 3 ص 26 - 27

(3) تفسير أنوار التنزيل وأسرار التأويل للإمام البيضاوي، ج 3 ص 255 - 256

(4) تفسير إرشاد العقل السليم للإمام أبي السعود، ج 5 ص 175

(5) تفسير معالم التنزيل في تفسير القرآن للإمام البهوي، ج 3 ص 136

سكنت تركت التسييح وإن من شيء جماد أو حيّ إلا يُسَبَّح بحمده حتى صرير الباب ونقيض السقف" ، ... عَنِ ابْنِ عُثْمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، "كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُحْتَضِرُ إِلَى جِدْعٍ، فَلَمَّا أَخَذَ الْمُفْتِرَ مَحْوُلًا إِلَيْهِ فَحَنَّ الْجِدْعُ فَأَنَاهُ فَتَسَبَّحَ بِدَعْوَةِ عَلَيْهِ" (1) وفي رواية: "فنزله فاحتضنه ومآزه بشيء" ، ففي هذه الأحاديث دليل على أن الجماد يتكلم وأنه يُسَبَّح.

● **القول الثاني:** قال بعض من أهل المعاني: "أن تسييح السموات والأرض، والجمادات والحيوانات سوى العقلاء بلسان الحال، بحيث تدل على الصانع وقدرته ولطيف حكمته فكأنها تنطق بذلك، وبصير لما بمنزلة التسييح". ثم يقول الإمام الخازن: "القول الأول أصح لأن الأحاديث تدل عليه، وأنه منقول عن السلف. ومن المعلوم أن الله تعالى علما في الجمادات ما لا يقف عليه غيره فينبغي أن تكيل علمه إليه" (2).

الشيخ ابن عاشور يقول: "أي يُسَبَّح له العوالم وما فيها وتنزيهه عن النقائص. ولما أسند التسييح إلى كثير من الأشياء التي لا تنطق دل على أنه مستعمل في الدلالة على التنزيه بدلالة الحال، وهو معنى قول الله تعالى: {وَلَكِنَّ لَأُفَقِّهُونَ تَمْسِيحَهُمْ} حيث أعرضوا عن النظر فيها فلم يهتموا إلى ما يحف بها من الدلالة على تنزيهه عن كل ما نسبوه من الأحوال المنافية للإلمية" (3) الإمام الشوكاني يقول: قد أخرج الله تعالى عن السموات والأرض بأنها تُسَبَّحُ، وكذلك من فيها من مخلوقاته الذين لهم عقول، وهم الملائكة والإنس والجن وغيرهم من الأشياء التي لا تعقل، ثم زاد ذلك تعميما وتأكيدا فقال الله تعالى: {وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ} فشمل كل ما يسمى شيئا كائنا ما كان، وقيل: إنه يُجْمَلُ قول الله تعالى: {تَسَبَّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ} على الملائكة والثقلين، ويجمل قول الله تعالى: {وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ} على ما عدا ذلك من المخلوقات. ثم ذكر الإمام الشوكاني في هذا العموم هل هو مخصوص أم لا؟ عدة أقوال لأنه اختلف العلماء فيه، وهي: القول الأول: "ليس بمخصوص، وحملوا التسييح على تسييح الدلالة لأن كل مخلوق يشهد على نفسه ويدل غيره بأن الله تعالى خالق قادر". القول الثاني: هذا التسييح على

(1) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه، باب علامات النبوة في الإسلام، رقم الحديث: 3583 ج 4 ص 195

(2) تفسير لياق التأويل في معاني التنزيل للإمام الخازن، ج 3 ص 131 - 132

(3) تفسير التحرير والتوير للشيخ ابن عاشور، ج 15 ص 114

حقيقته والعموم علي ظاهره والمراد منه أن كل المخلوقات تُسبِّح لله تعالى هذا التسييح الذي معناه التنزيه، وإن كان الإنسان لا يسمعون ذلك ولا يفهمونه، ويؤيد هذا قول الله تعالى: {وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ} فإنه لو كان المراد تسييح الدلالة لكان أمراً مفهوماً لكل أحد. وأجيب بأن المراد بقول الله تعالى: {لَا تَفْقَهُونَ} الكفار الذين يعرضون عن الاعتبار. القول الثالث: "إن هذا العموم مخصوص بالملائكة والثقلين دون الجمادات". القول الرابع: إن هذا العموم مخصوص خاص بالأجسام النامية فيدخل النباتات، كما روي هذا القول عن عكرمة والحسن، وخصاً تسييح النباتات بوقت نموها لا بعد قطعها، وقد استدل لذلك بحديث قيرين. قول الله تعالى: {إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحُنَّ بِالْعَدْبِيِّ وَالْإِشْرَاقِي} (1) وقول الله تعالى: {وَأَنَّ مِنْهَا لَمَّا تَهَيَّطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ} (2)، وقول الله تعالى: {وَتَجْرُ الْجِبَالُ هَذَا} ونحو ذلك من الآيات، وثبت في الصحيح أنهم كانوا يسمعون تسييح الطعام، وهم يأكلون مع رسول الله ﷺ، وهكذا حديث حنين الجذع، وحديث: "أن حجراً بمكة كان يسلم علي النبي ﷺ"، وكلها في الصحيح، ومن ذلك تسييح الحصى في كفه ﷺ، يقول الإمام الشوكاني في الأخير: "ومدافعة عموم هذه الآية الكريمة بمجرد الاستبعادات ليس دأب من يؤمن بالله تعالى ويؤمن بما جاء من عنده". (3)

الإمام الألوسي يقول: أن المراد من التسييح الدلالة بلسان الحال أي تدل بإمكانها وحدوثها دلالة واضحة علي وجوب وجود الله تعالى ووحدته وتنزهه وقدرته من لوازم الإمكان وتوابع الحدوث كما يدل الأثر علي مؤثره ففي الكلام استعارة تبعية كما في تطلعت الحال. ثم يقول: "وجوز أن يُعتبر فيه استعارة تمثيلية ولا يأتي حمل التسييح علي ذلك قول الله تعالى: {وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ} بناء علي أن كثيراً من العقلاء فهم تلك الدلالة لما أن الخطاب للمشركين والكفرة لا للناس علي العموم لأنه تقدم ذكر قبائلهم من نسبتهم إلى الله تعالى شأنه ما لا يليق بحلاله فإن الله سبحانه وصف ذاته بالتنزه عنه وبالغ فيه ما بالغ ثم عقبه بما ذكر دلالة علي أن كل الأكوان شاهدة بتلك التنزه مبالغة علي مبالغة فلو كان الخطاب مع

(1) سورة ص، الآية 18

(2) سورة البقرة، الآية 74

(3) يُظهر تفسير فتح القدير للإمام الشوكاني، ج 3 ص 274

غير هؤلاء المنكرين وأطراهم لم يتلاءم الكلام ويخرج عن النظام". ثم يقول: "وجوز أن يراد بالتسييح الدلالة على تنزيه الله تعالى عن لوازم الإمكان وتوابع الحدوث مطلقا سواء كانت حالبة أو مقالية على أنه من عموم الجواز أو بالجمع بين المعنى الحقيقي والمجازي على رأي من يجوزه فتسييح بعض قبالي وتسييح بعض آخر حالي". ثم يُضيف: "وتعقبه بأنه لا يلائمه لا تُفْقَهُونَ لأن من ذلك التسييح ما يفقهه المشركون وغيرهم وهو التسييح القبالي. وأجيب بأن المشركين لعدم تدبيرهم له وانقطاعهم به كان فهمهم بمنزلة العدم أو أنهم لعدم فهمهم بعض المراد من التسييح جعلوا ممن لا يفهم الجميع تغليباً".

ثم يقول الإمام الألوسي: أنه قال بعض الظاهرية وارتضاه الإمام الواغب وقال الإمام الحازن إنه الأصح على أن التسييح على معناه الحقيقي فالكل يسبح بلسان القال حتى الجمادات،⁽¹⁾ ثم تكلم عن ما قاله به الإمام الرازي ونقده حيث يقول: "أنه لم يرتض ذلك لأن هذا التسييح لا يحصل إلا مع العلم وهو مما لا يتصور في الجماد لفقد شرطه العقلي وهو الحياة ولو لم يكن ذلك شرطا عقليا لانسد باب العلم بكون الله تعالى حياً وأيضاً التذليل السابق يأتي ذلك لدلالته على أن عدم فقه التسييح المذكور جرم ولا شك أن عدم فقه تسييح الجمادات بالفاظها ليس يجرم وإنما الجرم عدم فقه دلالتها للفلة، وقصور النظر ومن تبيح الأحاديث والآثار رأى فيها ما يشهد بما ذهب إليه هذا البعض شهادة لا تكاد تقبل التأويل".

يذكر الإمام الألوسي عدة أحاديث والآثار مستدلاً به، وهي كالتالي:

- فقد صحح سماع تسييح الحصا في كَفِّ النبي ﷺ.⁽²⁾
- عن أنس رضي الله عنه قال: أتى رسول الله ﷺ بطعام ثريد فقال: إن هذا الطعام يُسبح فقالوا: يا رسول الله ﷺ وتفقه تسييحه؟ قال: نعم ثم قال لرجل أدن هذه القصعة من هذا الرجل فأدناها فقال: نعم يا رسول الله ﷺ هذا الطعام يُسبح فقال: أدنها من آخر فأدناها منه فقال: يا رسول الله ﷺ هذا الطعام يسبح ثم قال: ردها فقال

(1) يُنظر تفسير روح المعاني للإمام الألوسي، ج 8 ص 80

(2) المعجم الأوسط للإمام الطبراني، باب: من اسمه عثمان، رقم الحديث: 3716 ج 4 ص 104 وشنن الكوري

للإمام البيهقي، رقم الحديث: 19382 ج 9 ص 534

رجل: يا رسول الله ﷺ لو أمرت على القوم جميعاً فقال: لا إنها لو سكنت عند رجل لقالوا: من ذنب ردها فردّها. (1)

• عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: كنا أصحاب محمد ﷺ نعد الآيات بركة وأنتم تعدونها تحويفاً بينما نحن مع رسول الله ﷺ ليس معنا ماء فقال لنا: اطلبوا من معه فضل ماء فأتى بماء فوضعه في إناء ثم وضع يده فيه فجعل الماء يخرج من بين أصابعه ثم قال: حي على الطهور المبارك والبركة من الله تعالى فشرينا منه قال عبد الله: كنا نسمع صوت الماء وتسميحه وهو يشرب. (2)

• عن ابن عمر رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: إن نوحاً عليه السلام لما حضرته الوفاة قال لابنيه: أمر كما سبحان الله وبمحمد فإمّا صلاة كل شيء وبها يرزق كل شيء. (3)

• عن سهل بن معاذ عن أبيه عن رسول الله ﷺ أنه مرّ على قوم وهم وقوف على دوابّ لهم وزواجل، فقال لهم: "ارْكَبُوهَا سَالِمَةً، وَدَعُوهَا سَالِمَةً، وَلَا تَتَّخِلُوهَا كَرْبِيسِي لِأَحْبَابِكُمْ فِي الطَّرِيقِ، وَالْأَسْوَأُ قَرِيبٌ مَرْكُوبَةٌ خَيْرٌ مِنْ رَاكِبِهَا، وَأَكْثَرُ ذِكْرًا لِلَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى مِنْهُ". (4)

• عن ابن عمر رضي الله عنه قال: "تَهَى النَّبِيُّ ﷺ، عَنْ قَتْلِ الضَّمْدَعِ، وَقَالَ: إِنَّ نَقِيبَهَا تَسْبِيحٌ". (5)

(1) تفسير البدر المنثور للإمام السيوطي، ج 5 ص 295

(2) مسند ابن أبي شيبة لابي بكر بن ابي شيبة (التلويق: 235هـ)، ج 1 ص 247 المحقق: عادل بن يوسف العزازي و أحمد بن محمد الزبيدي. الناشر: دار الوطن، الرياض. الطبعة: الأولى، 1997م. عدد الأجزاء: 2 ومصنف ابن أبي شيبة، رقم الحديث: 31722 ج 6 ص 316 تفسير البدر المنثور للإمام السيوطي، ج 5 ص 294

(3) المستدرک علی الصحیحین لابی عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله (التلويق: 405هـ)، رقم الحديث: 154 ج 1 ص 112 تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت. الطبعة: الأولى 1411هـ الموافق 1990م. عدد الأجزاء: 4 تفسير القرآن العظيم للإمام ابن كثير، ج 5 ص 80 واخرجه الإمام أحمد بن حنبل في مسنده، رقم الحديث: 7101 ج 11 ص 670

(4) المخرجه الإمام أحمد في مسنده، رقم الحديث: 15629 ج 24 ص 392

(5) تفسير القرآن العظيم للإمام ابن كثير، ج 3 ص 200

• عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: ظنَّ داود عليه السلام في نفسه أن أحدا لم يمدح خالقه بما مدحه وإن ملكا نزل وهو قاعد في المحراب والبركة إلى جانبه فقال يا داود أفهم إلى ما تصوت به الضفدع فأنصت داود فإذا الضفدع تمدحه بمدحه لم يمدحه بما فقال له الملك: كيف ترى يا داود أفهمت ما قالت؟ قال: نعم قال: ماذا قالت؟ قالت: قال سبحانه وبمحمدك منتهى علمك يا رب قال داود: لا والذي جعلني نبيه إن لم أمدحه بهذا. (1)

• عن شهر بن حوشب: أن داود عليه السلام أتى البحر في ساعة فصلّى فنادته ضفدعة يا داود إنك حدثت نفسك أنك قد سبحت في ساعة ليس يذكر الله تعالى فيها غيرك وإني في سبعين ألف ضفدع كلها قائمة على رجل تُسبح الله تعالى وتُقدسه. (2)

• حدثنا أبو حمزة ثابت ابن أبي صفية، قال: كنا مع علي بن الحسين جُلوساً في مسجد رسول الله ﷺ فمرَّ بنا عصفيرٌ يصيح، فقال علي بن الحسين رضي الله عنهما: أتدرون ما تقول هذو العصفير؟ قلنا: لا، قال: أما إنني ما أقول إننا نعلم الغيب، ولكن سمعتُ أبي يقول: سمعتُ أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه، يقول: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: "إن الطير إذا أصيحت سبحت ربها، وسألتها فوث يؤمها"، وإن هذو تسبح ربها، وتساله فوث يؤمها. (3)

• وأخرج ابن راهويه في مسنده عن الزهري قال: أتى أبو بكر الصديق رضي الله عنه بغراب واقف الجناحين فقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ما صيد صويد ولا عضدت عضاه ولا قطعت وشبهة إلا بقلة التنسيح. (4)

(1) تفسير الدر المنثور للإمام السيوطي، ج 5 ص 292

(2) نفس المصدر، ج 5 ص 293

(3) تاريخ بغداد للخطيب البغدادي (التلويح: 463هـ)، ج 12 ص 389. المحقق: الدكتور بشار عواد معروف الناشر: دار الغرب الإسلامي، بيروت. الطبعة: الأولى، 1422هـ الموافق 2002م، عدد الأجزاء: 16

(4) أخرجه الإمام جلال الدين السيوطي (التلويح: 911هـ) في كتابه الجامع الصغير: رقم الحديث: 11873 ج 1 ص 11873 وقال الصنعاني: رمزاً للمصنف لضغطه فيما قوبل علي خطه، وقال الشارح: إنه رمز لحسنه وليس بصواب لأن فيه محمد بن عبد الرحمن القشيري أورده النعماني في الضعفاء وقد لا يُعرف ثم قال: بل هو كتاب. يُنظر التصوير شرح الجامع الصغير للإمام الصنعاني، (التلويح: 1182هـ) المحقق: د. محمد إسحاق محمد إبراهيم الناشر: مكتبة دار السلام،

- عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: مَا صَيِّدٌ مِنْ صَيِّدٍ وَلَا فُطْعٌ مِنْ شَجَرٍ إِلَّا يَتَضَيِّعُهُ التَّسْبِيحُ. (1)
- عن الحسن رضي الله عنه: لولا ما غم عليكم من تسبيح ما معكم من البيوت ما تقاررتم. (2)
- عن لوط بن أبي لوط قال: "بلغني أن تسبيح سماء الدنيا سبحان ربي الأعلى، والثاني سبحانه وتعالى، والثالثة سبحانه وبحمده، والرابعة سبحانه لا حول ولا قوة إلا به، والخامسة سبحان محيي الموتى وهو على كل شيء قدير، والسادسة سبحان الملك القدوس، والسابعة سبحان الذي ملأ السموات السبع والأرضين السبع عزة ووقاراً". (3)

ثم يقول الإمام الألوسي: "إلى ما لا يكاد يخصص من الأخبار والآثار وهي مجموعها متعاضدة في الدلالة على أن التسبيح ليلي كما لا يخفى وهو مذهب الصوفية، وذكروا أن السالك عند وصوله إلى بعض المقامات يسمع تسبيح الأشياء بلغات شتى". عن ابن شوذب قال: جلس الحسن مع أصحابه على مائدة فقال بعضهم: هذه المائدة تسبح الآن فقال الحسن: كلا إنما ذاك كل شيء على أصله. (4) عن السدي أنه قال: ما من شيء على أصله الأول لم يموت إلا وهو يسبح بحمد الله تعالى، ولعله أراد بالموت خروجه عن أصله الأول. عن قتادة أنه قال في الآية: كل شيء فيه الروح يسبح من شجرة، (5) وكون الشجرة ذات روح مبني

الرياضة الطبعة: الأولى، 1432هـ 2011م. عدد الأجزاء: 11 وأخرجه الإمام ابن حجر في المطالب العالمة بزوائد المسانيد الثمانية، ج 14 ص 116 وقال: هذا معضل أو مرسل، والحكم ضعيف. وأورده للنفسي الهندي في كنز العمال، ج 1 ص 445 وقال: سنده ضعيف جداً.

- (1) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء لأبي نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني (المتوفى: 430هـ) الناشر: السعادة، بحوار محافظة مصر، 1394هـ الموافق 1974م. ثم صورتها عدة دور منها 1 - دار الكتاب العربي، بيروت. 2 - دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت 3 - دار الكتب العلمية، بيروت. (طبعة 1409هـ بدون تحقيق) عدد الأجزاء: 10 ج 7 ص 240
- (2) تفسير النور المنشور للإمام السيوطي، ج 4 ص 294
- (3) نفس المصدر، ج 5 ص 289
- (4) نفس المصدر، ج 5 ص 291

(5) تفسير جامع البيان في تأويل القرآن للإمام الطبري، ج 17 ص 456

على قول الناس فيها إذا بيست ماتت، واستثنى بعضهم بعض الحيوانات من عموم كل شيء لما أخرجه أبو الشيخ عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال كل شيء يسبح إلا الحمار والكلب. (1) ثم يقول: ولا أرى لاستثناء ما ذكر وجها وفي القلب من صحة الرواية عن الخبر شيء، وكذا للتقييد بعد أن لم تكن الجمادية مانعة عن التسييح والأخبار الظاهرة في عدم التقييد أكثر، ولا أظن أن لما يخالفها امتيازاً عليها في الصحة. الإمام الألوسي يُشير إلى قول الإمام الرازي فيقول: ويشكل على هذا القول ما تقدم عن الإمام الرازي من إباء التذليل عنه وعدم وجود العلم الذي يستدعيه التسييح القالي في الجمادات، وتقضى بعضهم عن هذا بالإنزاح أن لكل شيء حياة وعلم لا يقين به ولا يطلع على حقيقة ذلك إلا الله تعالى اللطيف الخبير فكل ما في العالم عند هذا الملتزم حي عالم لكنه متفاوت المراتب في العلم والحياة. (2) خلاصة الكلام: رأينا أن أقوال العلماء تختلف في هذه القضية ولكن أكثر العلماء يقولون أن تسييح الجماد كما يمكن بالحال هكذا يمكن بالقال والذي أميل إليه هو قول الإمام الرازي. والله أعلم

الاستدراك الثامن والستون: قول الله تعالى: {إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ وَكَفَى بِرَبِّكَ وَكِيلًا}. (3)

يرى الإمام فخر الدين الرازي تفسير هذه الآية هكذا حيث قال: أن هذه الآية الكريمة تدل على أن المعصوم من عصمه الله تعالى وأن البشر لا يمكنه أن يحترز بنفسه عن مواقع الضلالة، لأنه لو كان الإقدام على الحق وهكذا الإحجام عن الباطل يحصل لبني آدم من نفسه لوجب أن يقال: "وكفى الإنسان نفسه في الاحتراز عن الشيطان"، ولكن لما لم يقل ذلك بل قال الله تعالى: {وَكَفَى بِرَبِّكَ} فنعرف منه أن الكل من الله عز وجل، ثم يقول الإمام الرازي ولهذا السبب قال العلماء المحققون: "لا حول عن معصية الله تعالى إلا بمعصية الله تعالى، ولا قوة على طاعة الله تعالى إلا بتوفيق الله تعالى". ثم ذكر في هذه الآية الكريمة

(1) تفسير الدر المشهور للإمام السيوطي، ج 5 ص 291

(2) يُنظر تفسير روح المعاني للإمام الألوسي، ج 8 ص 81 - 82

(3) سورة الإسراء، الآية 65

اشكالاً: أن إبليس عليه اللعنة هل كان عالماً بأن الذي تكلم معه بقول الله تعالى: ﴿وَاسْتَفْزِرْ مَنِ اسْتَفْزَعَتْ مِنْهُمْ﴾ (1) هو إله العالم أو لم يعلم ذلك؟ فإن علم ذلك ثم إن الله تعالى قال: ﴿فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَاءُكُمْ جَزَاءً مَوْفُورًا﴾ (2) فكيف لم يصير هذا الوعيد الشديد مانعاً له من المعصية والسوية مع أنه سمعه من الله جل جلاله من غير واسطة؟ وإن لم يعلم أن هذا القائل هو إله العالم، فكيف قال الله تعالى: ﴿أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرِهْتَ عَلَى﴾ (3) الإمام الرازي يُجيب عن الإشكال المذكور: "لعلّ إبليس كان شاكاً في الكل أو كان يقول في كل قسم ما يخطر بباله على سبيل الظن". (4)

استدرك الإمام شهاب الدين الألوسي على الإمام فخر الدين الرازي في تفسير هذه الآية حيث قال بعد نقل سؤاله وجوابه: الحق فيه أن إبليس كان جازماً ومتيقناً بأن الذي تكلم معه بقول الله تعالى: ﴿وَاسْتَفْزِرْ مَنِ اسْتَفْزَعَتْ مِنْهُمْ﴾ هو إله العالم جل جلاله إلا أنه غلبت عليه شقوته التي استعدت لها ذاته فلم يصير الوعيد مانعاً له، ولذا حين تنصب لهلاكه الجبال. إذا جاء وقت إبليس ويعاين من العذاب ما يعاين وتضيق عليه الأرض بما رحبت فيقال له: اسجد اليوم لآدم عليه السلام لتتجو لا يسجد ويقول: لم أسجد له حياً فكيف أسجد له ميتاً كما ورد في بعض الآثار، الإمام الألوسي يُضيف بعده: وليس هذا بأعجب من حال الكفار الذين يعذبون يوم القيامة أشد العذاب على كفرهم ويطلبون العود ليؤمنوا حيث أخبر الله تعالى بأهم كما قال الله تعالى: ﴿وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ﴾ (5) ثم يذكر الإمام الألوسي احتمال آخر حيث يقول: إن اللعين مع هذا الوعيد له أمل بالنجاة، فقد جاء في الحكاية أن الإمام عبد الله التستري: سأل الله تعالى أن يُريه إبليس فرآه فسأله هل تطمع في رحمة الله تعالى؟ فقال: كيف لا أطمع فيها وقد قال الله تعالى: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ (6) وأنا شيء من الأشياء، فقال الإمام التستري: وبلك إن الله عز وجل قيده في

(1) سورة الإسراء، الآية 64

(2) سورة الإسراء، الآية 63

(3) سورة الإسراء، الآية 62

(4) يُنظر التفسير الكبير للإمام الرازي، ج 21 ص 370

(5) سورة الأنعام، الآية 28

(6) سورة الأعراف، الآية 156

آخر الآية الكريمة، فقال إبليس له: وبمك ما أجهلك القيد لك لا له. يقول الإمام الألوسي في الأخير: "لعل إبليس يرغم أن آيات الوعيد مطلقا مقيدة بالمشيئة لله تعالى وإن لم تذكر كما يقوله بعض الأشاعرة في آيات الوعيد للعصاة من المؤمنين". (1)

التحليل والمناقشة:

نذكر أولاً مجموعة الآيات التي تكلم عنها الإمام الرازى في القضية المذكورة كى نفهم الموضوع وهو قول الله تعالى: {وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ قَالَ أَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا. قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنِ أَخَّرْتَنِي إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَأُخْسِبَنَّكَ فُتِنْتَهُ إِلَّا قَلِيلًا. قَالَ انهَبْ فَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكُمْ جِزَاءً مُؤَفًورًا. وَأَسْتَغْرِقُ مَنْ اشْتَدَّتْ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ وَأُجْلِبُ عَلَيْهِمْ بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكُهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ وَعَنَّا لَهُمْ وَمَا يَوَدُّهُمْ الشَّيْطَانُ إِلَّا عُرُورًا. إِنَّ عِبَادِي لَأُنسِنُ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا وَكُفًى بِرَبِّكَ وَكَيْلًا}. (2) خلاصة الكلام: الإمام الألوسي جاء باستدراك رافع وتوجيه جيد فجزاه الله خير الجزاء، وقول الإمام الألوسي راجع في هذه القضية. والله أعلم

الاستدراك التاسع والستون: قول الله تعالى: {وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا}. (3)

يرى الإمام فخر الدين الرازى تفسير هذه الآية هكذا حيث ذكر فيه عدة فوائد، وهي كالتالي:

• الفائدة الأولى: "أن الله تعالى أضاف القرآن إلى الفجر والتقدير يكون أقم قرآن الفجر فوجب أن تتعلق القراءة بحصول الفجر وهي أول طلوع الصبح قد حصل الفجر، لأن الفجر ثماني فجرا لانفجار ظلمة الليل عن نور الصباح وظاهر الأمر للوجوب"، ثم يقول: "فهذا اللفظ يقتضي وجوب إقامة صلاة الفجر من أول طلوعه إلا أنا أجمعنا على أن هذا الوجوب غير حاصل، فوجب أن يبقى للندب لأن الوجوب عبارة عن

(1) يُنظر تفسير روح المعاني للإمام الألوسي، ج 8 ص 108

(2) سورة الإسراء، الآيات 61 - 65

(3) سورة الإسراء، الآية 78

رجحان مانع من الترك فإذا منع مانع من تحقق الوجوب وجب أن يرتفع المنع من الترك وأن يبقى أصل الرجحان حتى تنقل مخالفة الدليل، يقول في آخر هذه الفائدة: ثبت أن هذه الآية تقتضي أن إقامة الفجر في أول الوقت أفضل وهذا يدل على صحة مذهب الإمام الشافعي في أن التغليس أفضل من التنوير".

● **الفائدة الثانية:** أنه وُصف في هذه الآية {قُرْآنَ الْفَجْرِ} بكونه {مَشْهُودًا} الجمهور يقولون: "أن المراد منه أن ملائكة الليل وملائكة النهار ينتمعون في صلاة الصبح خلف الإمام تنزل ملائكة النهار عليهم وهم في صلاة الغداة وقبل أن تعرج ملائكة الليل فإذا فرغ الإمام من صلاته عرجت ملائكة الليل ومكثت ملائكة النهار ثم إن ملائكة الليل إذا صعدت تقولون: "يا ربّ إنّنا تركنا عبادك يُصلّون لك وتقول ملائكة النهار ربنا أتينا عبادك وهم يُصلّون فيقول الله تعالى للملائكة اشهدوا أنّي قد غفرت لهم".

ثم يقول الإمام الرازي: "أن هذا أيضاً دليل قوي في أن التغليس أفضل من التنوير في صلاة الفجر لأن البشر إذا شرع فيها من أول الصبح ففي ذلك الوقت الظلمة باقية فتكون ملائكة الليل حاضرين ثم إذا امتدّت الصلاة بسبب ترتيل القراءة وتكثيرها زالت الظلمة وظهر الضوء وحضرت ملائكة النهار فهذا الطريق تحضر في هذه الصلاة ملائكة الليل وملائكة النهار أما إذا ابتدأ بهذه الصلاة في وقت التنوير فهناك ما بقيت الظلمة فلم يبق في ذلك الوقت أحد من ملائكة الليل فلا يحصل المعنى المذكور فثبت أن قول الله تعالى: {إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا} دليل قوي على أن التغليس أفضل".⁽¹⁾

استدرك الإمام شهاب الدين الألوسي علي الإمام فخر الدين الرازي في تفسير هذه الآية حيث يقول: أن المراد بمولاء للملائكة الكعبة والحفظة فتزل ملائكة النهار وتصعد ملائكة الليل وتلقني الطائفتان في ذلك الوقت، وكذا تلقني الطائفتان وأمر النزول والصعود على العكس وقت العصر كما ورد في الآثار، وهذا مما يعكس (يُشَوِّش) علي الإمام الرازي في زعمه حيث قال: أنه دليل قوي علي أن التغليس أفضل من التنوير كما ذكرناه، ثم يقول

(1) يُنظر التفسير الكبير للإمام الرازي، ج 21 ص 384 - 385

الإمام الألوسي: "إنه يلزمه علي هذا البيان الذي لا يروج إلا علي الصبيان القول بأن تأخير صلاة العصر إلى أن يزول الضوء وتظهر الظلمة وهو لا يقول به بل لا يقول به أحد".⁽¹⁾

التحليل والمناقشة:

الإمام القرطبي يقول: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ فِي هَذِهِ الْآيَةِ، قَالَ: تَشْهَدُ مَلَائِكَةُ اللَّيْلِ وَمَلَائِكَةُ النَّهَارِ.⁽²⁾ وَعَنْهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: "فَضْلُ صَلَاةِ الْجَمِيعِ عَلَى صَلَاةِ الْوَاحِدِ حَسَنٌ وَعِشْرُونَ دَرَجَةً، وَتَجْمِيعُ مَلَائِكَةِ اللَّيْلِ وَمَلَائِكَةِ النَّهَارِ فِي صَلَاةِ الصُّبْحِ".⁽³⁾ ثم يقول بعد نقل هذه الروايات: وبسبب هذا المعنى قال الإمام مالك والشافعي: التغليس بالصبح أفضل. وقال الإمام أبو حنيفة: الأفضل الجمع بين التغليس والاسفار، فإن فاتته ذلك فالاسفار أولى من التغليس. وهذا مخالف لما كان النبي ﷺ يفعله من المداومة على التغليس، وأيضاً فإن فيه تفويت شهود ملائكة الليل. ثم يقول: "استدل بعض العلماء بقول النبي ﷺ: تشهد ملائكة الليل وملائكة النهار" على أن صلاة الصبح ليست من صلاة الليل ولا من صلاة النهار".⁽⁴⁾ الإمام الحازن ذكر قول الإمام الرازي في تفسيره كما ذكرناه ثم يقول: "إذا ابتدأ بهذه الصلاة في وقت الاسفار فهناك لم يبق أحد من ملائكة الليل، فلا يحصل المعنى المذكور في الآية فثبت أن هذه الآية للمذكورة دليل على أن الصلاة في أول وقتها أفضل".⁽⁵⁾ خلاصة الكلام: في رأي قول الإمام الألوسي راجح. والله أعلم.

(1) يُنظر تفسير روح المعاني للإمام الألوسي، ج 8 ص 131

(2) أخرجه الإمام الترمذي في سننه، أبواب تفسير القرآن عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، باب: ومن مسورة بني إسرائيل، رقم الحديث: 3135 ج 5 ص 153

(3) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه، كتاب تفسير القرآن، باب: قول الله تعالى: {إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا}،

[سورة الإسراء، الآية 78] رقم الحديث: 4717 ج 6 ص 86

(4) تفسير الجامع لأحكام القرآن للإمام القرطبي، ج 10 ص 307

(5) تفسير لآب التاويل في معاني التنزيل للإمام الحازن، ج 3 ص 140

الاستدراك السبعون: قول الله تعالى: {وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا} (1).

يرى الإمام فخر الدين الرازي تفسير هذه الآية هكذا حيث ذكر في تفسيره ثلاثة احتمالات، وهي كالتالي:

● الاحتمال الأول: أنه وُصف في هذه الآية الكريمة {قُرْآنَ الْفَجْرِ} بكونه {مَشْهُودًا}، يقول الجمهور: معناه أن ملائكة الليل وملائكة النهار يجتمعون في صلاة الصبح خلف الإمام تنزل ملائكة النهار عليهم وهم في صلاة الغداة وقبل أن تخرج ملائكة الليل فإذا فرغ الإمام من صلاته عرجت ملائكة الليل ومكنت ملائكة النهار ثم إن ملائكة الليل إذا صعدت قالت: "يا رب إنا تركنا عبادك يصلون لك وتقول ملائكة النهار ربنا أتينا عبادك وهم يُصلون فيقول الله تعالى للملائكة اشهدوا أني قد غفرت لهم" (2).

● الاحتمال الثاني: "كلما كانت الحوادث الحادثة أعظم وأكمل كان الاستدلال بما على كمال قدرة الله عزوجل أكمل فالإنسان إذا شرع في أداء صلاة الصبح من أول هذا الوقت كانت الظلمة القوية باقية في العالم، فإذا امتدت القراءة في أثناء هذا الوقت ينقلب العالم من الظلمة إلى الضوء والظلمة مناسبة للموت والعدم، والضوء مناسب للحياة والوجود". ثم يُضيف: "وعلى هذا التقدير فالإنسان لما قام من منامه فكأنه انتقل من العدم إلى الوجود ومن الموت إلى الحياة ثم إنه مع ذلك يشاهد في أثناء صلاته انقلاب كلية هذا العالم من الظلمة إلى الضوء ومن الموت إلى الحياة ومن السكون إلى الحركة ومن العدم إلى الوجود. وهذه الحالة حالة عجيبة تشهد العقول والأرواح بأنه لا يقدر على هذا التقلب والتبديل والتحويل إلا الخالق القوي المدبر بالحكمة البالغة والقوة الغير المتناهية"، ثم يقول: "فحينئذ يستنير العقل بنور هذه المعرفة وأيضاً يفتح على العقل والروح أبواب المكاشفات الروحانية الإلهية فتصير الصلاة التي هي عبارة عن أعمال الجوارح مشهوداً عليها بهذه المكاشفات الإلهية المقدسة ولهذا

(1) سورة الإسراء، الآية 78

(2) يُنظر للتفسير الكبير للإمام الرازي، ج 21 ص 384

السبب فكُل من له ذوق سليم وطبع مستقيم لما يقوم من منامه ويؤدي صلاة الصبح في أول الوقت ويعتبر اختلاف أحوال العالم من الظلمة الحاصلة إلى النور والضوء ومن السكون إلى الحركة فيجد في قلبه روحاً وراحة ومزيداً في نور المعرفة وقوة اليقين، ثم يقول الإمام الرازي: "أن هذا هو المراد من قول الله في هذه الآية الكريمة ويظهر منه أن هذا الاعتبار لا يحصل إلا عند أداء صلاة الفجر على سبيل التغليب فهذا ما خطر بالبال".

● الاحتمال الثالث: وهو أن يكون المراد من قول الله تعالى: ﴿إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾ الترغيب في أن تؤدي هذه الصلاة بالجماعة ويكون المراد منه كونه مشهوداً بالجماعة الكثيرة ومزيد التحقيق فيه، يقول الإمام الرازي: ذكرنا في السابق أن تأثير هذه الصلاة في تصفية القلب والروح تنويره أكثر وأعظم من تأثير سائر الصلوات فإذا حضر جمع أو جماعة من المسلمين في المسجد لأداء هذه الصلوة فيستثير قلب كل واحد منهم، ثم لأجل ذلك الاجتماع كأنه ينعكس نور معرفة الله جل جلاله ونور طاعته في ذلك الوقت من قلب كل واحد إلى قلب الآخر فتصير أرواحهم كالمرآيا المشرقة المتقابلة إذا وقعت عليها أنوار الشمس فإنه ينعكس النور من كل واحدة من تلك المرآيا إلى الأخرى فكذا في هذه الصورة، ويقول: "ولهذا السبب فإن كل من كان له ذوق سليم ويؤدي هذه الصلاة في هذا الوقت بالجماعة يجد من قلبه نوراً وراحة وفسحة".⁽¹⁾

استدرك الإمام شهاب الدين الألوسي علي الإمام فخر الدين الرازي في تفسير هذه الآية حيث أشار إلى قوله المذكور بالاختصار وقال: "أنه لا وجه للحصر المدلول عليه بقول الإمام الرازي: "وهذا هو المراد"، ثم إبداء ذلك الاحتمال علي أنه بعد ما صح تفسير النبي ﷺ له بما سمعت لا ينبغي أن يقال في غيره هذا هو المراد"، ثم يقول الإمام الألوسي: "ولا ينبغي ما في هذه الجملة أي قول الإمام الرازي: "وهذا هو المراد"، من الترغيب والحث

(1) ينظر التفسير الكبير للإمام الرازي، ج 21 ص 385

على الاعتناء بأمر صلاة الفجر لأن العبد يكون في ذلك الوقت مشيع كراما ومتلقى كراما فينبغي أن يكون على أحسن حال يتحدث به الراحل ويرتاح له الغازل".⁽¹⁾

التحليل والمناقشة:

الإمام ابن عطية يقول: أن المراد منه ليشهده حفظة النهار وحفظة الليل من الملائكة حسبما ورد في الحديث المشهور عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال النبي ﷺ: "يَتَعَاظِبُونَ فِيكُمْ مَلَائِكَةٌ بِاللَّيْلِ وَمَلَائِكَةٌ بِالنَّهَارِ، وَيَجْتَمِعُونَ فِي صَلَاةِ الْفَجْرِ وَصَلَاةِ الْعَصْرِ، ثُمَّ يَخْرُجُ إِلَيْنَ بَأثُوا فِيكُمْ، فَيَسْأَلُهُمْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِهِمْ: كَيْفَ تَرَكْتُمْ عِبَادِي؟ فَيَقُولُونَ: تَرَكْنَاهُمْ وَهُمْ يُصَلُّونَ، وَأَتَيْنَاهُمْ وَهُمْ يُصَلُّونَ"⁽²⁾ وعلى هذا القول مضى الجمهور،⁽³⁾ عن أبو هريرة عن النبي ﷺ قال: قال: "تَشْهَدُهُ مَلَائِكَةُ اللَّيْلِ وَمَلَائِكَةُ النَّهَارِ".⁽⁴⁾ خلاصة الكلام: رأينا أقوال المفسرين في هذه القضية أن كلهم قالوا باحتمال الأول وهو كما ورد في الحديث شهود الملائكة عليهم السلام، ولكن قول الإمام الألوسي أنه لما ورد في الحديث فلا حاجة إلى الترجيح فقوله رائع وممتاز، وفي رأي قول الإمام الألوسي راجح. والله أعلم

الاستدراك الحادي والسبعون: قول الله تعالى: {وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا}.⁽⁵⁾

يرى الإمام فخر الدين الرازي تفسير هذه الآية هكذا حيث قال: أن الكفار سألو الرسول ﷺ عن الروح ولكن السؤال عن الروح يقع على وجوه كثيرة، فنذكر هذه الوجوه، وهي: الوجه الأول: "أن يقال ماهية الروح أهو متحيز؟ أو حال في المتحيز أو موجود غير متحيز ولا حال في التحيز؟" الوجه الثاني: أن يقال هل تبقى الأرواح بعد موت الأجسام أو

(1) يُظْهِرُ تَفْسِيرَ رُوحِ الْمُعَانِي لِلْإِمَامِ الْأَلُوسِيِّ، ج 8 ص 131

(2) أَخْرَجَهُ الْإِمَامُ الْبُخَارِيُّ فِي صَحِيحِهِ، كِتَابُ مَوْلُودِ الصَّلَاةِ، بَابُ فَضْلِ صَلَاةِ الْعَصْرِ، رَقْمُ الْحَدِيثِ: 555 ج 1 ص 110

(3) تَفْسِيرُ الْمُرُورِ الْوَجْزِ لِلْإِمَامِ ابْنِ عَطِيَّةٍ، ج 3 ص 478

(4) أَخْرَجَهُ الْإِمَامُ التِّرْمِذِيُّ فِي سُنَنِهِ، أَيْوَابِ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ عَنِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، بَابُ: وَمَنْ سُورَةُ بَنِي إِسْرَائِيلَ، رَقْمُ الْحَدِيثِ: 3135 ج 5 ص 302 هذا حديث حسن صحيح.

(5) سُورَةُ الْإِسْرَاءِ، الْآيَةُ 85

تفتي؟ الوجه الثالث: أنه يقال ما حقيقة سعادة الأرواح وشقاوتها؟ الوجه الرابع: "أن يقال الروح قديمة أو حادثة؟" ثم يقول بعد ذكر هذه الوجوه: وبالجملة فالباحث المتعلقة بالروح كثيرة، وقول الله تعالى: {وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ} ليس فيه ما يدل على أنهم عن هذه المسائل سألوا أو عن غيرها إلا أن الله تعالى ذكر له في الجواب عن هذا السؤال قول الله تعالى: {قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي} ثم يقول: وهذا الجواب لا يليق إلا بمسألتي من المسائل التي ذكرناها وهي كما ذكرناه في الوجه الأول والرابع، ثم ذكر الإمام الرازي فيه بحثين، كالتالي:

● **البحث الأول:** "فسأل الكفار عن حقيقة الروح وماهيته؟ أهو عبارة عن أجسام موجودة في داخل هذا البدن متولدة من امتزاج الطباع والأخلاق، أو هو عبارة عن نفس هذا المزاج والتركيب أو هو عبارة عن عرض آخر قائم بهذه الأجسام، أو هو عبارة عن موجود يتمايز هذه الأجسام والأعراض؟" فأجاب الله جل جلاله عنه: "بأنه موجود مغاير لهذه الأجسام وهذه الأعراض وذلك لأن هذه الأجسام أشياء تحدث من امتزاج الأخلاق والعناصر"، ثم يضيف الإمام الرازي: وأما الروح فإنه ليس كذلك بل هو جوهر بسيط مجرد لا يحدث إلا بمحدث قول الله تعالى: {كُنْ فَيَكُونُ} (1) ثم يذكر السؤال وهو: فقال الكفار لم كان شيئاً مغايراً لهذه الأجسام وهذه الأعراض؟ فالله عز وجل يجيب عنه: "بأنه موجود يحدث بأمر الله وتكوينه وتأثيره في إفادة الحياة لهذا الجسد ولا يلزم من عدم العلم بحقيقته المخصوصة نفيه فإن أكثر حقائق الأشياء وماهياتها مجهولة، ومن المعلوم أن السكجيين له خاصية تقتضي قطع الصفراء فأما إذا أردنا أن نعرف ماهية تلك الخاصية وحقيقتها المخصوصة فذاك غير معلوم"، ويقول: أنه يثبت منه أن أكثر الحقائق والماهيات مجهولة ولم يلزم من كونها مجهولة نفيها فكذلك هاهنا وهذا هو المراد من قول الله تعالى: {وَمَا أَوْتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا}.

● **البحث الثاني:** فهو أن لفظ الأمر قد جاء بمعنى الفعل قال الله تعالى: {وَمَا أَمْرٌ فِرْعَوْنُ يَرْسُدُ} (2) وقال الله تعالى: {فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا} (3) أي فعلنا فقول الله تعالى: {قُلِ الرُّوحُ

(1) سورة آل عمران، الآية 47

(2) سورة هود، الآية 97

(3) سورة هود، الآية 66

مِنْ أَمْرِ رَبِّي } أي من فعل ربّي وهذا الجواب يدلّ على أنّهم سألوه أن الروح قديمة أو
حادثّة فقال بل هي حادثّة وإنما حصلت بفعل الله وتكوينه وإيجاده ثم احتجّ على
حدوث الروح بقول الله تعالى: { وَمَا أَوْتِيْتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا } ثم يقول: " والمراد منه أن
الأرواح في مبدأ الفطرة تكون خالية عن العلوم والمعارف ثم يحصل فيها العلوم والمعارف
فهي لا تزال تكون في التغير من حال إلى حال وفي التبديل من نقصان إلى كمال
والتغير والتبديل من أمارات الحدوث". (1)

استدرك الإمام شهاب الدين الألوسي على الإمام فخر الدين الرازي في تفسير
هذه الآية بعد نقل قوله المذكور: أن حمل السؤال على ما ذكر وجعل الجواب إخباراً
بالحدوث مع عدم ملاءمته لحال السائلين لا يُساعدته التعرّض لبيان قلة علمهم فإن ما سألو
عنه مما يفي به علمهم حينئذ وقد أخبر عنه، وجعل ذلك احتجاجاً على الحدوث من أعجب
الحوادث كما لا يخفى على ذي روح. (2)

التحليل والمناقشة:

خلاصة الكلام: الإمام الألوسي يقول: أن حمل السؤال كما ذكره الإمام الرازي في
أربعة أسئلة، ثم أن يجعل جوابه من الحدوث والقدم كما رأينا في قول الإمام الرازي لا يُناسب
لحال السائلين أي من الكفار الذين سألو عن الروح بسبب قلة علمهم، ثم يقول الإمام
الألوسي: أن يجعل هذا الكلام كالاتّجاه على الحدوث كما قال به الإمام الرازي: أنه من
أعجب الحوادث أي أمر عجيب، في رأي قول الإمام الألوسي راجح في هذه القضية. والله
أعلم

(1) يُنظر التفسير الكبير للإمام الرازي، ج 21 ص 392 - 393

(2) يُنظر تفسير روح المعاني للإمام الألوسي، ج 8 ص 147

الاستدراك الثاني والسبعون: قول الله تعالى: {قُلْ كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا} (1).

يرى الإمام فخر الدين الرازي تفسير هذه الآية هكذا: أن الله تعالى لما تكلم عن شبهة القوم في اقتراح المعجزات الزائدة ثم أجاب عنها كما قال الله تعالى: {وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَنْفَجِرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعًا. أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِنْ نَجْمٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجَّرَ الْأَنْهَارُ خِلَافًا فَتُصِيرُوا. أَوْ تُسْطِطَ السَّمَاءُ كَمَا رَعْنَتْ عَلَيْنَا كِسْفًا أَوْ تَأْتِي بِاللَّهِ وَالْعَلَائِكَةِ قَبِيلًا. أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِنْ زُخْرِفٍ أَوْ تَرْفَى فِي السَّمَاءِ وَلَنْ نُؤْمِنَ بِرُفْقِكَ حَتَّى تُنْزِلَ عَلَيْنَا كِتَابًا تُفْرَوُهُ قُلْ شَيْخَانِ رَبِّي هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشِيرًا رَسُولًا} (2) فحكى الله عنهم شبهة أخرى وهي أن هذا القوم استبعدوا أن يعث الله تعالى إلى الناس رسولا من البشر بل اعتقدوا أن الله تعالى لو أرسل إليهم رسولا لوجب أن يكون ذلك الرسول ﷺ من الملائكة عليهم السلام كما قال الله تعالى: {وَمَا تَنْعَ النَّاسُ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْمُدَى إِلَّا أَنْ قَالُوا أَبَتُّنَا اللَّهُ بِشِيرًا رَسُولًا. قُلْ لَوْ كَانَ فِي الْأَرْضِ مَلَائِكَةٌ يُمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ مَلَكًا رَسُولًا. قُلْ كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا} (3) ثم يقول الإمام الرازي: فأجاب الله تعالى عن هذه الشبهة بعدة وجوه، وهي كالتالي:

• الوجه الأول: قول الله تعالى: {وَمَا تَنْعَ النَّاسُ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْمُدَى إِلَّا أَنْ قَالُوا أَبَتُّنَا اللَّهُ بِشِيرًا رَسُولًا} (4) ويبان هذا الجواب يكون هكذا: أن بتقدير لو يعث الله ملكا رسولا إلى الخلق فالخلق إنما يؤمنون به لكونه رسولا من عند الله عز وجل بسبب قيام المعجز الذي يدل على صدقه، ثم يقول: وذلك المعجز هو الذي يُرشدهم ويهديهم إلى معرفة ذلك الملك عليه السلام في ادعاء رسالة الله تعالى فيكون المراد من قول الله تعالى: {إِذْ جَاءَهُمُ الْمُدَى} هو المعجز فقط فهذا المعجز سواء ظهر على يد

(1) سورة الإسراء، الآية 96

(2) سورة الإسراء، الآية 90 - 93

(3) سورة الإسراء، الآية 94 - 96

(4) سورة الإسراء، الآية 94

الملك أو على يد الإنسان بحسب الإقرار برسالته، فثبت من أن قولهم: "بأن الرسول عليه السلام لا بد وأن يكون من الملائكة" تعنتا باطلا وتحكما فاسدا.

● **الوجه الثاني:** من الأجوبة التي بينها الله جل جلاله في هذه الآية الكريمة عن هذه الشبهة هو: أن أهل الأرض لو كانوا ملائكة لوجب أن يكون رسولهم من الملائكة لأن الجنس إلى الجنس أميل أما لو كان أهل الأرض من البشر لوجب أن يكون رسولهم من البشر وهذا هو المراد من قول الله تعالى: {قُلْ لَوْ كَانَ فِي الْأَرْضِ مَلَائِكَةٌ يُمَشِّوْنَ مُطَمِّئِينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ مَلَكًا رَسُولًا} (1).

● **الوجه الثالث:** من الأجوبة التي ذكرت في هذه الآية قول الله تعالى: {قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ سَهِيبًا يَبِينِي وَيُبَيِّنُكُمْ} ويانه أن الله تعالى لما أظهر المعجزة على وفق دعوى الرسول ﷺ كان ذلك شهادة من الله تعالى على كونه صادقا ومن يشهد الله تعالى على صدقه فهو صادق بلا شك، ثم يقول: فبعد هذا الكلام لو يقول أحد بأن الرسول يجب أن يكون من الملك وليس من البشر تحكّم فاسد لا يلتفت إليه، ثم يقول الإمام الرازي: ولما بين الله عز وجل هذه الأجوبة الثلاثة فأردفها بما يجري مجرى التهديد والوعيد فقال: {إِنَّهُ كَانَ يَعْتَادِهِ خَيْرًا تَبصيرا} (2). والمراد منه: "أن الله تعالى يعلم ظواهرهم ويواطنهم ويعلم من قلوبهم أنهم لا يذكرون هذه الشبهات إلا لمحض الحسد وحب الرياسة والاستكفاف من الانقياد للحق" (3).

استدرك الإمام شهاب الدين الألوسي على الإمام فخر الدين الرازي في تفسير هذه الآية الكريمة حيث ذكر وجهين: القول الأول: قول الله تعالى: {قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ} وحده {شهيذاً} على أبي قدام أديت ما على من مواجب الرسالة ولوازمه أكمل أداء وإنكم يا أيها الناس: فعلتم ما فعلتم من التكذيب والعناد. القول الثاني: شهيدا على أبي رسول الله ﷺ إليكم بإظهار المعجزة على وفق دعواي. ثم يقول الإمام الألوسي: أن العلماء رجحوا القول الأول بأنه أوفق بقول الله تعالى: {بِنَبِيِّ وَيُبَيِّنُكُمْ} وكذا بقول الله تعالى تعليلا للكفاية: {إِنَّهُ كَانَ

(1) سورة الإسراء، الآية 95

(2) سورة الإسراء، الآية 96

(3) يُنظر التفسير الكبير للإمام الرازي، ج 21 ص 410

بعباده} أي الرسل والمرسل إليهم {خَيْراً بَصِيراً} أي محيطاً بظواهرهم وبواطنهم فيجازيهم على ذلك، ثم يقول: وزعم الإمام الخفاجي أن الوجه الثاني أوفق بالسباق منه إذ يكون الكلام عليه كالسابق رداً لإنكارهم أن يكون الرسول بشراً كما قال به الإمام الرازي، وأن كون الوجه الأول أوفق إنَّه كَانَ بَعِيَادِهِ خَيْرًا بَصِيرًا} لا وجه له لأن معناه التهديد والوعيد بأنه سبحانه يعلم ظواهرهم وبواطنهم وأنهم إنما ذكروا هذه الشبهة للحمد وحب الرياسة والاستتكاف عن الحق وفيه من التسلية لنبينا محمد ﷺ ما فيه، في الأخير يقول: "أن إنكار كون الأول أوفق بذلك مما لا وجه له لظهور خلافه، ولا يناقيه تضمن الجملة الوعيد والتسلية، وأيضا يبقى أمر أوفقيته بقول الله تعالى: {بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ} في البين ومع ذلك في تصدير الكلام بقول الله تعالى: {قُلْ} نوع تأييد لإرادة الأول كما لا يخفى على السلكي، هذا وإنما لم يقل الله تعالى: (بيننا) تحقيقاً للمفارقة وإبانة للمباينة". (1)

التحليل والمناقشة:

الإمام ابن عطية يقول: "أي الله تعالى يشهد بيني وبينكم الذي له الخير والبصر لجميعنا صادقنا وكاذبنا، ثم رد الأمر إلى خلق الله تعالى واختراعه الهدي والضلال في قلوب البشر، أي ليس بيدي من أمركم أحقر من التبليغ". (2) يقول الإمام ابن الجوزي: معناه شاهداً بيني وبينكم بما أظهر من الآيات، وأبان من الدلالات على نبوتي. (3) الإمام الزمخشري يقول في المراد منه: أتى بلغت ما أرسلت به إليكم، وأنكم كذبتم وعاندتم". (4) هكذا قال الإمام الخازن في تفسير هذه الآية، (5) وقد قال به الإمام النسفي أيضاً. (6) والإمام البيضاوي يقول: "على أن رسول الله إليكم بإظهاره للمعجزة على وفق دعواي، أو على أني بلغت ما أرسلت به إليكم وأنكم

(1) يُنظر تفسير روح المعاني للإمام الألوسي، ج 8 ص 165

(2) تفسير المحرر الوجيز للإمام ابن عطية، ج 3 ص 486

(3) تفسير زاد المسير للإمام ابن الجوزي، ج 2 ص 502

(4) تفسير الكشاف للإمام الزمخشري، ج 2 ص 695

(5) تفسير لباب التأويل في معاني التنزيل للإمام الخازن، ج 3 ص 147

(6) تفسير مدارك التنزيل للإمام النسفي، ج 2 ص 278

عالمهم" (1) وقد قال به الإمام أبو السعود في تفسيره (2) الشيخ ابن عاشور يقول: "بعد أن خص الله عز وجل محمدا ﷺ بتلقين الحجاة القاطعة للضلالة أردف ذلك بتلقينه أيضا ما لقنه الرسل السابقين عليه السلام من تفويض الأمر إلى الله وتحكيمه في أعدائه"، فأمره الله تعالى بـ: {قُلْ كَفَى بِاللَّهِ تَسْلِيَةً لَهُ ﷻ وَتَبَيَّنَا لِنَفْسِهِ وَتَعَهَّدَا لَهُ بِالْفَصْلِ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُمْ كَمَا قَالَ نُوحٌ وَهُوَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ قَوْلَ اللَّهِ تَعَالَى: {قَالَ رَبِّ انصُرْنِي بِمَا كُنتُ بِنْتًا} (3) خلاصة الكلام: رأينا أن قول الإمام ابن الجوزي والبيضاوي والشيخ ابن عاشور أنهم يوافقون مع قول الإمام الرازي، أما الإمام ابن عطية والزنجشيري والخازن وأبو السعود ففسروا هذه الآية وفق قول الإمام الألوسي، فإذا الترجيح يكون لقول الإمام الألوسي. والله أعلم

(1) تفسير أنوار التنزيل للإمام البيضاوي، ج 3 ص 267

(2) تفسير ارشاد العقل السليم للإمام أبي السعود، ج 5 ص 196

(3) سورة المؤمنون، الآية 26 تفسير التحرير والتبوير للشيخ ابن عاشور، ج 15 ص 213 - 214

المبحث الرابع سورة الكهف

الاستدراك الثالث والسبعون: قول الله تعالى: {وَأَنْزَلْنَا مَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ مِنْ كِتَابٍ رَبِّكَ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ} (1)

يرى الإمام فخر الدين الرازي تفسير هذه الآية حيث قال: أن المراد من هذه الآية أن يمتنع تطرُق التبديل والتغيير إليه وهذه الآية يمكن التمسك والاحتجاج بها في إثبات أن تخصيص النص بالقياس غير جائز لأن المراد من قول الله تعالى: {وَأَنْزَلْنَا مَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ مِنْ كِتَابٍ رَبِّكَ}: "الزم العمل بمقتضى هذا الكتاب وذلك يقتضي وجوب العمل بمقتضى ظاهره"، ثم ذكر الإشكال وهو: يجب ألا يتطرق النسخ إليه، وأجاب عنه: هذا هو مذهب أبو مسلم الأصفهاني فليس يعد، ثم يقول الإمام الرازي: "وأيضاً فالنسخ في الحقيقة ليس بتبديل لأن المنسوخ ثابت في وقته إلى وقت طريان الناسخ فالنسخ كالفأية فكيف يكون تبديلاً" (2)

استدراك الإمام شهاب الدين الألوسي على الإمام فخر الدين الرازي في تفسير هذه الآية حيث قال بعد ذكر قوله في تفسيره: أن هذا توهم لا يقنطى به. (3)

التحليل والمناقشة:

الإمام الخازن يقول أن المراد من هذه الآية: أي لا مغيّر للقرآن الكريم ولا يقدر أحد على التطرُق إليه بتغيير أو تبديل، ثم نقل قول الإمام الرازي المذكور فلا نكرهه. (4) الإمام

(1) سورة الكهف، الآية 27

(2) يُنظر التفسير الكبير للإمام الرازي، ج 21 ص 455

(3) يُنظر تفسير روح المعاني للإمام الألوسي، ج 8 ص 244

(4) تفسير ليلاب التأويل في معاني التنزيل للإمام الخازن، ج 3 ص 162

الألوسي ذكر ثلاثة أقوال: أولاً - ذكر الإمام الكرمانى⁽¹⁾ في شرحه للصحيح البخاري السؤال: الصدق والكذب صفتان للقول لا للظن ثم إنهما لا يقبلان الزيادة والنقصان فكيف يبنى منه أفضل التفضيل؟ وأجاب عنه: "جعل الظن كمتكلم فوصف بهما كما يوصف المتكلم يقال متكلم صادق وكاذب والمتكلم يقبل الزيادة والنقصان في الصدق والكذب يقال زيد أصدق من عمرو فمعناه الظن أكذب في الحديث من غيره".⁽²⁾ ثانياً: "لا يقدر أحد أن يعرفها شائعاً كما فعل بالتوراة فيكون هذا ضماناً من الله تعالى بالحفظ كقول الله تعالى: {إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ}"⁽³⁾ أو لا نبي ولا كتاب بعدها يبدلها وينسخ أحكامها. وعيسى عليه السلام يعمل بعد النزول بما لا ينسخ شيئاً كما حقق في محله". ثالثاً: "أن أحكام الله تعالى لا تقبل التبدل والزوال لأنها أزلية والأزلي لا يزول".⁽⁴⁾ الشيخ ابن عاشور يقول: "ونفي المبدل كناية عن نفي التبدل، أي لا تبدل، لأن التبدل لا يكون إلا من مبدل. والمراد منه: أن غير الله عاجز عن أن يبدل مراد الله تعالى، وأن الله تعالى أراد أن لا يبدل كلماته في هذا الشأن".⁽⁵⁾

يقول الإمام الشوكاني في الفرق بين النسخ والتخصيص: أنه لما كان التخصيص شديد الشبه بالنسخ لا اشتراكهما في اختصاص الحكم بعض ما يتناول اللفظ، احتاج أئمة الأصول إلى بيان الفرق بينهما من وجوه على النحو الآتي: الوجه الأول: أن التخصيص ترك بعض الأعيان، أما النسخ فالترك لبعض الأزمان وقد قال به الإمام أبو إسحاق الإسفراييني. الوجه الثاني: أن التخصيص يتناول الأزمان والأحوال والأعيان، بخلاف النسخ فإنه لا يتناول إلا الأزمان. الوجه الثالث: يقول الإمام الغزالي في الوجه الثاني: "وهذا ليس بصحيح، فإن

(1) هو محمد بن يوسف بن علي بن سعيدة هـس الدين الكرمانى (717 - 786 هـ الموافق 1317 - 1384 م): عالم بالحديث، أصله من كرمان، اشتهر في بغداد، من كتبه: الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري، حسان القرآن، العقود والرمود في الأصول أمموج الكشاف... يُنظر الأعلام للزركلي، ج 7 ص 153

(2) الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري للإمام الكرمانى (للتوفى: 786 هـ)، ج 12 ص 66 الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان. الطبعة الأولى: 1356 هـ الموافق 1937 م. الطبعة الثانية: 1401 هـ الموافق 1981 م. عدد الأجزاء: 25

(3) سورة الحجر، الآية 9

(4) يُنظر التفسير الكبير للإمام الرازي، ج 4 ص 256

(5) تفسير التحرير والتنوير للشيخ ابن عاشور، ج 7 ص 202

الأعيان والأزمان ليسا من أفعال المكلفين، والنسخ يرد على الفعل في بعض الأزمان، والتخصيص يرد على الفعل في بعض الأحوال". الوجه الرابع: "أن التخصيص لا يكون إلا لبعض الأفراد، بخلاف النسخ فإنه يكون لكل الأفراد ذكره الإمام البيضاوي". الوجه الخامس: أن النسخ تخصيص الحكم بزمان معين، بطريق خاص بخلاف التخصيص، وقد قال به الأستاذ، واختاره الإمام البيضاوي. ولكن اعترض عليه إمام الحرمين. الوجه السادس: أن التخصيص تقليل، والنسخ تبديل، حكاه القاضي أبو الطيب عن بعض أصحاب الإمام الشافعي، ولكن اعترض بأنه قليل الفائدة. الوجه السابع: "أن النسخ يتطرق إلى كل حكم، سواء كان ثابتاً في حق شخص واحد، أو أشخاص كثيرة، والتخصيص لا يتطرق إلا إلى الأول، ومنهم من عير عن هذا بعبارة أخرى فقال: التخصيص لا يدخل في الأمر بمأمور، واحد والنسخ يدخل فيه". الوجه الثامن: "أن التخصيص يبقى دلالة اللفظ على ما بقي تحت، حقيقة كان أو مجازاً، على الخلاف السابق، والنسخ يبطل دلالة حقيقة المنسوخ في مستقبل الزمان بالكلمة". الوجه التاسع: "أنه يجوز تأخير النسخ عن وقت العمل بالمنسوخ، ولا يجوز تأخير التخصيص عن وقت العمل بالمخصوص". الوجه العاشر: "أنه يجوز نسخ شريعة بشرية أخرى، ولا يجوز التخصيص". قال الإمام القرافي⁽¹⁾: وهذا الإطلاق وقع في كتب العلماء كثيراً "وهو غير مسلم. والمراد أن الشريعة المتأخرة قد تنسخ بعض أحكام الشريعة المتقدمة، أما كلها فلا؛ لأن قواعد العقائد لم تنسخ" وكذلك حفظ الكليات الخمس".

الوجه الحادي عشر: أن النسخ رفع الحكم بعد ثبوته بخلاف التخصيص، فإنه بيان المراد باللفظ العام، ذكره الإمام القفال الشافعي، والإمام العبادي في "زيادته". الوجه الثاني عشر: قال الإمام الماوردي: "أن التخصيص بيان ما أريد بالعموم، والنسخ بيان ما لم يرد بالمنسوخ".

الوجه الثالث عشر: "أن التخصيص يجوز أن يكون مقترناً بالعام، أو متقدماً عليه، أو متأخراً عنه، ولا يجوز أن يكون التاسخ متقدماً على المنسوخ، ولا مقترناً به، بل يجب أن يتأخر عنه".

(1) هو أحمد بن إدريس بن عبد الرحمن، أبو العباس، شهاب الدين الصنهاجي القرافي (المتوفى 684هـ الموافق 1285م): من علماء المالكية نسبته إلى قبيلة صنهاجة (من برابرة المغرب). وهو مصري المولد والمنشأ والوفاء. له مصنفات جليلة في الفقه والأصول، من كتبه: أنوار البروق في أنوار الفروق، والإحكام في تمييز الفتاوى عن الأحكام وتصرف القاضي والإمام، والواقيت في أحكام الواقيت ... يُنظر الأعلام للزركلي، ج 1 ص 94 - 95

الوجه الرابع عشر: أن النسخ لا يكون إلا بقول وخطاب، والتخصيص قد يكون بأدلة العقل، والقرائن وسائر أدلة السمع. الوجه الخامس عشر: "أن التخصيص يجوز أن يكون بالإجماع، والنسخ لا يجوز أن يكون بالإجماع". الوجه السادس عشر: أن التخصيص يجوز أن يكون في الأخيار والأحكام، والنسخ يختص بأحكام الشرع. الوجه السابع عشر: أن التخصيص على الفور، والنسخ على التراخي، ذكره الإمام الماوردي، ولكن قال الإمام الزركشي: وفيه نظر. الوجه الثامن عشر: "أن تخصيص المقطوع بالمظنون واقع، ونسخه به غير واقع". الوجه التاسع عشر: "أن التخصيص لا يدخل في غير العام، بخلاف النسخ، فإنه يرفع حكم العام والخاص". الوجه العشرين: أن التخصيص يؤذن بأن المراد بالعموم عند الخطاب ما عداه، والنسخ يحقق أن كل ما يتناوله اللفظ مراد في الحال، وإن كان غير مراد فيما بعده،

ثم يقول الإمام الشوكاني: أن هنا جملة ما ذكره من الفروق. وغير خاف عليك أن بعضها غير مسلم، وبعضها يمكن دخوله في البعض الآخر منها. (1) خلاصة الكلام: الإمام الشوكاني تكلم في هذا بطريقة رائعة فالترجيح يكون لقول الإمام الألوسي. والله أعلم

الاستدراك الرابع والسبعون: قول الله تعالى: {قَالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا. وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا} (2)

يرى الإمام فخر الدين الرازي تفسير هذه الآية هكذا: احتج أصحابنا بهذه الآية الكريمة على أن الاستطاعة لا تحصل قبل الفعل. وذكروا السؤال فيقولون: "لو كانت الاستطاعة على الفعل حاصلة قبل حصول الفعل لكانت الاستطاعة على الصبر حاصلة لموسى عليه السلام قبل حصول الصبر فيلزم أن يصير قول الله تعالى: {إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا} كذبا، ولما بطل ذلك علمنا أن الاستطاعة لا توجد قبل الفعل". يقول الإمام الرازي أجاب الإمام الجبائي عنه: "أن المراد من هذا القول أنه يثقل عليه الصبر لا أنه لا يستطيعه، يقال في العرف: إن فلانا لا يستطيع أن يرى فلانا ولا أن يجالسه إذا كان يثقل عليه ذلك

(1) ارشاد المحول للإمام الشوكاني، ج 1 ص 352 - 354

(2) سورة الكهف، الآيات 67، 68

ونظيره قال الله تعالى: ﴿لَمَّا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ﴾⁽¹⁾ أي كان يشق عليهم الاستماع، فيقال له: هذا عدول عن الظاهر من غير دليل وإنه لا يجوز". ثم يقول الإمام الرازي: "وأقول بما يؤكد هذا الاستدلال الذي ذكره الأصحاب قول الله تعالى: ﴿وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خَيْرًا﴾⁽²⁾ استبعد حصول الصبر على ما لم يقف الإنسان على حقيقته، ولو كانت الاستطاعة قبل الفعل لكانت القدرة على العلم حاصلة قبل حصول ذلك العلم، ولو كان كذلك لما كان حصول الصبر عند عدم ذلك العلم مستبعداً لأن القادر على الفعل لا يبعد منه إقدامه على ذلك الفعل، ولما حكم الله باستبعاده علمنا أن الاستطاعة لا تحصل قبل الفعل"⁽³⁾.

استدرك الإمام شهاب الدين الألوسي على الإمام فخر الدين الرازي في تفسير هذه الآية حيث قال بعد ذكر قوله: "وتعقبه الإمام الرازي بأنه عدول عن الظاهر وأيد الاستدلال بما أيد، والإنصاف أن الاستدلال بما على ما ذكر غير ظاهر لأن المراد ليس إلا نفي الصبر بنفي ما يتوقف هو عليه أعني الاستطاعة وهذا حاصل سواء كانت حاصلة قبل أو مقارنة، ثم إن القول بأن الاستطاعة قبل الفعل ليس خاصاً بالمعتزلة بل المفهوم من كلام الشيخ إبراهيم الكوراني⁽⁴⁾ أنه مذهب السلف أيضاً"⁽⁵⁾.

التحليل والمناقشة:

يقول الإمام الماتريدي: الأصل عندنا في المُسَمَّى باسم القدرة أنها على قسمين على النحو الآتي: القسم الأول: سلامة الأسباب وصحة الآلات وهي بتقديم الأفعال وحقيقتها ليست بمجمولة للأفعال وإن كانت الأفعال لا تقوم إلا بما لكيها نعم من الله أكرم بما من شاء ثم يستأديهم شكرها عند احتمالهم ذك النعم وبلغ عقولهم الوقوف علىها إذ ذلك حق القول في العُقُول وهو القيام بشكر النعم ومعرفة حقيقة النعم والنهي عن كفران

(1) سورة هود، الآية 67

(2) سورة الكهف، الآية 68

(3) ينظر التفسير الكبير للإمام الرازي، ج 21 ص 484 - 485

(4) هو محمد بن إبراهيم بن حسن، أبو الطاهر الكوراني (1081 - 1145 هـ الموافق 1670 - 1733 م) المديني

الشافعي؛ فقيه. مولده ووفاته بالمدينة. ولي فيها إفتاء الشافعية مدة. له اختصار شرح شواهد الرضوي للبيهقي، الأعلام

للزركلي، ج 5 ص 304

(5) ينظر تفسير روح المعاني للإمام الألوسي، ج 8 ص 314

المُنعم والجَهل بِحَقِيقَةِ النعم وَلَوْلَا ذَلِكَ لَمْ يَحْتَمِلْ أَحَدُ الْأَمْرِ وَالنهي إِتِّدَاءً بِمَا سَبَقَ مَا فِي الْعَقْلِ لِرُومِ شُكْرِهِ وَإِتْقَاءِ كُفْرَانِهِ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ تَعَالَى. الْقِسْمُ الثَّانِي: معنی لا یقدر علی تبین عده بِشئی، یُضَارُ إِلَیْهِ سِوَى أَنَّهُ لَیْسَ إِلَّا لِلْفِعْلِ لَا یَجُوزُ وَجُودُهُ بِحَالٍ إِلَّا وَتَقَعُ بِهِ الْفِعْلُ عِنْدَمَا يَقَعُ مَعَهُ وَعِنْدَ قَوْمٍ قَبْلَهُ أَحْسَنُ فِعْلٍ الْإِخْتِيارِ الَّذِي يَحْتَلِيهِ يَكُونُ الثَّوَابُ وَالْعِقَابُ وَبِهِ يَسْهَلُ الْفِعْلُ وَيَخْفَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ تَعَالَى. (1)

الإمام ابن تيمية يقول: "الذي سبق به العلم والكتاب فهذا مما تنازع فيه الناس كما تنازعوا في أن الاستطاعة هل يجب أن تكون مع الفعل أو يجب أن تتقدمه فمن قال من أهل الإثبات: إن الاستطاعة لا تكون إلا مع الفعل يقول العبد لا يستطيع غير ما يفعله وهو ما تقدم به العلم والكتاب. ثم يقول: ومن قال: إن الاستطاعة قد تتقدم الفعل وقد توجد دون الفعل فإنه يقول: إنه يكون مستطاعاً لما لم يفعله ولما علم وكتب أنه لا يفعله". وفصل الخطاب أن "الاستطاعة" جاءت في كتاب الله على نوعين، كما يلي:

النوع الأول: الاستطاعة المشترطة للفعل وهي مناط الأمر والنهي كقول الله تعالى: {وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا} (2) وقول الله تعالى: {فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ} (3) وقول الله تعالى: {وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ طَوْلًا أَنْ يَنْكِحِ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ} (4) وقول الله تعالى: {فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامَ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسًا فَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فِلْطَعَامِ مِسْكِينًا} (5) وقول الله تعالى: {وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامِ مِسْكِينٍ} (6) وقول النبي صلى الله عليه وسلم عَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كَانَتْ لِي بَوَاسِيرٌ فَسَأَلْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: "صَلِّ قَائِمًا، فَإِنْ لَمْ تَسْتَطِعْ فَمَاعِدًا، فَإِنْ لَمْ

(1) الفوحيد - محمد بن محمد بن محمود، أبو منصور المازندراني (المترجم: 333هـ) المحقق: د. فنيح الله خليف. الناشر: دار

الجامعات المصرية، الإسكندرية. عدد الأجزاء: 1 ص 256

(2) سورة آل عمران، الآية 97

(3) سورة التغابن، الآية 16

(4) سورة النساء، الآية 25

(5) سورة المجادلة، الآية 4

(6) سورة البقرة، الآية 184

تَسْتَطِيعُ فَقَلَى بِجَنَابِكَ".⁽¹⁾ ثم يقول: "فإن الاستطاعة في هذه النصوص لو كانت لا توجد إلا مع الفعل لوجب ألا يجب الحج إلا على من حج ولا يجب صيام صام ولا القيام في الصلاة إلا على من قام وكان المعنى: على الذين يصومون الشهر طعام مسكون والآية إنما أفرقت لما كانوا مخيرين بين الصيام والإطعام في شهر رمضان".

السور الثاني: والاستطاعة التي يكون معها الفعل قد يقال هي المقترنة بالفعل الموجبة له وقد ذكروا فيها قول الله تعالى: {الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاءٍ عَنْ ذِكْرِي وَكَانُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا} (2) قول الله تعالى: {مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ وَمَا كَانُوا يُبْصِرُونَ} ونحو ذلك قول الله تعالى: {إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَعْيُنِهِمْ أَغْشَاءً فَهِيَ إِلَى الْأَذْقَانِ فَهُمْ مُقْمَقُونَ} (3) {وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ} (4) فإن الاستطاعة المنفية هنا سواء كان نفيها محمداً أو ابتداء ليست هي الاستطاعة المشروطة في الأمر والنهي فإن تلك إذا انتفت انتفى الأمر والنهي والوعد والوعيد والحمد والذم والثواب والعقاب ومعلوم أن هؤلاء في هذه الحال مأمورون منهيون موعودون متوعدون؛ فعلم أن المنفية هنا ليست المشروطة في الأمر والنهي المذكورة في قول الله تعالى: {فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ} ثم يقول: "لكن قد يقال: الاستطاعة هنا كالاستطاعة المنفية في قول الخضر لموسى قول الله تعالى: {إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا} (5) فإن هذه الاستطاعة المنفية لو كان المراد بها مجرد المقارنة في الفاعل والتارك لم يكن فرق بين هؤلاء المذمومين وبين المؤمنين ولا بين الخضر وموسى؛ فيلزم كل أحد فعل أو لم يفعل لا تكون المقارنة موجودة قبل فعله والقرآن يدل على أن هذه الاستطاعة إنما نفيت عن التارك لا عن الفاعل فعلم أنها مضادة لما يقوم بالعبد من الموانع التي تصد قلبه عنه إرادة الفعل

(1) أخرجه الإمام الدارقطني (الموفى: 385هـ) في سننه، كتاب الصلاة، باب صلاة المريض لا يستطيع القيام والمريضة على الراحة. رقم الحديث: 1425 ج 2 من 217 حقه وضبط نصه وعلق عليه: شعيب الأرنؤوط، حسن عبد المنعم شلبي، عبد اللطيف حرز الله، أحمد براهيم. الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان. الطبعة: الأولى، 1424هـ الموافق 2004م. عدد الأجزاء: 5

(2) سورة الكهف الآية 101

(3) سورة يس، الآية 8

(4) سورة يس، الآية 9

(5) سورة الكهف، الآية 67

وعمله وبكل حال فهذه الاستطاعة متفنية في حق من كتب عليه أنه لا يفعل بل وقضي عليه بذلك".

يقول الإمام ابن تيمية بعد هذا التقسيم: "أن إطلاق القول بأن العبد لا يستطيع غير ما فعل، ولا يستطيع خلاف المعلوم المقدر، وإطلاق القول بأن استطاعة الفاعل والتارك سوله وأن الفاعل لا يختص عن التارك باستطاعة خاصة عرف أن كلا الإطلايين خطأ وبدعة. ولنا اتفق سلف الأمة وأئمتها وجمهور طوائف أهل الكلام على أن الله قادر على ما علم وأخبر أنه لا يكون وعلى ما يمتنع صدوره عنه لعدم إرادته لا لعدم قدرته عليه؛ وإنما خالف في ذلك طوائف من أهل الضلال من الجهمية والقدرية والمتفلسفة الصابغة الذين يزعمون انحصار المقدر في الموجود، ويحصرون قدرته فيما شاءه وعلم وجوده. ثم يقول: ومن حكى من أهل الكلام عن أهل السنة والجماعة أنهم يقولون: إن العبد ليس قادراً على تغيير ما فعل الذي هو خلاف المعلوم فإنه محطى فيما نقله عنهم من نفي القدرة مطلقاً وهو مصيب فيما نقله عنهم من نفي القدرة التي يختص بها الفاعل دون التارك وهذا من أصول نزاعهم في جواز تكليف ما لا يطاق. فإن من يقول الاستطاعة لا تكون إلا مع الفعل فالتارك لا استطاعة له بحال يقول: إن كل من عصى الله فقد كلفه الله ما لا يطيقه كما قد يقولون: إن جميع العباد كلفوا ما لا يطيقون. ومن يقول: إن استطاعة الفعل هي استطاعة التارك يقول: إن العباد لم يكلفوا إلا بما هم مستورون في طاقته وقدرته واستطاعته؛ لا يختص الفاعل دون التارك باستطاعة خاصة فأطلاق القول بأن العبد كلف بما لا يطيقه كإطلاق القول بأنه مجبور على أفعاله (1).

خلاصة الكلام: الإمام الألوسي يؤيد قول الشيخ الجبائي حيث يقول أن هذا المسلك ليس للحنفية بل هذا لجمهور سلفنا، قول الإمام الألوسي راجح في هذه القضية. والله أعلم

(1) مجموع الفتاوى للإمام ابن تيمية، ج 8 ص 290 - 293

الخاتمة

وهي تشتمل على:

أهمّ نتائج البحث

والتوصيات والاقتراحات

نتائج البحث

بعد هذه الرحلة العلمية مع استدراكات الإمام شهاب الدين الألوسي في تفسيره روح المعاني والشيخ غلام رسول السعيد في تفسيره نبيان القرآن على التفسير الكبير للإمام فخر الدين الرازي توصلت من خلال الدراسة والبحث في هذا الموضوع إلى بعض النتائج، أجمعها فيما يلي:

- الاستدراك: هو التصحيح وتكميل ما نقص من العلماء السابقين في كتبهم، أو بالفاظ أخرى: "إتباع القول الأول بقول ثانٍ يُصلح خطأه أو يُكمل نقصه أو يُزيل ع نه لهما".
- الاستدراك من الأمور التي يستفيد بها القارئ ليصل إلى مقصود الكلام.
- أن الإمام فخر الدين الرازي له مهارة تامة في العلوم العقلية والنقلية والكونية والطب حيث يذكر في تفسيره استنباطات عجيبة ويأتي بإشكالات غريبة ثم يُجيب عنها، وهكذا لتفسيره مكانة مرموقة عند المفسرين وموسوعة في تراث التفسير.
- أن الإمام شهاب الدين الألوسي عَلم بين العلماء وتفسيره روح المعاني موسوعة علمية.
- استدراك الإمام الألوسي علي الإمام الرازي في تفسيره في كثير من القضايا.
- كان الشيخ السعيد من كبار المفسرين والمحدثين في هذا الزمن وتفسيره متميز بين التفاسير لكونه جامعاً بين التفسير بالمأثور والتفسير الرأي واشتماله علي قضايا معاصرة جديدة سواء كان فقهية أو غير ذلك.
- الإمام الألوسي والشيخ السعيد استفادا كثيراً في تفسيريهما من التفسير الكبير للإمام الرازي ولكن في بعض الأحيان تعقبا واستدراكاً عليه.
- استدراك الإمام شهاب الدين الألوسي علي الإمام الرازي في تفسيره أحياناً يكون بالصراحة علي سبيل المثال يكتب: الإمام الرازي أو الفخر الرازي أو وفي التفسير الكبير أو وفي مفاتيح الغيب، أو هو يقصد بالإمام الإمام الرازي كما هو يقصد بالقاضي: الإمام البيضاوي، وبشيخ الإسلام: الإمام أبو السعود، أو يكون استدراك الإمام الألوسي بدون ذكر اسمه مثل يقول: وقال بعض المفسرين أو وقال بعض العلماء أو وقال بعض الناس وغير ذلك أو ينقل كلامه بدون ذكر أي شيء.

- ترجيح الباحث أحيانا يكون لقول الإمام الرازى وأحيانا لقول الإمام الألوسى ولقول الشيخ السعيدى حسب موقف كبار المفسرين والعلماء في القضية.
- ظهر أماننا في هذه الرسالة أن في بعض القضايا ثلاثة مواقف أو أكثر مثل الإمام الرازى له موقف، والألوسى أو الشيخ السعيدى له موقف، وهكذا لجمهور المفسرين موقف آخر.
- ومن المعلوم أن في بعض الاستدراكات للشيخ السعيدى الإمام الألوسى اتفق مع الإمام الرازى وفي بعضهم خالفه. وفي بعض الاستدراكات اتفق قول الشيخ السعيدى مع الإمام الألوسى، وفي بعض الاستدراكات للإمام الألوسى الشيخ وافقه وفي بعضهم لم يوافقه.
- نوعية الاستدراك أحيانا يكون تفسيرياً أو عقدياً أو فقهياً أو لغوياً أو علمياً وما إلى ذلك.
- بعد القراءة لتفسير روح المعاني وتبيان القرآن من البداية إلى النهاية أكثر من مرة بالاستيعاب بتوفيق الله عزوجل وصل عدد الاستدراكات في هذه الرسالة أربع والسبعين (74) نذكره هنا حسب ترتيب الرسالة في الجدول وهي كالتالي:

رقم الاستدراك	اسم السورة	اسم المستدرك	القول الأقوى أو الراجح
1	سورة الأعراف	الإمام الألوسى	الإمام الألوسى
2	سورة الأعراف	الشيخ السعيدى	الإمام الرازى
3	سورة الأعراف	الشيخ السعيدى	الإمام الرازى
4	سورة الأعراف	الشيخ السعيدى	الإمام الرازى
5	سورة الأعراف	الإمام الألوسى	الإمام الرازى
6	سورة الأعراف	الشيخ السعيدى	الشيخ السعيدى
7	سورة الأعراف	الإمام الألوسى	الإمام الألوسى
8	سورة الأعراف	الشيخ السعيدى	الإمام الرازى
9	سورة الأعراف	الشيخ السعيدى	الإمام الرازى

10	سورة الأعراف	الإمام الألوسي	الإمام الرازي
11	سورة الأعراف	الشيخ السعدي	الشيخ السعدي
12	سورة الأنفال	الشيخ السعدي	الإمام الرازي
13	سورة الأنفال	الشيخ السعدي	الشيخ السعدي
14	سورة الأنفال	الشيخ السعدي	الشيخ السعدي
15	سورة الأنفال	الشيخ السعدي	الشيخ السعدي
16	سورة الأنفال	الشيخ السعدي	الشيخ السعدي
17	سورة الأنفال	الشيخ السعدي	الإمام الرازي
18	سورة الأنفال	الإمام الألوسي	الإمام الألوسي
19	سورة الأنفال	الشيخ السعدي	الشيخ السعدي
20	سورة الأنفال	الإمام الألوسي	الإمام الألوسي
		الشيخ السعدي	الشيخ السعدي
21	سورة الأنفال	الشيخ السعدي	الشيخ السعدي
22	سورة التوبة	الشيخ السعدي	الشيخ السعدي
23	سورة التوبة	الشيخ السعدي	الشيخ السعدي
24	سورة التوبة	الإمام الألوسي	الإمام الألوسي
25	سورة التوبة	الإمام الألوسي	الإمام الألوسي
26	سورة التوبة	الشيخ السعدي	الإمام الرازي
27	سورة التوبة	الشيخ السعدي	الشيخ السعدي
28	سورة التوبة	الشيخ السعدي	الشيخ السعدي
29	سورة التوبة	الإمام الألوسي	الإمام الألوسي
30	سورة التوبة	الإمام الألوسي	الإمام الألوسي
31	سورة التوبة	الإمام الألوسي	الإمام الألوسي
32	سورة التوبة	الإمام الألوسي	الإمام الألوسي
33	سورة التوبة	الإمام الألوسي	الإمام الألوسي

34	سورة يونس	الإمام الألوسي	الإمام الألوسي
35	سورة يونس	الشيخ السعدي	الشيخ السعدي
36	سورة يونس	الإمام الألوسي	الإمام الرازي
37	سورة يونس	الإمام الألوسي	الإمام الرازي
38	سورة يونس	الشيخ السعدي	الشيخ السعدي
39	سورة يونس	الشيخ السعدي	الشيخ السعدي
40	سورة يونس	الشيخ السعدي	الشيخ السعدي
41	سورة هود	الإمام الألوسي	الجمع بين قولين
42	سورة هود	الشيخ السعدي	الإمام الرازي
43	سورة هود	الشيخ السعدي	الشيخ السعدي
44	سورة هود	الإمام الألوسي	الإمام الألوسي
45	سورة يوسف	الإمام الألوسي	كلاهما قوي
46	سورة يوسف	الإمام الألوسي	الإمام الألوسي
47	سورة يوسف	الشيخ السعدي	الشيخ السعدي
48	سورة يوسف	الإمام الألوسي	الإمام الألوسي
49	سورة يوسف	الشيخ السعدي	الإمام الرازي
50	سورة يوسف	الشيخ السعدي	الشيخ السعدي
51	سورة يوسف	الشيخ السعدي	الإمام الرازي
52	سورة الرعد	الشيخ السعدي	الشيخ السعدي
53	سورة الرعد	الشيخ السعدي	الإمام الرازي
54	سورة إبراهيم	الشيخ السعدي	الشيخ السعدي
55	سورة إبراهيم	الشيخ السعدي	الإمام الرازي
56	سورة إبراهيم	الإمام الألوسي	الإمام الألوسي
57	سورة الحجر	الإمام الألوسي	الإمام الألوسي
58	سورة النحل	الشيخ السعدي	الشيخ السعدي

59	سورة النحل	الشيخ السعدي	الشيخ السعدي
60	سورة النحل	الإمام الألوسي	الإمام الألوسي
61	سورة النحل	الإمام الألوسي	الإمام الرازي
62	سورة النحل	الإمام الألوسي	الإمام الألوسي
63	سورة النحل	الإمام الألوسي	الإمام الألوسي
64	سورة النحل	الإمام الألوسي	الشيخ السعدي
65	سورة الإسراء	الإمام الألوسي	الإمام الرازي
66	سورة الإسراء	الإمام الألوسي	الإمام الألوسي
67	سورة الإسراء	الشيخ السعدي	الإمام الرازي
68	سورة الإسراء	الإمام الألوسي	الإمام الألوسي
69	سورة الإسراء	الإمام الألوسي	الإمام الألوسي
70	سورة الإسراء	الإمام الألوسي	الإمام الألوسي
71	سورة الإسراء	الإمام الألوسي	الإمام الألوسي
72	سورة الإسراء	الإمام الألوسي	الإمام الألوسي
73	سورة الكهف	الإمام الألوسي	الإمام الألوسي
74	سورة الكهف	الإمام الألوسي	الإمام الألوسي

• تتكلم عن استدراك الإمام الألوسي والشيخ السعدي، وهي كالتالي:

الآن نتكلم عن عدد الاستدراكات في السور وهي كالتالي:

اسم السورة	استدراكات الإمام	استدراكات	عدد
	شهاب الدين الألوسي	الشيخ غلام رسول السعدي	الاستدراكات
			مجموعة

11	7	4	سورة الأعراف
10	8	2	سورة الأنفال
12	5	7	سورة التوبة
7	4	3	سورة يونس
4	2	2	سورة هود
7	4	3	سورة يوسف
2	2	-	سورة الرعد
3	2	1	سورة إبراهيم
1	-	1	سورة الحجر
7	2	5	سورة النحل
8	1	7	سورة الإسراء
2	-	2	سورة الكهف

37	عدد الاستدراكات الإمام الألوسي
37	عدد الاستدراكات الشيخ السعيد السعيد
74	عدد جميع الاستدراكات

التوصيات والاقتراحات

بعد ذكر النتائج التي توصلت إليها من خلال هذا البحث أريد أن أقدم عدّة توصيات للطلاب والباحثين، وهي كالتالي:

- أنه لا بدّ من التحقيق والتدقيق في القضايا التي اختلف فيه الأئمة والكبار لكي نعرف ما هو سبب اختلافهم؟ وما هي أدلتهم فيه؟ وما هو قول الراجح فيه؟
- التعرف بجهود هؤلاء الأئمة الأعلام من سلفنا الصالح وكتبهم ومؤلفاتهم وبالرسائل التي فيه كتبوا عنه والعاسي بهم وإبرازها إلى عالم الطباعة والنشر؛ لأن فيها علومًا غريبة وأسرار دفينّة وجوانب قيمة لإصلاح الأئمة وحلّ مشاكلها.
- ينبغي لطالب العلم والمعرفة أو أي باحث كان أن يكون دقيقاً فيما يكتبه مُتمسكاً بالدليل الصحيح مُعتمداً عليه. خاصّة إذا كان المكتوب متعلقاً بما جاء في كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم؛ لأنّ ما يُكتب اليوم يُنشر غداً ويُقرأ وليس كلّ قارئٍ قادراً على تمييز الخطأ من الصواب ومعرفة الحق من الباطل.
- كما أن الإمام فخر الدين الرازى والإمام شهاب الدين الألوسي والشيخ غلام رسول السعيدى من كبار العلماء والمفسرين وتفاسيرهم تحتاج إلى بحث وتحقيق مزيد لأن فيها الكثير من العلوم والمعارف الدقيقة العميقة.
- وأخيراً أوصي نفسي وإخواني الطلاب وجميع المسلمين بالعمل بما جاء في كتاب الله تعالى وسنة نبيّه محمد صلى الله عليه وسلم لنفوز بالسعادة في الدارين وندخل بإذن الله تعالى جنة نعيم.

هذا ما وفّقني الله سبحانه وتعالى في بيان "استدراكات الإمام شهاب الدين الألوسي والشيخ غلام رسول السعيدى على الإمام فخر الدين الرازى في تفسيريهما من أول سورة الأعراف إلى آخر سورة الكهف (دراسة تحليلية نقدية)" وهو جهد متواضع فما في ذلك من الصواب فمن الله عزّ وجلّ وما كان من خطأٍ فمفني ومن الشيطان، والله ورسوله صلى الله عليه وسلم منه بريان. فكلّ ما ذكرته في هذه الرسالة فهو بقدر طاقتي واستطاعتي ولا يزال هذا الموضوع بحاجة إلى بحث وتحقيق. والمجال مفتوح لكلّ باحث أن يبحث فيه ليستفيد منه

أكثر. فأسأل الله تعالى أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم وأن ينفعنا به وجميع المسلمين وأسأل الله تعالى القفر والعافية والمغفرة في الدين والدنيا والآخرة كما أسأله أن ينفعني بما علمني ويزيدني علماً وعملاً وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب. {رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَلْ لِي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطَانًا نَصِيرًا} (1) {رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَيَّ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحِمِْلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ} (2) {رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ} (3) آمين، أقول قولي هذا استغفر الله لي ولكم ولسائر المسلمين من كل ذنب وأتوب إليه لا إله إلا هو الحي القيوم. ولا حول ولا قوة إلا بالله علي العظيم. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين وصلى الله تعالى على النبي الأُمِّي وعلى آله وصحبه أجمعين.

الطالب:

محمد سعيد بن حُكَم خان

الطالب بقسم التفسير وعلوم القرآن، كلية أصول الدين،

الجامعة الإسلامية العالمية إسلام آباد

الموعد: يوم الخميس 10 أكتوبر 2019م الموافق 10 صفر المظفر 1441هـ.

(1) سورة الإسراء، الآية 80

(2) سورة البقرة الآية 286

(3) سورة آل عمران، الآية 8

الفهارس

وهي تشمل على:

- فهرس الآيات القرآنية
- فهرس الأحاديث النبوية
- فهرس الأحاديث والآثار
- فهرس الأعلام المترجم لهم
- فهرس الموضوعات

رقم المسلسل	الآيات	رقم الآية	رقم الصفحة
	فهرس الآيات		
	سورة البقرة		
1	الم . ذَلِكَ الْكِتَابُ	1،2	85 ،69 ،66
2	هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ	2	203 ،63
3	الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ	3	77
4	فَأَنزَلْنَا مِن مِّثْلِهِ	23	86 ،68 ،131
5	وَإِن كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا	23	86 ،68 ،131
6	أَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ	43	230
7	وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ	45	230
8	وَإِنَّ مِنْهَا لَمَّا يَغِيبُ مِنَ حَشِيَّةِ اللَّهِ	74	315 ،309
9	فَلَا تَمُوتُوا إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ	132	258
10	إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارًا أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ	161 ،162	227
11	وَإِذَا قِيلَ لِمُومِنَةٍ مَّا أُنزِلَ إِلَيْهَا قَالَتْ بَلَىٰ نَتَّبِعُ	170	105
12	وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ	184	339
13	هُدًى لِلنَّاسِ	185	63
14	وَالْمُطَلَّقاتُ يَتَرَضَّعنُ بِأَنفُسِهِنَّ	228	139
15	وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعنُ أَوْلَادَهُنَّ عَوْلِينَ كَامِلِينَ	233	139
16	آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ	285	64
17	لَا يَكْفُرُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لِمَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ	286	350

		سورة آل عمران		
70	7	هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ	18	
70	7	فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ	19	
70	7	وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ	20	
350	8	رَبِّنَا لَا تُرْغِ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا	21	
328	47	كُنْ فَيَكُونُ	22	
339	97	وَاللَّهُ عَلَى النَّاسِ حَاسِبٌ عَقِيبٌ	23	
125	126	وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ	24	
174	159	فِيمَا رَحِمَهُ مِنَ اللَّهِ إِنَّتُمْ لَمَنْ	25	
285, 174	172	لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقُوا أَجْرٌ عَظِيمٌ	26	
		سورة النساء		
339	25	وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ طَوْلًا أَنْ يَنْكِحِ	27	
306, 101	48	إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ	28	
276, 271	56	بَدَلْتَهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا	29	
227	56	إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصَلِّيهِمْ نَارًا	30	
289	59	فَإِنْ تَنَزَّعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ	31	
62	82	أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْفُرْقَانَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ	32	

62	83	لَعَلَّمَهُ الْوَيْدَانَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ	33
186	92	وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَأً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٌ	34
306	116	إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ	35
210	155	وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ لَلَّ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ	36
302	165	رَسُولًا مَبْتَلِيَهُمْ وَمُفْتَضِلِينَ لِقَلْبًا يَكُونُ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ	37
63	174	قَدْ جَاءَكُمْ بَرَهَانٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ	38
		سورة المائدة	
124، 117، 213	1	إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ	39
208	2	وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِنْفِ وَالْعُدْوَانِ	40
63	15	قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ	41
110	118	إِنْ تَعَدَّيْتُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ	42
		سورة الأنعام	
321، 128	28	وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ	43
63	38	مَا قَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ	44
305	74	إِنِّي أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ	45
305	76 - 78	فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي	46
201، 72	91	قُلِ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ	47
58	103	لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ	48

210	110	وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ	49
94	125	يَجْعَلُ صَدْرَهُ صَبِيحًا حَرْجًا	50
		سورة الأعراف	
62	1	المص	51
90, 85	1, 2	المص. كِتَابٌ أَنْزِلَ	52
93	2	كِتَابٌ أَنْزِلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ	53
98	14, 15	قَالَ أَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمٍ يُبْعَثُونَ. قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ	54
101	18	قَالَ اخْرُجْ مِنْهَا مَذْذُورًا مَذْذُورًا لَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ	55
286	30	فَرِيقًا هَدَى وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ	56
58	38	حَتَّىٰ إِذَا آذَرْتُمُوهُمَا فِيهَا جَمِيعًا	57
227	40	إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تُفْتَحُ	58
103	54	يُعْشَىٰ اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حِينًا وَالشَّمْسِ وَالْقَمَرِ	59
104	136	فَانتقمنا منهم فأعزقناهم في السيم باللهم كذبوا	60
106	150	قَالَ بِسْمَا خَلَقْتُمُونِي مِنْ بَعْدِي أَعَجَلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ	61
106	154	وَلَمَّا سَكَتَ عَنْ مُوسَىٰ الْعَصْبُ أَخَذَ الْأَلْوَابِحَ	62
114, 109	155	أَتَهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا	63
321	156	وَرَبِّعْتِي وَبِعْتِ كُلَّ شَيْءٍ	64

113	156، 157	فَمَا كُتِبَهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ	65
112، 111	159	أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ	66
114	172	وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ	67
120	206	إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيُسَبِّحُونَهُ	68
		سورة الأنفال	
128	8	وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْتَعْتَبَهُمْ	69
123	9	وَإِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِالْفِ	70
127، 125	10	وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ وَيُنذِرَ فِيهِ فُلُوكُمْ وَمَا لِلنَّصْرِ	71
142، 141	12	فَاضْرِبُوا قُوقَ الْأَعْتَابِ	72
128	23	وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْتَعْتَبَهُمْ وَلَوْ أُسْمِعَهُمْ	73
210	24	وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ	74
129	32	وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِن كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَنْظِرْ	75
133، 131	39	وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ	76
144	44	وَيَقْلَلِكُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ	77
135	46	وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَتَازَعَوْا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِجَالُكُمْ	78
136	60	وَأَعْلُوا لَكُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْحَيْلِ تُزهِمُونَ بِهِ	79

140، 138	65	إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ	80
140	65	مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ	81
138	66	الآنَ خَفَّفَ اللَّهُ عَنْكُمْ	82
138	66	وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ	83
141	67	مَا كَانَ لِشَيْءٍ أَنْ يَكُونَ لَهُ أُسْرَى حَتَّى يُضْحِكُنَّ فِي الْأَرْضِ	84
146، 143	68	لَوْلَا كِتَابٌ مِنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ	85
		سورة التوبة	
148	5	فَأَقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخَلَّوهُمْ وَإِخْصَرُوهُمْ	86
162	9	إِنْ اسْتَحْيُوا الْكُفْرَ عَلَى الْإِيمَانِ	87
155، 152	12	وَإِنْ تَكْفُرُوا أَتَمَّتْ مِنْ تَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعْنُوا فِي دِينِكُمْ	88
161	23	يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا آيَاتَهُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أُولِيَاءَ	89
163	30	وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ	90
206	40	لَا تَحْزَنَ إِنْ لَمْ يَكُنْ	91
164	43	غَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذْنَتْ لَكَ	92
180	53	فَلَنْ أَنْفَكُوا طَوْعاً أَوْ كَرْهاً لَنْ يُتَقَبَلَ مِنْكُمْ	93
170	59	وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا مَا آتَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ	94

228	72	وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ	95
173، 178، 184	80	اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً	96
181، 182	84	وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ	97
205	103	وَلَوْ أَنَّهُمْ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَمَثُوبَةٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ خَيْرٌ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ	98
269، 268	113، 114	مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ	99
186	121	لِيُخْرِجَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ	100
		سورة يونس	
189	7	إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنَّنُوا بِهَا	101
194	18	وَيَقْتُلُونَ مِنَ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ	102
217	33	كَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَاتُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ	103
131	38	قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَضَعْتُمْ	104
214	51	الآن وَقَدْ كُنْتُمْ بِهِ تَسْتَفْهِلُونَ	105
197	55	أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ	106
63	57	وَبِشْفَاءِ لَيْلَى فِي الْمَدِينَةِ وَهُدَىٰ وَرَحْمَةً لِلْمُؤْمِنِينَ	107

199	57	يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ	108
202	58	قُلْ يَفْضَلِ اللَّهُ وَرَحْمَتَهُ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْتَمِعُونَ	109
206, 205	62	أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ	110
205	65	وَلَا يَحْزَنُكَ قَوْلُهُمْ إِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ	111
212	88	فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّى يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ	112
212	89	قَالَ قَدْ أُجِيبَتْ دَعْوَانَا	113
58	90	حَتَّى إِذَا أَذْرَكَهُ الْعَرَقُ	114
207	90, 91	حَتَّى إِذَا أَذْرَكَهُ الْعَرَقُ قَالَ آمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آمَنْتُ بِهِ	115
129, 93	94	فَمَنْ كُنْتُمْ فِي شَكٍّ مِنْهَا نَازِلْنَا إِلَيْكُمْ فَأَسْأَلِ الَّذِينَ يَتْلُونَ الْكِتَابَ	116
216, 211, 286	96, 97	إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَاتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ. وَلَوْ جَاءَتْهُمْ كُلُّ آيَةٍ	117
		سورة هود	
131, 68, 219	13	أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُورٍ مِثْلِهِ مُفْتَرَاتٍ وَاذْعُوا	118
222, 220	34	وَلَا يَنْفَعُكُمْ نُصْحِي إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أَنْصَحَ لَكُمْ	119
328	66	فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا	120
338	67	مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ	121

252	71، 70	لَا تَحْزَنْ إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَى قَوْمِ لُوطٍ وَامْرَأَتَهُ قَائِمَةً	122
328	97	وَمَا أَمْرٌ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ	123
224	107	خَالِيَيْنَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ	124
228	107	إِنَّ رَبَّكَ فَعَالٌ لِمَا يُرِيدُ	125
228	108	عَطَاءٌ غَيْرٌ مَجْدُودٍ	126
230	112	فَأَسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ	127
201	123	وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ فَاعْبُدْهُ	128
		سورة يوسف	
234	24	كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ	129
235	24	وَلَقَدْ هَمَّتْ بِوَهُمْ بِمَا لَوْ أَنَّ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ	130
237	31	إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ	131
242، 240	37	إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ	132
241	38	مَا كَانَ لَنَا أَنْ نُشْرِكَ بِاللَّهِ مِنْ شَيْءٍ	133
238، 236	51	حَاشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِنْ سُوءٍ	134
236	51	أَنَا رَاوِدُكَ عَنْ نَفْسِي	135
243	67	وَقَالَ يَا بَنِيَّ لَا تَدْخُلُوا مِنِّي بَابٍ وَاحِدٍ وَادْخُلُوا مِنِّي أَبْوَابٍ مُتَفَرِّقَةٍ	136
248، 245	77	قَالُوا إِنْ يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَه مِنْ قَبْلٍ فَأَسْرَعَهَا يُوسُفُ	137
250	87	يَا بَنِيَّ أَذْعَبُوا قَتَلْتُمْ أَيْسَرًا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَيْئَسُوا مِنْ رُوحِ اللَّهِ	138

255، 253	101	أَنْتَ وَلِيِّ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفِّي مُسْلِمًا وَالْحَيِّي بِالصَّالِحِينَ	139
307	105	وَكَايِنَ مِنْ آيَةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا	140
		سورة الرعد	
،261 ،260 263	23	وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ	141
260	23	جَعَلَتْ عَذَابَ عَذَابِ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ	142
264	43	فَلَنْ كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ	143
		سورة إبراهيم	
267	1	الرَّ كِتَابَ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ	144
305	10	قَالَتْ رُسُلُهُمْ أِنِّي اللَّهُ مُبَكِّ فَايُطِرُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ	145
124، 117	27	وَتَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ	146
269	39	الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَكَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ	147
269	40	رَبِّ اجْعَلْ لِي مَقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي رَجُلًا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ	148
268	41	رَجُلًا غَافِرًا لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ	149

150	يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ	48	225، 227، 229، 271، 275
151	هَذَا بَلَاغٌ لِلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا بِهِ	52	63
سورة الحجر			
152	إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ	9	335
153	وَالْأَرْضِ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رِوَاسِيَ وَأَوْبَقْنَا	19	281
154	فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ، إِلَّا إِبْلِيسَ	30، 31	120
155	قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ	36	100
156	فَأَنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ. إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ	37، 38	98
سورة النحل			
157	وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ	15	281
158	وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا مَاذَا أَنْزَلْ رَبُّكُمْ قَالُوا خُبْرًا لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا	30	284
159	فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ	36	286
160	إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ	40	115
161	فَمَا سَأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ	43	105، 287
162	أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى مَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ يَتَفَيَّأُ ظِلَالُهُ عَنِ الْيَمِينِ	48	291
163	وَيَتَعَلَّقُونَ بِالِّ الْإِنْبَاتِ سُجَّانًا وَلَهُمْ مَا يَشْتَهُونَ	57	293

294	68، 69	وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّخْلِ أَنْ اجْنُذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ	164
297	78	وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ	165
63	89	وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ	166
200	90	إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ	167
111	120	إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً	168
		سورة الإسراء	
64	9	إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلِّي هِيَ أَقْوَمُ	169
301	13	وَنُخْرِجْ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنشُورًا	170
300	14	اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا	171
302	15	مَنْ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا	172
232، 185	23	فَلَا تَعْلَمُ لَهَا آفَ	173
290	36	وَلَا تَعْلَمُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ	174
308	42	فَلَنْ لَوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَا تَتَمَوْا	175
313، 306	44	وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَعْقِلُونَ تَسْبِيحَهُمْ	176
193	57	وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ	177
322	61- 65	وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا ... وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا	178
321	62	أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ	179
321	63	فَإِنَّ جَهَنَّمَ جِزَاءُ مَنْفُورًا	180
321	64	وَاسْتَفْرَزَ مِنْهُمُ الَّذِينَ اسْتَفْطَمْتُ مِنْهُمْ	181

320	65	182	إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ وَكَمْ بِرَبِّكَ وَكَيْلًا
322	78	183	وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا
350	80	184	رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مَخْرَجَ صِدْقٍ
327	85	185	وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي
130، 68، 2	88	186	قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ
330، 130	90-93	187	وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَنْزِلَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعًا
330	94	188	وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْمُدَىٰ
330	94-96	189	وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْمُدَىٰ إِلَّا أَنْ قَالُوا
330، 330	96	190	قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ
			سورة الكهف
2	1	191	الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا
95	6	192	فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسًا عَلَىٰ آثَارِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِمَا الْحَدِيثُ آسَفًا
334	27	193	وَأَنْزَلَ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ كِتَابٍ رَبِّكَ لَا مُتَبَدِّلُ لِكَلِمَاتِهِ
340	67	194	قَالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا
337	67، 68	195	قَالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا. وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خَبْرًا
338	68	196	وَكَيفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خَبْرًا

197	الدِّينَ كَانَتْ أَخْيَبُهُمْ فِي غِطَاءٍ عَنِّ دِكْرِي	101	340
	سورة مريم		
198	كهيعص	1	87
199	وَمَا تَقْرَأُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ	64	208
200	تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَّقَطُّنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الأَرْضُ وَنُجُومُ الْجِبَالِ هُنَا	90, 91	309
	سورة طه		
200	فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيْسَ لَنَا لَعْلَهُ بِتَذَكُّرٍ أَوْ يَتَخَشَى	44	208
201	فَمَنْ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْغَى. وَمَنْ أَعْرَضَ	123, 124	64
202	وَلَوْ أَنَّا أَهْلَكْنَاهُمْ بِعَذَابٍ مِنْ قَبْلِهِ لَقَالُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ	134	303
	سورة الأنبياء		
203	لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا	22	129
204	لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ	23	213
205	لَا يَسْتَفِهُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ	27	208
206	وَهُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ	28	208
207	وَهُمْ مِنَ السَّاعَةِ مُشْفِقُونَ	49	189, 192
208	وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ	107	174
	سورة الحج		
209	إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُشَاءُ	18	213
210	وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ	78	94
	سورة المؤمنون		
211	قَالَ رَبِّ انصُرْنِي بِمَا كَذَّبُونَ	26	331

212	وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ	117	305
	سورة النور		
213	لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا	60	193
214	لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَوَيُدْخِلُهُمْ فِي فَضْلِهِ	38	187
	سورة الفرقان		
215	وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا	21	193
216	قَالُوا وَمَا الرَّحْمَنُ	60	84
217	فَأُولَئِكَ يَبْدُلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ	70	277, 271
	سورة الشعراء		
218	لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسِكَ أَلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ	3	95
219	وَإِنَّ لِكُلِّ شَيْءٍ رَبًّا الْعَالَمِينَ. نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ... يَلْسَانَ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ	-192 195	62
220	يَلْسَانَ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ	195	78
	سورة النمل		
221	يَا مُوسَى لَا تَحْفَظْ لِي لِي لَا يَخَافُ لَدَيْهِ الْمُتَرَبِّتُونَ	10	206
	سورة القصص		
222	إِنَّ كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلَا أَنْ رَبَطْنَا عَلَى قَلْبِهَا	10	234
223	لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا	25	187
	سورة العنكبوت		
224	الم. أَحْسِبَ النَّاسُ	1,2	87, 85

206	33	وَلَمَّا أَنْ جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيراً يَوْمَ وَضَاقَ يَوْمَ ذُرْعَا	225
75	48	وَمَا كُنْتُمْ تَقْلُوا مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا خِطَابٍ بِئَمِينِكَ	226
63	51	أَوْ لَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَى عَلَيْهِمْ	227
71	69	وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا سورة الروم	228
87, 85	2, 1	الْمِ غُلِبَتِ الرُّومُ سورة سبأ	229
119	10	يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ	230
276, 271	16	وَبَدَّلْنَاكُمْ بَحِثَّتِهِمْ جَنَّاتٍ سورة فاطر	231
213, 210	8	فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ سورة يس	232
286	7	لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ عَلَى أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ	233
340	8	إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَعْنَاقِهِمْ أَغْلَالًا فَهِيَ	234
340	9	وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا	235
260	26, 27	يَأْتِيَتْ قَوْمِي يَخْلُمُونَ. بِمَا عَفَرْتُ لِي رَبِّي	236
103, 102	40	لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ سورة ص	237
315, 309	18	إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعِيسَى وَالْإِشْرَاقِ	238

239	60	144	قَالُوا بَلْ أَنْتُمْ لَا مَرْحَبًا بِكُمْ أَنْتُمْ قَدَّمْتُمُوهُ لَنَا فَيَنْسُ الْفَرَارِ
240	73	120	فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ
241	80، 81	100	قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ
			سورة الزمر
242	7	109	وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى
243	65	129	لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ
244	68	68	وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ
245	74	225، 227	وَأُورِثْنَا الْأَرْضَ فَتَبَوَّأْنَا مِنْ الْجِبْتِ حَيْثُ نَشَاءُ
			سورة غافر
246	1 - 3	157	حَمَّ تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ
247	85	214	فَلَمْ يَكُ يَنْفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا سُنَّتَ اللَّهُ
			سورة فصلت
248	11	115	فَقَالَ لَهَا وَالْأَرْضُ أَيْنَمَا طَوَعْنَا أَوْ كَرِهْنَا قَالَتْما أَتَيْنَا طَائِعِينَ
249	26	69، 72، 89	وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَعْلَمُونَ
250	30	71	إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا
			سورة الشورى

251	25	157	وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ
			سورة الزخرف
252	1,2	86	حم. وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ
253	19	293	وَيَجْعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنَاءًا
254	23,24	105	وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَدِيرٍ
			سورة محمد
255	4	142	فَإِذَا لَقِيْتُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبِ الرِّقَابِ
256	24	62	أَقْلَامًا يَتَذَكَّرُونَ الْفُرْقَانَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَفْقَالًا
			سورة ق
257	22	301	فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ
			سورة الداريات
258	24,25	252	هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ
259	50	201, 72	فَقُورُوا إِلَى اللَّهِ
			سورة الطور
260	21	263	وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ
			سورة القمر
261	5	63	حِكْمَةً بَالِغَةً
			سورة المجادلة
262	4	339	فَمَنْ لَمْ يُسْتَطِعْ فِرَاطَهُمْ سَبْعِينَ مَسْكِينًا
			سورة الحشر

126	11	لَعْنٌ أُخْرِجْتُمْ لِنَعْرَجٍ مَعَكُمْ وَلَا تُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا	263
128	12	لَعْنٌ أُخْرِجُوا لَا يُخْرِجُونَ مَعَهُمْ وَلَعْنٌ قُوتِلُوا لَا يَنْصُرُونَهُمْ	264
		سورة الممتحنة	
177، 178، 268	4	فَلْكَانَتْ لَكُمْ أَسْوَأَ حَسَنَةً فِي إِبْرَاهِيمَ	265
189، 191	13	فَقَدْ يَمْسُوا مِنَ الْأَجْرَةِ كَمَا يَمْسُ الْكُفَّارُ مِنَ أَصْحَابِ الْقُبُورِ	266
		سورة المنافقون	
184	6	سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ	267
		سورة التغابن	
339	16	فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ	268
		سورة الملك	
305		وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ	269
		سورة القلم	
86	1، 2	ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ. مَا أَنْتَ بِنِعْمَةٍ رَبِّكَ بِمُحْسِنِينَ	270
58	49	لَوْلَا أَنْ تَدَارَكُ نِعْمَةٌ مِنْ رَبِّهِ	271
		سورة الحاقة	
192	20	إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَّةٍ	272
		سورة نوح	

189	13	مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا	273
		سورة الجن	
2	2	يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ	274
		سورة القيامة	
242	36	أَلَمْ تَسْبِ الْإِنْسَانَ أَنْ يُشْرِكَ سُدَى	275
		سورة النبا	
282	6	وَالْحِيَتَالِ أَوْتَادًا	276
224	23	لَا يَشِينُ فِيهَا أَحْقَابًا	277
193	27	إِنَّهُمْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ حِسَابًا	278
		سورة النازعات	
189	45	إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ مَنِ يَخْشَاهَا	279
		سورة المطففين	
273، 272، 278	7	كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْفُجَارِ لَفِي سِجِّينَ	280
273، 272، 278	18	كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ	281
		سورة الفجر	
201	27، 28	يَا أَيُّهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ. ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ	282
		سورة الليل	
86	1 - 2	وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ. وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ	283
		سورة الضحى	
174	10	وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَزْ	284
		سورة التين	
238	4	لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمَ	285

		سورة الحمزة	
218	7، 6	نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ. الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الْأَفْئِدَةِ	286
		سورة المسد	
177	3 - 1	تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ	287

فهرس الأحاديث والآثار

رقم المسلسل	الحديث أو الأثر	رقم الصفحة
1	أتدرون ما تقول هذه العصافير؟ قلنا: لا قال: أما إني ما أقول أنا نعلم الغيب	318
2	أتى أبو بكر الصديق رضي الله عنه بغراب وافر الجناحين	318
3	أتى جبرائيل عليه السلام، النبي ﷺ، وهو يُوعك،	243
4	أتى رسول الله ﷺ بطعام ثم يد فقال: إن هذا الطعام يُمبج فقالوا: يا رسول الله ﷺ وتفقه تسميحه؟	316
5	اختلاف أمي رحمة	135
6	إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ وَأَهْلُ النَّارِ النَّارَ بِقَوْلِ اللَّهِ: مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ	102
7	أَرْضٌ بِنِضَاءٍ كَانَتْهَا فِضَّةٌ، لَمْ يُسْقَ فِيهَا دَمٌ حَرَامٌ، وَلَمْ يُغْتَلْ فِيهَا خَطِيئَةٌ	275
8	الأرض كلها نار يوم القيامة	274
9	أَعْيَدْنَا بِكَلِمَاتِ اللَّهِ الثَّابِتَةِ، مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ وَهَامَةٍ، وَمَنْ هَرَمَ كُلِّ عَيْنٍ لَأُمَّةٍ	243
10	أَلَا إِنَّ رَبِّي أَمَرَنِي أَنْ أَعْلِمَكُم مَّا جَهِلْتُمْ، بِمَا عَلَّمَنِي يَوْمِي	94
11	أَلَا الْحَيْرُ كُمْ بِشَيْءٍ أَمَرَ بِهِ نُوحُ ابْنُهُ؟ إِنَّ نُوحًا قَالَ لِابْنِهِ يَا بُنَيَّ أَمْرُكَ	310
12	أَلَا لَا يُقْتَلُ مُؤْمِنٌ بِكَافِرٍ، وَلَا ذُو عَهْدٍ فِي عَهْدِهِ	272
13	الألف من الله، واللام من جبريل، والميم من محمد صلى الله عليه وسلم	69
14	الألف إشارة إلى أنه تعالى أحد، أول، آخر، أزلي، أبدي	67
15	الم أنا الله أعلم، وفي النص أنا الله أفصل، وفي الر أنا الله أرى،	68

151، 150	أَمِرْتُ أَنْ أَقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ،	16
262	أنا جليس من ذكرتي	17
154	أَنَّ ابْنَ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَمَّا إِذْ بَرَأَ مِنْ قَبِيلِ لَهٍ إِنَّ هَذَا يُسَبُّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ	18
243	أن بنى جعفر بن أبي طالب كانوا غلمانا بيضا فقالت أسماء رضي الله عنها	19
152	أَنَّ أُمَّتِي كَانَتْ لَهٍ أُمٌّ وَلِدٌ تَشْتُمُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَتَقَعُ فِيهِ، فَيَنْهَاهَا،	20
181	أن النبي صلى الله عليه وسلم لما تقدم ليصلي عليه جاءه جبريل عليه السلام فجد ثوبه	21
115	إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ آدَمَ، ثُمَّ مَسَحَ ظَهْرَهُ بِبَيْبِئِهِ، فَأَخْرَجَ مِنْهُ ذُرِّيَّةً، فَقَالَ: خَلَقْتُ هَؤُلَاءِ لِلْجَنَّةِ وَيَعْمَلُ أَهْلُ الْجَنَّةِ بِعَمَلِهِمْ	22
309	إِنَّ بِمَكَّةَ حَجْرًا كَمَا أَنْ يُسَلِّمَ عَلَيَّ لَيْلِي بُعِثْتُ، إِنِّي لَأَعْرِفُهُ الْآنَ	23
208	أَنَّ جَبْرِيْلَ بْنَ جَعْفَرَ يَدُسُّ فِي فِي فِرْعَوْنَ الطِّينَ حَشْبَةً أَنْ يَقُولَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ،	24
318	أن داود عليه السلام أتى البحر في ساعة فصلى فنادته صفدعة يا داود	25
310	أن الرجل إذا قال: لا إله إلا الله فهي كلمة الإخلاص التي لا يقبل الله	26
144	انطَلِقُوا حَتَّى تَأْتُوا رَوْضَةَ حَاجٍ، فَإِنَّ بِهَا طَعِينَةً، وَمَعَهَا كِتَابٌ فَخُذُوهُ مِنْهَا	27
243	إن العين إليهم سريعة أفاسرفي لهم من العين فقال لها نعم	28
175	إِنَّ قَمِيصِي لَا يُغْنِي عَنِّي مِنْ اللَّهِ شَيْئًا وَإِنِّي لَأَرْجُو أَنْ يُسَلِّمَ بِفِعْلِي قَدَا أَلْفُ رَجُلٍ	29
201	إِنَّ لِرَبِّكُمْ عَزَّ وَجَلَّ فِي أَيَّامِ ذَهْرِكُمْ نَفْحَاتٍ، فَتَعَرَّضُوا لَهَا	30

108	إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ	31
314	إِنْ مِنْ شَيْءٍ حَتَّىٰ إِلَّا تُسَبِّحَ بِحَمْدِهِ	32
309	إِنَّ نَبِيَّ اللَّهِ نُوحًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمَّا حَضَرَتْهُ الْوَفَاةُ	33
317	إِنْ نُوحًا عَلَيْهِ السَّلَامُ لَمَّا حَضَرَتْهُ الْوَفَاةُ قَالَ لِابْنَيْهِ: أَمْرٌ كَمَا بِسَبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ	34
316	إِنَّ هَذَا الطَّعَامَ يَسْبِغُ فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَتَفَقَّهُ تَسْبِغُهُ؟	35
74	أَنَّمَا الْأَسْمَاءُ السُّورُ	36
276	أَنَّمَا تَبْدُلُ بَارِضٍ مِنْ فِضَّةٍ	37
278	إِنَّمَا تَبْدُلُ الْبَارِضَ غَيْرَهَا بَبَيْضَاءٍ لَمْ يَجْعَلْ عَلَيْهَا خَطْبَةً	38
276	أَنَّمَا تَجْعَلُ مِنْ ذَهَبٍ	39
88, 65	إِنَّهُ تَنَاءً مِنَ اللَّهِ تَعَالَى عَلَى نَفْسِهِ	40
247	أَنَّهُ سَرَقَ صِنْفًا لَجِدَهُ أَبِي أُمِّهِ	41
249	أَنَّهُ سَرَقَ مَكْحَلَةً لِحَالَتِهِ	42
317	أَنَّهُ مَرَّ عَلَى قَوْمٍ وَهُمْ وَقُوفٌ عَلَى دَوَابِّ لَمْ يَزُوجِجِلْ، فَقَالَ لَهُمْ: الْكُتُبُهَا سَالِمَةٌ،	43
274	أَنَّ يَهُودِيًّا سَأَلَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَيَّنَ يَكُونُ النَّاسُ يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ	44
154	أَنَّ يَهُودِيَّةً كَانَتْ تَشْتُمُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَتَقَعُ فِيهِ، فَحَنَقَهَا رَجُلٌ حَتَّى مَاتَتْ	45
310	إِنِّي أَرَاكَ لِحَبِّ الْعَنَمِ وَالْبَادِيَةِ، فَإِذَا كُنْتُ فِي عَنَيْكَ، أَوْ بَادِيَتِكَ،	46
64	إِنِّي تَرَكْتُ فِيكُمْ مَا إِنْ تَمَسَّكُمْ بِهِ لَنْ تَضِلُّوا كِتَابَ اللَّهِ وَسُنَّتِي	47
102	إِنِّي لَأَعْلَمُ أَحْرَجَ أَهْلَ النَّارِ خُرُوجًا مِنْهَا، وَأَخْرَجَ أَهْلَ الْجَنَّةِ دُخُولًا، رَجُلٌ يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ كَبُورًا،	48

49	لِي لَأَعْرِفُ حَجَرًا بِمَكَّةَ كَانَ يُسَلِّمُ عَلَيَّ قَبْلَ أَنْ أُبْعَثَ لِي لَأَعْرِفُهُ الْآنَ	309
50	الْإِيمَانُ بِضَعِّ وَتَبَعُونَ شُعْبَةً	83
51	أَنْ يَكُونَ النَّاسُ يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتِ؟	277, 274
52	بِسْمِ اللَّهِ أَزِيدُكَ، مِنْ كُلِّ شَيْءٍ يُؤْذِيكَ، مِنْ حَسَدِ خَاسِرٍ،	243
53	بَيْنَمَا رَجُلٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ يَشْتَدُّ فِي أَمْرِ رَجُلٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ أَمَامَهُ	125
54	تَبْدِيلُ الْأَرْضِ أَرْضًا بِيضًا كَأَنَّهَا سَبِيكَةٌ فَضَّةٌ لَمْ يَسْفِكْ فِيهَا دَمَ حَرَامٍ	274
55	تَبْدِيلُ الْأَرْضِ غَيْرِ الْأَرْضِ فَيَسِطُ وَيَمْدُ مَدَّ الْأَدِيمِ الْعِكَاطِي لَأُتْرَى فِيهَا عَوْجًا وَلَا أَمْتًا	278
56	تَبْدِيلُ الْأَرْضِ يَوْمَئِذٍ مِنْ فَضَّةٍ وَالسَّمَاءِ مِنْ ذَهَبٍ وَهَذَا تَبْدِيلٌ لِلْعَيْنِ، وَحَسْبُكَ	278
57	تَبْدِيلُ بَحِيرَةٍ بِيضًا، فَيَأْكُلُ الْمُؤْمِنُ مِنْ تَحْتِ قَدَمَيْهِ	276, 273
58	تَسْبِيحُ سَمَاءِ الدُّنْيَا سُبْحَانَ رَبِّي الْأَعْلَى وَالسَّابِقِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وَالثَّلَاثَةِ سُبْحَانَهُ وَبِحَمْدِهِ	243
59	تَشْهَدُ مَلَائِكَةُ اللَّيْلِ وَمَلَائِكَةُ النَّهَارِ	324
60	تَصِيرُ السَّمَاوَاتُ جَنَانًا وَيَصِيرُ مَكَانُ الْبَحْرِ نَارًا	273
61	تَكُونُ الْأَرْضُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حُبِيرَةً وَاحِدَةً، يَتَكَفَّرُهَا الْجَبَّارُ بِيَدِهِ	275, 273
62	جَلَسَ الْحَمْسَنُ مَعَ أَصْحَابِهِ عَلَى مَائِدَةٍ فَقَالَ بَعْضُهُمْ: هَلْ فِيهِ الْمَائِدَةُ تَسْبِيحُ الْآنَ	319
63	خَذَرُوا عَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا تَخْرُجْ	94
64	دَخَلَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَعِنْدَنَا صَبِيٌّ يَشْتَكِي	243
65	رَجِمَ اللَّهُ أَبَا بَكْرٍ مَا كَانَ أُمَّةً	149
66	سَرَّ اللَّهُ تَعَالَى فَلَا تَطْلُبُوهُ	76, 73

249	سرق يوسف عليه السلام دجاجة من الطير التي كانت في بيت يعقوب عليه السلام فأعطاهما سائلا	67
167	سَمِعْتُمْ بِمُعَاتِبَةِ أَحْسَنَ مِنْ هَذَا؟ بَدَأَ بِالْعَقْرِ قَبْلَ الْمُعَاتِبَةِ	68
137	صُهَيْلُ الْفَرَسِ يَرْهَبُ الْجَرْنَ	69
318	ظن داود عليه السلام في نفسه أن أحدا لم يمدح خالقه بما مدحه	70
73	علم مستور وسرّ محبوب عجزت العلماء عن إدراكه وقصرت خيول الخيال عن لحاقه	71
343	عِنْدَنَا صَبِيٌّ يَشْتَكِي، فَقَالَ: مَا هَذَا؟. قَالُوا: نَقِهْمُ بِهِ الْعَيْنَ	72
244	الْعَيْنُ حَقٌّ، وَلَوْ كَانَ كَسِيَّةً سَابِقِي لَلْقَدَرِ سَبَقْتَهُ الْعَيْنُ، وَإِذَا اسْتُغْسِلْتُمْ فَأَغْسِلُوا	73
245	الْعَيْنُ حَقٌّ، وَيَحْضُرُ بِهَا الشَّيْطَانُ وَحَسَدُ ابْنِ آدَمَ	74
276	فَأَيْنَ يَكُونُ النَّاسُ؟ قَالَ: عَلَى الصِّرَاطِ	75
324	فَضْلُ صَلَاةِ الْجَمِيعِ عَلَى صَلَاةِ الْوَاحِدِ خَمْسٌ وَعِشْرُونَ دَرَجَةً، وَيَجْتَمِعُ مَلَائِكَةُ اللَّيْلِ	76
262	الفقراء الصابرون جلساء الله يوم القيامة	77
315	فَلَمَّا اتَّخَذَ الْمُنْبَرَ تَحَوَّلَ إِلَيْهِ فَحَرَّ الْجِدْعُ فَأَنَاءَهُ فَمَسَحَ يَدَهُ عَلَيْهِ	78
269	كَانَ إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَسْتَعْفِفُ لِأَبِيهِ فَلَمَّا مَاتَ لَمْ يَسْتَعْفِفْ لَهُ تَبْرَأَ مِنْهُ	79
247	كان أول ما دخل على يوسف عليه السلام من البلاء، فيما بلغني أن عمته ابنة إسحاق عليه السلام	80
247	كان بنو يعقوب على طعام، إذ نظر يوسف عليه السلام إلى عرق فخبأه	81
248	كان يوسف عليه السلام مع أمه عند خمال له قال: وكان غلاماً،	82

339	كَانَتْ لِي بَوَاسِيرٌ فَسَأَلْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: صَلِّ قَائِمًا، فَإِنْ لَمْ تَسْتَطِعْ فَقَاعِدًا.	83
126	كَانَ النَّاسُ يَوْمَ بَدْرٍ يَعْرِفُونَ قُلُوبِي الْمَلَائِكَةِ يَمُنُّونَ فَتَلَوْنَهُمْ بِضَرْبِهِمْ فَوَقَّ الْأَعْتَابِي وَعَلَى الْبَنَانِ،	84
256	كَانَ يُوسُفُ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَرِيدُ أَنْ لَا يَسْلُبَنِي الْإِسْلَامَ حَتَّى يَتَوَقَّأَنِي عَلَيْهِ	85
313	كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَخْطُبُ إِلَى جَدِّعٍ، فَلَمَّا اتَّخَذَ الْمَيْتِرُ مَحْوَلًا إِلَيْهِ فَحَرَّ الْجِدْعُ فَأَنَاءَهُ فَمَسَحَ بِيَدِهِ عَلَيْهِ	86
244	كَانَ يُؤَمِّرُ الْعَائِلِينَ فَيَتَوَضَّأُ ثُمَّ يَغْتَسِلُ مِنْهُ الْمَعِينُ	87
64	كِتَابُ اللَّهِ فِيهِ نَبَأٌ مَا قَبْلَكُمْ وَخَبْرٌ مَا بَعْدَكُمْ، وَحُكْمٌ مَا بَيْنَكُمْ	88
249	كُذِبَ إِبْرَاهِيمَ ثَلَاثَ كَذِبَاتٍ	89
83	كُفِّي بِالسَّيْفِ شَاهِدًا	90
321	كُلُّ شَيْءٍ يُسْتَجْعَلُ إِلَّا الْحِمَارُ وَالْكَلْبُ	91
318	كُنَّا أَصْحَابَ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَعُدُّ الْآيَاتِ بِرُكَّةٍ وَأَنْتُمْ تَعُدُّوهُمَا تَحْوِيفًا	92
318	كُنَّا مَعَ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ جُلُوسًا فِي مَسْجِدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَمَرَّ بِنَا عَصَافِيرٌ يَصْحَرُونَ،	93
277	كُنْتُ قَائِمًا عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَجَاءَ جُرَيْرٌ مِنْ أَهْلِ الْيَهُودِ فَقَالَ: السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا مُحَمَّدُ فَدَفَعْتُهُ دَفْعَةً	94
132	لَا يَجْتَمِعُ دَهْنَانٌ فِي جَزِيرَةِ الْعَرَبِ	95
150، 149	لَا يَحِلُّ دَمُ أَشْرِيٍّ مُسْلِمٍ، يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ رَسُولَ اللَّهِ، إِلَّا يَأْخُذِي ثَلَاثٌ	96
256	لَا يَتَمَتَّى أَحَدُكُمْ الْمَيُوتَ إِذَا تَحَمَّسْنَا فَلَعَلَّهُ يَزْدَادُ، وَإِنَّمَا مُسَبِّحًا فَلَعَلَّهُ يَسْتَجِيبُ	97

357	لا يَمَنَّيَنَّ أَحَدُكُمْ الْمَوْتَ مِنْ هَضْرٍ أَصَابَتْهُ، فَإِنْ كَانَ لَا بَدَّ فَاعِلًا،	98
258، 256	لا يَمَنَّعُ أَحَدُكُمْ الْمَوْتَ لِضَرْبِ نَزَلٍ بِهِ	99
256	لا يَمَنَّعُنِي أَحَدُكُمْ الْمَوْتَ، وَلَا يَدْعُ بِهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَهُ،	100
167	لَقَدْ عَجِبْتُ مِنْ يُوسُفَ وَصَبْرِهِ، وَكَرَمِهِ فَأَلَّهَ يَغْفِرُ لَهُ جِئِن سَمِعَ عَنْ الْبَغْرَاتِ الْعِجَابِ السَّمَانِ،	101
310	لَقَدْ كُنَّا نَسْتَمِعُ تَسْبِيحَ الطَّعَامِ وَهُوَ يُؤْكَلُ	102
208	لَمَّا أَعْرَقَ اللَّهُ فِرْعَوْنَ قَالَ: آمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي	103
161	لَمَّا أَمَرَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمُؤْمِنِينَ بِالْهَجْرَةِ قَبْلَ فَتْحِ مَكَّةَ الْمَكْرَمَةَ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ مَنْ لَمْ يُهَاجِرْ	104
123	لَمْ تَقَاتِلْ لِلْمَلَائِكَةِ سِوَى يَوْمِ بَدْرٍ وَفِيمَا سِوَاهُ كَانُوا عِدْدًا وَمُدَدًا لَا يَفْتَاتِلُونَ	105
181، 175	لَمَّا مَاتَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي إِبْرَاهِيمَ سَأَلُوهُ، دُعِيَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِصَلَاةٍ عَلَيْهِ،	106
173، 182، 175	لَمَّا تُرِفِقَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي إِبْرَاهِيمَ جَاءَ ابْنَةُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ،	107
282	لَمَّا خَلَقَ اللَّهُ الْأَرْضَ جَعَلَتْ تَمِيذًا، فَخَلَقَ الْجِبَالَ، فَقَالَ بِهَا عَلَيْهَا فَاسْتَقَرَّتْ،	108
143	لَمْ يَحِلَّ الْعَنَائِمُ لِقَوْمِ سُودِ الرَّهْطِيِّ قَبْلَكُمْ كَأَنَّ تَنْزِيلَ النَّارِ مِنَ السَّمَاءِ فَتَأْكُلُهَا،	109
256	لَمْ يَمَنَّعُ الْمَوْتَ أَحَدٌ قَطُّ، نَبِيٌّ وَلَا غَيْرُهُ إِلَّا يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلَامُ	110
256	لَمْ يَسْأَلْ نَبِيٌّ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ الْمَوْتَ إِلَّا يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلَامُ	111
250	لَمْ يَكْذِبْ إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَّا ثَلَاثَ كَلِمَاتٍ، يَنْتَبِهُ مِنْهُنَّ فِي ذَاتِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ،	112
73	لكل كتاب سر وسر القرآن أوائل السور	113

183	لَوْ أَعْلَمْتُ أَنِّي إِنْ زِدْتُ عَلَى السَّبْعِينَ يُفْقَرُ لَهُ لَزِدْتُ عَلَيْهَا	114
127	لو كنت معكم اليوم ييلر ومعى بصري، لأريتكم الشعب الذي خرجت منه الملائكة،	115
320	لولا ما غم عليكم من تسييح ما معكم من البيوت ما تقارتم	116
143	لَوْلَا كِفَايَاتُ مِنَ اللَّهِ مَسْبِقٌ يَا مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِحِلِّ الْعَقَائِمِ لَكَ وَالْأَمْتِكَ لَمَسَّكُمْ الْعَذَابُ	117
77	ما آمن مؤمن أفضل من إيمان بغيب	118
256	ما تمنى نبي قط الموت قبل يوسف عليه السلام	119
83	مَنْ أَعَانَ عَلَى قَتْلِ مُؤْمِنٍ وَلَوْ بِشَطْرِ كَلِمَةٍ	120
125	من أين كان ذلك الصوت الذي كنا نسمع ولا نرى شخصا؟	121
152	مَنْ لِكَعْبِ بْنِ الْأَشْرَفِ، فَإِنَّهُ قَدْ آذَى اللَّهَ وَرَسُولَهُ	122
153	مَرَّ بِهِ نَضْرَائِي فَدَعَاهُ إِلَى الْإِسْلَامِ، فَتَنَاوَلَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَذَكَرَهُ، فَرَفَعَ عَرْفَهُ يَدُهُ فَذَقَ أَنْفَهُ،	123
259	مَنْ أَحَبَّ لِقَاءَ اللَّهِ، أَحَبَّ اللَّهُ لِقَاءَهُ، وَمَنْ كَرِهَ لِقَاءَ اللَّهِ	124
262	الْمَرْءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ	125
256	مَا سَأَلَ نَبِيُّ الْوَفَاةِ غَيْرُ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلَامُ	126
319	ما صيد صيد ولا عضدت عضاء ولا قطعت وشيجة إلا بقله التسييح	127
320	مَا صِيدَ مِنْ صَيْدٍ وَلَا قُطِعَ مِنْ شَجَرٍ إِلَّا بِتَضْيِيعِهِ التَّسْيِيعَ	128
320	ما من شيء على أصله الأول لم يمت إلا وهو يسبح بحمده تعالى،	129
179	مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَدْعُو بِدَعْوَةٍ لَيْسَ فِيهَا إِثْمٌ، وَلَا قَطِيعَةٌ رَجِيحٌ، إِلَّا أَعْطَاهُ اللَّهُ بِهَا إِحْدَى ثَلَاثٍ	130
69	مَرَّ أَبُو يَاسِرٍ بِنِ أَخْطَبِ بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ،	131

311	قَرَّ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِحَاظِطٍ مِنْ جِبْطَانِ الْمَدِينَةِ، أَوْ مَكَّةَ، فَسَمِعَ صَوْتَ إِنْسَانَيْنِ يُعَدَّانِ فِي قُبُورِهِمَا،	132
301	من مات فقد قامت قيامته	133
175	تَحْرَى تَحْكُمُ بِالظُّوَاهِرِ وَاللَّهُ مُتَوَلَّى السَّرَائِرِ	134
125	نزل جبرئيل عليه السلام في خمسمائة ملك مجنبة على الميمنة فيها أبو بكر رضي الله عنه	135
317	نَهَى النَّبِيُّ ﷺ، عَنْ قَتْلِ الضَّفَدَعِ، وَقَالَ: إِنَّ نَفِيقَهَا تَسْبِيحٌ	136
184	والله لأزيدن على السبعين	137
149	وَاللَّهُ لَأَقَاتِلَنَّ مَنْ فَرَّقَ بَيْنَ الصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ، فَإِنَّ الزَّكَاةَ حَقُّ الْمَالِ	138
153	وَكَانَتْ مُشْرِكَةً، فَاسْتَمَلَّ لَهَا يَوْمًا عَلَى السَّبْفِ، ثُمَّ أَتَاهَا فَوَضَعَهَا عَلَيْهَا فَمَقَتَلَهَا	139
320	هذه المائدة تسبح الآن فقال الحسن: كلا إنما ذاك كل شيء على أصله	140
208	يَا مُحَمَّدُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَلُّوْا زَائِنِي وَأَنَا آخِذٌ مِنْ خَالِ الْبَحْرِ	141
327	يَتَعَاقَبُونَ فِيكُمْ مَلَائِكَةٌ بِاللَّيْلِ وَمَلَائِكَةٌ بِالنَّهَارِ، وَيَجْمَعُونَ فِي صَلَاةِ الْفَجْرِ وَصَلَاةِ الْعَصْرِ،	142
278, 274	يُحْشَرُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى أَرْضٍ بَيْضَاءَ عَفْرَاءَ، كَقُرْصَةِ النَّقِيِّ	143
106	يرحم الله تعالى موسى ليس المعايين كالمخبر أخيره ربه تبارك وتعالى	144
272	يوم تبدل الأرض غير الأرض قال: يسطها ويمدها مذ الأديم -	145

فهرس الأعلام المترجمين

رقم الصفحة	الأعلام	رقم المسلسل
238	إبراهيم بن عمر البقاعي	1
25	ابن الأثير أبو الحسن الشيباني	2
76	ابن الأثيري محمد بن القاسم	3
121	ابن تيمية أحمد بن عبد الحلیم	4
57	ابن جرير الطبري	5
192	ابن جزى الكلبي	6
110	ابن الجوزي عبد الرحمن بن علي	7
230	ابن الحاجب عثمان بن عمر	8
27	ابن حجر العسقلاني	9
19	ابن خلكان اليرمكي	10
88	ابن عطية الأندلسي	11
21	ابن العماد العكري الحنبلي	12
251	ابن قيم الجوزية	13
97	ابن كثير عماد الدين	14
32	ابن مالك الطائي	15
81	ابن ملوكة التونسي محمد بن صالح	16
155	ابن المنذر النيسابوري محمد بن إبراهيم	17
96	ابن منظور الإفريقي	18
168	ابن المنير السكندري	19
231	ابن الهمام كمال الدين	20

166	ابو إسحاق الثعلبي	21
195	ابو إسحاق الزجاج	22
289	ابو إسحاق الشيرازي	23
29	ابو بكر الأصم عبد الرحمن بن كيسان	24
84	أبو بكر ابن العربي	25
55	ابو بكر الجصاص	26
66	ابو ثور الكلبي إبراهيم بن أبي اليمان	27
76	ابو حاتم ابن المنذر	28
232	ابو حامد الإسفراييني	29
26	ابو حامد الغزالي	30
71	ابو الحسين الماوردي	31
161	ابو الحسن الواحدي	32
30	ابو حنّان الأندلسي	33
108	ابو زهرة	34
97	ابو السعود محمد بن محمد	35
167	ابو طاهر السجاوندي	36
338	ابو الطاهر الكوراني	37
55	ابو عبد الله القرطبي	38
88	ابو عبيد معمر بن المثني	39
58	ابو القاسم الأصفهاني	40
29	ابو القاسم الزمخشري	41
76	ابو الليث السمرقندي	42
57	ابو منصور الماتريدي	43
160	ابو يعلى الخنيلي	44
27	أحمد بن خليل الخويي	45

95	أحمد بن فارس القزويني	46
193	أحمد بن محمد القيومي	47
190	أحمد بن محمد المرزوقي	48
70	الأخفش الأوسط سعيد بن مسعدة	49
159	اسحاق بن راهويه	50
66	إسماعيل بن عبد الرحمن السدي	51
55	إسماعيل حقي	52
157	بدر الدين العيني	53
158	تقي الدين السبكي	54
51	تقي عثمانى	55
88	ثعلب أحمد بن يحيى الشيباني	56
204	ثناء الله المظهري	57
34	جرجي بن حبيب زهلان	58
55	جلال الدين السيوطي	59
288	جلال الدين الحلبي	60
184	جمال الدين الإسوي	61
56	جمال الدين الفاسمي	62
27	الحاج خليفة	63
60	الحاكم محمد بن عبد الله النيسابوري	64
137	الحسن بن يسار البصري	65
18	الحسين بن مسعود الفراء	66
77	الحكيم الترمذي	67
159	حمد بن محمد الخطابي	68
58	الحليل بن أحمد الفراهيدي	69
33	خير الدين الزركلي	70

67	الربيع بن أنس البكري	71
103	رشيد رضا	72
54	زكي الدين المنذري	73
74	زيد بن أسلم العدوي	74
66	سعيد بن جبير	75
76	سفيان بن سعيد الثوري	76
167	سفيان بن عيينة	77
257	سهل بن عبد الله الثستري	78
65	سيبويه عمرو بن عثمان	79
56	سيد قطب	80
90	شاه ولي الله الدهلوي	81
113	شرف الدين الطيبي	82
59	الشريف الجرجاني	83
88	الشفاء بنت عبد الله القرشية	84
83	شقيق بن إبراهيم البلخي	85
27	شمس الدين الخويي	86
20	شمس الدين الذهبي	87
335	شمس الدين الكرمانلي	88
24	شهاب الدين الغوري	89
336	شهاب الدين القرافي	90
127	صديق خان القنوجي	91
17	صلاح الدين الصفدي	92
67	الضحك بن مزاحم البلخي	93
80	الطاهر بن عاشور	94
73	عامر بن شراحيل الشنعي	95

154	عبد الرحمن بن عمرو الأوزاعي	96
69	عبد العزيز بن يحيى الكنتاني	97
31	عبد القفار الأخرس	98
31	عبد القادر الجيلاني	99
163	عبد القاهر الجرجاني	100
155	عبد الله بن أحمد الكعبي	101
133	عبد الله بن أحمد التصفي	102
20	عبد الملك بن عبد الله الجوثي	103
236	عبد الوهاب بن أحمد الشعراي	104
24	علاء الدين خوارزم شاه	105
157	علي بن أبي بكر المرغيناني	106
55	علي بن أبي بكر الميتمى	107
244	القاضي عبد الجبار	108
244	القاضي عياض	109
66	قتادة بن دعامة السدوسي	110
29	قطرب محمد بن المستنير	111
65	القفال محمد بن علي	112
155	الليث بن سعد	113
8	المبرد محمد بن يزيد	114
59	محمد بن أحمد بن المروى	115
158	محمد بن سحنون	116
29	محمد بن عبد الوهاب الجبائي	117
196	محمد بن علي الشوكاني	118
96	محمد بن يعقوب الفيروزآبادي	119
28	محمد حسين الذهبي	120

78	ناصر الدين البيضاوي	121
27	تجم للدين القموي	122
56	وهبة الزحيلي	123

المصادر والمراجع

رقم تسلسل	اسم المصدر او المرجع
1	الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان لمحمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبَد، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البستي (المتوفى: 354هـ) ترتيب: الأمير علاء الدين علي بن بلبان الفارسي (المتوفى: 739هـ) حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه: شعيب الأرنؤوط، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت. الطبعة: الأولى، 1408هـ الموافق 1988م. عدد الأجزاء: 18
2	الإحكام في أصول الأحكام لابي الحسن سيف الدين علي بن أبي علي بن محمد بن سالم الثعلبي الأمدني (المتوفى: 631هـ)، المحقق: عبد الرزاق عفيفي، الناشر: المكتب الإسلامي، بيروت، دمشق، لبنان. عدد الأجزاء: 4
3	أحكام القرآن لأحمد بن علي أبو بكر الرازي الجصاص الحنفي (المتوفى: 370هـ)، المحقق: محمد صادق القمحاوي، عضو لجنة مراجعة المصاحف بالأزهر الشريف. الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت. تاريخ الطبع: 1405هـ
4	الأربعون في التصوف لمحمد بن الحسين بن محمد بن موسى بن خالد بن سالم التيسابوري، أبو عبد الرحمن السلمي (المتوفى: 412هـ)، الناشر: مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية ببيحيدر آباد الدكن، الهند. الطبعة: الثانية، 1981م
5	إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول لمحمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (المتوفى: 1250هـ)، المحقق: الشيخ أحمد عزو عناية، دمشق، كفر بطنا. قدم له: الشيخ خليل الميس والدكتور ولي الدين صالح فرفور. الناشر: دار الكتاب العربي. الطبعة: الأولى 1419هـ الموافق 1999م. عدد الأجزاء: 2
6	أساس البلاغة لابي القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفى: 538هـ)، تحقيق: محمد باسل عيون السود. الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان. الطبعة: الأولى، 1419هـ الموافق 1998م. عدد الأجزاء: 2

7	اسباب نزول القرآن لابي الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، التيسابوري، الشافعي (المتوفى: 468هـ)، المحقق: عصام بن عبد المحسن الحميدان. الناشر: دار الإصلاح، النمام. الطبعة: الثانية، 1412هـ الموافق 1992م.
8	استدراكات السلف في التفسير في القرون الثلاثة الأولى دراسة نقدية مقارنة لنايف بن سعيد بن جمان الزهراني، رسالة الماجستير بقسم التفسير وعلوم القرآن، كلية أصول الدين بجامعة أم القرى 1426هـ - 1427هـ. الطبع: دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية الدمام طريق الملك الفهد. طبع سنة 1430هـ.
9	الاستيعاب في معرفة الأصحاب لابي عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم للشمري القرطبي (المتوفى: 463هـ)، المحقق: علي عماد البجاوي، الناشر: دار الجيل، بيروت، الطبعة: الأولى، 1412هـ الموافق 1992م. عدد الأجزاء: 4
10	الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير ل محمد بن محمد بن سويلم ابو شهبة (المتوفى: 1403هـ)، الناشر: مكتبة السنة، الطبعة: الرابعة. عدد الأجزاء: 1
11	الإصابة في تمييز الصحابة لابي الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (المتوفى: 852هـ)، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض. الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت. الطبعة: الأولى 1415هـ. عدد الأجزاء: 8
12	إعراب القرآن وبيانه لمحيي الدين بن أحمد مصطفى درويش (المتوفى: 1403هـ)، الناشر: دار الإرشاد للشفون الجامعية، حمص، سورية، (دار ابن كثير، ودار اليمامة، دمشق، بيروت)، الطبعة: الرابعة 1415هـ. عدد المجلدات: 10
13	الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام المسمى بـ (نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر) لعبد الحمي بن فخر الدين بن عبد العلي الحسيني الطالبي (المتوفى: 1341هـ)، دار النشر: دار ابن حزم، بيروت، لبنان. الطبعة: الأولى، 1420هـ، 1999م. عدد الأجزاء: 8

14	الأعلام لخير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي (المتوفى: 1396هـ)، الناشر: دار العلم للملايين. الطبعة: الخامسة عشر أيار/مايو 2002م.
15	أعلام العراق لمحمد بهجة الأثري، المطبعة السلفية ومكبتها، طبع سنة 1345هـ. مصاحبيهما: محب الدين الخطيب وعبد الفتاح ذران.
16	أكابر علماء ديوبند للحافظ محمد أكبر شاه البخاري. الطبع: ادارة إسلاميات لاهور وكراشي، الطبعة الجديدة: سنة 1419هـ الموافق 1999م.
17	اكتفاء القنوع بما هو مطبوع لادوارد كرنيليوس فاندريك (المتوفى: 1313هـ) صححه وزاد عليه: السيد محمد علي الببلاوي. الناشر: مطبعة التأليف (الهلال)، مصر. عام النشر: 1313هـ الموافق 1896م. عدد الأجزاء: 1
18	الإكليل في استنباط التنزيل لعبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: 911هـ) تحقيق: سيف الدين عبد القادر الكاتب. دار النشر: دار الكتب العلمية بيروت. 1401هـ الموافق 1981م. عدد الأجزاء: 1
19	الانصاف من الكشاف حاشية لأحمد بن محمد بن منصور ابن المتبر السكندري. طبع مع التفسير الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل للعلامة جار الله ابي القاسم محمود بن عمر الزمخشري، (المتوفى: 538هـ) تحقيق ودراسة: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض، المشارك في التحقيق: الأستاذ الدكتور فتحي عبد الرحمن الحجازي، أستاذ البلاغة والنقد بكلية اللغة العربية جامعة الأزهر. الناشر: مكتبة العبيكان، الرياض، طريق الملك الفهد مع تقاطع العروبة. الطبعة الأولى: 1418هـ الموافق 1998م.
20	أنوار التنزيل وأسرار التأويل لناصر الدين ابو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي (المتوفى: 685هـ)، المحقق: محمد عبد الرحمن المرعشلي. الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت. الطبعة: الأولى 1418هـ.

21	البحر المحيط في التفسير لابي حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (المتوفى: 745هـ)، المحقق: صدقي محمد جميل، الناشر: دار الفكر، بيروت. الطبعة: 1420هـ.
22	البداية والنهاية لابي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: 774هـ)، المحقق: علي شكري. الناشر: دار إحياء التراث العربي، الطبعة: الأولى 1408هـ الموافق 1988م.
23	البرهان في أصول الفقه لعبد الملك بن عبد الله بن يوسف بن محمد الجويني، أبو المعالي، ركن الدين، الملقب بإمام الحرمين (المتوفى: 478هـ)، المحقق: صلاح بن محمد بن عويضة، الناشر: دار الكتب العلمية بيروت، لبنان. الطبعة الأولى 1418هـ الموافق 1997م. عدد الأجزاء: 2
24	البنية شرح الهداية لابي محمد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين القيطبي الحنفي بدر الدين العيني (المتوفى: 855هـ)، للناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان. الطبعة: الأولى، 1420هـ الموافق 2000م. عدد الأجزاء: 13
25	التاج المكلل من جواهر مآثر الطراز الآخر والأول للسيد محمد صديق حسن خان القنوجي البخاري (المتوفى 1308هـ)، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، إدارة الشؤون الإسلامية دولة قطر، الطبعة الأولى: 1428هـ الموافق 2007م.
26	تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام للشمس الدين ابو عيد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قأئماز الذهبي (المتوفى: 748هـ)، المحقق: الدكتور بشار عواد معروف، الناشر: دار الغرب الإسلامي، الطبعة: الأولى، 2003 م. عدد الأجزاء: 15
27	تاريخ بغداد لابي بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي الخطيب البغدادي (المتوفى: 463هـ) المحقق: الدكتور بشار عواد معروف الناشر: دار الغرب الإسلامي بيروت. الطبعة: الأولى، 1422هـ الموافق 2002م.

28	العصرة في أصول الفقه للإمام أبي اسحاق إبراهيم بن علي بن يوسف الشيرازي (المتوفى: 476هـ)، المحقق: د. محمد حسن هيتو، الناشر: دار الفكر، دمشق، الطبعة: الأولى، 1403 عدد الأجزاء: 1
29	التحرير والتنوير "تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد" لمحمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى: 1393هـ)، الناشر: الدار التونسية للنشر، تونس، سنة النشر 1984هـ، عدد الأجزاء: 30
30	تراجم مشاهير الشرق في قرن التاسع عشر لفرجي زيدان، طبع من كلمات عربية للترجمة والنشر، جمهورية مصر العربية. الأجزاء: 2
31	التسهيل لعلوم التنزيل لأبي القاسم، محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله، ابن جزى الكلبي الغرناطي (المتوفى: 741هـ)، المحقق: الدكتور عبد الله الخالدي، الناشر: شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت. الطبعة الأولى 1416هـ.
32	التفسير البسيط لأبي الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الدانفي (المتوفى: 468هـ)، المحقق: أصل تحقيقه في (خمس عشرة) رسالة دكتوراة بجامعة الإمام محمد بن سعود، ثم قامت لجنة علمية من الجامعة بسبكه وتنسيقه. الناشر: عمادة البحث العلمي، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية. الطبعة: الأولى، 1430هـ، عدد الأجزاء: 25
33	تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم لأبي السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى (المتوفى: 982هـ)، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت.
34	تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار) لمحمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بماء الدين بن منلا علي خليفة القلموتي الحسيني (المتوفى: 1354هـ)، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، سنة النشر: 1990م، عدد الأجزاء: 12

35	تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم لأبي محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر الثميمي، الحنظلي، الرازي ابن أبي حاتم (المتوفى: 327هـ)، المحقق: أسعد محمد الطيب. الناشر: مكتبة نزار مصطفى الباز، المملكة العربية السعودية. الطبعة: الثالثة 1419هـ.
36	تفسير القرآن العظيم لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: 774هـ) المحقق: سامي بن محمد سلامة. الناشر: دار طبية للنشر والتوزيع. الطبعة: الثانية 1420هـ الموافق 1999م. عدد الأجزاء: 8
37	تفسير تبيان الفرقان للشيخ غلام رسول السعدي، الطبع: ضياء القرآن بليكشنز، لاهور. الطبعة الأولى: سنة مايو 2005م. الشارع داتا كنج بنخس، لاهور رقم الهاتف: 042-37221953 9-الكريم ماركيت اردو بازار، لاهور-042 37225058 14- انفال ستر اردو بازار، كراتشي 021-32210212
38	تفسير تفهيم القرآن للسيد أبي الأعلى المودودي، الطبع: إدارة ترجمان القرآن لاهور، عدد الأجزاء: 6، بدون ذكر سنة الطبع.
39	تفسير السمرقندي المسمى بـ بحر العلوم لأبي الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي (المتوفى سنة 375هـ)، تحقيق وتعليق: الشيخ علي محمد معوض والشيخ عادل أحمد عبد الموجود والدكتور زكريا عبد المجيد النوي، كلية اللغة العربية جامعة الأزهر. الطبع: دارالكتب العلمية بيروت لبنان. الطبعة الأولى 1413هـ الموافق 1993م.
40	تفسير القرآن لأبي المظفر منصور بن محمد بن عبد الجبار ابن أحمد المروزي السمعاني التميمي الحنفي ثم الشافعي (المتوفى: 489هـ)، المحقق: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم. الناشر: دار الوطن، الرياض، السعودية. الطبعة: الأولى، 1418هـ الموافق 1997م.
41	تفسير القشيري المسمى بـ لطائف الإشارات لعبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري (المتوفى: 465هـ)، المحقق: إبراهيم البسيوني. الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر. الطبعة: الثالثة.

42	تفسير الماوردي المسمى بـ التُّكْتُ والقيون لابي الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي (المتوفى: 450هـ)، المحقق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم. الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت/لبنان. عدد الأجزاء: 6
43	تفسير مقاتل بن سليمان لابي الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي البلخي (المتوفى: 150هـ) المحقق: عبد الله محمود شحاته. الناشر: دار إحياء التراث، بيروت. الطبعة: الأولى سنة 1423هـ.
44	التفسير والمفسرون للدكتور محمد السيد حسين الذهبي (المتوفى: 1398هـ) الناشر: مكتبة وهبة، القاهرة. عدد الأجزاء: 3
45	التفسير المظهري لمحمد ثناء الله المظهري، المحقق: غلام نبي للتونسي، الناشر: مكتبة الرشدية، باكستان. طبع سنة 1412هـ.
46	تفسير النسفي المسمى بـ مدارك التنزيل وحقائق التأويل لابي البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين النسفي (المتوفى: 710هـ)، حققه وخرَّج أحاديثه: يوسف علي بلديوي، راجعه وقدم له: محيي الدين ديب مستو، الناشر: دار للكلم الطيب، بيروت. الطبعة: الأولى، 1419هـ الموافق 1998م عدد الأجزاء: 3
47	التفسير الوسيط للدكتور وهبة بن مصطفى الزحيلي، الناشر: دار الفكر، دمشق. الطبعة: الأولى سنة 1422هـ. عدد الأجزاء: 3
48	التمهيد في تخرّج الفروع على الأصول لعبد الرحيم بن الحسن بن علي الإسنوي الشافعي، ابو محمد، جمال الدين (المتوفى: 772هـ)، المحقق: الدكتور. محمد حسن هيتو. الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت. الطبعة: الأولى، 1400هـ عدد الأجزاء: 1
49	التنوير شرح الجامع الصغير لمحمد بن إسماعيل بن صلاح بن محمد العسفي الكحلاني ثم الصنعاني، ابو إبراهيم، عز الدين، المعروف كأسلافه بالأمر (المتوفى: 1182هـ)، المحقق: الدكتور. محمد إسحاق محمد إبراهيم، الناشر: مكتبة دار السلام، الرياض. الطبعة: الأولى، 1432هـ الموافق 2011م. عدد الأجزاء: 1

50	التوحيد محمد بن محمد بن محمود، أبو منصور الماتريدي (المتوفى: 333هـ)، المحقق: الدكتور. فتح الله خليف. الناشر: دار الجامعات المصرية، الإسكندرية.
51	تهذيب التهذيب لابي الفضل أحمد بن حلي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (المتوفى: 852هـ) الناشر: مطبعة دائرة المعارف النظامية، الهند. الطبعة: الأولى، 1326هـ. عدد الأجزاء: 12
52	تهذيب اللغة لمحمد بن أحمد بن الأزهرى الهروي، أبو منصور (المتوفى: 370هـ)، المحقق: محمد عوض مرعب. الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت. الطبعة: الأولى، 2001م. عدد الأجزاء: 8
53	الجامع لأحكام القرآن المسمى بـ تفسير القرطبي للإمام أبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرج الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: 671هـ)، تحقيق: أحمد اليربوعي وإبراهيم أطفهش. الناشر: دار الكتب المصرية، القاهرة. الطبعة: الثانية، 1384هـ الموافق 1964م عدد الأجزاء: 20
54	جامع البيان في تأويل القرآن لمحمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الأملبي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: 310هـ)، المحقق: أحمد محمد شاكر. الناشر: مؤسسة الرسالة. الطبعة: الأولى، 1420هـ الموافق 2000م. عدد الأجزاء: 24
55	الجامع الصغير وزيادته لعبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: 911هـ)، مع الكتاب: أحكام محمد ناصر الدين الألباني. التفاصيل لم يُكتب.
56	جلاء العينين في محاكمة الأحمدين لنعمان بن محمود بن عبد الله، أبو البركات خير الدين، الألوسي (المتوفى: 1317هـ) قدم له: علي السيد صبح المدني. الناشر: مطبعة المدني. عام النشر: 1401هـ الموافق 1981م.
57	الجمع بين الصحيحين البخاري ومسلم لمحمد بن فتوح بن عبد الله بن فتوح بن حميد الأزدي الميروقي الحميدي أبو عبد الله بن أبي نصر (المتوفى: 488هـ)، المحقق: الدكتور. علي حسين البواب. الناشر: دار ابن حزم، لبنان/ بيروت. الطبعة: الثانية، 1423هـ الموافق 2002م. عدد الأجزاء: 4x2

58	الجواهر المضيئة في طبقات الحنفية لعبد القادر بن محمد بن محمد بن نصر الله القرشي أبو محمد محي الدين الحنفي (المتوفى: 775هـ)، الطبع: مير محمد كتب خانه كراتشي.
59	حاشية الشهاب على تفسير التيساوي، المسماة: غناية القاضي وكفاية الراضي على تفسير التيساوي لشهاب الدين أحمد بن محمد بن عمر الحفاجي المصري الحنفي (المتوفى: 1069هـ)، دار النشر: دار صادر، بيروت. عدد الأجزاء: 8
60	حاشية العطار على شرح الجلال المحلي على جمع الجوامع لتحسن بن محمد بن محمود العطار الشافعي (المتوفى: 1250هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية. الطبعة: بدون طبعة وتاريخ. عدد الأجزاء: 2
61	حلية الأولياء وطبقات الأصفياء لابي نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني (المتوفى: 430هـ)، الناشر: السعادة بجوار محافظة مصر، 1394هـ الموافق 1974م. ثم صورتها عدة دور منها 1 - دار الكتاب العربي - بيروت 2 - دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت 3 - دار الكتب العلمية - بيروت (طبعة 1409هـ بدون تحقيق) عدد الأجزاء: 10
62	خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر لمحمد أمين بن فضل الله بن محب الدين بن محمد المحيي الحموي الأصل، الدمشقي (المتوفى: 1111هـ)، الناشر: دار صادر، بيروت. عدد الأجزاء: 4
63	خير الدين الزركلي، المؤرخ الأديب الشاعر لأحمد علاونة، طبع من دار القلم بدمشق، الطبعة الأولى: 1423هـ الموافق 2002م.
64	دَرْجُ الدُّرِّ فِي تَفْسِيرِ الْأَيِّ وَالسُّورِ لِأبي بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الفارسي الأصل، الجرجاني الدار (المتوفى: 471هـ)، محقق القسم الأول: طلعت صلاح الفرحان. محقق القسم الثاني: محمد أديب شكور أمير. الناشر: دار الفكر، عمان، الأردن. الطبعة: الأولى، 1430هـ الموافق 2009م. عدد الأجزاء: 2
65	الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة لابي الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (المتوفى: 852هـ) المحقق: مراقبة محمد عبد المعيد خان،

	الناشر: مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدرآباد، الهند. الطبعة: الثانية سنة 1392هـ الموافق 1972م. عدد الأجزاء: 6
66	الدر المنثور في التفسير بالمأثور لعبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: 911هـ)، الناشر: دار الفكر، بيروت. عدد الأجزاء: 8
67	دلائل الإعجاز في علم المعاني لابي بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الفارسي الأصل، الجرجاني الدار (المتوفى: 471هـ) المحقق: محمود محمد شاکر أبو فهر، الناشر: مطبعة المدني بالقاهرة، دار المدني بجدة. الطبعة: الثالثة 1413هـ الموافق 1992م.
68	ديوان الأخوس لعبد الغفار الأخوس، مطبعة أستامبول سنة 1887م.
69	روح البيان لإسماعيل حقي بن مصطفي الإستانبولي الحنفي الخليلي، المولى أبو الفداء (المتوفى: 1127هـ)، الناشر: دار الفكر، بيروت. بدون ذكر سنة الطبع.
70	روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني لشهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (المتوفى: 1270هـ)، المحقق: علي عبد الباري عطية. الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت. الطبعة: الأولى، 1415هـ. عدد الأجزاء: 16
71	الروض الأنف في شرح السيرة النبوية لابي القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد السهيلي (المتوفى: 581هـ)، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت. الطبعة: الأولى، 1412هـ. عدد الأجزاء: 7
72	زاد المسير في علم التفسير لجمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: 597هـ)، المحقق: عبد الرزاق المهدي. الناشر: دار الكتاب العربي، بيروت. الطبعة: الأولى 1422هـ.
73	زاد المعاد في هدي خير العباد للإمام محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: 751هـ)، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت، مكتبة المنار الإسلامية، الكويت. الطبعة: السابعة والعشرون 1415هـ الموافق 1994م. عدد الأجزاء: 5

74	زهرة التفاسير لمحمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد المعروف بـ أبي زهرة (المتوفى: 1394هـ)، دار النشر: دار الفكر العربي. عدد الأجزاء: 10
75	سنن ابن ماجه لابن ماجه أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، وماجة اسم أبيه يزيد (المتوفى: 273هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي الناشر: دار إحياء الكتب العربية، فيصل عيسى البابي الحلبي. عدد الأجزاء: 2
76	سنن أبي داود للإمام أبي داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السنجستاني (المتوفى: 275هـ)، المحقق: محمد محيي الدين عبد الحميد. الناشر: المكتبة العصرية، صيدا، بيروت. عدد الأجزاء: 4
77	السنن الترمذي للإمام محمد بن عيسى بن سقرة بن موسى بن الضحاک، الترمذي، أبو عيسى (المتوفى: 279هـ)، تحقيق وتعليق: أحمد محمد شاكر (ج 1، 2) ومحمد فؤاد عبد الباقي (ج 3) وإبراهيم عطوة عوض المتوفى في الأزهر الشريف (ج 4، 5) الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر. الطبعة: الثانية، 1395هـ الموافق 1975م. عدد الأجزاء: 5
78	سنن الدارقطني لأبي الحسن علي بن عمر بن أحمد بن مهدي بن مسعود بن النعمان بن دينار البغدادي (المتوفى: 385هـ)، حققه وضبط نصّه وعلّق عليه: شعيب الأرنؤوط، حسن عبد المنعم شلي، عبد اللطيف حرز الله، أحمد برهوم. الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان. الطبعة: الأولى، 1424هـ الموافق 2004م. عدد الأجزاء: 5
79	السنن الكبرى لأحمد بن الحسين بن علي بن موسى الأشعري خردی الخراساني، أبو بكر البيهقي (المتوفى: 458هـ)، المحقق: محمد عبد القادر عطا. الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان. الطبعة: الثالثة، 1424هـ الموافق 2003م.
80	السنن الكبرى لأبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، النسائي (المتوفى: 303هـ)، حققه وخرج أحاديثه: حسن عبد المنعم شلي، أشرف عليه: شعيب الأرنؤوط، قدّم له: عبد الله بن عبد المحسن التركي. الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت. الطبعة: الأولى، 1421هـ الموافق 2001م. عدد الأجزاء: 10

81	سير الأعلام النبلاء للشمس الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَلْئَاز الذهبي (المتوفى: 748هـ)، المحقق: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط. الطبع: مؤسسة الرسالة. الطبعة: الثالثة 1405هـ الموافق 1985م. عدد الأجزاء: 25
82	السيرة النبوية لابن هشام لعبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري، أبو محمد، جمال الدين (المتوفى: 213هـ)، تحقيق: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ الشلبي. الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى الباي الحلبي وأولاده بمصر. الطبعة: الثانية، 1375هـ الموافق 1955م. عدد الأجزاء: 2
83	السيف المسلول على من سب الرسول صلى الله عليه وسلم للإمام تقي الدين علي بن عبد الكافي السبكي (المتوفى 756هـ)، المحقق: إياد أحمد الفوج. الناشر: دار الفتح، عمان / الأردن. الطبعة: الأولى، 1421هـ الموافق 2000م.
84	شذرات الذهب في أخبار من ذهب لعبد الحي بن أحمد بن محمد ابن العماد القكري الحلبي، أبو الفلاح (المتوفى: 1089هـ)، حققه: محمود الأرناؤوط. خرج أحاديثه: عبد القادر الأرناؤوط. الناشر: دار ابن كثير، دمشق، بيروت. الطبعة: الأولى، 1406هـ الموافق 1986م. عدد الأجزاء: 11
85	شرح تسهيل الفوائد لمحمد بن عبد الله، ابن مالك الطائي الجبلي، أبو عبد الله، جمال الدين (المتوفى: 672هـ)، المحقق: الدكتور. عبد الرحمن السيد، الدكتور. محمد بدوي للمختون. الناشر: هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان. الطبعة: الأولى 1410هـ الموافق 1990م. عدد الأجزاء: 4
86	الصحيح البخاري المسمى بـ الجامع للسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه لمحمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي، المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر، الناشر: دار طوق النجاة، الطبعة: الأولى، 1422هـ. عدد الأجزاء: 9 مع الكتاب: شرح وتعليق الدكتور. مصطفى ديب البغا أستاذ الحديث وعلمه في كلية الشريعة، جامعة دمشق.

87	الصحیح مسلم المسمیٰ به المسند الصحیح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم لمسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: 261هـ)، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت. عدد الأجزاء: 5
88	طبقات الحفاظ لعبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: 911هـ) الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت. الطبعة: الأولى، 1403 عدد الأجزاء: 1
89	طبقات الشافعية الكبرى لتاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين السبكي (المتوفى: 771هـ)، المحقق: الدكتور محمود محمد الطناحي، الدكتور عبد الفتاح محمد الحلوة، الناشر: مجر للطباعة والنشر والتوزيع. الطبعة: الثانية، 1413هـ. عدد الأجزاء: 10
90	الطبقات الكبرى لأبي عبد الله محمد بن سعد بن منيع الهاشمي بالولاء، البصري، البغدادي المعروف بابن سعد (المتوفى: 230هـ)، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت. الطبعة: الأولى، 1410هـ الموافق 1990م. عدد الأجزاء: 8
91	طبقات المفسرين لأحمد بن محمد الأدنه وي من علماء القرن الحادي عشر، المحقق: سليمان بن صالح الخزي، الناشر: مكتبة العلوم والحكم، السعودية. الطبعة: الأولى، 1417هـ الموافق 1997م. عدد الأجزاء: 1
92	طبقات المفسرين لمحمد بن علي بن أحمد، شمس الدين الداوودي المالكي (المتوفى: 945هـ) الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت. راجع النسخة وضبط أعلامها: لجنة من العلماء بإشراف الناشر. عدد الأجزاء: 2
93	طبقات المفسرين العشرين لعبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: 911هـ)، المحقق: علي محمد عمر. الناشر: مكتبة وهبة، القاهرة. الطبعة: الأولى، 1396هـ. عدد الأجزاء: 1

94	عمدة القاري شرح صحيح البخاري لابي محمد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين الغيتابي الحنفي بدر الدين العيني (المتوفى: 855هـ)، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت. عدد الأجزاء: 25
95	عيون الأنبياء في طبقات الأطباء لأحمد بن القاسم بن خليفة بن يونس الخزرجي موفق الدين، أبو العباس ابن أبي أصيبعة (المتوفى: 668هـ) المحقق: الدكتور نزار رضا. الناشر: دار مكتبة الحياة، بيروت. عدد الأجزاء: 1
96	غرائب التفسير وعجائب التأويل لمحمود بن حمزة بن نصر، أبو القاسم برهان الدين الكرمانى، ويعرف بتاج القراء (المتوفى: نحو 505هـ) دار النشر: دار القبلة للثقافة الإسلامية، جدة، مؤسسة علوم القرآن، بيروت. عدد الأجزاء: 2
97	غرائب القرآن ورجائب الفرقان لنظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي النيسابوري (المتوفى: 850هـ)، المحقق: الشيخ زكريا عميرات. الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت. الطبعة: الأولى 1416هـ.
98	فتح الباري شرح صحيح البخاري لأحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي. الناشر: دار المعرفة، بيروت. سنة 1379هـ. رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي. قام بإخراجه وصححه وأشرف على طبعه: محب الدين الخطيب. عليه تعليقات العلامة: عبد العزيز بن عبد الله بن باز، عدد الأجزاء: 13
99	فتح البيان في مقاصد القرآن لابي الطيب محمد صديق خان بن حسن بن علي ابن لطف الله الحسيني البخاري القنوجي (المتوفى: 1307هـ)، عني بطبعه وقدم له وراجعته: خادم العلم عبد الله بن إبراهيم الأنصاري. الناشر: المكتبة العصرية للطباعة والنشر، صيدا، بيروت. عام النشر: 1412هـ الموافق 1992م. عدد الأجزاء: 15
100	فتح القدير محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (المتوفى: 1250هـ)، الناشر: دار ابن كثير، دار الكلدان الطيب، دمشق، بيروت. الطبعة: الأولى 1414هـ.
101	فتوح الغيب في الكشف عن فناع الرب يعرف به حاشية الطيبي على الكشاف للشيخ شرف الدين الحسين بن عبد الله الطيبي (المتوفى: 743هـ)، مقدمة التحقيق:

<p>إياد محمد الخوج. القسم الدراسي: الدكتور جميل بني عطا. المشرف العام على الإخراج العلمي للكتاب: الدكتور محمد عبد الرحيم سلطان العلماء. الناشر: جائزة دبي الدولية للقرآن الكريم. الطبعة: الأولى، 1434هـ الموافق 2013م. عدد الأجزاء: 17</p>	
<p>الفوز الكبير في أصول التفسير وبيانه فتح الخبير بما لا بد من حفظه في علم التفسير للإمام الجليل العظيم الشاه ولي الله أحمد بن عبد الرحيم العمري الدهلوي (المتوفى 1176هـ)، الناشر: قديمي كتب خانة، آرام باغ، كراتشي - 1.</p>	102
<p>الكامل في التاريخ لابي الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكرم بن عبد الواحد الشيباني الجزري، عزّ الدين ابن الأثير (المتوفى: 630هـ)، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، الناشر: دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان. الطبعة: الأولى، 1417هـ الموافق 1997م. عدد الأجزاء: 10</p>	103
<p>كتاب التعريفات للشيخ علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (المتوفى: 816هـ)، المحقق: ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر. الناشر: دار الكتب العلمية بيروت، لبنان. الطبعة: الأولى 1403هـ الموافق 1983م.</p>	104
<p>كتاب العين لابي عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (المتوفى: 170هـ) المحقق: الدكتور مهدي المخزومي، الدكتور إبراهيم السامرائي. الناشر: دار ومكتبة الهلال. عدد الأجزاء: 8</p>	105
<p>الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار للإمام ابي بكر بن ابي شيبة، عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن عثمان بن خواستي العيسي (المتوفى: 235هـ)، المحقق: كمال يوسف الحوت. الناشر: مكتبة الرشد، الرياض. الطبعة: الأولى، 1409هـ. عدد الأجزاء: 7</p>	106
<p>الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعمون الأقاويل في وجوه التأويل لابي القاسم محمود بن عمر بن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفى: 538هـ)، الناشر: دار الكتاب العربي، بيروت. الطبعة: الثالثة 1407هـ. عدد الأجزاء: 4</p>	107

<p>108 كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون لمصطفى بن عبد الله كاتب جلبي القسطنطيني المشهور باسم حاجي خليفة أو الحاج خليفة (المتوفى: 1067هـ)، الناشر: مكتبة المتقي، بغداد (وصورتها عدة دور لبنانية؛ بنفس ترقيم صفحاتها، مثل: دار إحياء التراث العربي، ودار العلوم الحديثة، ودار الكتب العلمية) تاريخ للنشر: 1941م عدد الأجزاء: 6 (1، 2 كشف الظنون، و3، 4 إيضاح المكنون، و5، 6 هداية العارفين)</p>	<p>108</p>
<p>109 الكشف والبيان عن تفسير القرآن لأحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، أبو إسحاق (المتوفى: 427هـ)، تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور. مراجعة وتدقيق: الأستاذ نظير الساعدي. الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان. الطبعة: الأولى 1422هـ الموافق 2002م. عدد الأجزاء: 10</p>	<p>109</p>
<p>110 كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال لعلاء الدين علي بن حسام الدين ابن قاضي خان القادري الشاذلي الهندي البرهانفوري ثم المدني فالمكي الشهير بالمتقي الهندي (المتوفى: 975هـ) المحقق: بكري حياي، صفوة السقا. الناشر: مؤسسة الرسالة. الطبعة: الطبعة الخامسة، 1401هـ الموافق 1981م.</p>	<p>110</p>
<p>111 الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري لمحمد بن يوسف بن علي بن سعيد، شمس الدين الكرماني (المتوفى: 786هـ)، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت/ لبنان. الطبعة الأولى سنة 1356هـ الموافق 1937م. الطبعة الثانية سنة 1401هـ الموافق 1981م. عدد الأجزاء: 25</p>	<p>111</p>
<p>112 القاموس المحيط لمجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادي (المتوفى: 817هـ)، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة بإشراف: محمد نعيم العرفشوسي الناشر: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان. الطبعة: الثامنة، 1426هـ الموافق 2005م. عدد الأجزاء: 1</p>	<p>112</p>
<p>113 لباب التأويل في معاني التنزيل لعلاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشيبجي أبو الحسن، المعروف بالخازن (المتوفى: 741هـ)، المحقق: تصحيح محمد علي شاهين، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت. الطبعة: الأولى 1415هـ.</p>	<p>113</p>

114	لسان العرب لمحمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي (المتوفى: 711هـ)، الناشر: دار صادر، بيروت. الطبعة: الثالثة 1414هـ. عدد الأجزاء: 15
115	لسان الميزان لأبي الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (المتوفى: 852هـ)، المحقق: دائرة المعارف النظامية، الهند. الناشر: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات بيروت، لبنان. الطبعة: الثانية، 1390هـ الموافق 1971م. عدد الأجزاء: 7
116	المجتبى من السنن يُعرف به السنن الصغرى للنسائي للإمام أبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، النسائي (المتوفى: 303هـ)، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة. الناشر: مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب. الطبعة: الثانية، 1406هـ الموافق 1986م عدد الأجزاء: 9
117	مجموع الفتاوى للإمام تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحلِيم بن تيمية الحراني (المتوفى: 728هـ)، المحقق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية، عام النشر: 1416هـ الموافق 1995م.
118	محدّث أعظم باك وهند علامه غلام رسول السعيد للدكتور محمد عاطف أملم راؤ، المطبع: ارتقاء فاونديشن انريشال، كراتشي. الطبعة الأولى فبراير 2016 الموافق جمادى الأول 1437هـ.
119	المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لأبي محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي الحاربي (المتوفى: 542هـ)، المحقق: عبد السلام عبد الشافي محمد. الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت. الطبعة: الأولى 1422هـ.
120	مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح لعلي بن سلطان محمد، أبو الحسن نور الدين الملا الهروري القاري (المتوفى: 1014هـ)، الناشر: دار الفكر، بيروت، لبنان. الطبعة: الأولى، 1422هـ الموافق 2002م. عدد الأجزاء: 9

121	المستدرك على الصحيحين لأبي عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نعيم بن الحكم الضبي الطهماني النيسابوري المعروف بابن البيع (المتوفى: 405هـ)، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطاء، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت. الطبعة: الأولى، 1411هـ الموافق 1990م. عدد الأجزاء: 4
122	المستقصى للإمام أبي حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (المتوفى: 505هـ)، تحقيق: محمد عبد السلام عبد الشافي، الناشر: دار الكتب العلمية. الطبعة: الأولى، 1413هـ الموافق 1993م. عدد الأجزاء: 1
123	المسك الأذفر في نشر مزايا القرنين الثاني والثالث عشر 1272هـ - 1342هـ للعلامة السيد محمود شكري الألوسي، التحقيق: الدكتور عبد الله الجبوري، الطبعة: دار العربية للموسوعات، بيروت لبنان. الطبعة الأولى 1427هـ الموافق 2007م.
124	مسند ابن أبي شيبة لأبي بكر بن أبي شيبة، عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن عثمان بن خواستي العبسي (المتوفى: 235هـ)، المحقق: عادل بن يوسف العزازي و أحمد بن فريد المزدي. الناشر: دار الوطن، الرياض. الطبعة: الأولى سنة 1997م. عدد الأجزاء: 2
125	مسند الإمام أحمد بن حنبل لأبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: 241هـ) المحقق: شعيب الأرنؤوط، عادل مرشد، وآخرون، إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي. الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، 1421هـ الموافق 2001م.
126	مسند أبي يعلى لأبي يعلى أحمد بن علي بن المثنى بن يحيى بن عيسى بن هلال التميمي، الموصلية (المتوفى: 307هـ)، المحقق: حسين سليم أسد، الناشر: دار المأمون للتراث، دمشق. الطبعة: الأولى، 1404هـ الموافق 1984م. عدد الأجزاء: 13
127	مسند البزار المنشور باسم البحر الزخار لأبي بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق بن خلاد بن عبيد الله العنكي المعروف بالبخاري (المتوفى: 292هـ)، المحقق: محفوظ الرحمن زين الله، (حقق الأجزاء من 1 إلى 9) وعادل بن سعد (حقق الأجزاء من

<p>10 إلى 17) وصبري عبد الخالق الشافعي (حقق الجزء 18) الناشر: مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة. الطبعة: الأولى، (بدأت 1988م، وانتهت 2009م)، عدد الأجزاء: 18</p>	
<p>128 المصباح المنير في غريب الشرح الكبير لأحمد بن محمد الفيومي (المتوفى: نحو 770هـ) الناشر: المكتبة العلمية، بيروت. عدد الأجزاء: 2</p>	
<p>129 المطالب العالية بزوائد المساليد الثمانية لابي الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (المتوفى: 852هـ) المحقق: (17) رسالة علمية قدمت لجامعة الإمام محمد بن سعود. تسيق: الدكتور سعد بن ناصر بن عبد العزيز الشثري. الناشر: دار العاصمة، دار الفيث، السعودية. الطبعة: الأولى، 1419هـ. عدد الأجزاء: 19</p>	
<p>130 معالم التنزيل في تفسير القرآن يُعرف بـ تفسير البغوي لحيي السنة لابي محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي (المتوفى: 510هـ)، المحقق: عبد الرزاق المهدي، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت. الطبعة: الأولى، 1420هـ. عدد الأجزاء: 5</p>	
<p>131 المعجم الأوسط لسليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، ابو القاسم الطبراني (المتوفى: 360هـ)، المحقق: طارق بن عوض الله بن محمد عبد الحسين بن إبراهيم الحسيني. الناشر: دار الحرمين، القاهرة. عدد الأجزاء: 10</p>	
<p>132 المعجم الكبير للإمام سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني (المتوفى: 360هـ)، المحقق: حمدي بن عبد المجيد السلفي. دار النشر: مكتبة ابن تيمية، القاهرة. الطبعة: الثانية عدد الأجزاء: 25 ويشمل القطعة التي نشرها لاحقاً المحقق الشيخ حمدي السلفي من المجلد 13 (دار الصميعي، الرياض، الطبعة الأولى، 1415هـ الموافق 1994م)</p>	
<p>133 معجم مقاييس اللغة لأحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، ابو الحسين (المتوفى: 395هـ)، المحقق: عبد السلام محمد هارون. الناشر: دار الفكر، عام النشر: 1399هـ الموافق 1979م. عدد الأجزاء: 6</p>	

134	المعجم الوسيط لمجمع اللغة العربية بالقاهرة (إبراهيم مصطفى / أحمد الزيات / حامد عبد القادر / محمد النجار) الناشر: دار الدعوة.
135	مفاتيح الغيب يُعرف به التفسير الكبير لابي عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب به فخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: 606هـ)، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت. الطبعة: الثالثة 1420هـ.
136	المفردات في غريب القرآن لابي القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني (المتوفى: 502هـ)، المحقق: صفوان عدنان الداودي. الناشر: دار القلم، الدار الشامية، دمشق بيروت. الطبعة: الأولى 1412هـ.
137	المنخول من تعليقات الأصول لابي حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (المتوفى: 505هـ)، حققه وخرّج نصه وعلّق عليه: الدكتور محمد حسن هيتو. الناشر: دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان، دار الفكر دمشق، سورية، الطبعة: الثالثة، 1419هـ الموافق 1998م. عدد الأجزاء: 1
138	المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج لابي زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (المتوفى: 676هـ)، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت. الطبعة: الثانية، 1392هـ. عدد الأجزاء: 18 عدد المجلدات: 9
139	منهج الشيخ غلام رسول السعدي في تفسيره تبيان القرآن، إعداد الطالب: محبوب علي، الإشراف: الدكتور محمد بن عبد الوهاب الراسخ، رسالة ماجستير، قسم التفسير وعلوم القرآن بكلية أصول الدين، الجامعة الإسلامية العالمية إسلام آباد سنة 1437هـ الموافق 2016م.
140	الموطأ للإمام مالك (المتوفى: 179هـ)، المحقق: محمد مصطفى الأعظمي. الناشر: مؤسسة زايد بن سلطان آل نهيان للأعمال الخيرية والإنسانية، أبو ظبي، الإمارات. الطبعة: الأولى، 1425هـ الموافق 2004م. عدد الأجزاء: 8
141	ميزان الاعتدال في نقد الرجال للشمس الدين ابي عبيد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي (المتوفى: 748هـ)، تحقيق: علي محمد البجاوي، الناشر:

	دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، الطبعة: الأولى، 1382هـ الموافق 1963م. عدد الأجزاء: 4
142	نشر الجواهر والدرر في علماء القرن الرابع عشر وبذيله عقد الجواهر في العلماء الربيع الأول من القرن الخامس عشر للدكتور يوسف المرعشلي. الطبع: دارالمعرفة بيروت لبنان. الطبعة الأولى سنة 1427هـ الموافق 2006م.
143	النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ليوسف بن تفرج بن تفرج بن تفرج بن عبد الله الظاهري الحنفي، أبو المحاسن، جمال الدين (المتوفى: 874هـ)، الناشر: وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دار الكتب، مصر، عدد الأجزاء: 16
144	نظم الدرر في تناسب الآيات والسور لإبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي (المتوفى: 885هـ)، الناشر: دار الكتاب الإسلامي، القاهرة. عدد الأجزاء: 22
145	نواهد الأبهكار وشوارد الأفكار يُعرف به حاشية السيوطي على تفسير البيضاوي لعبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: 911هـ)، الناشر: جامعة أم القرى، كلية الدعوة وأصول الدين. المملكة العربية السعودية (3 رسائل دكتوراة)، عام النشر: 1424هـ الموافق 2005م. عدد الأجزاء: 3
146	نيل المرام من تفسير آيات الأحكام لابي الطيب محمد صديق خان بن حسن بن علي ابن لطف الله الحسيني البخاري القنوجي (المتوفى: 1307هـ)، تحقيق: محمد حسن إسماعيل، أحمد قويد المزيدي. دار النشر: دار الكتب العلمية. تاريخ النشر: سنة 2003م. عدد الأجزاء: 1
147	الوافي بالوفيات لصالح الدين خليل بن أيك بن عبد الله الصفدي (المتوفى: 764هـ)، المحقق: أحمد الأرناؤوط وتركبي مصطفى. الناشر: دار إحياء التراث، بيروت. عام النشر: 1420هـ الموافق 2000م. عدد الأجزاء: 29
148	وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان لابي العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر ابن خلكان البرمكي الإربلي (المتوفى: 681هـ)، المحقق: إحسان عباس. الناشر: دار صادر، بيروت. الطبعة: الجزء: 1 - الطبعة: 0، 1900 لجزء:

<p>2 - الطبعة: 0، 1900 الجزء: 3 - الطبعة: 0، 1900 الجزء: 4 - الطبعة: 1، 1971 الجزء: 5 - الطبعة: 1، 1994 الجزء: 6 - الطبعة: 0، 1900 الجزء: 7 - الطبعة: 1، 1994 عدد الأجزاء: 7</p>	
<p>الهداية (أوليين وآخرين) لابي الحسن علي بن أبي بكر المرغيناني (المتوفى 593هـ)، طبع شركة علمية ملتان، باكستان.</p>	149
<p>هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين لإسماعيل بن محمد أمين بن مير سليم البابائي البغدادي (المتوفى: 1399هـ) الناشر: طبع بعناية وكالة المعارف الجليلة في مطبعتها البهية استانبول 1951 أعادت طبعه بالأوقست: دار إحياء التراث العربي بيروت، لبنان. عدد الأجزاء: 2</p>	150

فهرس الموضوعات		
رقم المسلسل	عنوان الموضوع	رقم الصفحة
1	بسم الله	الف
2	العحكيم خارج باكستان	ب
3	أجريت	ت
4	أجريت (الانجليزي)	ث
5	Abstract	ج
6	الإقرار (Declaration)	ح
7	الإهداء	خ
8	كلمة للشكر والتقدير	د
9	المقدمة	1
10	التعريف بالموضوع	3
11	أهمية الموضوع	4
12	أسباب اختيار الموضوع	4
13	الدراسات السابقة	5
14	مشكلة البحث	10
15	أهداف الدراسة	10
16	المنهج البحث	10
17	خطوات البحث	11
18	خطة البحث	13
19	التمهيد	15
20	المطلب الأول	16

17	نبذة تاريخية عن الإمام فخر الدين الرازي	21
17	اسمه ونسبه ونشأته	22
18	دراسته	23
18	صفة درسه	24
18	مكاته العلمية	25
21	شيوخه	26
22	وفاته	27
23	تلامذته	28
24	صلته بالملوك	29
24	زهده	30
25	من كتبه ومؤلفاته	31
27	القيمة العلمية لتفسير الكبير المسمي بـ الماتيح الغيب	32
28	منهج الإمام فخر الدين الرازي في تفسيره التفسير الكبير	33
31	المطلب الثاني	34
31	نبذة تاريخية عن الإمام شهاب الدين الألوسي	35
31	اسمه ونسبه ومولده	36
32	دراسته	37
32	تدريسه	38
33	مكاته العلمية	39
34	وفاته	40
35	شيوخه	41
36	تلامذته	42
37	أولاده	43
39	من كتبه	44
42	القيمة العلمية لتفسير روح المعاني	45

42	منهج الإمام شهاب الدين الألوسي في تفسيره	46
44	المطلب الثالث	47
44	نبذة تاريخية عن الشيخ غلام رسول السعيدى	48
44	اسمه وتلقبه ونشأته	49
44	دراسته	50
46	تدريسه	51
46	حياته الأسرية	52
46	عضو المؤسسات	53
47	زيارات عالمية (International Visits)	54
47	وسام التميز / تمغة إمتياز (Medal of Distinction)	55
47	وفاته	56
48	أساتذته	57
49	تلامذته	58
50	أخلاقه	59
50	مكانته العلمية	60
50	أقوال العلماء حوله	61
51	مؤلفاته الشيخ السعيدى	62
53	القيمة العلمية لتفسير تبيان القرآن	63
54	منهج الشيخ غلام الرسول السعيدى في تفسيره تبيان القرآن	64
58	المطلب الرابع	65
58	تحرير المقصود بمصطلح الاستدراك	66
61	الفصل الأول	67
62	المبحث الأول: سورة الأعراف	68
62	الاستدراك الأول: قول الله تعالى: المص (الحروف المقطعة)	69

74	التحليل والمناقشة	70
93	الاستدراك الثاني: قول الله تعالى: كِتَابٌ أَنْزَلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُنْ فِي مَشْرِكٍ خَرَجَ مِنْهُ لِيُنذِرَ بِهِ وَيُذَكِّرَ لِلْمُؤْمِنِينَ.	71
95	التحليل والمناقشة	72
98	الاستدراك الثالث: قول الله تعالى: قَالَ أَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ. قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ.	73
100	التحليل والمناقشة	74
101	الاستدراك الرابع: قول الله تعالى: قَالَ اخْرُجْ مِنْهَا مَذْذُومًا مَدْحُورًا لَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكُمْ أَجْمَعِينَ.	75
101	التحليل والمناقشة	76
102	الاستدراك الخامس: قول الله تعالى: يُعْصِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَبِيبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسْحَرَاتٍ بِأَمْرِهِ.	77
103	التحليل والمناقشة	78
104	الاستدراك السادس: قول الله تعالى: فَمَاتَمْنَا مِنْهُمْ فَأَعْرَفْنَاهُمْ فِي النَّارِ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ.	79
105	التحليل والمناقشة	80
106	الاستدراك السابع: قول الله تعالى: قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِي مِنْ بَعْدِي أَعْمَلْتُمْ أَمْرًا رِزْكُمْ وَأَلْقَى الْأَنْوَاعَ وَأَعَدَّ بِرَأْسِي آجِيهَ بَحْرَةَ إِلَيْهِ.	81
107	التحليل والمناقشة	82
109	الاستدراك الثامن: قول الله تعالى: فَلَمَّا أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُمْ مِنْ قَبْلِ وَرَائِي لَأَهْلَكْتَنَا بِمَا فَعَلَ الشَّقِيَاءُ مِنَّا.	83
109	التحليل والمناقشة	84

111	الاستدراك التاسع: قول الله تعالى: وَمِنْ قَوْمِ مُوسَى أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ.	85
112	التحليل والمناقشة	86
114	الاستدراك العاشر: قول الله تعالى: وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ.	87
118	التحليل والمناقشة	88
120	الاستدراك الحادي عشر: قول الله تعالى: إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيُسَبِّحُونَهُ وَلَهُ يَسْجُدُونَ.	90
121	التحليل والمناقشة	91
123	المبحث الثاني: سورة الأنفال	92
123	الاستدراك الثاني عشر: قول الله تعالى: إِذْ تَسْتَخِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِالْفِ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرَدِّينَ.	93
125	التحليل والمناقشة	94
128	الاستدراك الثالث عشر: قول الله تعالى: وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ.	95
129	التحليل والمناقشة	96
129	الاستدراك الرابع عشر: قول الله تعالى: وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِن كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَنْظِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ السَّمَاءِ أَوْ آتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ.	97
130	التحليل والمناقشة	98
131	الاستدراك الخامس عشر: قول الله تعالى: وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلَّهُ لِلَّهِ.	99
133	التحليل والمناقشة	100
134	الاستدراك السادس عشر: قول الله تعالى: وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ.	101

102	التحليل والمناقشة	135
103	الاستدراك السابع عشر: قول الله تعالى: وَأَعِدُوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْحَيْلِ تُرْهَبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَأَخْرِبُونَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ.	135
104	التحليل والمناقشة	135
105	الاستدراك الثامن عشر: قول الله تعالى: إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عِشْرُونَ صَائِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتِينَ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا.	137
106	التحليل والمناقشة	138
107	الاستدراك التاسع عشر: قول الله تعالى: تَمَا كَانِ لِيَجِيَّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أُسْرَى خَتَّى يُنَجِّنَ فِي الْأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ.	139
108	التحليل والمناقشة	
109	الاستدراك العشرون: قول الله تعالى: أُولَآئِكَ نَبَاٌ مِنَ اللَّهِ مَسْبُوقٍ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ.	140
110	التحليل والمناقشة	142
111	الاستدراك الحادي والعشرون: قول الله تعالى: أُولَآئِكَ نَبَاٌ مِنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ.	142
112	التحليل والمناقشة	144
113	المبحث الثالث: سورة التوبة	145
114	الاستدراك الثاني والعشرون: قول الله تعالى: فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُنُوهُمْ وَأَخْضُرُوهُمْ وَأَقْلُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوْا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ.	146
115	التحليل والمناقشة	147

148	الاستدراك الثالث والعشرون: قول الله تعالى: وَإِنْ نَكَثُوا أَعْهَاتِهِمْ مِنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا فِي دِينِكُمْ فَقَاتِلُوا أَيْمَةَ الْكُفْرِ.	116
151	التحليل والمناقشة	117
152	الاستدراك الرابع والعشرون: قول الله تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا آيَاتِهِمْ وَإِخْوَانَكُمْ أُولِيَاءَ إِنْ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الْإِيمَانِ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فإُولِيكُمُ هُمُ الظَّالِمُونَ.	118
160	التحليل والمناقشة	119
161	الاستدراك الخامس والعشرون: قول الله تعالى: وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ.	120
161	التحليل والمناقشة	121
162	الاستدراك السادس والعشرون: قول الله تعالى: عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذْنَتْ لَهُمْ حَتَّى يَبَيِّنَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَتَعْلَمَ الْكَاذِبِينَ.	122
163	التحليل والمناقشة	123
164	الاستدراك السابع والعشرون: قول الله تعالى: وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا مَا آتَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ سَيُؤْتِينَا اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَرَسُولُهُ إِنَّا إِلَى اللَّهِ رَاغِبُونَ.	124
169	التحليل والمناقشة	125
171	الاستدراك الثامن والعشرون: قول الله تعالى: اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ.	126
171	التحليل والمناقشة	127
174	الاستدراك التاسع والعشرون: قول الله تعالى: اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ.	128
175	التحليل والمناقشة	129

176	الاستدراك الثلاثون: قول الله تعالى: اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ.	130
178	التحليل والمناقشة	131
178	الاستدراك الحادي والثلاثون: قول الله تعالى: اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ.	132
179	التحليل والمناقشة	133
182	الاستدراك الثاني والثلاثون: قول الله تعالى: اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ.	134
183	التحليل والمناقشة	135
185	الاستدراك الثالث والثلاثون: قول الله تعالى: لِيَجْزِيََهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ.	136
185	التحليل والمناقشة	137
187	المبحث الرابع: سورة يونس	138
187	الاستدراك الرابع والثلاثون: قول الله تعالى: إِنَّ الَّذِينَ لَا يُرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنَّنُوا بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ.	139
189	التحليل والمناقشة	140
	الاستدراك الخامس والثلاثون: قول الله تعالى: وَيَتَعَبَّدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْصُرُهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شَفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ.	141
192	التحليل والمناقشة	142

194	الاستدراك السادس والثلاثون: قول الله تعالى: أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَلَا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ.	143
195	التحليل والمناقشة	144
198	الاستدراك السابع والثلاثون: قول الله تعالى: يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ.	145
202	التحليل والمناقشة	146
203	الاستدراك الثامن والثلاثون: قول الله تعالى: وَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ إِنَّ أَمْرَ اللَّهِ شَيْءٌ جَمِيعًا هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ.	147
204	التحليل والمناقشة	148
232	الاستدراك التاسع والثلاثون: قول الله تعالى: حَتَّىٰ إِذَا أَذْرَقْنَاهُ الْفَرْقِ قَالَ آمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آمَنْتُ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ. الْآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ.	149
206	التحليل والمناقشة	150
214	الاستدراك الأربعون: قول الله تعالى: إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْكُمْ لَكَاذِبِينَ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ.	151
215	التحليل والمناقشة	152
216	الفصل الثاني	153
217	المبحث الأول: سورة هود	154
217	الاستدراك الحادي الأربعون: قول الله تعالى: أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ قَاتُوا بِمَنْشَرِ سُورٍ مِثْلِهِ مُفْتَرَاتٍ وَاذْعُوا مَنِ اسْتَعْظَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ.	155
218	التحليل والمناقشة	156

219	الاستدراك الثاني والأربعون: قول الله تعالى: وَلَا يَنْفَعُكُمْ نُصْحِي إِنْ أَرَدْتُمْ أَنْ أَصْخَحَ لَكُمْ إِنْ كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ.	157
220	التحليل والمناقشة	158
222	الاستدراك الثالث والأربعون: قول الله تعالى: تَخَالِيفِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ.	159
225	التحليل والمناقشة	160
228	الاستدراك الرابع والأربعون: قول الله تعالى: فَاسْتَقِيمْ كَمَا أُمِرْتَ وَرَبُّكَ نَابٌ مَعَكَ.	161
228	التحليل والمناقشة	162
232	المبحث الثاني: سورة يوسف	163
232	الاستدراك الخامس والأربعون: قول الله تعالى: وَلَقَدْ هَمَمْتُ بِهِ وَكَمْ بِمَا لَسَوْلًا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ كَذَلِكَ لِيَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ.	164
234	التحليل والمناقشة	165
235	الاستدراك السادس والأربعون: قول الله تعالى: وَقَالَتِ الْخِرَاجُ عَلَيْهِمْ قُلْنَا رَأَيْتُمْ أَكْبَرْتُمْ وَقُطِعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ.	166
236	التحليل والمناقشة	167
238	الاستدراك السابع والأربعون: قول الله تعالى: إِنْ تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ.	168
239	التحليل والمناقشة	169

241	الاستدراك الثامن والأربعون: قول الله تعالى: وَقَالَ يَا بَنِيَّ لَا تَدْخُلُوا مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ وَادْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُتَفَرِّقَةٍ وَمَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ.	170
143	التحليل والمناقشة	171
243	الاستدراك التاسع والأربعون: قول الله تعالى: قَالُوا إِنْ يَشِرْ قَدْ مَرَّ قَدْ مَرَّ أَجْرٌ لَهٗ مِنْ قَبْلِ فَاسْتَرْهَى يُوسُفُ فِي نَفْسِهِ وَمَا يُبْدِيهَا لَهُمْ قَالَ أَنْتُمْ شَرٌّ مَكَانًا وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ.	172
245	التحليل والمناقشة	173
248	الاستدراك الخمسون: قول الله تعالى: يَا بَنِيَّ أَذْهَبُوا فَتَخَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَبْأَسُوا مِنْ رُوحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَبْأَسُ مِنْ رُوحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمَ الْكَافِرُونَ.	174
249	التحليل والمناقشة	175
251	الاستدراك الحادي والخمسون: قول الله تعالى: أَنْتَ وَلِيِّي فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ نُوَفِّي مُسَلِّمًا وَالْحَقِي بِالصَّالِحِينَ.	176
254	التحليل والمناقشة	177
258	المبحث الثالث: سورة الرعد	178
258	الاستدراك الثاني والخمسون: قول الله تعالى: جَاءَتْ عَذْرَاءٌ تُدْخِلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالْعَمَلِ بِكَ تَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ.	179
260	التحليل والمناقشة	200
262	الاستدراك الثالث والخمسون: قول الله تعالى: قُلْ كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ.	201
262	التحليل والمناقشة	202
265	المبحث الرابع: سورة إبراهيم	203

204	الاستدراك الرابع والخمسون: قول الله تعالى: الرِّكَابَ أَنْزَلْنَا وَإِلَيْكَ لِنُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ.	266
205	التحليل والمناقشة	266
206	الاستدراك الخامس والخمسون: قول الله تعالى: رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ.	266
207	التحليل والمناقشة	267
208	الاستدراك السادس والخمسون: قول الله تعالى: يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ.	269
209	التحليل والمناقشة	272
210	الفصل الثالث	278
211	المبحث الأول: سورة الحجر	279
212	الاستدراك السابع والخمسون: قول الله تعالى: وَالْأَرْضُ مَدَدًا نَافَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْزُونٍ.	279
213	التحليل والمناقشة	280
214	المبحث الثاني: سورة النحل	282
215	الاستدراك الثامن والخمسون: قول الله تعالى: وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا مَاذَا أَنْزَلْ رَبُّكُمْ قَالُوا خَيْرًا لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ وَلَنِعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ.	284
216	التحليل والمناقشة	284
217	الاستدراك التاسع والخمسون: قول الله تعالى: فَيُنْهَمُ مَنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ.	284
218	التحليل والمناقشة	285

285	الاستدراك الستون: قول الله تعالى: فَمَسَّالُوا أَهْلَ الدِّيَارِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ.	219
286	التحليل والمناقشة	220
289	الاستدراك الحادي الستون: قول الله تعالى: أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى مَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ يَتَّبِعُهُ ظِلَالُهُ عَنِ الَّتِي هِيَ وَالشَّمَالِ سِجْدًا لِلَّهِ وَهُمْ دَاخِرُونَ.	221
290	التحليل والمناقشة	222
291	الاستدراك الثاني والستون: قول الله تعالى: وَيَجْعَلُونَ لَهُ الْبَنَاتِ سُبْحَانَهُ وَهُمْ مَا يَشْتَهُونَ.	223
291	التحليل والمناقشة	224
292	الاستدراك الثالث والستون: قول الله تعالى: وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ. ثُمَّ كَلَّمِي مِنْ كُلِّ النَّخْرَةِ فَامْلِكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلاً يَخْرُجُ مِنْ بَطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ.	225
293	التحليل والمناقشة	226
295	الاستدراك الرابع والستون: قول الله تعالى: وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ.	227
296	التحليل والمناقشة	228
298	المبحث الثالث: سورة الإسراء	229
298	الاستدراك الخامس والستون: قول الله تعالى: أَقْرَأْ كِتَابَكَ فَخَفَى بِتَفْسِيحِ الْيَوْمِ عَلَيْكَ حَسِيبًا.	230
300	التحليل والمناقشة	231

304	الاستدراك السادس والستون: قول الله تعالى: وَمَنْ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ تَبْعَثَ رَسُولًا.	232
304	التحليل والمناقشة	233
307	الاستدراك السابع والستون: قول الله تعالى: ثُمَّ سَخَّطْنَا لَهَا السَّمَاوَاتِ السَّبْعَ وَالْأَرْضَ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَخِّخَ بِحَمَلِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ خَلِيفًا عَفُورًا.	234
318	التحليل والمناقشة	235
320	الاستدراك الثامن والستون: قول الله تعالى: إِنَّ عِبَادِي لَئْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا.	236
320	التحليل والمناقشة	237
322	الاستدراك التاسع والستون: قول الله تعالى: وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا.	238
323	التحليل والمناقشة	239
325	الاستدراك السبعون: قول الله تعالى: وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا.	240
325	التحليل والمناقشة	241
325	الاستدراك الحادي والسبعون: قول الله تعالى: وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا.	242
327	التحليل والمناقشة	243
328	الاستدراك الثاني والسبعون: قول الله تعالى: قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا.	244
330	التحليل والمناقشة	245
332	المبحث الرابع: سورة الكهف	246

332	الاستدراك الثالث والسبعون: قول الله تعالى: وَإِذْ لَمْ يَكُنْ لَكَ الْبَطْنُ مِنْ كِتَابِي رَبِّكَ لَا تُبَدِّلْ لِكَلِمَاتِيهِ.	247
332	التحليل والمناقشة	248
335	الاستدراك الرابع والسبعون: قول الله تعالى: قَالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا. وَكَيْفَ تُصَبِّرُ عَلَى مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خَبْرًا.	249
336	التحليل والمناقشة	250
340	الخاتمة والتوصيات	251
341	النتائج	252
347	التوصيات والاقتراحات	253
349	الفهارس	254
350	فهرس الآيات	255
371	فهرس الأحاديث والآثار	256
380	فهرس الأعلام	257
386	فهرس المصادر والمراجع	258
408	فهرس الموضوعات	259

